

# التاريخ الباهر في الدولة العباسية

(بالمؤيد)

تأليف

علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن

عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري

(٥٥٥ - ٦٣٠ هـ)

تحقيق

عبد الفتاح أحمد طليمات

ماجستير في التاريخ

كلية الآداب - جامعة عين شمس

مترجم الطبع والنشر  
دار الكتب الحديثة بالقاهرة  
ومكتبة المهدي ببغداد

## مقدمة

كتاب « التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية » أحد كتب ابن الأثير التاريخية الهامة ، خصه بأخبار دولة إسلامية حاكمة ظهرت في النصف الغربي من دولة الخلافة العباسية ، أسسها عماد الدين زنكي ابن قسيم الدولة آقسنقر الحاجب بمدينة الموصل سنة ٥٢١ هـ ، ( ١١٢٧ م ) وشملت في عهد ابنه نور الدين محمود ، الموصل ، الجزيرة ، والشام ، ومصر ، واليمن .

وقد اخترت تحقيق مخطوط الكتاب ودراسته ، ودراسة مؤلفه موضوعاً لتبليغ درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي من جامعة عين شمس . تحت إشراف الأستاذ الدكتور محمد عبد الهادي شعيرة ، أستاذ التاريخ الإسلامي بالجامعة .

وقد نوقشت الرسالة في اليوم العاشر من شهر يوليو عام ١٩٦٢ ، بمرجع المغفور له محمد شفيق غربال بكلية الآداب بجامعة عين شمس .

وكانت لجنة المناقشة مكونة من : الأستاذ الدكتور محمد عبد الهادي شعيرة ، رئيساً .

وعضوية :

الأستاذ الدكتور أحمد فكرى ، أستاذ الآثار الإسلامية ، ورئيس قسم التاريخ بجامعة الاسكندرية .

والأستاذ الدكتور محمد مصطفى زيادة أستاذ التاريخ الإسلامي ، ورئيس قسم التاريخ بجامعة القاهرة ( سابقاً ) .

وقد أجازت اللجنة ، الرسالة بتقدير « جيد جداً » .

وقد حملت النسخة التي قدمت للمناقشة عنوان : « تاريخ الدولة الأتابكية — ملوك الموصل » وهو العنوان الذي اختارته له المكتبة الأهلية بباريس — والمخطوط لا يحمل عنواناً — والمسجل بها تحت رقم : ٨١٨ من المجموعة العربية . غير أني رأيت أنه من الأوفق ، أن يحمل الكتاب العنوان الذي ذكره المؤلف في كتابه الآخر « الكامل في التاريخ » ، وهو العنوان الذي يحمله الكتاب الذي بين يدي القارئ الآن .

وإني إذ أحمد الله جل شأنه ، لما وفقني إليه من النجاح فيما قمت به من عمل ، أتقدم بخالص الشكر إلى أستاذي الكبير ، الأستاذ الدكتور محمد عبد الهادي شعيرة ، لتفضله بالموافقة على الإشراف على الرسالة ، ولما قدمه إليّ من توجيهات وتصويبات أثناء اشتغالي في تحضيرها .

كذلك أشكر السيد الدكتور عز الدين إسماعيل . مدرس النقد الأدبي بكلية الآداب بجامعة عين شمس لتفضله بمراجعة الشعر الوارد بالخطوط ، وضبط أوزانه ، ونقويم أخطائه .

والله الموفق إلى سواء السبيل .

عبد القادر الأحمر طلبات

مصر الجديدة : شهر شعبان ١٣٨٢  
شهر يناير ١٩٦٣

## المؤلف

### ابن الأثير الجزري

( ٥٥٥ - ٦٣٠ هـ / ١١٦٠ - ١٢٣٢ م )

اسم ولقبه : أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني ، المعروف بابن الأثير الجزري ، الملقب عز الدين .

مولده : ولد ابن الأثير بجزيرة ابن عمر ، من أعمال الموصل ، في اليوم الرابع من شهر جمادى الأولى سنة ٥٥٥ (١) ، ثم انتقل والده به وأخويه إلى الموصل في سنة ٥٧٩ (٢) ، حيث أقاموا بها إقامة دائمة .

أسرته : وكان والد ابن الأثير موظفا عند ملوك الموصل منذ حكم عماد الدين زنكي ، وقد أخبرنا بهذا ، ابن الأثير وحده في ثنايا كتابه « الباهر » ، أما غيره من المؤرخين وأصحاب التراجم . فلم يهتموا بالترجمة له ، كذلك لم يتعرضوا له بالذكر حين ترجموا المؤلف وأخويه .

وأول خبر ذكره ابن الأثير عن والده ، هو ما أورده في ترجمته لعماد الدين زنكي في « الباهر » حيث يذكر أن والده سار إلى قلعة جعبر في سنة ٥٤١ ، حينما كان يحاصرها عماد الدين ، ونزل عنده الوزير جمال الدين — وزير عماد الدين — الذي كان يرافقه في الحصار ، ولما علم عماد الدين بوصوله ، أرسل إليه أحد غلمانه يسأله عن أخبار حصار قلعة « فنك » — وكان عسكر عماد الدين يحاصرها في نفس الوقت الذي كان عماد الدين يحاصر بنفسه قلعة جعبر — فأخبر الوالد ، الغلام بما يطمئن عماد الدين (٣) . ولم يذكر ابن الأثير شيئاً عن وظيفة والده في الدولة في تلك السنة ، غير أننا نرجح أنه كان عامل الوزير علي جزيرة ابن عمر ، ويؤيد هذا الترجيح ، ما ذكره ابن الأثير في الخبر الخاص بالملك سليمان

(١) ابن خلسكان ( ج / ١ / ص / ٤٣٨ ) .

(٢) اعتمدنا في تحديد هذا التاريخ لانتقال ابن الأثير إلى الموصل مع والده وأخويه على ما ذكره اليونيني في ذيل مرآة الزمان ( ج / ١ / ص / ٦٤ ) ، عن ضياء الدين — أخي ابن الأثير — بأنه ولد بجزيرة ابن عمر « وانتقل إلى الموصل مع والده في رجب سنة تسع وسبعين وخمسةائة » والمؤرخون يجمعون على أن والد ابن الأثير ، انتقل بأبنائه جميعاً إلى الموصل ، دون تحديد السنة ، وأقاموا بها .

(٣) أنظر ما يلي ، ص / ٧٨ ، ( من النص ) .

شاه السلجوقي سنة ٥٥٥ ، ذلك أن قطب الدين مودودا صاحب الموصل ، كان قد قبض على الملك سليمان شاه وحبسه بالموصل ، فلما توفي السلطان مسعود بن محمد السلجوقي في سنة ٥٥٥ ، أرسل أمراء همدان إلى قطب الدين ، يطلبون منه إرسال سليمان شاه إليهم لكي يولوه سلطاناً عليهم خلفاً للسلطان مسعود ، فاتفق قطب الدين مع سليمان شاه ، على أن يكون سليمان شاه سلطاناً وقطب الدين أتابكاً له وجمان الدين وزيراً للسلطان ، ثم عزم جمال الدين على أن يجعل والد ابن الأثير نائباً عنه بالعراق الذي يتبع سلطة سليمان شاه ، ولكن المشروع كله فشل لأسباب ذكرها ابن الأثير في الخبر (١) .

كذلك يذكر ابن الأثير خبراً آخر عن والده ، ويذكر فيه صراحة أنه كان يعمل في خدمة جمال الدين وزير الموصل وأنه كان نائباً عنه ، والخبر لا يحدد هذه النيابة . وإن كنا نرجح أنه كان نائباً عنه في جزيرة ابن عمر (٢) .

ثم يحدد الخبر الذي يذكره ابن الأثير عن والده في سنة ٥٦٥ ، في ترجمته لقطب الدين مودود صاحب الموصل ، أن والده كان يتولى رئاسة ديوان جزيرة ابن عمر وخزانتها (٣) . ثم لا يذكر ابن الأثير أكثر من هذا عن والده كموظف .

وكانت أسرة ابن الأثير على جانب من الثراء ، حيث يذكر المؤرخ أن أسرته كانت تملك عدة بساين بقرية العقيمة من أعمال جزيرة ابن عمر (٤) ، كذلك كانت تملك قرية بأسفل الموصل يقال لها « قصر حرب » ويقول ابن الأثير ، إنه جمع أكثر مادة كتابه « الكامل في التاريخ » في دار لهم بهذه القرية (٥) .

كذلك كان والد ابن الأثير يشتغل بالتجارة إلى جانب وظيفته ، حيث يذكر المؤرخ خبر استيلاء الصليبيين — في سنة ٥٦٧ — على مراكب للمسلمين قادمة من مصر إلى الشام ، وكان لوالده فيها تجارة (٦) . ويذكر أيضاً في أخبار سنة ٥٨٨ ، أن الفرنج استولوا على قافلة برية للمسلمين بنواحي الخليل . وكان لابن الأثير — أو لوالده — تجارة في هذه القافلة فنهبت (٧) .

ولم يترجم ابن الأثير لوالده بعد وفاته ، لاني « الكامل » ولا في « الباهر » ، كذلك لم يترجم له أحد من المؤرخين أو أصحاب التراجم . ولذلك فنحن نجعل تاريخ وفاته ، غير أن ابن الأثير ، ذكر خبراً في « الباهر » يبين منه أنه كان موجوداً في سنة ٥٨٧ في الموصل ، وخلاصة الخبر أن عز الدين مسعودا ، صاحب الموصل ، حاصر جزيرة ابن عمر في هذه السنة ، وخرج معه مجد الدين أبو السعادات — أخو المؤرخ — فلما عاد عز الدين إلى الموصل ، أمر عسكره ألا يدخلوا المدينة ، وأن يعسكروا خارجها

- (١) أنظر ما يلي ، ص / ١٤٧ ، (من النص) .  
(٢) أنظر ما يلي ، ص / ١٤٧ ، (من النص) .  
(٣) أنظر ما يلي ، ص / ١٤٧ ، (من النص) .  
(٤) أنظر ما يلي ، ص / ١٥٥ ، (من النص) .  
(٥) الكامل ، ج / ٥ / ص / ٢٠ .  
(٦) أنظر ما يلي ، ص / ١٥٥ ، (من النص) .  
(٧) الكامل ، ج / ٩ / ٢٢٠ .

فمنصب مجد الدين خيمته مع الجند ولم يدخل الموصل ، ولكن عز الدين صرح له بدخولها ، وقال له :  
إن والدك أمير الدين له مدة مارآك ، ولا شك أنه اشتاقك (١) .

وكان عز الدين المؤرخ ، أوسط أخويه مجد الدين وضياء الدين سنا ، فقد ولد مجد الدين أبو السعادات  
المبارك سنة ٥٤٤ هـ ، وولد عز الدين سنة ٥٥٥ هـ ، وأما ضياء الدين نصر الله ، فإنه ولد سنة ٥٥٨ هـ . وكان  
أول المتوفين من الإخوة ، مجد الدين حيث توفي سنة ٦٠٦ هـ ، ثم تلاه عز الدين المؤرخ فتوفي سنة ٦٣٠ هـ ،  
أما ضياء الدين فإنه توفي سنة ٦٣٧ هـ . (٢)

وقد اتجه كل من الإخوة الثلاثة إتجاها خاصا في حياتهم العلمية . فقد اختار مجد الدين العلوم  
الدينية ، واختار ضياء الدين الأدب ، أما عز الدين فقد اختار التاريخ ، فاشتهر كل منهم في ميدانه ، فقد  
نال مجد الدين شهرته في مؤلفاته في الحديث والتفسير والكتابة والرسائل ، واشتهر ضياء الدين بمؤلفاته  
الأدبية وفي مقدمتها المثل السائر في أدب الكتاب والشاعر . أما عز الدين فإنه اشتهر بمؤلفاته التاريخية ،  
وفي مقدمتها كتابه « السكامل في التاريخ » .

وقد خدم كل من مجد الدين وضياء الدين الزنكيين وكبار موظفيهم . فقد كان مجد الدين كاتب الإنشاء  
لمجاهد الدين قايماز وزير عز الدين مسعود صاحب الموصل ، ثم تولى ديوان رسائل عز الدين مسعود  
نفسه ، ثم ديوان ابنه نور الدين أرسلان شاه من بعده . ثم عرض له مرض منعه من الكتابة ، فأقام  
في داره يغشاه الأكلب والعلماء ، وأنشأ رباطا بقرية « قصر حرب » ووقف أملاكة عليه وعلى داره  
التي يسكنها بالموصل . وقد ألف كتبه كلها أثناء مرضه (٣) .

أما ضياء الدين ، فإنه وزر للملك الأفضل بن صلاح الدين الأيوبي صاحب دمشق ، فأساء السيرة  
حتى أثار عليه الناس فهموا بقتله . ولما خرجت دمشق من يد الأفضل ، التحق مجد الدين بخدمة الظاهر  
غازي صاحب حلب ، ولكن لم يطل مقامه عنده وخرج مغاضبا له وسار إلى الموصل ، ولكن لم تطب  
له الإقامة بها ، فرحل منها إلى إربل فلم يستقم حاله بها أيضا ، فرحل عنها إلى سنجار ، ولكنه لم يلبث  
أن عاد إلى الموصل واستقر بها ، فالتحق بخدمة ملكها ناصر الدين محمود بن الملك القاهر عز الدين مسعود  
بوظيفة كاتب الإنشاء ، وذلك سنة ٦١٨ هـ . ولما مات ناصر الدين محمود كتب لبدر الدين لؤلؤ بعد أن  
آلت إليه الموصل . وفي سنة ٦٣٧ هـ سيره بدر الدين رسولا إلى خليفة بغداد فمات بها (٤) .

أما عز الدين المؤرخ فالراجح أنه لم يدخل في خدمة ملوك الموصل ، حيث أنه لم يذكر هو نفسه ،  
ولم يذكر من ترجم له أنه شغل وظيفة ما . إلا أن ابن خلكان يذكر في ترجمته له ، أنه سافر لبعض ملوك الموصل  
من الزنكيين إلى بغداد ، ولكنه لم يسم هؤلاء الملوك (٥) . أما ابن كثير ، فإنه يذكر في ترجمته لابن

(١) أنظر مايلي ، ص / ١٨٦ (من النص) . (٢) شذرات الذهب ، ج / ٥ / ص / ٢٢ / ١٣٧ / ١٨٧ .

(٣) ابن خلكان ، ج / ١ / ص / ٥٥٧ وما بعدها . (٤) ابن خلكان ، ج / ٢ / ص / ٢٠٨ .

(٥) ابن خلكان ، ج / ١ / ص / ٤٣٨ .

الأثير ، أنه وزر لبعض ملوك الموصل ، ولكنه لم يسم هؤلاء الملوك أيضاً (١) . ولا شك أن هذا وهم من ابن كثير .

حياته : ولد ابن الأثير — كما ذكرنا من قبل — في جزيرة ابن عمر في اليوم الرابع من شهر جمادى الأولى سنة ٥٥٥ ، ثم انتقل إلى الموصل مع والده وأخويه في سنة ٥٧٩ ، أى وهو ابن أربع وعشرين سنة . ومعنى هذا ، أنه نشأ وربى وتلقى دروسه الأولى في جزيرة ابن عمر . والواقع أنه ليس لدينا معلومات عن طفولة ابن الأثير وصباه ومراحل تعليمه في صغره . فقد ضن ابن الأثير بالترجمة لنفسه ، كذلك ضن من ترجم له بتفاصيل نشأته ، وإن كان من المفروض أن والده اهتم بتعليمه وتعليم أخويه اهتماماً كبيراً ، ظهر أثره في تبوغ الإخوة الثلاث كل في ميدانه .

تعليمه : ومن الطبيعي أن يكون ابن الأثير قد حفظ القرآن في صغره ، وتعلم مبادئ القراءة والكتابة في أحد المكاتب حسب عادة أهل عصره . ولما شب عن الطوق ، انتقل إلى مرحلة الدراسة العميقة . فجلس إلى الشيوخ يتلقى عليهم العلم ، فدرس الحساب ، واللغة . والفقه ، والحديث . وعلّمه درس غير ذلك من العلوم ، كالأصول ، والفرائض ، والمنطق ، والهيئة ، والنجوم ، والقراءات ، فإن من شيوخه من كان يتقن أكثر من علم .

شيوخه : وقد ترجم ابن الأثير لبعض شيوخه في كتابه « السكامل في التاريخ » ، ومن ترجم لهم : شيخه عبد الله بن سويده ، المتوفى سنة ٥٨٤ ، فقال عنه : « في هذه السنة توفى شيخنا أبو محمد عبد الله ابن عبد الله بن سويده التكريتي ، كان عالماً بالحديث ، وله تصانيف حسنة (٢) » .

وشيخه ابن أفضل الزمان ، المتوفى سنة ٥٨٥ : « وفيها — في صفر — توفى شيخنا أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن بن وهبان ، المعروف بابن أفضل الزمان ، بمكة . وكان رحمه الله عالماً متبحراً في علوم كثيرة خلاف فقه مذهبه ، الأصوليين ، والحساب ، والفرائض ، والنجوم ، والهيئة ، والمنطق ، وغير ذلك . وختم أعماله بالزهد ولبس الحشن ، وأقام بمكة حرسها الله تعالى مجاوراً فتموتى بها . وكان من أحسن الناس صحبة وخالقاً (٣) » .

وشيخه ابن رواحه ، وقد قتل سنة ٥٨٥ في وقعة عكا ، فقد حضرها مع صلاح الدين الأيوبي ، فلما انهزم قلب جيش صلاح الدين من الصليبيين ، وصل الصليبيون إلى التل الذي عليه خيمة صلاح الدين وقتلوا من مروا به ، ونهبوا ، وقتلوا عند خيمة صلاح الدين جماعة ، منهم ، شيخنا جمال الدين أبو علي بن

(١) ابن كثير . ج / ١٣ / ص / ١٣٩ . (٢) السكامل ، ج / ٩ / ص / ١٩٨ .

(٣) السكامل ، ج / ص / ٢٠٥ .

رواحة الحموى ، وهو من أهل العلم ، وله شعر حسن ، وما ورت الشهادة من بعيد ، فإن جده عبد الله ابن رواحة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قتله الروم يوم مؤتة (١) .

وشيخه ابن صدقة ، المتوفى سنة ٥٩٣ هـ ، وفيها توفى شيخنا أبو القاسم يعيش بن صدقة بن علي الفراتي الضرير ، المقيمه الشافعي . كان إماماً في الفقه ، مدرساً صالحاً ، كثير الصلاح . سمعت عليه كثيراً ، لم أر مثله ، رحمه الله تعالى . ولقد شاهدت منه عجباً يدل على دينه وإرادته بعمله وجه الله تعالى . وذلك أني كنت أسمع عليه ببغداد سنن أبي عبد الرحمن النسائي — وهو كتاب كبير — والوقت ضيق ، لأنني كنت مع الحاج قد عدنا من مكة حرسها الله ، فبينما نحن نسمع عليه مع أخى الأكبر مجد الدين أبي السعادات ، إذ قد أتاه إنسان من أعيان بغداد ، وقال له : قد برز الأمر لتحضر ، الأمر كذا ، فقال : أنا مشغول بسماع هؤلاء السادة ووقتهم يفوت ، والذي يراد مني لا يفوت . فقال : أنا لا أحسن أذكر هذا في مقابل أمر الخليفة . فقال : لا عليك ، قل ، قال أبو القاسم لا أحضر حتى يفرغ السماع . فسألناه ليشى معه ، فلم يفعل ذلك وقال : إقرءوا ، فقرأنا . فلما كان الغد ، حضر غلام لنا وذكر أن أمير الحاج الموصلي قد رحل ، فعظم الأمر علينا . فقال [ الشيخ ] : ولم يعظم عليكم العود إلى أهلكم وبلدكم ؟ فقلنا : لأجل فراغ هذا الكتاب . فقال : إذا رحلتهم أستعير دابة وأركبها ، فأسير معكم وأتم تقرأون ، فإذا فرغتم عدت . فضى الغلام ليتزود ونحن نقرأ ، فعاد وذكر أن الحاج لم يرحلوا ، ففرغنا من الكتاب . فانظر إلى هذا الدين المتين ، يرد أمر الخليفة وهو يخافه ويرجوه ، ويريد [ أن ] يسير معنا ونحن غرباء لا يخافنا ولا يرجونا (٢) .

وشيخه ابن كليب الحراني ، المتوفى سنة ٥٩٦ هـ : « وفي هذه السنة — في ربيع الأول — توفى شيخنا أبو الفرج عبد المنعم بن عبد الوهاب بن كليب الحراني ، المقيم ببغداد . وله ست وتسعون سنة وشهران . وكان عالي الإسناد في الحديث . وكان ثقة صحيح السماع (٣) . »

وشيخه ابن شبة النحوي ، المتوفى سنة ٦٠٣ هـ : « وفيها — في شوال — مات شيخنا أبو الحرم مكي ابن ريان بن شبة النحوي المقرئ بالموصل . وكان عارفاً بالنحو واللغة والقراءات ، لم يكن في زمانه مثله ، وكان ضريراً . وكان يعرف سوى هذه العلوم ، من : الفقه ، والحساب وغير ذلك معرفة حسنة . وكان من خيار عباد الله وصالحهم . كثير التواضع ؛ لا يزال الناس يشتغلون عليه من بكرة إلى الصبح (٤) . »

وشيخه ابن طبرزد ، المتوفى سنة ٦٠٧ هـ : « وفيها توفى شيخنا أبو حفص عمر بن محمد بن المعمر بن طبرزد البغدادي ، وكان عالي الإسناد (٥) . »

وشيخه الخطيب الطوسي ، المتوفى سنة ٦٢٢ هـ ، في الوباء الذي انتشر في الموصل في هذه السنة ومات

(٢) الكامل ، ج ٩ / ص ٢٣٩ .

(٤) الكامل ، ج ٩ / ص ٢٩٠ .

(١) الكامل ، ج ٩ / ص ٢٠٣ .

(٣) الكامل ، ج ٩ / ص ٢٤١ .

(٥) الكامل ، ج ٩ / ص ٣٠٥ .



منه كثيرون ، « فمن مات فيه شيخنا عبد المحسن بن عبد الله الخطيب الطوسي ، خطيب الموصل . وكان من صالحى المسلمين ، وعمره ثلاث وثمانون سنة وشهور (١) » .

وشيخه ابن العديم ، المتوفى سنة ٦٢٨ : « وفيها توفى القاضى ابن غنائم بن العديم الحلبي ، الشيخ الصالح . وكان من المجتهدين فى العبادة والرياضة والعاملين بعلمهم . فلو قال قائل ، إنه لم يكن فى زمانه أعبد منه لكان صادقاً ، فرضى الله عنه وأرضاه ، فإنه من جملة شيوخنا . سمعنا عليه الحديث ، وانتفعنا برؤيته وكلامه (٢) » .

وكان ابن الأثير يذنب فرصة سفره إلى العراق والشام ، فيجتمع بشيوخها ويسمع منهم الحديث . فقد سمع ببغداد من عبد المؤمن بن كليب ، وعبد الوهاب بن سكيمة مسند العراق . وسمع بدمشق من القاسم بن صصرى مسند الشام وزين الأمان بن عساكر .

وكان ابن الأثير محل تقدير وثناء من عرفه من معاصريه ومن جاء بعده واستفاد من مؤلفاته . فمن معاصريه ابن خلكان وسبط ابن الجوزى . أما ابن خلكان ، فقد كان على اتصال وثيق به ، وسبب ذلك أن والده — والد ابن خلكان — كان صديقاً لابن الأثير ، لذلك كان ابن الأثير يكرم ابن خلكان ويقربه إليه . يقول ابن خلكان عن ابن الأثير ، إنه « كان إماماً فى حفظ الحديث ومعرفة ما يتعلق به ، وحافظاً للتواريخ المتقدمة والمتأخرة . وخبيراً بأنساب العرب وأيامهم ووقائعهم وأخبارهم » . ويقول أيضاً : « وكان بيته مجمع الفضل لأهل الموصل والواردين عليها » . ويذكر أنه اجتمع بابن الأثير فى حلب سنة ٦٢٦ ، وقد كان ابن الأثير ضيفاً على الطواشى شهاب الدين طغريل الخادم أتابك الملك العزيز بن الملك الظاهر صاحب حلب ، وكان طغريل كثير الإقبال على ابن الأثير حسن الاعتقاد فيه ، مكرماً له . يقول ابن خلكان ، إنه لما اجتمع بابن الأثير عند طغريل وجده « رجلاً مكلاً فى الفضائل وكرم الأخلاق ، وكثرة التواضع ، فلازمت الردد إليه ، وكان بينه وبين الوالد — رحمه الله تعالى — مؤانسة أكيدة فكان بسببها يباليغ فى الرعاية والإكرام (٣) » .

وأما شمس الدين يوسف سبط ابن الجوزى ، فإنه لم يترجم له بالرغم من أنه نقل عنه فى كتابه « مرآة الزمان » غير أنه كان يقدره ويلقبه بالأستاذ ، فهو حين يتقل عنه خبر وفاة نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي ، يقول : « وذكر الأستاذ الجزرى فى تاريخه (٤) » .

ويصفه ابن كثير بأنه « الإمام العلامة » ، ويقول ، إنه أقام بالموصل فى آخر عمره ، « موقراً معظماً إلى أن مات (٥) » .

ويقول عنه الذهبي ، « كان صدرأ معظماً كثير الفضائل (٦) » .

(١) الكامل ، ج / ٩ / ص / ٣٦٤ . (٢) الكامل ، ج / ٩ / ص / ٣٨٧ .

(٣) ابن خلكان ، ج / ٢ / ص / ٤٣٨ . (٤) مرآة الزمان ، ج / ٨ / ص / ٣٢٠ .

(٥) ابن كثير ، ج / ١٣ / ص / ١٣٩ . (٦) شذرات الذهب ، ج / ٥ / ص / ١٢٧ ، عن «البر» للذهبي .

ويقول عنه ابن العباد الحنبلي: «كان إماماً ، نسابه ، مؤرخاً ، إخبارياً ، أديباً ، نبيلاً ، محتشماً (١)» .

## وفاته :

وقد توفي ابن الأثير في شهر شعبان من سنة ٦٣٠ ، وهو المشهور (٢) . غير أن بعض المؤرخين يشذ عن ذلك ، مثل : السبكي ، فيذكر أنه توفي في شهر رمضان من السنة (٣) . وأبو شامة يذكر أنه توفي في شعبان سنة ٦٣١ (٤) .

## مؤلفاته :

سبق أن ذكرنا أن ابن الأثير اتجه الوجهة التاريخية في حياته العلمية . ونرجع السبب في هذا إلى ما كان يسمعه من أبيه في شبابه من أخبار الزنكيين ، حيث يذكر في مقدمة كتابه « التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية » ، أن والده كان يحدثه عن أخبار الموصل وملوكها من بني زنكي ، وما نلاحظه من كثرة النقل عن والده في هذا الكتاب ، ولا شك أن القصص التاريخية قد استهواه ، فأكب على قراءة كتب التاريخ ، حتى إذا بلغ المرحلة التي يجب عليه فيها أن يحدد اتجاهه العلمي ، اختار التخصص في علم التاريخ والتأليف فيه ، يدلنا على هذا ، مؤلفاته التي تركها في المكتبة الإسلامية ، فبالرغم من أنه بلغ درجة الإمامة في حفظ الحديث ومعرفة ما يتعلق به ، كما يقول ابن خلكان (٥) ، فإنه لم يعن بالتأليف في علم الحديث ، أو في غيره من العلوم التي درسها ، بينما مؤلفاته المعروفة لدينا كلها في التاريخ .

يقول في مقدمة كتابه « السكامل في التاريخ » : « أما بعد . فإني لم أزل محبا لمطالعة كتب التواريخ ومعرفة ما فيها ، مؤثراً للاطلاع على الجلي من حوادثها وخافيا ، مائلاً إلى المعارف والآداب والتجارب المودعة في مطاويها . . . . فابن الأثير بصرح بحبه للتاريخ ، وميله إلى المعرفة ، وهذا ما حداه إلى الاتجاه الوجهة التاريخية .

ترك ابن الأثير في المكتبة التاريخية الإسلامية أربع كتب ، هي :

١ — اللباب في تهذيب الأنساب .

٢ — أسد الغابة في معرفة الصحابة .

٣ — السكامل في التاريخ .

٤ — التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية (بالموصل) .

ومن أسماء هذه الكتب ، نرى أن ابن الأثير قد اهتم بالتاريخ بفروعه المختلفة ، اهتم بالتاريخ العام

(٢) ويحدد ابن العباد الحنبلي في شذرات الذهب ، ج/٥ /

(٣) طبقات الشافعية ، ج/٥ / ص / ١٢٧ .

(٥) ابن خلكان ج/١ / ص / ٤٣٨ .

(١) شذرات الذهب ، ج/٥ / ص / ١٣٧ .

ص/١٣٧ ، أنه توفي في الخامس والعشرين من الشهر .

(٤) الذيل على الروضتين ، ص / ١٦٢ .

الممثل في «الكامل في التاريخ»، وبالترجم الممثل في «أسد الغابة»، وبالأنساب الممثل في «اللباب». كذلك اهتم بالتاريخ الخاص، فأرخ لإحدى الأسر الحاكمة في الإسلام، وهي أسرة بني زنكي في كتاب «التاريخ الباهر»، فجمع بذلك علم التاريخ كله، فأحسن فيه وأجاد، وحاز ثقة من جاء بعده من المؤرخين القدامى، ومن المهتمين بالدراسات التاريخية الإسلامية من المحدثين.

ولابن الأثير كتاب آخر لا يمت إلى التاريخ بصلة، عنوانه «تحفة العجائب وطرفة العرائب» (١) وأحسب أن ابن الأثير أراد أن يرفه عن نفسه بتأليفه هذا الكتاب، فجمع فيه ما استرعى انتباهه من قراءاته المختلفة. يقول في مقدمة الكتاب إنه ذكر فيه «ما أظهرته الحكمة الإلهية، وما أبدعته القدرة الربانية من عجائب المخلوقات، وغرائب الموجودات، وطرزتها من ملح الأجناد (الأخبار؟) ونوادر الأشعار».

### اللباب في تهذيب الأنساب :

كتاب «الأنساب» الذي تهذبه ابن الأثير، هو لأبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني المروزي، من رجال القرن السادس، فقد توفي سنة ٥١٠. فقام ابن الأثير على تهذيبه واختصاره، وقد ذكر سبب إقدامه على هذا العمل في مقدمة الكتاب، فقال بعد أن مدح الكتاب وأشاد بالسمعاني وعمله، أن السمعاني «قد أطال واستقصى حتى خرج عن حد الأنساب وصار بالتواريخ أشبه، ومع ذلك ففيه أوهام» فشرع هو في «اختصار الكتاب والتنبيه على ما فيه من غلط وسهو». ثم ذكر بجهوده وعمله في التهذيب بالتفصيل.

### أسد الغابة في معرفة الصحابة :

وهذا الكتاب، كما يدل عليه عنوانه، تراجم للصحابة والصحابيات الذين صحبوا النبي في حياته. وقد ذكر في مقدمة الكتاب سبب تأليفه، فقال: إنه لم يعجبه من ترجم للصحابة غير أبي عبد الله ابن منده الأصفهاني، وأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني، والأمام أبي عمر بن عبد البر القرطبي، غير أن كلا منهم سلك طريقا يختلف عن الآخر، وذكر بعضهم أسماء لم يذكرها صاحبه، فرأى أن يجمع بين هذه الكتب وأن يضيف إليها ما شذ من كتاب أبي علي الغساني، الذي استدرك فيه على كتاب ابن عبد البر. ثم ذكر طريقته في الجمع واستدراكاته في مقدمة طويلة.

### السائل في التاريخ :

عن طريق هذا الكتاب نال ابن الأثير شهرته كمؤرخ من مؤرخي القرن السادس باعتبار مولده

(١) مخطوط بدار الكتب المصرية، تحت رقم : ٤٩٩ جغرافيا.

وباعتبار مدة نصف القرن الذي عاشه فيه ، ومن رجال القرن السابع باعتبار وفاته وباعتبار مدة ثلث القرن الذي عاشه فيه . والواقع أن ابن الأثير قد أحسن في تأليف هذا الكتاب ، فقد جمع فيه أخبار العالم الإسلامي شرقه وغربه وما بينهما ، وهذا ما لم يسبقه إليه أحد .

يقول ابن الأثير في مقدمة كتابه ، إن من أسباب تأليفه الكتاب ، أنه وجد من سبقه من المؤرخين ، أن « الشرق منهم قد أخل بذكر أخبار الغرب ، والغربي قد أهمل أحوال الشرق ، فكان الطالب إذا أراد أن يطالع تاريخا احتاج إلى مجلدات كثيرة وكتب متعددة ، مع ما فيها من الإخلال والإملا . فلما رأيت الأمر كذلك ، شرعت في تأليف تاريخ جامع لأخبار ملوك الشرق والغرب وما بينهما ، ليكون تذكرا لي أراجعه خوف النسيان ، وآتي فيه بالحوادث والكائنات ، من أول الزمان متتابعة يتلو بعضها بعضا إلى وقتنا هذا ، أي حتى سنة ٦٢٨ .

### التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية :

وهذا الكتاب الذي أعدناه للنشر ، ألفه ابن الأثير عن دولة أقامتها أسرة من الأسرات الحاكمة في الإسلام ، هي أسرة عماد الدين زنكي بن قسيم الدولة آقسنقر الحاجب ، والتي يطلق عليها ابن الأثير ، « الدولة الأتابكية » ، نسبة إلى لقب « أتابك » (١) الذي أطلق على عماد الدين — مؤسس الدولة — بعد أن ولي إمرة الموصل سنة ٥٢١ .

قدم ابن الأثير كتابه بمقدمة أظهر فيها علاقة أسرته الوثيقة بملوك الموصل ، ولخص فيها جهادهم للصليبيين ، ثم ذكر سبب تأليفه الكتاب .

ثم بدأ بسرد أخبار الدولة فبدأ بقسيم الدولة آقسنقر — والد عماد الدين زنكي — فذكر صلته بالسلطان السلجوقي ملكشاه ، وولايته على حلب من قبله ، واشترائه في مشاكل الأسرة السلجوقية بسبب التنافس على السلطنة بعد وفاة ملكشاه سنة ٤٨٥ . ثم ذكر مقتل قسيم الدولة سنة ٤٨٧ ، في حرب منافسة بينه وبين تاج الدولة تمش السلجوقي صاحب دمشق . وختم ابن الأثير أخبار قسيم الدولة بترجمته له ، أظهر فيها حسن سياسته في حلب وعدالة حكمه :

ثم تناول أخبار عماد الدين زنكي — الابن الوحيد لقسيم الدولة — منذ مقتل والده حتى وفاته سنة ٥٤١ ، فذكر رعاية أصحاب أبيه له ونشأته تحت رعايتهم ، فقد كان عماد الدين في نحو العاشرة من عمره حين توفي أبوه . ثم استقلاله بنفسه لما أن اشتد ساعده ، والتحاقه بخدمة أمراء الموصل ، واشترائه معهم في حروبهم المحلية وحروبهم ضد الصليبيين ، ثم انتقاله إلى خدمة السلطان محمود السلجوقي ، وولايته شحنكية واسط والبصرة وبغداد ، ثم بعد ذلك ولايته على الموصل سنة ٥٢١ . وهنا يأخذ ابن الأثير في تفصيل الخطوات التي اتبعتها عماد الدين لتكوين دولة تحمل اسمه ، تضم بعض

(١) أنظر معنى لقب « أتابك » فيما يلي من النص ، ص / ١٨ / حاشية / ٨ .

إمارات الجزيرة والشام . كذلك ذكر الأخبار التي تشير إلى الصعوبات التي اعترضت طريقه أثناء تكوين دولته ، والتي تتمثل في الخليفة العباسي ، والسلطان السلجوقي ، وأمراء الجزيرة والشام المسلمين ، ثم الصليبيين . وقد أفاض ابن الأثير في سرد حروب عماد الدين ضد الصليبيين وجهوده في استرداد كثير من البلاد التي استولوا عليها ، سواء في الجزيرة أو في الشام .

ثم تناول ابن الأثير انقسام الدولة بعد وفاة عماد الدين سنة ٥٤١ ، بين ولديه سيف الدين غازي الذي ملك الموصل والجزيرة ، ونور الدين محمود الذي استقل بحلب وتوابعها بالشام .

دون ابن الأثير أخبار سيف الدين غازي بن عماد الدين ، وكان عهد سيف الدين قصيرا ( ٥٤١ - ٥٤٤ ) ، ومن أبرز أعماله ، أنه منع خلافا خطيرا كاد أن يقع بينه وبين أخيه نور الدين . ثم إنه حافظ على أملاك الدولة بالجزيرة من الطامعين بها من أمراءها ، ثم كان له الأثر الكبير في منع سقوط دمشق في يد امبراطور الروم الذي حاصرها مع الصليبيين سنة ٥٤٣ .

ثم سرد ابن الأثير أخبار قطب الدين مودود ، الذي خلف أخاه سيف الدين على الموصل ( ٥٤٤ - ٥٦٥ ) . فذكر الخلاف الذي حدث بينه وبين أخيه نور الدين بسبب مدينة سنجار والذي انتهى بالصلح بينهما . ثم ذكر مشروع سلطنة سليمان شاه السلجوقي على همدان ، وتعيين قطب الدين أتا بكا له ومدبرا لشؤون سلطنته وفشل هذا المشروع . كذلك سرد خبر النزاع على ملك الموصل بين ولدي قطب الدين أثناء مرضه ، وأثر نفوذ رجال الدولة في هذا النزاع ، الذي انتهى بملك ابنه سيف الدين غازي ( الثاني ) سنة ٥٦٥ .

كذلك تناول ابن الأثير أخبار نور الدين محمود ( ٥٤١ - ٥٦٩ ) . فذكر استيلاءه على حلب بعد وفاة أبيه ، وجهاده للصليبيين . واسترداده بعض البلاد الإسلامية منهم . كذلك ذكر استيلاءه على دمشق سنة ٥٤٩ ، ومصر سنة ٥٦٤ ، والموصل سنة ٥٦٦ . كذلك تحدث عن الخلاف الذي نشب بين نور الدين وصلاح الدين بعد أن حل صلاح الدين محل عمه أسد الدين شيركوه في مصر ، لاختلاف وجهات النظر بينهما في حرب الصليبيين .

ثم ذكر ابن الأثير أزمة الاستخلاف التي حدثت في البيت الزنكي بعد وفاة نور الدين محمود سنة ٥٦٩ . بسبب صغر سن الصالح إسماعيل ، الابن الوحيد لنور الدين ، والتي آلت الدولة بسببها إلى صلاح الدين الأيوبي . ماعدا الموصل وسنجار وجزيرة ابن عمر .

وفي الفترة ما بين سنتي ٥٦٩ و ٦٠٧ ، أرخ ابن الأثير لمالوك الموصل تأريحا مختصرا ، ذكر فيه أخبار سيف الدين غازي ( الثاني ) بن قطب الدين مودود الذي استمر حكمه حتى سنة ٥٧٦ ؛ وأخبار عز الدين مسعود بن قطب الدين مودود الذي خلف أخاه سيف الدين ، وقد ظل يحكم الموصل حتى وفاته سنة ٥٨٩ وكذلك أخبار نور الدين أرسلان شاه بن عز الدين مسعود ، ودام حكمه إلى سنة ٦٠٧

فدون أخباراً قليلة عن علاقتهم بصلاح الدين وخلفائه ؛ وكانت علاقة تتأرجح بين الخصومة والود .  
ثم ذكر ملك القاهر مسعود بن نور الدين أرسلان شاه سنة ٦٠٧ .

وختم ابن الأثير أخبار كل ملك من ملوك الأسرة الزنكية بترجمة له ، فصل فيها أخلاقه وآثره ،  
وما أفادته الموصل في عهده .

كذلك ترجم ابن الأثير لبعض كبار رجال الدولة من الوزراء والقواد ؛ وأبرز في هذه التراجم ،  
أثر بعضهم في نشأة الدولة وارتقائها ، وأثر بعضهم الآخر في إضعافها .

### ملاحظات على « الباهر » :

وهناك بعض ملاحظات على ابن الأثير في كتابه « الباهر » .

فقد ترجم لبعض الشخصيات التي لاتمس موضوع الكتاب إلا مساً خفيفاً ، مثل ترجمته للطغرائي ،  
ونظام الملك ، وسليمان بن قتلبش ، وفاطمة بنت عبد الملك بن مروان .

ولم يدون ابن الأثير أخبار الصراع بين الزنكيين — خلفاء نورالدين — وبين صلاح الدين وخلفائه ،  
وسبب ذلك أن أخبار هذا الصراع ، تظهر ضعف الزنكيين أمام صلاح الدين وخلفائه ، وهزائمهم في  
حروبهم معهم ، كذلك تثبت أخبار الصراع ، خضوع الزنكيين لصلاح الدين وخلفائه خضوعاً تاماً ،  
فتجنب ابن الأثير إثبات هذه الأخبار التي تجرح أصحابها ، لئلا يخدش كبرياء الملك القاهر الذي ألف له  
الكتاب ، واكتفى بإحالة القارئ إلى كتابه الكبير « السكامل في التاريخ » ويسميه في « الباهر » ،  
« المستقصى في التاريخ » .

كذلك خرج في بعض الحوادث على مبدأ الحيادة الذي اتبعه في كتابه الآخر ، ففي « السكامل »  
فسر هذه الحوادث من واقعها وعلى وجهها الصحيح ، بينما فسرها في « الباهر » تفسيراً مخالفاً ، لإرضاء  
للملك القاهر . مثال ذلك ، الخبر الذي ذكره في « الباهر » عن قصد ديبس بن صدقة بغداد سنة ٥١٦ ،  
وخبر حصار عز الدين مسعود بن قطب الدين مودود — جد الملك القاهر — جزيرة ابن عمر . وخبر  
حصار الملك العادل الأيوبي مدينة سنجار سنة ٦٠٦ .

وضغط ابن الأثير بعض الأخبار في « الباهر » ضغطاً كبيراً ، فجاءت قليلة التفاصيل ، وإن كان  
قد حرص على إحالة القارئ إلى كتابه « السكامل » للإستزادة من تفاصيل الخبر .

والملاحظة الأخيرة ، وجود اختلافات في تواريخ بعض الحوادث والأخبار بين « الباهر »  
و « السكامل » ، أشرفنا إليها في حواشي المخطوط .

وابن الأثير ، وإن كان ذكر أخبار الزنكيين ورجال دولتهم في كتابه الكبير « الكامل » . إلا أنه في كتابه « الباهر » قد أمدنا بمعلومات قيمة لم يذكرها في « الكامل » ، فهو قد أعطانا معلومات عن مصير عماد الدين بعد مقتل والده وتنقله في خدمة أمراء الموصل واشتراكه معهم في حروبهم منذ صغره ، ومن ذلك عرفنا سر نجاحه الحربى والمدنى . كذلك أمدنا بمعلومات عن كيفية نجاحه في تكوين دولته وسياسته الحازمة في حكمه .

كذلك أمدنا بمعلومات قيمة عن حياة نور الدين الخاصة والعامة لم يذكرها في « الكامل » ، بحيث أصبحت شخصية نور الدين واضحة المعالم للباحث والدارس .

وقد تخللت تراجم الزنكيين وكبار رجال دولتهم معلومات ، لم ترد في « الكامل » ، عن النظم الزنكية وعن جهودهم في تحسين أحوال الموصل الداخلية ، في النواحي الاجتماعية والاقتصادية والعلمية .

كذلك أمدع ابن الأثير في وصفه المعارك التي دارت بين الصليبيين وبين كل من عماد الدين ونور الدين وإبراز الجهود الضخمة التي كان يبذلها كل من الزنكيين والصليبيين من ناحية الاستعداد للعمليات الحربية ، واستماتة كل من الفريقين في القتال . والكتاب بعد ذلك ، يعد مكملاً لما ينقص من أخبار الزنكيين في كتاب « الكامل في التاريخ » .

### أسلوب ابن الأثير في « الباهر » :

كتب ابن الأثير كتابه « الكامل » بأسلوب المؤرخ الذى تهمة المادة التاريخية أكثر مما تهمة البلاغة والأساليب البيانية ، فهو في « الكامل » يسرد حقائق بعبارات موجزة ؛ بينما جمع في « الباهر » بين المؤرخ والأديب فاستعمل السجع بتوسع كبير . وذلك لسكى يتيسر له الوصف المؤثر في المناسبات الخطيرة ، مثل وصفه المعارك التي دارت بين الصليبيين وبين عماد الدين ونور الدين ، وغير ذلك من المناسبات ، فمنجد مثلاً أنه افتتح كتابه بمقدمة مسجوعة ، وختمه أيضاً بخاتمة مسجوعة .

ويستشهد ابن الأثير بالشعر في كثير من المناسبات وللإشادة بالزنكيين ، بعضه لشعراء معاصرين للزنكيين مثل : محمد بن نصر بن صغير بن عبد الله القيسرانى ، وسعد بن محمد المعروف بالحبيص بيص ، وأحمد بن منير الطرابلسى . وبعضه لشعراء غير معاصرين كأبى تمام ، كذلك استشهد بأبيات من الشعر لم نستطع الاهتداء إلى أصحابها .

كذلك يضرب ابن الأثير الأمثال في بعض المناسبات ، وذلك عند سخريته بالصليبيين وهزائمهم من المسلمين . ففي سنة ٥٦٥ حاصر الصليبيون دمياط للاستيلاء على مصر ؛ ولكنهم هزموا هزيمة منكرة ، ورجعوا إلى بلادهم ، فيسخر منهم ابن الأثير ، فيقول : « وهذا موضع المثل ، ذهب النعامه تطلب قرنين فعاتت بلا أذنين » . وفي سنة ٥٦٧ ، استولى الصليبيون على مركبين تجارين للمسلمين برغم

الهدنة التي بينهم وبين نور الدين ، فطلب نور الدين منهم ردهما ، فأبوا ، فأغار نور الدين على حصن عرقة — وهو لهم — وخربه ، واستولى منهم على « صافيتا » و « العريمة » ، عندئذ أعادوا المركبين وطلبوا من نور الدين تجديد الهدنة ، فقال ابن الأثير ساخرا بهم : « فكانوا في ذلك كما يقال : اليهودى لا يعطى الجزية حتى يطم . وكذلك الفرنج ما أعادوا أموال التجار بالتي هي أحسن ، فلما نهبت بلادهم وخربت أعادوها » .

### مصادره :

ذكر ابن الأثير في مقدمة الكتاب ، أنه اعتمد في مادته على ما سمعه من والده ، وقد أكثر من الرواية عنه . غير أنه ذكر مصادر أخرى رجوع إليها — وإن كان رجوعه إليها في مناسبات قليلة — مثل : « تاريخ دمشق » لابن عساكر (١) ، « وأخبار حلب » لابن العديم (٢) ، والعهاد المكاتب من بعض مصنفاته (٣) . كذلك نقل عن بعض الشخصيات المعاصرة للحوادث ذكر أسماء بعضها وأهمل ذكر بعضها الآخر فضلا عن أن مادة الكتاب ، هي نفس مادة كتاب « الكامل » مع فارق واحد هو فارق الأسلوب الذي تحدثنا عنه من قبل (٤) .

### المخطوطة :

مخطوطة « التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية » نسخة وحيدة ليس لها أخت ، وهي موجودة بالمكتبة الأهلية بباريس تحت رقم ٨١٨ من المجموعة العربية بعنوان : « تاريخ الدولة الأتابكية ملوك الموصل » . وقد أحضرت النسخة ميكرو فيلم من باريس ، فوجدت أن المخطوطة لا تحمل عنواناً ، وقد جاء عنوانها عند مؤلفها ابن الأثير — في كتابه الآخر « الكامل في التاريخ » ، في عدة مواضع منه ، هكذا : « التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية » ، « الباهر » ، « الباهر في أخبار دولتهم » (٥) ، فاعتمدنا نحن العنوان الكامل ، الذي ظهرت به الطبعة التي بين يدي القارئ . كذلك لا تحمل المخطوطة اسم المؤلف ، غير أن هذه الصعوبة أمكن التغلب عليها حيث يوجد بالمخطوطة ما يؤكد إلى أن مؤلفها هو ابن الأثير ، حيث يشير في أماكن منها إلى والده وإلى أخيه مجد الدين أبي السعادات ، وإلى كتابه « الكامل في التاريخ » .

وتقع المخطوطة في ٤٦١ صفحة ، وتحتوي كل صفحة على ثلاثة عشر سطرا ، ويختلف عدد الكلمات في السطور ، ما بين سبع وعشرة كلمات .

(١) س/٨٩ . (من النص) . (٢) ص/١٢٦ . (من النص) . (٣) ص/١٧٤ . (من النص) .  
 (٤) يعد المحقق بحثا مستفيضا عن ابن الأثير ، مع دراسة مؤلفاته ومنها « الكامل في التاريخ » وتحديد مصادره .  
 (٥) الكامل في التاريخ ، > / ٨ / ص / ٣٠٩ / ٣١٠ ، > / ٩ / ص / ١٣ / ١٤ / ١٢٥ .



والخط الذي كتب به نسخ ظاهر جميل في مجموعه .

والأخطاء الإملائية كثيرة ، وأكثر منها ، الأخطاء الناتجة عن عدم دقة الناسخ في تنقيط الحروف .

ولا يعترف الناسخ بحرف « الألف » لفعل الجمع ، مثل : ضربوا ، حاصروا ، نزلوا ، إلا في حالات قليلة جداً ، فأضفناها نحن ، ولم نشر إليها في الحواشي لكثرتها .

وحرف « التاء » له عند الناسخ أمر عجيب ، فهو يصر على كتابتها مفتوحة في حين يجب كتابتها مربوطة ، مثل : مدينة ، فيكتب اللفظ : مدينت . ويكتبها مربوطة ، في حين يجب كتابتها مفتوحة ، مثل : ( نهر ) الفرات ، فيكتب اللفظ : الفرة .

كذلك يطيب له أحياناً أن يقلب حرف الضاد ، ظاء ، مثل : غضنفر ، فيكتب اللفظ : غضنفر . وأن يقلب حرف الظاء إلى حرف الضاد ، مثل : المظفر ، فيكتب اللفظ : المضفر .

كذلك اتبع طريقة عصره وعصر من سبقه في إهمال إثبات الهمزة ، سواء كانت في أول الكلمة أو وسطها أو في آخرها ، مثل : تتضاءل ، استئصال ، دماءنا ، أعداء . فيكتبها : تتضال ، استئصال ، دمانا ، أعدا . وهو إذ يهمل الهمزة في موضعها ، فإنه يضعها في غير محلها ، مثل : بنو ، لا . فيكتبها : بنوء ، لاء .

فقمنا نحن على تهذيب النص من هذه العيوب ، ولكن لم نشر إليها كلها في الحواشي لكثرتها بحيث إذا أشرنا إليها كلها تزحم النص .

كذلك لم يوحد الناسخ الرسم الهجائي لأسماء بعض الأعلام والأماكن ، مثل : بزآن ، سلجوق ، كربوغا ، الرها . فيكتبها أيضاً : بوزان ، سلجوق ، كربوقا ، الرها ( بدون همزة ) وقد أثبتنا الأسماء كما هي في النص ، لأن المؤرخين القدامى ، استعملوا كلا الرسمين

وقد يسقط من الناسخ لفظ عند النسخ ثم يتنبه له فيكتبه بين السطور بخط دقيق ، أو في هامش الصفحة ، وقد يخطيء في كتابة كلمة فيمحوها ويكتبها صحيحة .

وفي المخطوطة بياض في أماكن قليلة متفرقة منها ، وقد أشرنا إليه في حواشي النص . ولا نستطيع الجزم عما إذا كان البياض من الناسخ بسبب عدم استطاعته قراءة ما في مكانها ، أو أنه من ابن الأثير نفسه . وقد استطعنا ملء بعض هذا البياض ، ولم نوفق إلى بعضه الآخر ، برغم رجوعنا إلى مراجع أخرى .

وقد رجعنا في تقويم النص ، إلى المراجع التي نقل أصحابها من النص الأصلي الذي لم نعر عليه بعد ، مثل : « الروضتين في أخبار الدولتين ، لأبي شامة ، « وفيات الأعيان ، لابن خلكان ، « الكواكب الدرية في السيرة النورية ، لابن قاضي شهبه . غير أننا اعتمدنا اعتماداً تاماً على أبي شامة ، لأنه أكثر

من غيره نقلا من « النص » ونقوله منه أطول من غيره . وقد لاحظنا أن هناك اختلافا كبيرا بين ألفاظ مخطوطنا وبين ألفاظ أبي شامة وابن قاضي شبهة ، مما يدل على أن الناسخ تصرف تصرفا كبيرا أثناء نسخه ، ولو رما استبدال ألفاظ مخطوطنا بما في « الروضتين » و « الكواكب » لأصبح لدينا نسخة تختلف كثيراً عن النسخة الحالية ، وقرينة جدا من نسخة ابن الأثير الأصلية .

وقد احتاج « النص » ، لإضافة بعض الألفاظ وذلك لتقوم بعض العبارات ، فأضفناها من المراجع التي نقلت عن « النص » ، الأصلي أو من نسخة « دى سلين » — التي سوف نتحدث عنها فيما بعد — أو اجتهاداً منا ، ووضعنا اللفظ بين الحاصرتين [ ] ، للدلالة على أنه إضافة ، وأشرنا في الحاشية إلى المرجع الذي أضفنا اللفظ منه .

أما تحقيق الأخبار ، فقد رجعنا إلى كتاب المؤلف الآخر « الكامل في التاريخ » ، لأن مادة الأتابكة — كما ذكرنا من قبل — هي نفس مادة « الكامل » ، مع الاستعانة بالمراجع التي أشرنا إليها في الحواشي .

### التاريخ الباهر والطبعة الفرنسية :

اهتم الفرنسيون بنشر المخطوطات العربية التي أرخت للحروب الصليبية في مجموعة أطلقوا عليها اسم : مجموعة مؤرخي الحروب الصليبية الشرقيين .

Recueil Des Historiens Des Croisades. Historiens Orientaux.

وخطة المجموعة في النشر ، هي طبع النص العربي ، مع ترجمة له باللغة الفرنسية . وقد طبع « التاريخ الباهر » في هذه المجموعة — وهو الجزء الثاني منها — بعنوان : « تاريخ دولة الأتابكة ملوك الموصل » . وقام على إخراجه المستشرق الفرنسي « دى سلين » .

وقد قمنا نحن على إعداده للنشر مرة أخرى لأسباب ، أهمها :

أولاً : ندرة الكتاب المطبوع في المجموعة الفرنسية . فقد طبع الكتاب في باريس سنة ١٨٧٦ ، أي منذ حوالي قرن من الزمان ، ولا يوجد منه سوى نسخ قليلة جداً في دار الكتب المصرية والمكتبة العامة للجامعة القاهرة ، فهو لذلك قليل التداول بين المهتمين بدراسة الأسرة الزنكية ( أو الأتابكية كما يسميها ابن الأثير ) .

ثانياً : بالرغم من أن المستشرق الفرنسي « دى سلين » ، بذل مجهوداً لا بأس به في تهذيب « النص » وتصويب ألفاظه وتحقيق أخباره ، فإننا لاحظنا — عند مقابلة نسخته على النص المخطوط — ما يلي :

١ — خطأ « دى سلين » ، ألفاظاً صحيحة في النص ، واستبدالها بألفاظ أخرى ، بعضها بعيدة عن المعنى المقصود في العبارة ، وبعضها الآخر لا لضرورة لتغييرها ، مثال ذلك :

- تتضاءل : متصل . في عبارة النص (١) : وحاله من القرب تتضاءل (في النص تتضال) دونها درجات المقربين (ص/١) .
- شكواه : شكاوته . في عبارة النص : فلقية صبي ديلى مستغيثا به فقربه منه لسمع شكواه فقتله (ص/٩) .
- توضاً : توضوا . في عبارة النص : وكان من جملة عباداته أنه لم يُجِدْثُ إلا توضاً (ص/٩) .
- وعزلتك : وأزمتك . في عبارة النص : وإن كنت وزيرى فاسلك ما يسلكه الوزراء وإلا أطبقت دواتك وعزلتك (ص/١٠) .
- المصانع : الصنایع . في عبارة النص : وعمل السلطان من الخيرات وأبواب البركثيرا ، منها ما أصلحه وعمله من المصانع بطريق مكة (ص/١١) . (والمصانع هى ما يخزن فيها الماء) .
- طرف : طريق . في عبارة النص : وهو الذى بنى منارة القرون فى طرف البرما يلى الكوفة (ص/١١) .
- وأرضت : وعرضت . في عبارة النص عن وفاة السلطان ملكشاه : ولم يجلس أصحابه للعزاء سواه ، وأرضت زوجته العسكر وحلقتهم لولدها محمود (ص/١١) .
- ليملكه : ليملكها . في عبارة النص : وكان جاولى قد عبر إلى الشام ليملكه . (ص/١٧) .
- فبايعه : فبايعوه . في عبارة النص : فبايعه أولاد الخلفاء والأمراء . (ص/٢٢) .
- فليكن : فليكون . في عبارة النص : إذا أراد الإنسان أن يضع على رأسه حجرا ، فليكن من جبل كبير (ص/٢٧) .
- أمثالها : أمثالهم . في عبارة النص : والتركان تقول فى أمثالها . (ص/٢٧) .
- نازها : بان لها . في عبارة النص : فلما نازها الشهيد سارحسام الدين (ص/٣٦) .

- الحصن : القصر . في عبارة النص : وكان هذا الحصن أضر شىء على أهل حلب (ص/ ٣٩)
- ابتغى : يبتغى . في عبارة النص : فلم ينج من المعركة إلا من اتخذ الليل جملاً، أو ابتغى بالاختفاء بين القتلى مؤثلاً . ( ص / ٤١ ) .
- الهواء : الهوى . في عبارة النص . وأكثر من إرسال السهام وحجارة المجانيق حتى كادت تحجب الهواء . ( في النص أيضا : الهوى ) ( ص / ٦٠ ) .
- يأذى المعلم : يادى المعلم . في بيت الشعر : يادى المعلم أطرقت شرفاته  
إطراق منجذب القرينة عان (ص/ ٦٠)
- الخدمة : خدمتك . في عبارة النص : أنى بلغنى أن ولدى فارق الخدمة ( ص / ٦٥ ) .
- شوهدت : شاهدت . في عبارة النص : فلوشوهدت وقعاته لم تذكروقة الهباه (ص/ ٧٥)
- تسلطهم : تسلطهم . في عبارة النص : لانه رأى من تسلطهم على السلطان (ص/ ١١٥)
- دبر ، وقدر : دبروا ، وقدروا . في عبارة النص : وكان الأمر على مادبر ، والحال على ما قدر (ص/ ١٢٤)
- الشهادة : العبادة . في عبارة النص : وأقبل على الشهادة وذكر الله تعالى . (ص/ ١٢٧)
- لتنقذهن : لتنقذهم . في عبارة النص : هذه شعور نسائي من قصرى يستغن بك لتنقذهن من الفرنج . ( ص / ١٣٨ ) .
- الخشوع : الخضوع . في بيت الشعر : جمع الشجاعة والخشوع لربه  
ما أحسن المحراب فى المحراب ( ص / ١٦٥ )
- للفسوق : لفسق . في عبارة النص : وللتقى شروق ، وما للفسوق سوق ( ص / ١٧٤ )
- سألقة : سابقة . في عبارة النص : وكان رجلاً كبيراً له خدمة سألقة (ص/ ١٨٦)
- فلم يعلم : فلم علم . في عبارة النص : فبلغ الخبر إلى مجاهد قائمماز فلم يعلم بخدومه نور الدين الخبر ( ص / ١٩١ )
- أودعت : أوضعت . في عبارة النص : وقد أودعت الكتب غدراتهم فهى باقية إلى يوم القيامة . ( ص / ١٩٥ )

لداته : لذاته  
أشغال : الاشغال

في بيت الشعر : ساد الملوك لسبع عشرة حجة  
ولداته إذ ذاك في أشغال (ص / ٢٠٢)

سجره ونجره : شجره ونجره . في عبارته النص : ولم يزل في حجره ، وبين سجره ونجره . (ص / ٢٠٢)

هذا قليل من كثير من ألفاظ النص التي استبدلها « دى سلين » بغيرها من غير ضرورة تدعو لذلك ، ولم نشأ أن نذكرها في حواشي النص لثلا نثقل على المتن ، وإنما اكتفينا بإيراد الألفاظ التي أثبتناها هنا على سبيل التمثيل فقط .

٢ — وقف « دى سلين » في ضبط بيت الشعر :

تلك المسكارم لا قعبان من لبن شيبا بماء فعادا بعد أبوالا  
فقد ورد في النص نثراً ، هكذا : هذه المسكارم لافعتاب لبن شيبا بما فعادوا بعد وأبوالا . فأثبتة في طبعته نثراً وبأخطائه (ص / ١١٨) .

وكذلك وقف في ضبط البيت :

ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد  
وقد ورد الشطر الأول من البيت في « النص » : وليس الله بمستنكر . فأثبتته « دى سلين » ، كما ورد في النص . (ص / ٢٠٤) .

كذلك حرف البيت :

فاسم الغمام لديه وهو كنهور آل وأسماء البحار جداول  
فأثبت الشطر الأول من البيت : . قسم الغمام لديه وهو كنهور (ص / ١٥٠) .

٣ — أسقط « دى سلين » بعض المعلومات من بعض الأخبار ، كذلك أسقط نسب الخليفة المستظهر بالله كله ، وقد أشار هو إلى أنه أسقطه عن قصد ، لأنه لا يتصل بالموضوع الذي يهمه ، وهو أخبار الحروب الصليبية (١) . كذلك أسقط عن عمد خبر يتعلق بتقسيم الدولة آقسنقر البرسقي (٢) .

أما العبارات التي سقطت من طبعة « دى سلين » ، سواء كان عن عمد أم عن غير عمد :

١ — « وقالوا [ له ] إنه يأخذ أموالك فيتصرف بها فلم يمكنه أن يغير عليه » (٣) .

٢ — « يؤتى الملك من يشاء وينزعه من يشاء يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب » (١) .

٣ — « وكان له سردار بالموصل يكون معه مفاتيح داره فبلغه أن ولد السردار قد سرق . فأسقط من هذه العبارة كلمات حرقت الخبر ، فجاءت : وكان له سردار قد سرق (٢) .

٤ — كذلك خطأ « دى سلين » بعض التواريخ والمعلومات رغم صحتها في النص :

(١) ورد في « النص » ، أن صاحب غزنة من أولاد محمود بن سبكتكين قتل أرسلان بيغون سليجق . فأبدل « دى سلين » اسم محمود ، بـ محمد (٣) . وهذا خطأ ، لأنه لم يحكم غزنة أحد من أولاد محمد ، وكان الحكم فيها لعقب غيره .

(ب) ورد في « النص » أن مسير عز الدين مسعود لحصر جزيرة ابن عمر كان في سنة ٥٨٧ ، فأبدل « دى سلين » السنة ، بسنة ٥٨١ (٤) .

ورد في « النص » ، في خبر بني منقذ أصحاب شيزر ، « فأولد أبو سلامة مرشد عدة أولاد ذكور » فأبدل « دى سلين » اسم ، أبو سلامة ، بأبي أسامة (٥) .

وبرغم هذه الملاحظات ، فإننا لا نعني أن محمود « دى سلين » كان ضئيلا ، وإنما بذل مجهودا يشكر عليه نجاح في بعضه ، وفشل في بعضه الآخر .

وأود هنا أن أقرر ، أن « دى سلين » وفر على وقتنا كان لا بد أن أنفقه في البحث عن معلومات عن ناسخ المخطوطة ، فإن الناسخ لم يذكر اسمه ولا تاريخ نسخه للمخطوطة ، كذلك دلتني على المراجع التي نقلت عن « الباهر » والتي لا بد للرجوع إليها لتهذيب ألفاظ النص ، وتوضيح ما فيه من غموض .

أما ناسخ المخطوطة ، فقد قال عنه « دى سلين » إنه مسيحي ماروني ، ويؤيد « دى سلين » مسيحية الناسخ ، باسقاطه عبارات التي المتصلة بالعقائد الإسلامية ، ويعني « دى سلين » ما أسقطه الناسخ من التصليية على النبي فترك مكانها بياضا (٦) . واستدل الناشر ، على أن الناسخ ، ماروني ، من جمال خطه « الذي فيه خصائص الانتظام والأناقة التي هي من يميزات الخط الماروني » . ثم يذكر الناشر ، أن الناسخ كان من رجال أواخر القرن السابع عشر الميلادي . ونحن لا نستطيع معارضة « دى سلين » أو تأييده فيما ذكره عن الناسخ ، إلا في حالة واحدة ، وهي مسيحيته ، فإننا نؤيده في هذا ، لإسقاطه التصليية على النبي . أما ما عدا هذا فإننا نقف منه موقف المحايدين .

ويذكر « دى سلين » . عن الناسخ ، إنه يجمل قواعد اللغة العربية ، ولا يفهم شيئا في الشعر والنثر . كذلك لا يفهم الأسلوب الصحيح للغة ، بالإضافة إلى أنه لم يكن على حظ من التعليم يمكنه من فهم

(١) ص/١٣٧ (من النص) .  
(٢) ص/١٩٩ (من النص) .  
(٣) ص/٩ (من النص) .  
(٤) ص/١٨٤ (من النص) .  
(٥) ص/١١٠ (من النص) .  
(٦) ص/١ (من النص) .

نص المخطوطة فهما تاما ، لذلك ارتكب كثيرا من الأخطاء عندما كان ينسخ القطع التي كان لا يفهمها ، كذلك حذف بعض الكلمات وكثيرا من العبارات من النص ، وأخطأ في أسماء الأماكن الواردة في النص ، فبعض هذه الأخطاء نتيجة الجهل ، وبعضها الآخر نتيجة الإهمال . وقد بالغ « دى سلين » في تجريح الناسخ ، ونحن قد أشرنا إلى أخطائه في حواشي النص . وهي أخطاء معظمها ناتج عن عدم دقته في تنقيط الحروف .

ثم يذكر الناشر عمله في إخراج النص ، والمجهود الذي بذله في تهذيبه وتحقيقه ، فيقول ، إنه لمعرفته بخصائص قواعد اللغة العربية ، ولدراسته الأساليب الصحيحة لكبار الناشرين ، ولمعرفته بالشعر استطاع أن يعالج أخطاء النص . وهذه مبالغة من الناشر في تقدير نفسه ، وما ذكرناه عن تصرفه بألفاظ النص ، يدل على عدم تمكنه من اللغة بالمقدار الذي يقدر به نفسه ، بالإضافة ، إلى أنه هو نفسه يقرر أنه وقف عاجزا عن معالجة بعض ألفاظ النص الغامضة أو الخاطئة ، فأثبتها كما هي ووضعها بين حاصرتين .

ثم يذكر الناشر المراجع التي رجع إليها في تنقيح النص ، وهي :

- ١ - الروضتين في أخبار الدولتين ، لأبي شامة .
- ٢ - الكامل في التاريخ ، لابن الأثير .
- ٣ - تاريخ ابن خلكان . (وفيات الأعيان) .
- ٤ - الموسوعات الجغرافية وكتابات المؤرخين العرب . (من غير تحديد) .

المخَطوط



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ذي النعم الباهية والآلاء الظاهرة والمنن  
الزاهرة الذي امن على عباده وتليك الملك وتامير  
الامراء فجعلهم شبيهاً لك من القوي عن الضعيف والخذ  
للشرف من الشريف نخسده عبيداً لعم فاجرب  
واحسن فافضل وتصلي على

أما بعد فاذكركمنا

من انعام هذه الدولة العزيرة القاموس والايام المتأبكية  
الزاهرة وشملنا من احسانها بان الشمامسة من عرش اطرافها  
فقد استهزجته وطاب حين وطار وكن في الافاق  
وتحدثت به الرفاق لوجيل من بين يديها وبغتها  
توليها ودرجتها في العلاء يرفع نصبنا اليها وعتبة

اختيال العروس ورفلت من صايبا رايد في احسن ليوم وانتحر  
به دهنه على ساير الدهور

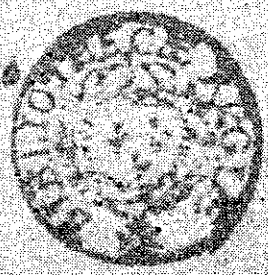
اذا نحن اثقين عليك بصلح فانته كانت في غفوة الذي يثني  
وان هرت الالفاظ يوما بوجه لبرك انسانا فانته الذي تعقبا  
هذه بيده لبيبة من حاسنه يلقي بهذا المختصر وقطره من بحر  
مكارم متلب هذا المختصر لو اوردتها مفضلنا لحننا عما  
اعتمدناه وتركنا ما قصدناه ونحن انشالله تعالى بما في  
عليك كثير من ذلك في المستقصي في التاريخ وانته  
الموفق للصواب وهو حسينا ونفسه

الوكيد والحرير وهو

وملي على سينا حور على

ومجد البرار وسلم

تليما كيرا



الإسلام والمسلمين وما حفظ من ثغورهم بجلادهم ، وما صب (١) على الفرنج من العذاب بأيديهم (٢) واستنقذه من ممالكهم بجهادهم ، وأخذ محاسن أعمالهم على مر الدهور ، وتعاقب السنين والشهور ، جزاء لإحسانهم المستمر ، وطولهم الثابت المستقر ، وكانت (٣ - أ) الأعذار تحول بيني وبين ما أومله من هذا الغرض ، والعوائق تحيل جواهر إمكاناتي إلى العرض . ولما استأثر الله تعالى بالمولى السعيد نور الدين - تعمدته الله الكريم برضوانه ، وأسكنه فسيح جناته - وقام بالملك بعده ولده المولى المالك الملك القاهر العادل العالم المؤيد المنصور ، عز الدنيا والدين ، سلطان الإسلام والمسلمين ، أبو الفتح مسعود بن أرسلان شاه بن مسعود بن مودود بن زنكي بن آقسنقر ناصر أمير المؤمنين - نسب كأن عليه من شمس الضحى نورا ، ومن فلق الصباح غمورا (٣) ، لازالت الأقدار جارية على وفق اختياره ، ومقتضى إيثاره ، ولا برحت الحوادث عن جنباته الشريف مصروفة ، وأعين الكوراث عن دولته القاهرة مطروقة - وملا ذلك الدست ، وشرف ذلك الصدر ، وظهرت هذه الشمس بعد أفول ذلك البدر ، ولاغرو إذا أشبه الوالد الولد ، وقام الشبل (٣ - ب) في عزيمة (٤) الأسد :

وأنت من القوم الذين هم هم	إذا زال منهم سيد قام صاحبه
نجوم سماء كلما غاب كوكب	بدا كوكب يأوى إليه كواكبه
أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم	دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه
وما زال منهم حيث كانت مهالك (٥)	تسير المنايا حيث سارت كتابيه

وحيث كانت الحال هذه ، تجدد ذلك العزم ، وأحييت أن أجلو مناقب الموالى الملوك السعداء من آبائه عليه ، وأزف عقيلة محاسنهم إليه ، وأذكر من مشاهدتهم (٦) في نصرته الدين وذبيهم عن حوزة المسلمين ، ما انتهى إليه علمي ، وأثبتته قلبي : شعر

أخيار قوم بنوا (٧) وما نقضوا (٨) فالذكر يحيا (٩) وإن هم قبضوا  
جادوا فما قصرت أكتفهم (١٠) عن غرض في الندى ولا عرضوا  
وانتهزوا فرصة التمكن إذ تصوروا أن مكثها عرض  
(٤ - أ) في دولة القاهر الملك عز الدين عن كل من مضى عوض  
قال . ليعلم قدر الله نعمة الله تعالى عنده أولا وآخرا ، ويقتدى بأفعالهم وارداً وصادراً ،

(١) بالأصل : وما صبهم . (٢) بالأصل : بما يمد بهم . (٣) بالأصل : عمورا . (٤) بالأصل : عريفة . (٥) بالأصل : كان مهلك . (٦) بالأصل : مشاهدتهم . (المراد في النص ، موافقتهم في الحروب) . (٧) بالأصل : بنو . (٨) بالأصل : نقضوا . (٩) بالأصل : يحيا . (١٠) بالأصل : أكتفهم . (والبيت مكسور في شطره الثاني . ويمكن له بدل اللفظ : غرض ، باللفظ : غاية ، فيصح الوزن ويكون المعنى أكمل) .

وليتيقن (١) أنه لم يكن لأحد من الملوك المتقدمين والخلفاء الراشدين ، منقبة دينية ودينية (٢) وتجربة في حفظ (٣) الممالك والرعايا شرعية وسياسية ، إلا وفي بيته الشريف — ثبت الله تعالى قواعده ، وشد من عزه معاقده — ما يضاهاها ، وظهر عنهم ما يماثلها ويناويها ، « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم (٤) » . لا بل والله من قاس غيرهم بهم قاس التمد إلى البحر، والمخشلب (٥) إلى الدر، والهشيم بخضرة الربيع، والأرض الجرزا (٦) بنضرة الروض المريع ، ولكأن القائل إياهم أراد بقوله :

لم تحمل الأرض ملوكا مثلهم	ولا أظلتها السموات العلى
معاد كل راغب وراهب	إذا أتى ديارهم ألقى العصي
لا ينطق العوراء في نادهم	ولا يحلون إلى الجهل الحبي
(٤- ب) لا يصطلى بنارهم عند اللقاء	ويصطلى بنارهم عند (٧) القرى
هم النجوم طالع وآفل	يعلوهم غرس (٨) إذا غرس (٩) ذوى
هم الجبال امتنعت أن ترتقى	هم البحور ليس يعلوها القذى
إن سئلوا لم يبخلوا أو عاهدوا	لم يغدروا أو ذكروا (١٠) طاب الشنا

ونقلت أكثره عن والدى رحمه الله تعالى، فإنه كان راوية (١١) حسنتهم، وعين الخبر بحركاتهم وسكناتهم، وقد فانتى كثير مما سمعته منه، لأننى جمعت هذا القدر من حفظى بعد وفاته، ولم أثبتة بقلبي فى حياته، ومع هذا فإننى تعمدت ترك الإكثار، لميل الناس فى زماننا إلى الاختصار، وابتدأت بذكر المولى الشهيد الكبير قسيم الدولة آقسنقر رضى الله عنه، لأنه أول من ملك منهم فيما علمناه، وذكرت ما حضره من الحروب قبل ملكه وبعده، وكذلك ولده المولى الشهيد عماد الدين (٥ - أ) زنى قدس الله روحه . ولم أذكر أحداً غير ملوك هذا البيت الشريف، إلا وفاة (١٢) خليفة واستخلاف آخر، وموت سلطان سلجوقى وولاية غيره، إذا الضرورة تدعو إليه، وبالله التوفيق وهو المستعان وهو حسبي ونعم الوكيل .

(١) بالأصل: وليتيقن . (٢) بالأصل: وديناوية . (٣) بالأصل: حفض . (٤) سورة الحديد: ٢١ .  
 (٥) المخشلب: قطع الزجاج المنكسر، وقيل الحزف . محيط المحيط (مادة: خشلب) . (٦) الأرض الجرزا:  
 ز: الأرض التى لا نبات فيها . (مختار الصحاح) . (٧) بالأصل: عن . (٨) بالأصل: عرش .  
 (٩) بالأصل عرس . (١٠) بالأصل: ذكر . (١١) بالأصل: رواية . (١٢) بالأصل: وافاه .

## في ذكر ابتداء حال قسيم الدولة آقسنقر

رضى الله عنه

قال صاحب التاريخ . كان قسيم الدولة (١) تركيا (٢) من أصحاب (٣) السلطان جلال الدولة ركن الدين (٤) ملكشاه بن ألب أرسلان وأترابه ، ومن ربي معه في صغره وصحبه إلى حين كبره ، فلما أفضت السلطنة بعد أبيه إليه ، وأفاضت تاجها عليه ، رعى لقسيم الدولة صحبته ، فجعله من أعيان أمرائه ، وأخص أوليائه ، فصادف الإحسان أهله ، ورفع قدره وأعلى محله ، واعتمد عليه السلطان في مهماته ، وأفضى إليه بأسراره في خلواته وجلواته ، ووثق به ووثقا حسده عليه سائر أمرائه (٥ - ب) وأجناده ، لما رأى من شجاعته وحزمه وسداده ، وتقدم عنده تقدما فاق فيه سائر الناس ، واختصه السلطان للقرب والإيناس (٥) ، وزاد قدره علوا إلى أن صار يتقيه مثل نظام الملك مع تحكمه على السلطان ، وتمكنه من المملكة بعلو المنصب وكثرة الأعوان ، فأشار على السلطان بأن يوليه مدينة حلب وأعمالها ، ويحكمه في عساكرها وأموالها ، ويضيف إلى حكمه غيرها من البلاد الشامية ، وكان قصده أن يتخذ عند قسيم الدولة يدا ، ويبعده عن خدمة السلطان . ومن أعظم الدلائل على علو منزلته وسمو مرتبته لقبه ، وهو قسيم الدولة ، وكانت الألقاب حينئذ مصونة [لا تعطى إلا لمستحقها (٦)] حتى إن السلطان - مع جلاله قدره - لم يكن يعرف إلا بجلال الدولة ولم يكن لقبه في الدين مشهورا . وكان قسيم الدولة أيضاً يقف إلى جانب (٦ - أ) تخت السلطنة عن يمينه ولا يتقدمه أحد ، وصار ذلك أيضاً لعقبه من بعده . وهكذا كان سيف الدين غازي بن عماد الدين زنكي رضى الله عنهما يقف عند السلطان غياث الدين مسعود ، ولما توجه المولى السعيد شرف الدين بن المولى المعظم قطب الدين قدس الله روحهما إلى همدان - وبها حينئذ السلطان ألب أرسلان [ بن ] طغرل بن محمد وأتابكة البهلوان ، وهو أخو السلطان لأمه والبلاد له وبحكمه ليس للسلطان معه غير اسمه - وكان البهلوان يقف عن يمين التخت ، فلما حضر شرف الدين انتقل البهلوان عن مقامه ، وقال لشرف الدين : هذا لكم

- (١) في زبدة الحلب (ح / ٢ / ص / ١٠٣) . أن اسم أبيه « النعمان » ، وفي الحاشية (رقم : ٤) ، آل ترعان .
- (٢) في زبدة الحلب (ح / ٢ / ص / ١٠٣ / حاشية / ٤) ، أنه من قبيلة « ساب يو » . (٣) في ابن واصل (ح / ١ / ص / ١١) ، أن قسيم الدولة كان مملوكاً للسلطان ألب أرسلان السلجوقي فرني مع ولده السلطان ملكشاه . وفي ابن خلكان (ح / ٢ / ص / ٢٥٢) ، أنه كان مملوكاً للسلطان ملكشاه بن ألب أرسلان . وفي زبدة الحلب (ح / ٢ / ص / ١٠٣) ، « وقيل إنه كان مملوكاً لملكشاه ، وقيل إنه لصيق به » . وفي السكامل (ح / ٨ / ص / ١٤٥) ، أنه كان زوج دادة السلطان ملكشاه . (٤) لم يلقب أحد من المؤرخين ، السلطان ملكشاه بلقب « ركن الدين » سوى ابن الأثير ، ولما لقبه « جلال الدين » ، والسلطان السلجوقي باللقب ب « ركن الدين » هو بركياروق بن ملكشاه . (أنظر زاباور : تاريخ دولة آل سلجوق ، ص / ٥٢ / ٧٤) . (٥) يظهر أن قسيم الدولة حجب السلطان ملكشاه . حيث يطلق كل من ابن واصل (ح / ١ / ص / ١١) : ابن خلكان (ح / ٢ / ص / ٢٥٢) : ابن كثير (ح / ١٢ / ص / ١٤٧) ، على قسيم الدولة لقب الحاجب ، فهو عندهم « قسيم الدولة آقسنقر الحاجب » . (٦) الإضافة من ، الروضتين (ح / ١ / ص / ١٤) .

من قديم الزمان ليس لأحد غيركم أن يقف [فيه] مع حضوركم . وكل هذا يدل على ما ذكرناه من جلاله قدر قسيم الدولة وعلو محله .

## ذكر مسير قسيم الدولة

مع نحر الدولة بن جهير إلى الموصل بأمر السلطان ملكشاه

(٦ - ب) في سنة سبع (١) وسبعين وأربعمائة ، سير السلطان ملكشاه الوزير نحر الدولة ابن جهير وزير الخليفة (٢) إلى ديار بكر ليملكها ويحلي عنها بني مروان (٣) على ما ذكرناه في المستقصى في التاريخ (٤) ، وسير عميد الدولة بن نحر الدولة بن جهير - وكان زوج ابنة نظام الملك - إلى الموصل ، وكانت لشرف الدولة مسلم بن قريش بن بدران العقيلي ، وسير معه جيشا عظيما ، وجعل المقدم على الجيش قسيم الدولة آقسنقر ، وتقدم إلى عميد الدولة ليكون فعله في حروبه وحصاره برأى قسيم الدولة ، لمعرفته بتدبير الجيوش وحصر البلاد وشجاعته في حروبه كلها ، فساروا نحو الموصل ، فلقبهم في الطريق الأمير أرتق بن أكسب التركاني - جد ملوك الحصن (٥) وماردين يومنا هذا - ومعه خلق كثير من التركان فاستصحبوه معهم - وكان مشهورا بالعقل والدين - فلما وصلوا إلى الموصل حصروها وضيقوا على من بها (٧ - أ) وأرسل أرتق إلى من بها يشير عليهم بالدخول في طاعة السلطان وترك العصيان عليه ، وخوفهم عاقبة فعلهم إن امتنعوا وأصروا على الخلاف ، فقبلوا نصحه وأذعنوا له وأطاعوا وسلموا البلد (٦) ، فأخذ عميد الدولة ما كان به من مال شرف الدولة وأهله وذخائره . وكان السلطان عازما على أخذ جميع البلاد التي لشرف الدولة واستئصال ملك العرب ، فأتاه الخبر بخروج أخيه تكش عن طاعته بخراسان واجتماع العساكر عليه ، فأرسل مؤيد الملك بن نظام الملك إلى شرف الدولة فطيب قلبه ، وذكر له أن أباه نظام الملك قد شفّع فيه إلى السلطان فأجاب شفاعته ، وأمره بالمسير معه إلى خدمة السلطان ، فسار صحبته ولقي السلطان بالبوازيج (٧) ، فخلع عليه ورد عليه الموصل وجميع ما أخذ له من أهل ومال ، وسار السلطان نحو خراسان فظفر بأخيه .

(١) في الكامل (>٨/ص/١٣٣) سنة ست وسبعين ، وكذلك في ابن كثير (>١٢/ص/١٢٤) ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ص/٦٩ . (٢) لم يكن نحر الدولة وزيراً للخليفة المتتدي بأمر الله حين أرسله السلطان ملكشاه إلى ديار بكر ، وإنما كان معزولا واستوزر الخليفة ابنه عميد الدولة ، ثم عزله الخليفة في صفر سنة ٧٦٦ هـ ، فطلب ملكشاه من الخليفة أن يرسل إليه بنى جهير - وكان ملكشاه بأصبهان - فأرسلهم إليه ، فأكرمهم ملكشاه ، وعقد لفخر الدولة على ديار بكر وأرسله إليها في نفس السنة بالعسكر . (الكامل ، >٨/ص/١٣٣) . (٣) بالأصل : بنى مروان . (٤) المستقصى في التاريخ هو كتاب « الكامل في التاريخ » لابن الأثير . (٥) الحصن : هو حصن كيفا . وأرتق بن أكسب هو جد ملوك بنى أرتق ، وترجمته في ، ابن خلكان (>١/ص/٧٦) . (٦) في السلوك (>١/ص/٢٣) ، أن السلطان ملكشاه أرسل قسيم الدولة آقسنقر - والد عماد الدين - إلى الموصل فملكها . وهذا وهم من المقرئ ، وسببه تشابه اسمه باسم آقسنقر البرسقي الذي ولي الموصل سنة ٥١٥ هـ ، في عهد السلطان محمود ابن محمد بن ملكشاه . (٧) البوازيج : في (ياقوت) : بلد قرب تكريت على فم نهر الزاب الأسفل حيث يصب في دجلة ، ويقال لها بوازيج الملك . .

## (٧ - ب) ذكر ملك قسيم الدولة مدينة حلب وغيرها

كانت حلب لشرف الدولة مسلم وكانت أنطاكية للروم قدملكوها سنة ثمان (١) وخمسين وثلاثمائة ، ولم يزالوا بها إلى سنة سبع وسبعين وأربعمائة ، وكان صاحبها حينئذ روميا يسمى الفردوس (٢) ، فسار عنها إلى بلاد الروم ، فكتب أهلها (٣) إلى سليمان بن قتلش - وهو جد هذا الملك غياث الدين كيخسرو (٤) صاحب قونية وغيرها - وراسلوه ليحضر عندهم ليسلموا إليه أنطاكية ، فسار إليهم وتسلم البلد وملكه ، وقتل من أهله خلقا كثيرا ، وأخذ منهم مالا عظيما . وكان لشرف الدولة على صاحب أنطاكية الرومي جزية يأخذها منه كل سنة ، فلما ملك البلد سليمان ، أرسل إليه شرف الدولة يطلب منه ما كان يأخذه من الروم ، وتهده وخوفه عاقبة (٨ - أ) معصية السلطان ، فأعاد الجواب : إنني في طاعة السلطان وهذا الفتح بسعادته ، والخطبة والسكك له فيه ، ولست بكافر حتى أعطيك ما كنت تأخذه من الروم ، فأعاد شرف الدولة الجواب يتهده ويلزمه بالمال ، فأخذت سليمان الحمية فسار إلى بلد شرف الدولة ونهبه ، فقصده الذين نهبهم واستغاثوا إليه ، فقال لهم : صاحبكم أحوجنى إلى ما فعلته ، وإلا فليس من عادتي أخذ مال مسلم ، ورد عليهم ما أخذ منهم ، فجمع شرف الدولة العرب والتركمان عن بكرة أبيهم وسار نحو أنطاكية ، فلقبه سليمان في أول أعمالها بما يلي حلب في صفر سنة ثمان وسبعين وأربعمائة ، فاقتلوا أشد قتال فانهمزمت العرب والتركمان عن شرف الدولة (٥) ، فاضطر إلى الهزيمة فقتل منهزماً وذاق عاقبة بغيه . وكان ملكه (٨ - ب) من السنديّة (٦) بالعراق على نهـر عيسى إلى

(١) ذكر ابن الأثير في « الكامل » تاريخين مختلفين عن استيلاء الروم على أنطاكية، التاريخ الأول ، شهر المحرم سنة ٣٥٩ (٧/ص/٢٦) والتاريخ الآخر سنة ٣٥٨ (٨/ص/١٣٦) وهو التاريخ الذي ذكره هنا وبدون تحديد الشهر. وكان المسلمون قد استولوا على أنطاكية من الروم سنة ١٥ هـ ، أثناء فتوح الشام . (٢) في ابن الفلانسى (ص/١١٥) ، الكامل (٨/ص/١٣٦) ، الفردوس . (٣) لم يكتب أهل أنطاكية إلى سليمان ليسلموه البلد ، ودليل هذا أنهم قاتلوه كما يتبين من الخبر نفسه . والخبر الذي ذكره ابن الأثير في « الكامل » (٨/ص/١٣٦) أوضح مما ذكر هنا . فهو يذكر أن الفردوس كان مسيئاً إلى أهل أنطاكية وإلى جنده ، حتى أنه حبس ابنه . فانهز الابن فرصة مسير والده إلى الروم فاتفق وشحنة البلد على استدعاء سليمان بن قتلش لتسليم البلد إليه ، فسار سليمان إليها واجتمع بالشحنة في شهر شعبان ، فقاتله أهل البلد فهزموهم واستولى عليها عنوة . ومعنى هذا أن سليمان جاء على غير رضا من أهل أنطاكية .

ويعلق « دى سلين » على اسم الفردوس وعلى الخبر نفسه بقوله (ص/١٤) : « من الممكن أن يكون المؤلف كتب الاسم «التدروس» (يعنى دى سلين أن ابن الأثير كتب الاسم صحيحاً ، ثم حرفة ناسخ المخطوط) ، وفي هذه الحالة يكون المقصود هو ابن « فيلاريت » حاكم أنطاكية ، ويكون هو الذى ثار عندما علم بنية أبيه على اعتناق الإسلام ، كما تقول « أن كومتين » في كتاب « الكسياد » Alexiade (الكتاب الخامس ، ص ١١٦) حتى أنه رحل إلى نيقية وحرّض سليمان على المسير إلى أنطاكية للاستيلاء عليها، ويبدو أن رواية بنت ألكسيس غير محتملة ، والمعقول أن نفترض أن فيلاريت أرسل ابنه إلى سليمان لكي يعقد محادثة معه . ويتضح أن فرض دى سلين ، لاعتلاقة بينه وبين استيلاء سليمان على أنطاكية . (٤) كان غياث الدين صاحباً لقونية وغيرها من سنة ٥٨٨ - ٥٩٢ ، من سنة ٦٠١ - ٦٠٧ (زامباور) . (٥) في الكامل (٨/ص/١٣٧) ، أنه كان مع شرف الدولة ، أمير التركمان « جبق » ، فحركة « جبق » وانضم إلى سليمان برجالها ، فلما رأى العرب ذلك ، انهزموها وتبعهم شرف الدولة منهزماً . (٦) السنديّة : في (ياقوت) بكسر أوله وسكون ثانيه ، نسبة إلى السند . وهى قرية من قرى بغداد على نهر عيسى بين بغداد والأنبار .

منبج (١) وما بينهما من البلاد الفراتية : كهيت (٢)، والأبنار (٣) وغيرها ، وملك الموصل (٤)، وديار ربيعة (٥)، والجزيرة (٦) بأسرها ، وملك مدينة حلب . وكان عادلا حسن السيرة عظيم السياسة . ولما قتل شرف الدولة قصد سليمان مدينة حلب فحصرها (٧) فأرسل إليه أهلها : إذا انفصل الأمر بينك وبين تاج الدولة تنس ، سلنا إليك البلد . وكان تاج الدولة له مدينة دمشق ونواحيها قد أقطعه (٨) إياها أخوه السلطان ملكشاه (٩) ، وقد سار نحو حلب بعد قتل شرف الدولة ليملكها ، وكان معه أرتق بن أكسب — وقد أقطعه تاج الدولة البيت المقدس (١٠) — فلما أرسل أهل حلب إلى سليمان ما ذكرناه ، سار نحو تاج الدولة فالتقوا واقتتلوا قتالا شديدا صبر فيه الفريقان ، وانجلى الحرب عن هزيمة (٩ — أ) عسكر سليمان ، وثبت هو فقتل . وسار تاج الدولة إلى حلب فحصرها فملك المدينة وحصر القلعة ، فكتب أهلها السلطان ملكشاه ليمسوها إليه وهو بالرها (١١) . وكان سبب مسيره إليها ، أن ابن عطير الحميري كان قد باعها من الروم بعشرين ألف دينار وسلمها إليهم ، فدخلوها وأخربوا المساجد وأجلوا المسلمين عنها (١٢) ، فسار ملكشاه إليها هذه السنة (١٣) فحصرها وفتحها وأقطعها الأمير بزان ، فلما أتاه رسل أهل حلب بالتسليم إليه ، سار إليهم . فلما بلغ خبر مسيره إلى تاج الدولة رحل عن حلب إلى دمشق . ووصل السلطان إلى حلب ، وبالقلعة

(١) منبج : في (ياقوت) ، مدينة كبيرة واسعة ذات خيرات كثيرة وأرزاق واسعة . بينها وبين الفرات ثلاثة فراسخ ، وبينها وبين حلب عشرة فراسخ . (٢) هيت : في (ياقوت) ، بالكسر وآخره تاء مثناة . بلدة على الفرات من نواحي بغداد فوق الأبنار ، ذات نخل كثير وخيرات واسعة ، وهي مجاورة للبرية . (٣) الأبنار : في (الاصطخرى ص/٥٤) تقع شرقي الفرات ، وهي ذات نخل وزرع وشجر . وفي (ياقوت) ، أنها تقع غربي بغداد ، بينهما عشرة فراسخ . (٤) الموصل : في (الاصطخرى ص/٥٣) ، مدينة على غربي دجلة ، صحيحة التربة والهواء ، ليس لأهلها سوى ماء دجلة للشرب ، وليس لهم من دجلة زرع ولا شجر إلا الشيء اليسير في عدوة دجلة من شرقها ، وزروعهم مباحس ، وفواكههم تحمل من سائر النواحي . وهي مدينة عامة أبنيتها بالجص والحجارة ، كبيرة غناء . (٥) ديار ربيعة : في (ياقوت) ، تقع بين الموصل ورأس عين نحو بقعاء الموصل ، ونصيبين ، ورأس عين ، ودينسر ، والخابور جميعه وما بين ذلك من المدن والقرى . ويرجع بين ديار بكر وديار ربيعة ، وسميت كلها ديار ربيعة لأنهم كلهم (أى القبائل التي تسكنها) من ربيعة . وهذا الاسم لهذه البلاد قديم ، كانت العرب تحله قبل الإسلام في بواديها . (٦) الجزيرة : في (ياقوت) ، جزيرة أقور بالقاف ، وهي التي بين دجلة والفرات ، مجاورة للشام ، وتشتمل على ديار مضر . وديار بكر . وسميت الجزيرة لأنها بين دجلة والفرات بهامدن جليلة ، وحصون وقلاع كثيرة ، ومن أمهات مدنها : حران ، والرقة ، والرها ، ورأس عين ، ونصيبين ، وسنجار ، والخابور ، وماردين ، وأمد ، وميافارقين ، والموصل . (٧) في الكامل (ح/٨/ص/١٣٧) ، أن سليمان قصد حلب وحاصرها في مستهل ربيع الأول من السنة ، فأقام عليها إلى خامس ربيع الآخر فلم يبلغ منها غرضاً فرحل عنها . (٨) بالأصل : أقطعها إياها . (٩) كان ذلك سنة ٤٧١ ، (الكامل ، ح/٨/ص/١٢٦) . (١٠) عن اقطاع تنس ، بيت المقدس ، لأرتق ، أنظر ، الكامل (ح/٨/ص/١٣٤/١٣٥/١٤٠) . (١١) الرها : في (ياقوت) ، الرها ، بضم أوله والمد والقصير ، مدينة بالجزيرة بين الموصل والشام بينهما ستة فراسخ . وفي باركر (ص/٥٦) أنها شديدة القرب من الطريق التجارى الكبير الذي يمتد على الفرات إلى الرقة ، ومنها يتفرع إلى طريقتين ، أحدهما يسير إلى أنطاكية ، والآخر يتجه إلى دمشق . (١٢) جاء الخبر عن ابن عطير والرها في الكامل (ح/٨/ص/١٦ — حوادث سنة ٤٢٩) هكذا : « وفيها صالح ابن وئاب الحميري — صاحب حران — الروم الذين بالرها لعجزه عنهم ، وسلم إليهم ربح الرها : وكان تسلمه على ما ذكرناه أولاً (أنظر ، ص/١١ من المرجع) فنزلوا من الحصن الذي للبلد عليه ، وكثر الروم بها ، وخاف المسلمون على حران منهم ، وعمر الروم الرها العسنة وحصنوها » . (١٣) في الكامل (ح/٨/ص/١٤٠) ، أن ملكشاه حصر الرها سنة ٤٧٩ ، وهو في طريقه إلى حلب للاستيلاء عليها بدعوة من أهلها .



سالم بن مالك بن بدران العقيلي - وهو ابن عم شرف الدولة - فسلمها إلى السلطان بعد قتال ، وأعطاه السلطان عوضاً عنها قلعة جعبر ، وكان قد ملكها هذه السفارة من صاحبها جعبر النيرى ، وكان شيخاً كبيراً أعمى ، فبقيت ( ٩ - ب ) بيد سالم وأولاده إلى أن أخذها منهم الملك العادل نور الدين أبو القاسم محمود بن زنكى رضى الله عنهما ، على ما ذكره إن شاء الله تعالى . فلما ملك السلطان حلب ، أرسل إليه لاذقية (٢) ، وفامية (٣) ، وكفرطاب (٤) فأجابه ملكشاه إلى الصلح وترك قصده . ثم إن نظام الملك أشار على السلطان بتسليم حلب وأعمالها ، وحماة ، ومنبج ، ولاذقية ، وما معها إلى قسيم الدولة آقسنقر فأقطعها الجميع ، فبقيت بيده إلى أن قتل سنة سبع وثمانين وأربعمائة ، على ما ذكره إن شاء الله تعالى . وأقطع السلطان مدينة أنطاكية للأمير ياغى سيان ، وهو صاحب صلاح الدين محمد الياغيسيانى (٥) الذى صار (٦) أمير حاجب المولى الشهيد عماد الدين زنكى . ولما استقر ( ١٠ - أ ) قسيم الدولة فى الشام ، ظهرت كفايته وحمايته وهيبته فى جميع بلاده . وأن السلطان استدعاه إلى العراق (٧) فقدم إليه فى تجمل عظيم لم يكن فى عسكر السلطان من يقاربه ، فاستحسن ذلك منه ، وعظم محله عنده ، ثم أمره بالعود إلى حلب فعاد إليها ، ولما مات السلطان ملكشاه سير قسيم الدولة جيشاً إلى تكريت فملكها .

### معرفة حسنة

يذكر أهل التواريخ أنه ليس من مشهورى (٨) العرب من قتل هو وأبوه وجده وجد أبيه ، غير عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد . فإن عبد الله قتله الحجاج ، والزبير رضى الله عنه قتل يوم الجمل ، وقتل العوام وخويلد فى الجاهلية . وليس من مشهورى الترك من هو هكذا ، غير (٩) قليج أرسلان [فقد] قتله جاولى سقاووا بالخابور غريقاً . وهذا سليمان قتله تاج الدولة تتش كما ذكرناه . وأما أبوه قتلش بن أرسلان بيغو ( ١٠ - ب ) بن سلجق (١٠) فقتله صاحب مدينة

- 
- (١) بالأصل : الكتانى . ( والتصحیح من ، الكامل ، ٨/ص/١٤١ ) . ( ٢ ) لاذقية : فى ( ياقوت ) ، اللاذقية ، بالذال المعجمة مكسورة وقاف مكسورة وياء مشددة . مدينة فى ساحل بحر الشام ، وهى غربى « جبلة » ، بينها ستة فراسخ . وهى مدينة عتيقة رومية . فيها أبنية قديمة مكينة . وهى بلد حسن فى وطاء من الأرض وله مرفأ جيد محكم وقلعتان متصلتان على تل مشرف على الربض ، والبحر على غربها وهى على ضفته . ( ٣ ) فامية : فى ( ياقوت ) ، أفامية : مدينة حصينة من سواحل الشام ، وكورة من كور حمص ويسمى بعضها بعضهم ، فامية . ( ٤ ) كفرطاب : فى ( ياقوت ) ، بالطاء المهملة وبعد الألف باء موحدة . بلدة بين المرة ( مرة النعمان ) ومدينة حلب فى برية معطشة ، ليس لهم شرب إلا ما يجمعونه من مياه الأمطار فى الصهاريج . ( ٥ ) بالأصل : الياغيسانى ، ( والتصحیح من اسم ياغى سيان ، الوارد فى النص نفسه . ومن الكامل ، ٨/ص/١٨٦ ) . ( ٦ ) بالأصل : الذى كان . وما بالأصل خطأ ، لأن صلاح الدين صار حاجباً لعهد الدين بعد أن ولى الموصل سنة ٥٢١ بينما الكلام هنا عن سنة ٤٨٧ . ( ٧ ) فى الكامل ( ٨/ص/١٥٩ ) أن ذلك كان فى سنة ٤٨٤ ، للاحتفال بالميلاد ببغداد . ( ٨ ) بالأصل : مشهور . ( ٩ ) بالأصل : غيرة . ( ١٠ ) يرد هذا الاسم أيضاً فى النسب ، هكذا : سلجوق . وكل من الرسمين يستعمله المؤرخون القدامى .

أستوا (١) لأنه جمع خلقا كثير من الأتراك وخرج على السلطان ألب أرسلان (٢) ، فلقبه صاحب أستوا (٣) فقاتله ، فانهزم قتلش وسقط عن فرسه فمات . وأما أبوه أرسلان بيغو بن سليجق ، فإن صاحب غزنة من أولاد محمود (٤) بن سبكتكين أخذه فقتله ، وأخذ ابنه قتلش حتى خلصه الملك داود والد السلطان ألب أرسلان لما ملك خراسان .

## ذكر قتل نظام الملك وزير السلطان ملكشاه رحمه الله

في عاشر رمضان سنة خمس وثمانين وأربعمائة ، قتل الوزير نظام الملك أبو علي الحسن بن إسحاق ، قتله صبي ديلبي بعد الإفطار ، وقد تفرق عن طعامه الفقهاء والأمراء والفقراء وغيرهم من أصناف الناس ، وحمل في محفة لنقرس كان به إلى خيمة الحرم ، فلقبه صبي ديلبي مستغيثا به فقر به (١١ - أ) منه ليسمع شكواه فقتله ، وقتل الصبي أيضاً ، فعدمت الدنيا واحدا الذي لم تر مثله . وكان تلك الليلة قد حكى له بعض الصالحين ، إنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام كأنه أتاه وأخذه من محفته ، فاستبشر نظام الملك بذلك ، وأظهر السرور به ، وقال : هذا أبغى وإياه أطلب . وبلغ من الدنيا مبلغا عظيما لم ينله غيره .

وكان عالما ، فقيها ، دينيا ، خيرا ، متواضعا ، عادلا يحب أهل الدين ويكرمهم ويجزل صلاتهم . وكان أقرب الناس منه وأحبهم إليه العلماء ، وكان يناظرهم في المحافل ، ويبحث عن غوامض المسائل ، لأنه اشتغل بالفقه في حدائمه مدة .

وأما صدقاته ووقوفه فلا حد لها ، ومدارسه في العالم مشهورة ، لم يخل بلد من شيء منها ، حتى جزيرة ابن عمر (٥) - التي هي في زاوية من الأرض لا يؤبه لها - بنى فيها مدرسة كبيرة حسنة ، وهي الآن تعرف بمدرسة رضى الدين .

وأعماله (١١ - ب) الحسنة ، وصناعاته الجميلة المذكورة في التواريخ ، لم يسبقه من كان قبله ولا أدركه من كان بعده ، رحمه الله ورضى عنه .

وكان من جملة عباداته أنه لم يحدث إلا تَوْضاً ، ولا تَوْضاً (٦) إلا وصلى . وكان يقرأ القرآن حفظا ، ويحافظ على أوقات (٧) الصلوات محافظة لا يتقدمه فيها المتفرغون للعبادة ، حتى إنه كان إذا أغفل المؤذن أمره بالأذان ، وإذا سمع الأذان أمسك عن كل ما هو فيه ، واشتغل بإجابته ثم بالصلاة . وأما ابتداء أمره ، فإنه كان يجب التصرف ، فاتصل بأمرير كان صاحب بلخ يعرف بالأمير ياخر

(١) أستوا : في (ياقوت) ، بالضم ثم السكون وضم التاء المثناة وواو وألف . كورة من نواحي نيسابور .  
 (٢) بالأصل : ارب ألب أرسلان . (٣) بالأصل : استوى . (٤) خطأ «ديسين» ما في النص واستبدل الاسم بمحمد بن سبكتكين . وهذا خطأ من «ديسين» ، لأن عمدا لم يحكم أولاده في غزنة ، وإنما كان الحكم فيها لعقب غيره من أبناء سبكتكين . (أنظر ، زامباور) . (٥) جزيرة ابن عمر : (في ياقوت) : (٧٩/ص/٣ ، ١٠٢/ص) ، بلدة فوق الموصل بينها ثلاثة أيام ، ولها رستاق خصب واسع الحيرات . وهذه الجزيرة تحيط بها دجلة لآ من ناحية واحدة شبه الهلال . ثم عمل هناك خندق أجرى فيه الماء ونصبت عليه رحى فأحاط بها الماء من جميع جوانبها بهذا الخندق .  
 (٦) بالأصل : توضىء . (٧) بالأصل : الأوقات .

— وكان مقدم عسكر الملك جعري بك داود جد السلطان ملكشاه — وكان ياخر لا يعطيه إلا ما يقوم به حسب ، وفي آخر كل سنة يصادره بما يفضل معه ، فضجر من هذه الحال ، وأخفى أولاده — وكان له نحر الملك ومؤيد الملك — وركب فرسه وهرب . وكان فرسه ( ١٢ — أ ) بطيئاً ، فدعا الله تعالى أن يرزقه فرساً يخلصه عليه ، فلم يسر إلا قليلاً حتى لقيه تركاني تحته فرس جيد فسلبه إليه وأخذ فرسه عوضه ، وقال له : يا حسن أذكر هذه . قال نظام الملك : فلما ركبت الفرس قويت نفسى ، وعلمت أن السعادة قد جاءت ، ووصلت إلى مرو ، ودخلت على الملك داود فأخذ بيدي وسلبنى إلى ولده الملك عضد الدولة ألب أرسلان وقال : تسلبه واتخذه والداً لا تخالفه . ثم إن الأمير ياخر سأل عنى فلم يجدى وأخبر بهربى ، فسار بنفسه فى طلبى حتى دخل على الملك داود فطلبنى منه ، وقال : إنه أخذ ما لى وهرب ، فقال له داود : حديثك مع ولدى ألب أرسلان ، فلم يجسر يخاطبه فيه . ووزر (١) نظام الملك للسلطان ألب أرسلان قبل أن يلى السلطنة فى حياة عمه السلطان طغرلبك . فلما توفى طغرلبك سعى نظام ( ١٢ — ب ) الملك فى أخذ السلطنة لصاحبه ألب أرسلان ، وقام المقام الذى تعجز عنه الجيوش والكثرة ، واستقرت السلطنة له ، وبقي معه إلى أن توفى . ثم وزر بعده لابنه السلطان ملكشاه إلى أن قتل . وكان قد تحكم عليه إلى حد لا يقدر السلطان على خلافه لكثرة مما لىكه ومحبة الأمراء والعساكر له ، وميل عامة الناس وخاصتهم إليه بحسن سيرته وعدله .

### ذكر وفاة السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان رضى الله عنه

فى منتصف شوال سنة خمس (٢) وثمانين [ وأربعمائة ] توفى السلطان ركن الدين ملكشاه رضى الله عنه . وسبب وفاته أنه أكل لحم صيد فأكثر منه ، فأخذته حمى حادة فتوفى منها . وكان مولده [ فى ] جمادى الأولى سنة سبع وأربعين وأربعمائة ، فكان عمره ثمانياً (٣) وثلاثين سنة وستة أشهر . وكان ملكه نحو عشرين سنة .

وكان أحسن الناس صورة ومعنى ( ١٣ — أ ) ويكفيه أن من جملة حسناته ، نظام الملك ، وكانت سعادتهما متقارنة (٤) . حكى لى والدى رحمه الله تعالى — ثم لى (٥) رأيت ما حكاه بعد ذلك مذكوراً فى كتب التواريخ (٦) — قال : إن السلطان ملكشاه عتب على نظام الملك فى شىء فعله بعض أولاده ، وقال له فى جملة عتبه : إن كنت شريكى فى الملك فعرفنى ، وإن كنت وزيرى فاسلك ما يسلكه الوزراء وإلا أطبقت دواتك وعزلتك . فقال للرسول : قل للسلطان عنى ، إن كنت ما تعلم أنتى شريكك فاعلم ، واذكر ما فعلت معك حين خرج عليك أعمامك وإخوتك ونازعوك فى الملك وكادوا يقهرونك ، فتوليت ردهم بنفسى ، وقمت المقام الذى تعلمه حتى صفا لك الملك والسلطنة ، وذكر له عدة مواقف جزع فيها ملكشاه وخاف ، فردها نظام

( ١ ) بالأصل : وزر . ( ٢ ) بالأصل : خمسة . ( ٣ ) بالأصل : ثمانية . ( ٤ ) بالأصل : متقاربة . ( ٥ ) بالأصل : لى . ( ٦ ) لعل ابن الأثير يقصد كتاب « المنتظم » لابن الجوزى . غير مقتل ملكشاه ، كما جاء فى الكامل ( ح / ٨ / ص / ١٦٣ ) بطابق خبر ابن الجوزى ( ح / ٩ / ص / ٦٩ ) ويتفق معه فى كثير من المعلومات والألفاظ .

الملك بالرأى والحرب، فأين كان هذا [من] كلامه ذلك الوقت. وأما قوله إنه يطبق (١٣ - ب) الوقت دواتي (١)، فقل له: أعلم أن هذه الدواة متعلقة بزر قلنسوته التي على رأسه، فتمى أطبق هذه سقطت تلك. فيقال إن هذا كان سبب قتل نظام الملك، وأن السلطان وضع ذلك الديلمي حتى قتله، وصح قول نظام الملك، لم تطبقت دواته لم يعش السلطان غير خمسة وثلاثين يوماً ومات. وكان هذا كالكرامة لنظام الملك. وكانت (٢) مملكة السلطان ملكشاه قد (٣) اتسعت [اتساعاً] عظيماً، أطاعته (٤) البلاد جميعها وملكها، وخطب له من حدود الصين إلى الداروم من أرض الشام، وأطاعه اليمن والحجاز، وكان يأخذ خراج ملك القسطنطينية كل سنة، وأطاعه صاحب طراز (٥)، وأسيجباب (٦)، وكاشغر (٧)، وبلاساغون (٨) وغيرها من الممالك البعيدة، وملك (٩) سمرقند (١٠) وجميع ما وراء النهر (١١). ثم إن صاحب كاشغر عصى عليه فسار السلطان إليه، فلما قارب كاشغر (١٤ - أ) هرب صاحبها منه فسار في طلبه، ولم يزل حتى ظفر به وأحسن إليه واستصحبه معه إلى أصفهان. وعمل السلطان من الخيرات وأبواب البر كثيراً، منها ما أصلحه وعمله من المصانع (١٢) بطريق مكة، وحفر من الأنهار، وبنى مدرسة عند قبر الإمام أبي حنيفة. رضى الله عنه، وبنى الجامع الذي بظاهر بغداد عند دار السلطنة. وهو الذي بنى منارة القرون (١٣) في طرف البر بما يلي الكوفة بمكان يعرف بالسبيع (٤ - أ)، وبنى مثلها بسمرقند أيضاً. ولما مات ضببط زوجته [تركان (١٥)] خاتون العسكر، وكنتم موته فلم يلبثم أحد وجهاً، ولم يشق عليه ثوب، ولم يسمع بسلطان مثله توفي فلم يصل أحد عليه. ولم يجلس أصحابه للغزاء سواه. وأرضت زوجته العسكر وحلفتهم لولدهما محمود، وعمره أربع سنين، وسارت إلى أصفهان.

(١) بالأصل: دواتي. (٢) بالأصل: فكانت. (٣) بالأصل: وقد. (٤) بالأصل: اطاعة. (٥) : طراز: في (ياقوت): قال أبو سعد، بالفتح، ورواه غيره بالكسر وآخره زاي لاجعاً، بلد قريب من أسيجباب من نفور الترك. (٦) أسيجباب: في (ياقوت): أسيجباب، بالفتح ثم السكون وكسر الفاء (تلاحظ أنه ذكرها في « طراز » بالياء) وباء ساكنة وجيم وألف وباء موحدة. لسم بلدة كبيرة من أعيان بلاد ما وراء النهر في حدود تركستان، ولها ولاية واسعة وقرى كالمدن كثيرة. (٧) كاشغر: في (ياقوت): مدينة وقرى ورماتيق، يسافر إليها من سمرقند وتلك النواحي. وهي في وسط بلاد الترك وأهلها مسلمون. (٨) بلاساغون: في (ياقوت): السين مهملة والفتحة معجمة. بلد عظيم في نفور الترك وراء نهر سيجون قريب من كاشغر. (٩) بالأصل: والملك. (١٠) سمرقند: في (ياقوت): بفتح أوله وثانيه. ويقال لها بالعربية «سمران». بلد معروف مشهور بما وراء النهر، وهو قصبه الصفد، مبنية على جنون وادي الصفد مرتفعة عليه. وينقل ياقوت عن الأزهري: بناها شمر أبو كرب، فسميت «شمركنت»، فأعربت فقيل: سمرقند، هكذا تلفظ به العرب في كلامها وأشعارها. (١١) ما وراء النهر: في (ياقوت): يراد به ما وراء نهر جيحون بخراسان. فما كان في شرقيه يقال له بلاد الهياطلة، وفي الإسلام سموه ما وراء النهر. وما كان في غربيه فهو خراسان وولاية خوارزم. وخوارزم ليست من خراسان إنما هي إقليم برأسه. وما وراء النهر من أنزه الأقاليم وأكثرها خيراً. (١٢) المصانع: هي الصهاريج التي يخزن فيها الماء. ففي الكامل (ح/٩/ص/٨٨) أن جمال الدين وزير الموصل، المتوفى سنة ٥٥٩ هـ، «عمل بمرقات مصانع للماء وأجرى إليها الماء من نهران...» (١٣) منارة القرون: سميت هكذا لأن السلطان ملكشاه وضع فيها قرون الظبي وحوافر الحمير الوحشية التي صادها في هذه المنطقة عندما خرج لتوديع الحجاج في إحدى السنين. (الروضتين، ح/١/ص/٥٦). (١٤) بالأصل: السبيعي. والتصحيح من (ياقوت)، حيث يذكر: محلة السبيعي. بفتح أوله وكسر ثانيه ثم ياء وآخره عين مهملة. وهي المحلة التي كان يسكنها الحجاج بن يوسف الثقفي. وهي مسماة بقبيلة السبيعي، رهط أبي أسحاق السبيعي. (١٥) الإضافة من (الكامل ح/٨/ص/١٦٢).

وظهر الملك بركياروق بن ملكشاه - وهو الأكبر - فطلب السلطنة فأخذها (١٤-ب) وتوفي محمود .  
ثم ظهر السلطان محمد بن ملكشاه ، فنازع أخاه بركياروق ، وجرت بينهما حروب كثيرة دامت  
نحو اثنتي عشرة سنة ، إلى أن توفي بركياروق واستقرت السلطنة لمحمد (١) .  
وفي مدة تلك الحروب ظهر الفرنج إلى الساحل ، وملكوا أنطاكية (٢) أولاً ثم غيرها من البلاد ،  
وقد استوفينا ذلك في المستقصى في التاريخ .

## ذكر صلح قسيم الدولة آقسنقر

وتاج الدولة تنش بن ألب أرسلان وما شهدته من الحروب معه (٣)

قد ذكرنا أن السلطان ملكشاه كان قد أقطع أخاه تاج الدولة مدينة دمشق وأعمالها وما جاورها  
كطبرية والبيت المقدس وغيرها ، فلما توفي ملكشاه واختلف أولاده وهم صغار ، جمع تاج الدولة  
العساكر وسار نحو حلب وبها قسيم الدولة آقسنقر ، فعلم قسيم الدولة أن أولاد صاحبه صغار ،  
وأن الملك لا يستقيم لهم لصغرهم (١٥ - أ) وللخلف الواقع بينهم ، ولم يكن له طاقة بتاج الدولة  
فصالحه وخطب له بحلب ، وراسل نور الدين [بوزان (٤)] صاحب حران وياغى سيان صاحب  
أنطاكية يشير عليهما بطاعة تاج الدولة حتى ينظروا ما يكون من أولاد ملكشاه ، ففعلوا ذلك ،  
وساروا معه نحو الرجة فلحها ، وخطب لنفسه بالسلطنة في محرم سنة ست وثمانين وأربعمائة .  
ثم سار إلى نصيبين فحصرها ، فسبها أهلها ففتحها عنوة وقهراً ، وقتل بها خلقاً كثيراً ، واستناب  
[بها] محمد بن شرف الدولة العقيلي .

وراسل ناصر الدولة إبراهيم بن قريش بن بدران - وهو صاحب الموصل حينئذ - يأمره بالخطبة  
له وأن يعطيه طريقاً إلى بغداد ، فامتنع عليه ، وسار كل واحد منهما إلى صاحبه ، فالتقيا بالمضيق من  
بلد الموصل ، وكان على ميمنة تاج الدولة ، قسيم الدولة آقسنقر ، وعلى ميسرة بوزان ، فحملت  
العرب على بزان فانهزم ، وحمل قسيم الدولة (١٥-ب) على العرب مما يليه فهزمهم ، وأسر إبراهيم  
وجماعة من أمراء العرب ، فقتلهم تاج الدولة صبراً وملك بلادهم جميعها ، الموصل وغيرها .  
وسار في ربيع الآخر من هذه السنة إلى ميفارقين (٥) فلحها وسائر بلاد ديار بكر .

(١) عن خلاف البيت السلجوقي بعد وفاة السلطان ملكشاه ، أنظر ، الكامل ، (١٦٤/ص/٨/ح) ، وما بعدها .  
(٢) كانت لغارة الصليبيين على الشام سنة ٤٩١ ، واستولوا على أنطاكية في نفس السنة . (٣) لم يذكر  
ابن الأثير خبر الحصومة بين قسيم الدولة وتاج الدولة تنش في هذا الكتاب ، وإنما ذكره في الكامل (١٦٠/ص/٨/ح)  
في أخبار سنة ٤٨٥ ، تحت عنوان : « ذكر استيلاء تنش على حصن وغيرها من ساحل الشام » . (٤) الإضافة  
من الكامل (١٦٧/ص/٨/ح) . وصلة قسيم الدولة ببوزان صلة قديمة ، فقد كان كل منهما من ممالك السلطان ملكشاه .  
(ابن خلكان ، ٢٥٢/ص/١/ح - طبعة محمد فريد رفاعي) . ولقب بوزان عند ابن واصل (١٩/ص/١/ح) :  
مجاهد الدولة . (٥) ميفارقين : في (ياقوت) : بفتح أوله وتشديد ثانيه ثم فاء ، وبعد الألف راء وقاف  
مكسورة وياء ونون . أنها بالقرب من آمد ، وأشهر مدينة بديار بكر (٢١٤/ص/٨/ح) . (٢١٦) .

ثم سار منها إلى أذربيجان (١) فقصده الملك ركن الدين بركياروق - وكان قد ملك كثيراً من البلاد منها: الري وهمدان وما بينهما - فلما تقارب العسكران ، قال قسيم الدولة لبوزان : إنما أطعنا هذا الرجل لنتظر ما يكون من أولاد (٢) صاحبنا ، والآن فقد ظهر بركياروق ، والرأى والمروءة تقتضى بأننا نقصده ونكون معه ، ففارقا (٣) تاج الدولة وسارا إلى بركياروق وصارا معه ، فلما رأى تاج الدولة ذلك ، رجع إلى الشام ، وأقام قسيم الدولة عند بركياروق ، فخرج عليه خاله إسماعيل بن ياقوتى ثم أطاعه ، فخلا به قسيم الدولة وبوزان وبسطوه في الحديث (١٦ - أ) فأعلمهم أنه يريد السلطنة وقتل بركياروق ، فوثبا عليه فقتلاه محافظة على صاحبهما ، ثم أمرهما ركن الدين بالعود إلى الشام ليمتعا (٤) تاج الدولة عن البلاد إن قصداه فعادا .

### ذكر وفاة أمير المؤمنين المقتدى بأمر الله وولاية ابنه المستظهر بالله

في المحرم (٥) من سنة سبع وثمانين وأربعمائة ، توفي الإمام المقتدى بأمر الله أمير المؤمنين رضى الله عنه فجأة . واسمه أبو القاسم عبد الله بن الأمير محمد بن القائم بأمر الله . وعمره تسع (٦) وثلاثون سنة وثمانية أشهر وسبعة أيام .

وكانت خلافته تسع عشرة سنة وخمسة (٧) أشهر .

وأنشأ ببغداد عدة محال ، منها : البصلية ، والبساتين التي كانت بياب الأزج ، والحلبة ، والأجمة ، ودرب القيार ، والمقندية ، وخرابة ابن جردة ، والخاتونية (٨) .

وهو استوزر نخر الدولة أبا نصر محمد بن محمد بن جبير ، وهو من الموصل . وكانت (٩) خلافته بعهد من جده القائم بأمر الله (١٦ - ب) أمير المؤمنين ، وأمه تركية . وكان لين الجانب ، كثير الحلم . وعاش وادعا مرفها .

وتوفى وقد علم على منشور السلطان بركياروق بالسلطنة (١٠) . وكتمت القهر مائة شمس النهار موته ، وأحضرت الوزير وأعيان الدولة وجددت البيعة لأولده أبي العباس أحمد المستظهر بالله أمير المؤمنين ، فلما بايعوا أظهرت وفاة المقتدى .

ولما بويع المستظهر بالله أرسل إلى السلطان بركياروق لأخذ البيعة - وكان ببغداد - فأنفذ بركياروق وزيره عن الملك (١١) بن نظام الملك والأمير برسق (١٢) وكوهرائين شحنة بغداد ، فبايعوا ،

(١) بالأصل : اذربيجان . (والامم بحرف في النص باستمرار) . (٢) بالأصل : اولاده . (٣) في ابن العميد (ح/٢/ص/١٠٨) ، أن سبب انفصال قسيم الدولة وبوزان عن تاج الدولة هو تقريره ياغسيان وميله إليه . وقيل إنه لم يولهما شيئاً من البلاد التي فتحها . فمركاه لهذا السبب . (٤) بالأصل : ليمتعا . (٥) في السكامل (ح/٨/ص/١٧٠) ، أن وفاته كانت في يوم السبت خامس عشر المحرم . (٦) في السكامل (ح/٧/ص/١٧٠) ، ثمان وثلاثون . (٧) في السكامل (ح/٨/ص/١٧٠) ، وثمانية أشهر غير يومين . وما في النص أصح لأن المقتدى بويع بالخلافة يوم الخميس ١٣ شعبان سنة ٤٦٧ ، وتوفى يوم السبت ١٥ محرم سنة ٤٨٧ . (٨) في السكامل (ح/٨/ص/١٧٠) والخاتونيتين . (٩) بالأصل : وكاتبة . (١٠) بالأصل : وبالسلطنة . (١١) بالأصل : وعز الملك . (١٢) بالأصل : برسق ، (والتصحيح من ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ص/٦٥) .

ثم بايع هو ، فلما تمت بيعة السلطان أحضر الغزالي (١) والشاشي (٢) وغيرهما من العلماء فبايعوا .  
ثم أرسل إلى غزنة ، وما وراء النهر ، وكرمان ، والشام لأخذ البيعة .  
ولما استخلف (٣) أقر عميد الدولة بن جبير على وزارته .

### ذكر نسب المستظهر بالله (٤)

هو المستظهر بالله (١٧ - أ) أبو العباس أحمد بن المقتدى بأمر الله أبي القاسم عبد الله بن الأمير الذخيرة محمد بن القائم بأمر الله أبي جعفر عبد الله بن القادر بالله أبي العباس أحمد بن الأمير إسحاق بن المقتدر بالله أبي الفضل جعفر بن المعتضد بالله أبي العباس أحمد بن الأمير أبي أحمد الموفق بن المتوكل على الله أبي الفضل جعفر بن المعتصم أبي إسحاق بن محمد الرشيد أبي جعفر هارون بن المهدي أبي عبد الله محمد بن المنصور أبي جعفر عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله ابن العباس بن عبد المطلب رضى الله عنهم ، بينه وبين العباس عشر خلفاء ووليا عهد ، وأربعة لم يلوا الخلافة ولا ولاية العهد .

فأما الخلفاء : فالمقتدى ، والقائم ، والقادر ، والمقتدر ، والمعتضد ، والمتوكل ، والمعتصم ، والرشيد ، والمهدي ، والمنصور .

وأما وليا (د) العهد : فالذخيرة محمد بن القائم - وهو والد المقتدى بأمر الله - (١٧ - ب) والموفق الناصر لدين الله أبو أحمد بن المتوكل - وهو جد المقتدر بالله - .  
وأما الذين لم يلوا الخلافة ولا ولاية العهد : فإسحاق - والد القادر بالله - ، ومحمد - والد المنصور - ، وأبوه علي ، وعبد الله بن العباس .

وقد ولي الخلافة من بنى العباس من غير آباء المستظهر سبعة عشر (٦) خليفة ، وهم : أبو العباس عبد الله بن محمد السفاح (٧) - أول خلفاء بنى العباس - ، والهادي موسى بن المهدي ، والأمين محمد والمأمون عبد الله ابنا الرشيد ، والواثق - وهو أخو المتوكل - . ثم المنتصر والمعتز والمعتمد أولاد المتوكل . ثم المستعين بالله أحمد بن محمد بن المعتصم - وهو ابن أخى المتوكل - . ثم المهتدي محمد بن الواثق ابن المعتصم . وولى المكتفي على بن المعتضد بالله وأخوه القاهر بالله . ثم ولى الراضى بالله أبو العباس أحمد بن المقتدر بالله ، وأخوه المتقي بالله أبو إسحاق إبراهيم . ثم ولى المستكن بالله عبد الله (١٨ - أ) ابن المكتفي بالله بن المعتضد بالله . ثم ولى المطيع لله أبو القاسم الفضل ، وولده الطائع لله أبو بكر عبد الله .

(١) هو الإمام حجة الإسلام أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الشافعي ، توفي سنة ٥٠٥ . ( أنظر ترجمته في شذرات الذهب ، ح/٤/ص/١٠ ) .  
(٢) هو أبو بكر محمد بن أحمد بن الحسين شيخ الشافعية ، المعروف بالمستظهرى . توفي سنة ٥٠٧ . ( أنظر ترجمته في شذرات الذهب ، ح/٤/ص/١٦ ) .  
(٣) بالأصل : استخلف .  
(٤) : أسقط « دى سلين » نسب الخليفة المستظهر بالله في طبعته . وقد أشار في (ص/٢٨) أنه حذفه لأنه لا جديد فيه ، ولا يتصل في شيء بتاريخ الحروب الصليبية . (٥) بالأصل : ولى . (٦) بالأصل : سبع عشرة .  
(٧) بالأصل : ابن السفاح ( والتصحیح من شذرات الذهب ، ح/١/ص/١٩٤ ) .

## ذكر قتل قسيم الدولة آقسنقر رضى الله عنه

في جمادى الأولى من سنة سبع وثمانين وأربعمائة ، قتل قسيم الدولة آقسنقر وبوزان صاحب حران . وكان سبب قتلها ، أن تاج الدولة تنش لم يزل يجمع العساكر بعد عودته من أذربيجان إلى الآن ، فكثرت جمعه ، وعظم حشده ، وسار عن دمشق نحو حلب ، فاجتمع قسيم الدولة وبوزان وأمدهما السلطان ركن الدين بركياروق بالأمير كركر بوغا (١) - وهو الذى صار فيما بعد صاحب الموصل - فلما اجتمعوا وبلغهم مسير تاج الدولة عن دمشق ، تقدموا نحوه والتقوا برويان [على] نهر سبعين (٢) بالقرب من تل السلطان ، بينه وبين حلب نحو ستة فراسخ ، واقتتلوا واشتد القتال ، فخامر بعض عسكر قسيم الدولة وانهمزوا (١٨ - ب) وتبعهم الباقون ، وثبت قسيم الدولة فأخذ أسيرا وأحضر عند تاج الدولة ، فقال له : لو ظفرت بي ما كنت صنعت . قال : كنت أقتلك . قال : فأنا أحكم عليك بما كنت تحم على قتلته صبيرا . وسار نحو حلب ، وكان قد دخل إليها الأمير كركر بوقا وبوزان لحفظها (٣) منه ، ولج في قتالها حتى ملكها وأخذها أسيرين ، وأرسل إلى حران والرها ليملكهما - وكانتا ليزان - فامتنع من بهما (٤) من التسليم إليه ، فقتل بوزان وأنفذ رأسه وتسلم البلدين . وأما كركر بوقا فإنه أرسله إلى حمص فسجنه بها إلى أن أخرجه الملك رضوان بعد قتل أبيه تاج الدولة .

وكان قسيم الدولة أحسن الأمراء سياسة لرعيته وحفظا لهم . وكانت بلاده بين عدل عام ، ورخص شامل ، وأمن (٥) واسع ، وكان قد شرط على أهل كل قرية فى بلاده ، متى أخذ عند أحدهم قفل أو أحد من الناس ، غرم أهلها جميع (١٩ - أ) ما يؤخذ من الأموال من قليل وكثير ، فكانت السيارة إذا بلغوا قرية من بلاده ألقوا رحالهم وناموا ، وقام أهل القرية يحرسونهم إلى أن يرحلوا ، فأمنت الطرق ، وتحديث الركبان بحسن سيرته .  
وأما وفاءه وحسن عهده فكفاه (٦) نفرا أنه قتل فى حفظ بيت صاحبه وولى نعمته .

## ذكر حال عماد الدين (٧) زنكى بعد [قتل] والده رضى الله عنهما

لما قتل قسيم الدولة آقسنقر ، لم يخلف من الأولاد غير ولد واحد ، وهو المولى الشهيد عماد الدين زنكى ، وكان حينئذ صبيا له من العمر نحو عشر سنين ، فاجتمع عليه نماليك والده وأصحابه ، وفيهم زين الدين على ، وهو صبي أيضا .

ثم إن الأمير كركر بوقا خالص من السجن بمحصر بعد قتل تاج الدولة سنة تسع وثمانين وأربعمائة ، وتوجه إلى حران - وقد اجتمع معه عسكر صالح - فلما صار إلى نصيبين فلما فيها أيضا .

(١) جاء رسمه أيضا فى النص : كركر بوقا . وكل من الرسمين مستعمل عند المؤرخين القدامى .  
(٢) بالأصل : برويان ونهر سبعين . - (٣) بالأصل : لحفظها . (٤) بالأصل : بها .  
(٥) بالأصل : أمر . (والتمحيص من السكامل ، ح/٨/ص/١٧١) . (٦) بالأصل : فكفيه .  
(٧) بالأصل : ذكر حال ولده عماد الدين ... (وقد حذف المحقق اللفظ : ولده ، لعدم ضرورته فى العنوان) .



ثم إلى الموصل فملكها (١) وأزال عنها علي بن شرف الدولة العقيلي، (١٩ - ب) فإنه كان مالكا لها. وسار نحو ماردين فملكها أيضا.

وعظم شأنه وهو في طاعة ركن الدين بركياروق، فلما ملك البلاد أحضر بمالك (٢) قسيم الدولة آقسنقر، وأمرهم بإحضار عماد الدين زنكي. وقال: هو ابن أخي وأنا أولى الناس بتربته، فأحضره عنده، فأقطعهم الإقطاعات السنوية وجمعهم على عماد الدين زنكي، واستعان بهم في حروبه، وكانوا من الشجاعة في أعلى درجاتها، فلم يزلوا معه.

ثم أن كربوقا (٣) توجه إلى آمد وصاحبها من أمراء التركان، فاستنجد صاحبها بمعين الدولة سقمان بن أرتق (٤) - جد صاحب الحصن يومنا هذا (٥) -، فجمع من التركان خلقا كثيرا وسار نحو آمد وتصاف هو وقوام الدولة كربوقا، فرأى كثرة التركان يخافهم، فأخذ عماد الدين زنكي وألقاه بين مالك والده، وقال لهم: قاتلوا عن ابن صاحبكم، فحينئذ اشتد قتالهم وحمى الوطيس (٦) فهزموا سقمان وأسروا ياقوتى (٢٠ - أ) ابن أخيه، فحبسه كربوقا ثم أطلقه. وكان هذا أول مصاف حضرة الشهيد عماد الدين بعد قتل والده. ولم يزل عماد الدين [ مع ] كربوقا إلى أن توفي (٧) سنة أربع وتسعين وأربعمائة (٨).

وملك بعده موسى التركاني (٩) من أصحابه، فلم تطل أيامه وقتل. وملك الموصل شمس الدولة جكرمش (١٠) - وهو أيضا من بمالك السلطان ملكشاه - وأخذ الشهيد عماد الدين وقربه وأحبه، واتخذ ولد المعرفته بمكانة والده، فبقي معه إلى أن قتل سنة خمسائة. ولا جرم أن الشهيد قدس الله روحه، رعى هذا الجكرمش (١١) لما ملك الموصل وغيرها من البلاد، فإنه أخذ ولده ناصر الدين كورى (١٢)، فأكرمه وقدمه وأقطعه إقطاعا كثيرا، وجعل منزلته أعلى المنازل عنده واتخذ صهرا.

ثم ملك الموصل بعد جكرمش، جاولى سقاوا (١٣) فاتصل به عماد الدين زنكي، وقد كبر فظهرت عليه أمارات السعادة (٢٠ - ب) والشهامة، ولم يزل معه حتى عصى على السلطان محمد، وكان

(١) في الكامل (ح/٨/ص/١٨٠)، أنه ملكها في ذى القعدة سنة ٤٨٩. (٢) بالأصل: بمالك. (٣) بالأصل: أمر. (٤) كان سقمان بن أرتق صاحب حصن كينا وآمد من سنة ٤٩٥ إلى سنة ٤٩٨ (زامبور). وقد توفي سنة ٤٩٨. (انظر ترجمته في شذرات الذهب، ج/٣/ص/٤٠٩). (٥) كان صاحب حصن كينا في سنة ٦٠٧ - وهي السنة التي ألف فيها ابن الأثير كتابه هذا - هو ناصر الدين محمود بن محمد الأرتقى (٥٩٧ - ٦١٩ (زامبور). (٦) بالأصل: القطيس. (٧) بالأصل: توفاه. (٨) في الكامل (ج/٨/ص/٢١٠) أن كربوقا توفي في ذى القعدة سنة ٤٩٥. (٩) كان موسى التركاني نائبا عن كربوقا بحصن كينا، فلما مات كربوقا كتبه أعيان الموصل ليسلموا إليه البلد، فسار إليها وقتل منقرجه الذي عهد إليه كربوقا بالموصل عند وفاته، وتسلم البلد. وقد قتل موسى في نفس السنة (الكامل، ج/٨/ص/٢١٠). (١٠) كان جكرمش صاحب جزيرة ابن عمر، فقاتل موسى التركاني وهزمه، واستولى على الموصل بعد أن قتل موسى بيد بعض الغلمان القوامية. (الكامل، ج/٨/ص/٢١١). (١١) بالأصل: الجكرمش. (١٢) بالأصل: السورى. (والصحیح من الروضتين، ج/١/ص/٢٧). (١٣) ملك جاولى الموصل من سنة ٥٠٠ إلى سنة ٥٠٢.

جاولى قد عبر إلى الشام ليمسكه من الملك رضوان . فأرسل السلطان إلى الموصل الأمير مودود [بن التونتكين (١)] وأقطعها إياها سنة ثنتين (٢) وخمسمائة ، فلما اتصل الخبر بجاولى فارقه الشهيد وغيره من الأمراء ، وفيهم الأمير التونتاش الأبرى ، وهذا كان سبب المعرفة بينه وبين الشهيد ، فلما ملك أكرمه وأعظمه وأكثر إقطاعه . فحكى لى والدى قال : كنت أراه إلى جانب المولى الشهيد لا يتقدم عليه أحد من الأمراء ، وله عقب بالموصل إلى الآن فى خدمة الدولة القاهرة (٣).

فلما استقر الأمير مودود بالموصل ، واتصل به الشهيد عماد الدين عرف له ذلك ، مضافاً إلى منزلة أبيه ، ولما رأى منه من العقل والشجاعة ، فزاد فى إقطاعه وشهد معه خروبه . فمما بلغنى منها ، أن الأمير مودوداً سار إلى الغزاة بالشام (٤) ففتح فى طريقه قلاعاً من شبختان (٥) كانت للفرنج (٢١ - أ) وقتل من بها منهم ، ثم سار إلى الرها فحصرها ولم يقدر على فتحها ، وكانت عقيلة ومكرمة وفضيلة قد ادحرها الله سبحانه وتعالى للمولى الشهيد .

فاستوضحت سبل الآمال حايدة	عن الملوك إلى أعلام حسبنا
أبهرهم (٦) فضلاً ، أغرهم (٧) بذلاً	أغرهم (٨) [أبدأ] فعلاً ومنسبنا
أشتم (٩) أشوس مضر وبأ (١٠) سرادقه	على الممالك مرخى (١١) دونها الحجبا
ممتنع (١٢) العز ، معمور الفناء [به]	مظفر العزم ، والآراء منتخبا
من معشر طالما شبوا (١٣) بكل وغنى	ناراً يظل (١٤) أعاديهم لها حطبا

ثم إن الأمير مودوداً رحل عنها وعبر الفرات (١٥) إلى الشام ، فحصر تل باشر (١٦) خمسة وأربعين يوماً ولم يبلغ منها غرضاً . ثم سار عنها إلى معرة النعمان (١٧) فحصرها ، وجاء إليه الأمير طغتكين (١٨) صاحب دمشق ، فلما رأى كثرة عسكره خاف أن يأخذ منه دمشق (١٩) ، فشرع فى

- (١) الإضافة من ، الكامل (ح/٨/ص/٢٥٢) (٢) بالأصل : ستين .
- (٣) أى دولة الملك القاهر عز الدين مسعود بن نور الدين أرسلان شاء صاحب الموصل (٦٠٧ - ٦١٥) .
- (٤) سنة ٥٠٥ . (الكامل ، ح/٨/ص/٢٦٢) (٥) بالأصل : شختان (والاسم محرف بالأصل باستمرار)
- (٦) بالأصل : ثم أبهرهم . (٧) بالأصل : واغرمهم . (٨) بالأصل : وأغرمهم . (٩) بالأصل : اشتم .
- (١٠) بالأصل : مصروبا . (١١) بالأصل : صرخ . (١٢) بالأصل : ممتنع . (١٣) بالأصل : شبق .
- (١٤) بالأصل : بطل . (١٥) بالأصل : الفراء . (ويرد الاسم بالأصل ببناء المربوطة باستمرار) .
- (١٦) تل باشر : فى (ياقوت) : قلعة حصينة ، وكورة واسعة فى شمالى حلب ، بينها وبين حلب يومان ، وأهلها نصارى وأرمن ، ولها ريض وأسواق ، وهى عامرة أهله . (١٧) معرة النعمان : فى (ياقوت) : « مدينة كبيرة قديمة مشهورة من أعمال حمص ، وتقع بين حلب وحمص » . وكان حصار تل باشر ومعرة النعمان سنة ٥٠٥ .
- (الكامل ، ح/٨/ص/٢٦٢) . (١٨) هو ظهير الدين طغتكين . كان من أمراء تاج الدولة تنش السلجوقى صاحب دمشق ، وزوجه تنش بأم ولده دقاق ، ثم صار أتابكا لدقاق . ولما مرض دقاق مرض الموت أوصى بولاية طغتكين على دمشق وحصانة ابنه الصغير تنش (الثانى) وتوفى طغتكين سنة ٥٢٢ . (مرآة الزمان ، ج/٨/ص/١١) ، (شذرات الذهب ، ح/٤/ص/٦٥) . ويرسم ابن الأثير وغيره من المؤرخين اسم طغتكين : طغتكين (بالتاء المتناة) وكل من الرسامين مستعمل عند المؤرخين . (١٩) فى الكامل (ح/٨/ص/٢٦٣) : « ونزل على الأمير مودود ، فاطلع من الأمراء على نيات فاسدة فى حقه ، فخاف أن تؤخذ منه دمشق » .

صلح الفرنج سرأ من مودود فصالحوه ، وكانوا قد ضعفوا (٢١-ب) عن قتال المسلمين لكثرتهم فإن السلطان محمداً ، كان قد أمد الأمير مودوداً بعسكر مقدمهم الأمير سكان القطبي صاحب تبريز وغيرها ، فرض سكان واشتد مرضه فعاد ، فأدرکه الموت بيالس (١) ، فأخذ أصحابه تابوته وقصدوا بلاده ، فاعتبرهم إيلغازى (٢) بن أرتق ليأخذهم ، فصافوه (٣) وجعلوا تابوت سكان في القلب كما كان حياً ، وقتلوا فظفروا ، وانهمز إيلغازى وعادوا إلى بلادهم .

فلما رأى مودود تفرق العساكر ، واصلح طغديكين [ للفرنج ] ضعفت نفسه وعاد عن الفرنج ، ولم يكن في عسكره من ظهر اسمه غير الشهيد ، وأذن لعسكره في العود والإستراحة ثم الإجتماع لقتال الفرنج فتفرقوا .

وراسل (٤) [ مودود ] طغديكين وأصلحه وجمع العساكر وعاد إلى الشام ، وحضر عنده أتاك طغديكين وساروا جميعاً إلى طبرية (٥) وحصروها وقتلوا قتالا شديداً (٦) . وظهر (٧) من أتاك (٨) الشهيد رضى الله عنه شجاعة لم يسمع بمثلها (٢٢ - أ) فمنها : أنه كان في نفر وقد خرج الفرنج من البلد ، فحمل عليهم هو ومن معه ، وهو يظن أنهم يتبعونه فتخلفوا عنه وتقدم وحده ، وقد انهزم من بظاهر البلد من الفرنج فدخلوا البلد ، ووصل رحه إلى الباب فأثر فيه وقتلهم عليه ، وهو ينتظر وصول من كان معه ليقاتلوا الفرنج ويتقدم باقي العسكر فيملكون البلد ، فحيث لم ير أحداً حمى نفسه وعاد سالماً ، فعجب الناس من إقدامه أولاً ومن سلامته آخرأ ، وهذه الحادثة مشهورة بالشام لاسيما عند الفرنج .

وجمع الفرنج فرسانهم ورجالتهم وملوكهم وقماهصتهم ، فيهم الملك بردويل (٩) صاحب القدس ، وعكا (١٠) ، وصور (١١) وغيرها ، وجوسلين صاحب تل باشر والرها وغيرها ، فتصافوا ثالث

(١) بالس : في ( ياقوت ) : بلدة بالشام بين حلب والرقه ، بينها وبين الفرات أربعة أميال . (٢) هو إيلغازى ابن أرتق بن أكب ، صاحب ماردين . توفي سنة ٥١٦ هـ . وكان له جهاد مشكور في قتال الصليبيين . ترجمته في شذرات الذهب ( ٤/ص/٤٨ ، الكامل ٨/ص ) وأخباره في الكامل موزعة على السنين . (٣) بالأصل : فصافوه . (٤) بالأصل : وأرسل . (٥) طبرية : في ( ياقوت ) : بلدة مطلة على البحيرة المعروفة ببجيرة طبرية ، وهي في طرف جبل ، وجبل الطور مطل عليها . وهي من أعمال الأردن في طرف الغور . بينها وبين دمشق ثلاثة أيام وكذلك بينها وبين بيت المقدس ، وبينها وبين عكا يومان . وهي مستطيلة على البحيرة ، عرضها قليل حتى تنتهي إلى جبل صغير ، فعنده آخر الهامة . (٦) كانت موقعة طبرية سنة ٥٠٧ هـ ( الكامل ، ٨/ص/٢٦٦ ) (٧) بالأصل : ظهر . (٨) المقصود به عماد الدين زنكي . وقد لقب بهذا اللقب ، لقيامه على تربية الملك أب أرسلان بن السلطان محمد السالجي ، وذلك حين ولاء السلطان محمود لإمرة الموصل سنة ٥٢١ هـ . وأتاك . لفظ تركي مركب من مقطعين : « أنا » أو « أظا » ومعناه « أب » و « بك » ومعناه « أمير » ( صريح الأعشى ، ٤/ص/١٨ ) فاللقب معناه « الأب الأمير » . (٩) بردويل : ذكره ابن الأثير في الكامل ( ٨/ص/٢٦٦ ) ، بغدوين . (١٠) عكا : في ( ياقوت ) : عكا . بفتح أوله وتشديد نازيه . اسم بلد على ساحل بحر الشام ( البحر المتوسط ) من عمل الأردن . وينقل ياقوت عن البشارى : أنها مدينة حصينة ، ولم تكن على هذه الحصانة حتى قدمها ابن طولون . وقد رأى « صور » واستدارة الحائط على مينائها — فأجب أن يتخذ لعمرك مثل تلك الميناء . (١١) صور : في ( ياقوت ) : بضم أوله وسكون ثانية وآخره راء . مدينة مشهورة ، كانت من غور المسلمين . وهي مشرفة على بحر

[ عشر (١) ] محرم [ سنة ٥٠٧ (١) ] عند بحيرة طبرية ، فظفر المسلمون وانهزم الفرنج لعنهم الله ، ووصلوا إلى مضيق دون طبرية فاجتمعوا به ولم يكن فيه سعة ، فتبعهم (٢) (٢٢-ب) المسلمون . فلما كان من الغد وصل إلى الفرنج عسكر قوى من أنطاكية وغيرها ، فقويت نفوسهم واحتموا ، وحصرهم المسلمون وهم على رأس جبل [ غرب طبرية (٣) ] والمسلمون في الغور ، وصابروهم ستة وعشرين يوماً ، واشتد الحر على المسلمين لمقامهم في الغور ، فرحلوا نحو بيسان (٤) ، فنزل إليهم الفرنج وتوافقوا خمسة أيام ، وانقطعت المادة عن المسلمين لبعدهم عن بلادهم ، فعادوا إلى مرج الصفر ، وأذن الأمير مودود للعسكر في الرجوع إلى بلادهم والاجتماع إليه في الربيع ، فلما تفرقوا دخل دمشق (٥) ، وأقام بها ، فخرج يوماً يصلي الجمعة ، فلما صلاها وخرج إلى صحن الجامع ويده بيد طغديكين ، وثب عليه إنسان فضربه بسكين معه فجرحه أربع جراحات (٦) ، وكان صائماً فحمل إلى دار طغديكين واجتهد به ليفطر فلم يفعل ، وقال : لا لقيت الله إلا صائماً ، فإنتى ميت لا محالة سواء أفطرت أو صمت . وتوفي (٧) في بقية (٢٣ - أ) يومه رحمه الله . فقبل إن الباطنية بالشام خافوه فقتلوه ، وقيل بل خافه طغديكين فوضع عليه من يقتله .

وكان خيراً عادلاً حسن السيرة . فحدثني والدي رحمه الله تعالى قال : كتب ملك الفرنج إلى طغديكين يقول له : إن أمة قتلت عميدها يوم عيدها في بيت معبودها ، لحقيق (٨) على الله أن يبيدها (٩) .

فلما قتل الأمير مودود ، أقطع السلطان محمد الموصل وغيرها للأمر جيوش بك ، وسير معه ولده الملك مسعوداً إلى الموصل ، ثم إنه جهز آقسنقر البرسقي في العساكر وسيره إلى قتال الفرنج . وكتب [ إلى ] عساكر الموصل وغيرها يأمرهم بالمسير معه ، فساروا وفيهم الشهيد عماد الدين زنكي ، وكان يعرف في عساكر العجم بزئكي الشامي (١٠) ، وكان قد ظهر عنه من الشجاعة ما لا يوصف ، لاسيما بعد ما فعله بطبرية ، فلما اجتمعت العساكر على البرسقي ، سار إلى الرها في خمسة عشر ألف فارس ، فحصرها (١١) وقاتل من بها من الفرنج (٢٣ - ب) والأرمن ، فضاقت الميرة عن العسكر ، فرحل إلى سميساط (١٢) ، وهي أيضاً للفرنج ، فأخرب بلدها وبلد

القام داخله في البحر مثل الكف على الساعد ، يحيط بها البحر من جميع جوانبها إلا الجانب الرابع ، الذي منه شروع بابها . وهي حصينة جداً ركيبة ، لا سبيل إليها إلا بالحدلان . وهي معدودة في أعمال الأردن ، بينها وبين عكة ستة فراسخ ، وهي شرقي عكة . (١) الإضافة من ، الكامل (ح/٨/ص/٢٦٦) . (٢) بالأصل : تتبعهم . (٣) الإضافة من ، الكامل (ح/٨/ص/٢٦٦) . (٤) بالأصل : بيسان . (٥) في الكامل (ج/٨/ص/٢٦٦) أن مودوداً دخل دمشق في الحادي والعشرين من ربيع الأول سنة ٥٠٧ . (٦) بالأصل : جرحات . (٧) في ابن القلانسي (ص/١٨٧) أنه توفي في يوم الجمعة الأخيرة من شهر ربيع الآخر من السنة . (٨) بالأصل : الحقيق . (٩) بالأصل : يبيدها .

(١٠) عرف عماد الدين زنكي بذلك ، تمييزاً له عن سمي له ، هو زنكي بن برسق صاحب همدان . (الكامل ح/٨/ص/٢٦٢) (١١) كان ذلك في ذي الحجة سنة ٥٠٨ . (الكامل ، ح/٨/ص/٢٦٩) . (١٢) سميساط : في (ياقوت) : بضم أوله وفتح ثانيه ثم ياء مثناة من تحت ساكنة وسين أخرى ثم بعد الألف طاء مهملة ، مدينة على شاطئ الفرات في طرف بلاد الروم على غربي الفرات ، ولها قلعة في شق منها ، يسكنها الأرمن .

سروج (١) ، وعاد إلى شبختان فأخرب ما فيه للفرنج ، وأبلى عماد الدين زنكي في هذه المواقف كلها بلاءً حسناً ، وعادت العساكر تتحدث بما فعله عماد الدين وما ظهر له من الشجاعة ، وعاد البرسقي إلى بغداد ، وأقام عماد الدين بالموصل مع الملك مسعود والأمير جيوش بك إلى سنة أربع عشرة وخمسة ، وقد علا قدره وظهر اسمه .

وفي سنة إحدى عشرة وخمسة [ولد الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي رحمه الله (٢)] قال : وفيها غرقت سنجار (٣) من سيل (٤) المطر وهلك منها خلق كثير . ومن أعجب ما يحكى أن السيل (٥) حمل مهداً فيه طفل ، فعلق المهد في شجرة ونقص الماء ، فسلم ذلك الطفل وغرق غيره من الماهرين بالسباحة .

وفيها أيضاً زلزلت إربل (٦) وغيرها من البلاد المجاورة لها زلزلة عظيمة .

## ( ٢٤ - أ ) ذكر وفاة السلطان غياث الدين محمد بن ملكشاه

وجاوس ولده مغيث الدين محمود في السلطنة

في الرابع والعشرين من ذي الحجة سنة إحدى عشرة (٧) وخمسة ، توفي السلطان غياث الدين محمد بن ملكشاه . وكان مرضه في شعبان من هذه السنة ، وكان مرضه السل . فلما كان يوم النحر جلس للناس تجلداً ، وكانت الأراجيف (٨) قد كثرت عليه ، وأكل الناس الطعام بحضرة ثم ضعف بعد ذلك . فلما كان في اليوم الثالث والعشرين من ذي الحجة أيس من نفسه ، فأحضر ولده الملك محموداً — وكان عمره حينئذ أربع عشرة سنة — فلما رآه قبله وبكى ، فبكى ولده ، فأمره أن يجلس على تخت السلطنة وينظر في أمور الناس ، فقال : إنه يوم غير مبارك — يعنى من طريق النجوم — . فقال : صدقت ، ولكن على أليك ، وأما عليك فبارك هو ( ٢٤ - ب ) بالسلطنة . فخرج وجلس على التخت ، ولبس التاج . وتوفي السلطان محمد من ليلته ، وأظهرت وفاته من الغد ، وقرئت وصيته على ولده يأمره بالعدل والإحسان . وكان مولد السلطان محمد

(١) سروج : في (ياقوت) : بلدة قريية من حران من ديارمضر . (٢) الإضافة من الروضتين (ح/١/ص/٢٨) . وأبو شامة نقل حرفياً من النص خبر مقتل مودود حتى خبر الزلزلة . (٣) سنجار : في (ياقوت) : مدينة مشهورة من نواحي الجزيرة ، بينها وبين الموصل ثلاثة أيام ، وهي في لحف جبل عال . وبينها وبين نصيبين ثلاثة أيام . (٤) بالأصل : سيل . (٥) بالأصل : السيل . (٦) إربل : في (ياقوت) : قلعة حصينة ومدينة كبيرة في قضاء من الأرض واسع بسيط . ولقعتها خندق عميق ، وهي في طرف من المدينة ، وسور المدينة يتناطح في نصفها . وهي على تل عال من التراب عظيم واسع الرأس . وفي هذه القلعة أسواق ومنازل للرعية وجامع للصلاة . وهي شبيهة بقلعة حلب إلا أنها أكبر وأوسع . وهي بين الرايين . وتعد من أعمال الموصل ، وبينها مسيرة يومين . (٧) بالأصل : أحد عشرة . (٨) بالأصل : الأراجف .

ثامن عشر شعبان سنة أربع وسبعين وأربعمائة. وكان عمره سبعا وثلاثين سنة وأربعة أشهر وستة أيام. وأول ما خطب له بالسلطنة ببغداد في ذى الحجة سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة، وقطعت خطبته عدة مرار، ولقي من المشاق والأخطار ما لم يلقه أحد، إلى أن توفي أخوه السلطان ركن الدين بركيارق (١)، فحينئذ استقرت له السلطنة وصفت له، ودانت البلاد وأصحاب الأطراف لطاعته، وكان اجتمع الناس عليه بعد موت أخيه إثنى (٢) عشرة سنة وستة أشهر.

وكان عادلا حسن السيرة، شجاعا. وأطلق المكوس والضرائب في جميع البلاد. ومن عدله أنه اشترى عدة بمالك من بعض التجار (٢٥ - أ) وأمر أن يوفي الثمن من عامل خوزستان، فأوصل البعض ومطل بالباقي، فحضر التاجر مجلس الحكم، وأخذ غلام الحاكم ووقف بطريق السلطان واستغاث إليه، فأمر من يستعلم حاله، فلما سأله عن حاجته ذكرها له، وأعلمه أنه قد حضر مجلس الحكم (٣)، وأخذ غلام الحاكم ووقف بطريق السلطان ليطلب بماله، فعاد الحاجب وأعلم السلطان حاله، فعظم عليه وضاق صدره، وأمر في الحال أن يحضر عامل خوزستان، ويلزم بمال التاجر، وألزمه مصادرة على ذلك لئلا يمتل هو ولا غيره بمال يحال عليهم. ثم إنه ندم على تأخره عن مجلس الحكم، وكان يقول كثيرا: لقد ندمت على تركي الحضور بمجلس الحكم، ولو فعلته لاقتدى (٤) بي غيري، ولم يتمتع أحد عن أداء الحق. وهذه الفضيلة أيضاً مما دخرها الله تعالى لهذا البيت الشريف الأتابكي، فإن الملك العادل نور الدين (٢٥ - ب) محمود بن زنكي، فعل ما ندم السلطان محمد على تركه. ولما علم الأمراء وغيرهم [ أن ] من خلق السلطان محبة العدل وأداء الحق وكراهة الظلم ومعاقبة من يفعله، [ اقتدوا (٥) ] به. وأمن (٦) الناس، وظهر العدل.

ثم إن السلطان محمود أقام بالسلطنة، وجرى بينه وبين عمه السلطان سنجر (٧) حرب، انهزم فيها السلطان محمود وعاد إلى عمه بغير عهد، فأكرمه وأقطعته من البلاد من حد خراسان إلى الداروم بأقصى الشام، وهي من الممالك: همذان، وأصفهان، وبلد الجبال جميعه، وبلاد كرمان، وفارس، وخوزستان، والعراق، وأذربيجان، وأرمينية، وديار بكر، وبلاد الموصل، والجزيرة، وديار مصر (٨)، وديار ربيعة، والشام، وبلد الروم الذي بيد أولاد قلع أرسلان، وما بين هذه الممالك من البلاد، ورأيت منشوره بذلك.

ولم يكن لعهاد الدين في هذه الحرب أثر، ولا شهدا ليستقصى ذكرها (٢٦ - أ) فلماذا أعرضنا عن شرحها وأشرنا إليها لتعرف.

(١) توفي السلطان بركيارق سنة ٤٩٨ هـ. (الكامل، ج ٨/ص ٢٣٣) (٢) بالأصل: اثني عشر.

(٣) بالأصل: قد أحضر غلام مجلس الحكم. (والاصحیح من الروضتين ج ١/ص ٢٨). (٤) بالأصل: لاقتدى.

(٥) بالأصل: اقتدوا. (٦) بالأصل: من. (٧) هو السلطان سنجر بن ملكشاه بن ألب أرسلان،

واسمه العربي أحمد. وقد ولي سلطنة فارس سنة ٥١٢ هـ، وتوفي في ربيع الأول سنة ٥٥٢ هـ. (شذرات الذهب،

ج ٤/ص ١٦١). (٨) بالأصل: ديار مصر.

## ذكر وفاة أمير المؤمنين المستظهر بالله

### وخلافة المسترشد بالله

قال . وفي سادس عشر شهر ربيع الآخر من سنة اثنى عشرة وخمسةائة ، توفي الإمام المستظهر بالله أمير المؤمنين أبو العباس أحمد بن المقتدى بأمر الله من تراقى (١) ظهرت به . وكان عمره إحدى (٢) وأربعين سنة وستة أشهر وستة أيام . وخلافته أربعاً (٣) وعشرين سنة وثلاثة أشهر وأحد عشر يوماً . ومضى في أيامه ثلاثة سلاطين [من السلجوقية (٤)] خطب لهم ببغداد ، وهم : تاج الدولة تنش ، وركن الدين بركيارق بن ملكشاه ، وأخوه غياث الدين محمد بن ملكشاه . وكان رضى الله عنه كريم الأخلاق ، لين الجانب ، مشكور المساعى ، يحب العلم والعلماء . وصنفت له التصانيف الكثيرة فى الفقه والأصول وغيرهما . وكان يسارع إلى أعمال البر والمثوبات ، لا يرد مكرمة تطلب منه ، كثير الوثوق إلى من يوليه الأعمال ، لا يصغى إلى (٢٦ - ب) سعاية ساع . وكانت أيامه أيام سرور وأمن للرعية ، وكان إذا بلغه ذلك فرح به وسره ، وإذا تعرض سلطان أو غيره إلى أذى أحدهم بالغ فى إنكار ذلك والزجر (٥) عنه . وكان حسن الخط ، جيد التوقعات لا يقاربه فيها أحد ، تدل على فضل عزيز (٦) وعلم واسع . ولما توفى صلى عليه ابنه المسترشد بالله ، ودفن فى حجرة كانت له يالفها . ولما فرغ من الصلاة عليه ودفنه جلس للبيعة ، فبايعه أولاد الخلفاء والأمراء والفقهاء والقضاة ومشايخ الصوفية . وكان المتولى لأخذ البيعة قاضى القضاة على بن محمد الدامغانى ، ومن بايعه الشيخ أبو النجيب السهروردى ، ووعظه موعظة بليغة تتضمن العدل والإحسان .

## ذكر الحرب بين السلطان محمود وأخيه الملك مسعود

### وما أثر [ عن ] عماد الدين فيها

قال . لما ولى السلطان محمود السلطنة ، أقر أخاه الملك مسعودا على (٢٧- أ) الموصل مع أتاكبه جيوش بك ، فبقى مطيعاً لأخيه إلى سنة أربع عشرة وخمسةائة ، فحينئذ خرج عن طاعته . وكان سبب ذلك أن ديبس بن صدقة الأسدى كان فى عسكر السلطان محمد ، وقد أخذ بلد الحلة (٧) منه . فلما ملك السلطان محمود أقطعه الحلة وأعادها إليها ، فلما وصل إلى الحلة ، كاتب الأمير جيوش بك (١) بالأصل : نراف . والتراقى ، دمل يظلم فى الخلق . (النجوم الزاهرة ، ج ٥/ص ٢١٦) (٢) بالأصل : احدنا . (٣) بالأصل : أربعة . (٤) الإضافة من الروضتين ( ج ١/ص ٢٨ ) . (٥) بالأصل : وأنزجر . (٦) بالأصل : عزيز . (٧) الحلة : فى ( ياقوت ) : أنها علم على عدة مواضع ، وأشهرها حلة بنى مزيد ، وهى مدينة كبيرة بين السكوفة وبغداد .

وحسن له العصيان على السلطان محمود، ووعدته المساعدة على طلب السلطنة للملك مسعود، وكان غرضه أن يختلفوا، فينال من التمكن والجاه، ماناله أبوه سيف الدولة صدقة باختلاف السلطانين بركيارق ومحمد — وقد ذكرناه في المستقصى — . وكان الأستاذ أبو إسماعيل الحسين بن علي (١) الطغرائي (٢) الأصفهاني قد اتصل بالملك مسعود فاستوزره وأشار بذلك أيضاً. وكان لجيوش بك مع الموصل، ولاية أذربيجان، فلما شرع في جمع الجيوش بلغ ذلك إلى السلطان محمود، فأرسل إليه وإلى أخيه مسعود يرغبهما ويعدهما الإحسان (٢٧ — ب) إن عاودا الطاعة، ويتهددهما إن أصرا على المعصية، فلم يرجعا، وقوى طمعهما لما بلغهما تفرق العساكر عن السلطان محمود، وأظهرا العصيان، وخطب للملك مسعود بالسلطنة. وكان عماد الدين زنكي يشير بطاعة السلطان وترك الخلاف عليه، ويحذرهم عاقبة العصيان، فلم يرجعا إلى قوله، وبلغ قوله إلى السلطان فعرفه له .

ثم إن الملك مسعود (٣) و جيوش بك سارا في العساكر نحو السلطان، ينتهزان الفرصة بقلة عسكره وتفريقهم، فجمع من قرب إليه من عساكره فبلغت عدتهم نحو خمسة عشر ألف فارس، والتقوا عند عقبة أسد آباد (٤) في ربيع الأول، فدام القتال بينهم إلى الليل، ثم انهزم الملك مسعود و جيوش بك ومن معهما، وأسر جماعة من أمراء عسكرهما والأعيان، منهم الأستاذ أبو إسماعيل الطغرائي وزير مسعود، فقتله السلطان وقال: قد صح عندى (٢٨ — أ) فساد اعتقاده ودينه، وكان قد جاوز ستين سنة. وكان حسن الكتابة جيد الشعر، فمن شعره:

تمتيت أن ألقاك في الدهر مرة فلم أك في هذا التمني بمرزوق  
سوى ساعة التوديع دامت فكم مني أنالت وما قامت بها آملا سوقى (٥)  
فيا ليت أن الدهر كل زمانه وداع ولكن لا يكون بتفريق

فأما الملك مسعود، فإنه سار منهزما إلى مكان (٦) بينه وبين الواقعة اثني عشر (٧) فرسخا فاقتفى فيه، وأرسل ركبانيا كان معه إلى أخيه يطلب الأمان. فأرسل إليه البرسقي بأمانه وتطييب (٨) قلبه فأحضره معه عند السلطان، فأمر الناس كلهم بلقائه وأكرمه وأحسن إليه، ولما لقيه بكى (٩) كل واحد منهما إلى صاحبه، واعتذر مسعود لقبول عذره وخلطه بنفسه في كل أموره .

وأما جيوش بك فإنه سار وانتظر الملك مسعود فلم يره، فسار إلى الموصل وجمع الغلات والعساكر ليمتنع بها (٢٨ — ب) فلما بلغه خبر اتصال مسعود بأخيه السلطان محمود علم أنه لا مقام له، فسار جريداً إلى السلطان فأمنه وأكرمه، وأخذ الموصل منه وأقره على أذربيجان .

(١) بالأصل: الحسين ابن اسماعيل . (والتصحیح من الكامل، شذرات الذهب . ج٤/ص٤١) .  
(٢) بالأصل: الطغرائى . (والتصحیح من، الكامل، ج٨/ص٢٩٢) . (٣) بالأصل: مسعود .  
(٤) بالأصل: سد اباد . (٥) بالأصل: شوقى . (٦) فى الكامل (ج٨/ص٢٩٢) جبل .  
(٧) بالأصل: اثنا عشره . (٨) بالأصل: ويطيب (والتصحیح من، الكامل، ج٨/ص٢٩٢) .  
(٩) بالأصل: ابكى .



## ذكر ولاية البرسقي الموصل

ثم إن السلطان أقطع آقسنقر البرسقي بلد الموصل وأعمالها ، كالجزيرة ، وسنجار ، ونصيبين وغيرها في صفر سنة خمس عشرة وخمسمائة وسيره إليها ، وأمره بحفظ عماد الدين زنكي وتقديمه والوقوف عند إشارته ، فسار إلى الموصل ، وفعل مع عماد الدين ما أمره به السلطان ، وزاد على ذلك لمكانه من العقل والشجاعة ، وتقدم (١) والده في الأيام الركنية (٢) وكانت سيرة ملكشاه عندهم (٣) كالشريعة المتبعة ، فأعظم الناس عندهم أكثرهم اتباعا لسيرته .

### ذكر إقطاع عماد الدين زنكي مدينة واسط (٤)

في سنة ست عشرة وخمسمائة ، أقطع أتابك عماد الدين زنكي مدينة واسط وولى شحنة (٥) البصرة . وكان سبب ذلك أن الأمير ( ٢٩ — أ ) ديبس بن صدقة الأسدي صاحب الحلة ، كان قد تقدم منه مع الملك مسعود والأمير جيوش بك ما ذكرناه ، فبلغ ذلك السلطان [ محمود (٦) ] وانضاف إلى ذلك شكوى أمير المؤمنين المسترشد بالله منه إلى السلطان ، فأرسل إلى البرسقي يأمره بالإتحاد إلى بغداد بعساكر الموصل ومحاربة ديبس ، فأنحدر إليها في عساكره ومعه عماد الدين زنكي ، وسار عن بغداد نحو الحلة فلقيه ديبس عند نهر بشير ، فانهزم عسكر البرسقي من غير قتال . وسبب ذلك أنه رأى خيلا في ميسرته وبها (٧) الأمراء البكجية ، فأمر أن تلقى خيمته وتنصب عند الميسرة لتقوى قلوبهم ، فحين ألقى الخيمة رأت الميسرة ذلك فظنت الهزيمة ، فانهزموا وتبعهم الناس والبرسقي . وقيل بل أعطى رقعة فيها أن جماعة [ من (٨) ] العسكر يزيدون الفتك به ، يخاف على نفسه وساء ظنه ، وانصرف من مكانه وانهزم الناس ، وعاد إلى بغداد ثانياً ربيع الآخر ، فلما انهزم البرسقي ( ٢٩ — ب ) لم يعرض ديبس لنهر ملك ولا غيره ، وأرسل إلى الخليفة أنه على الطاعة ، ويطلب أن يخرج النواب إلى الأعمال .

(١) بالأصل : واتقدم ( والتصحیح من ، الروضتين ، ح / ١ / ص / ٢٩ ) . (٢) الإشارة هنا إلى السلطان ملكشاه ، ( انظر عن تليق ابن الأمير ، لملكشاه بركن الدين ، فيما سبق ص / ٤ / حاشية / ٤ ) . (٣) أى عند السلاطين السلاجقة خلفاء ملكشاه .

(٤) واسط : في الاصلطخري ( ص / ٥٨ ) : أنها نصفان على شط دجلة متقابلان ، بينهما جسر من سفن في كل جانب وفي كل جانب مسجد جامع ، وهى محدثة في الإسلام ، أحدثها الحجاج بن يوسف ( التقي ) وبها خضراء الحجاج . وهى مدينة يحيط بحددها الغربى البادية بعد مزارع بسيرة ، وهى خصبة كثيرة الشجر والتخيل والزروع ، وهى أصح هواء من البصرة ، وليس لها بطائح ، وأراضى رسائيقها متصلة معورة . (٥) الشحنة : لفظ فارسى ، معناه : محافظ المدينة ، نائب الملك ، رئيس البوليس ( المعجم في اللغة الفارسية ) . وفى ( القاموس المحيط ) ، الشحنة ، جمعها شحن . وهى فى الأصل ما يقام للدواب من العلف الذى يكفيا يومها وليلتها ، وفى البلد ، من فيه الكفاية لضبطها من جهة السلطان . (٦) الإضافة من ، الكامل ( ح / ٨ / ص / ٣٠٧ ) . (٧) بالأصل : وبهاء . (٨) الإضافة من ، الكامل ( ح / ٨ / ص / ٣٠٧ ) .

ثم إن السلطان ولي البرسقي شخنيكية العراق جميعه ، وزوجه خاتون بهشت (١) جهان والدة أخيه الملك مسعود ، وأقام البرسقي ببغداد إلى شعبان من هذه السنة ، وترددت الرسل بينه وبين ديبس في الصلح فلم يتم ذلك . فأرسل ديبس عسكرياً إلى واسط - وكان من بها من العساكر قد كاتبوا البرسقي فصاروا معه - فلما سمع من بها بمسير عسكر ديبس إليهم ، أرسلوا يطلبون المدد من البرسقي ، فأمدهم بالأمير التونتاش الأبري وبعهاد الدين زنكي وأقطعاه البلد ، وأمرهم بطاعته ، فصافوا عسكر ديبس فهزموهم وأسروا أكثرهم ، وعاد الباقون منهزمين إلى ديبس .

وأقام عماد الدين زنكي بواسط . وأرسل البرسقي إليه أيضاً فولاه شخنيكية البصرة وأمره بحمايتها ، فوليا ( ٣٠ - أ ) وحماها ، وانتقل إليها وأقام بها لحفظها لكثرة تطرق العرب إليها والإغارة عليها مرة بعد أخرى . فلما سكنها (٢) لم يتعرض إليها أحد ، وسكن ما كان بها من الفتن ، وظهر من كفايته في البلدين ما لم يظنه أحد ، فازداد شأنه عظماً (٣) .

وتجنب ديبس قصد ولايته لعله أنه لا ينال منها غرضاً (٤) ، وأنفذ عسكرياً نحو المدائن ، تخاف أهل بغداد ، وعبر البرسقي إلى الجانب الغربي عازماً على قصد ديبس ، وناهيك هذا شرفاً لعهاد الدين ، حيث يترك ديبس ولايته مع بعدها عن بغداد ويقصد المدائن وهي إلى جانب بغداد والبرسقي في العساكر قريب منها (٥) .

وبطل الحج هذه السنة من العراق لهذا السبب .

## ذكر هزيمة ديبس وعسكر ببغداد

وما ظهر لعهاد الدين زنكي من الشجاعة

لما ورد ديبس وعساكره إلى المدائن وعبر البرسقي إلى الجانب الغربي ( ٣٠ - ب ) ليسير إليه ، أرسل الخليفة المسترشد بالله إلى ديبس ينهيه عن العصيان ، ويتهده إن أصر على المخالفة ، بقصد بلده ، فغضب ديبس وحلف ليقصد بغداد وليخربنها ويقتل أهلها ، وجمع العرب وأطمعهم في نهب بغداد فكثرت جمعه . فلما علم الخليفة بما كان منه ، سار عن بغداد ومعه العسكر ، وعليه قباء أسود وعمامة سوداء وطرحه ، وعلى كتفه بردة النبي صلى الله عليه وسلم ، ويده القضيب ، وعبر في الزبزب (٦) ومعه وزيره نظام الملك أحمد بن نظام الملك ، ونقيب النقباء (٧) ، وشيخ

(١) بالأصل : بيست . (والتصحيح من « دي سلين » ، ص/٤٦) . (٢) بالأصل : سكبها .  
(٣) بالأصل : عظيماً . (٤) بالأصل : غرض . (٥) هذا تمجيد من ابن الأثير لعهاد الدين كعادته . فهو هنا يفسر مجرى الحوادث تفسيراً آخر يختلف عن تفسيره في «الكامل» حيث يذكر في «الكامل» ( ح/٨/ص/٣١٠ - حوادث سنة ٥١٧ ) أن ديبسا سار إلى بغداد للإنتقام من الخلية والسُلطان .  
(٦) الزبزب ، نوع من السفن . (لسان العرب) . (٧) هو علي بن طراد الزينبي ، (الكامل) .  
ح/٨/ص/٣١٠) . ورجعته في ، شذرات الذهب ( ح/٤/ص/١١٧ - وفيات سنة ٥٣٨ ) .

الشيوخ صدر الدين إسماعيل (١) ، وقاضي القضاة الزينبي (٢) وغيرهم . فلما سمع البرسقي بمسير الخليفة ركب وعاد إلى لقائه ، فحين رأى الشمسية ترجل هو ومن معه وقبلوا الأرض . فلما نزل الخليفة في الخيمة ، أحضر البرسقي والأمراء واستحلفهم ، ثم سار نحو الحلة - وقد تأخر ديبس عن المدائن - فالتقوا بالمباركة من أعمال النيل (٣) ، ورتب البرسقي عسكره (٣١ - أ) ، فجعل في الميمنة عماد الدين زنكي في عسكره ، والأمير أبا بكر إلياس البكجي (٤) ، ووقف الخليفة في موكبه خلف العسكر بحيث يرونه والقراء (٥) بين يديه ، والمصاحف منشورة ، وتقدم إلى أهل بغداد بقراءة القرآن والدعاء له ، فحتموا ذلك اليوم ألف ختمة ودعوا له بالنصر .

فلما تواقفت العساكر ، حملت ميسرة ديبس - ومقدمها عنتر بن أبي العسكر - على الأمير أبي بكر إلياس ومن معه ، فتراجعوا على أعقابهم ، ثم حمل عليهم عنتر أيضاً حملة ثانية ، فكان حالها كالأولى ، وأشرفوا على الهزيمة ، فلما رأى عماد الدين زنكي ذلك ، حمل في عسكر واسط على عنتر وأصحابه ، وأطبقوا (٦) [ عليه ] من خلفه ، وعاد الأمير أبو بكر ، فبقي عنتر ومن معه في الوسط ؛ فأخذوا باليد ، وقتل منهم الكثير . وكان البرسقي قد جعل له كميناً ، فلما اشتدت الحرب ، ظهر الكمين من وراء عسكر ديبس ، فانهزمت العرب ومن معهم وديبس ، فألقوا نفوسهم (٣١ - ب) في النيل ، فغرق منهم خلق (٧) كثير سوى من قتل وأسر .

ولما رأى المسترشد بالله فعل عنتر بميمنة البرسقي ، وأن من بها قد أشرف على الهزيمة ، جرد سيفه وتقدم وهو يكبر ، وقد عزم على أن يباشر الحرب بنفسه ، فكفاه عماد الدين زنكي ، فلما تم الظفر ، قدمت الأسرى إلى المسترشد بالله ، فأمر بقتلهم صبراً .

وكان عسكر ديبس عشرة آلاف فارس وإثنى عشر [ ألف (٨) ] راجل ، وعسكر (٩) الخليفة والبرسقي ثمانية آلاف فارس وخمسة آلاف راجل ، ولم يقتل من عسكرهما غير عشرين فارساً . ووقع نساء ديبس وسراريه (١٠) في الأسر ، غير زوجته ابنة إيلغازي بن أرتق وابنة عميد الدولة ابن جهير ، فإنهما كانتا بمشهد الحسين عليه السلام .

وكانت الواقعة في أول المحرم سنة سبع عشرة وخمسمائة . وعاد المسترشد إلى بغداد فدخلها يوم عاشوراء .

(١) هو شيخ الشيوخ صدر الدين إسماعيل بن أبي سعيد الصوفي ، مات ببغداد سنة ٥٤١ ، ترجمته في ، شذرات الذهب ( ح / ٤ / ص / ١٢٨ - وفيات سنة ٥٤١ ) . (٢) هو قاضي العراق ، أبو القاسم علي بن نور الهدى - أبي طالب الحسين بن محمد بن علي العباسي . توفي سنة ٥٤٣ . ترجمته في ، شذرات الذهب ( ح / ٤ / ص / ١٣٥ - وفيات سنة ٥٤٣ ) . (٣) النيل : ( في يا قوت ) : نهر من أنهار الرقة ، حفره ( هارون ) الرشيد على ضفة نيل الرقة . (٤) في ، الكامل ( ح / ٨ / ص / ٣١١ ) ، أبا بكر بن إلياس البكجي . (٥) بالأصل : والقرايين . (٦) بالأصل : ولطبقوا . (٧) بالأصل : خلفاً . (٨) بالإضافة من ، الكامل ( ح / ٨ / ص / ٣١١ ) . (٩) بالأصل : والعسكر . (١٠) بالأصل : وسراريه .

وثار العامة ببغداد ، فذهبوا مشهد باب التين وما عند الضريحين ، وقلعوا أبواب المشهد ، فشكى العلويون (١) ذلك (٣٢ — أ) إلى الخليفة فأنكره ، وسير نظراً الخادم أمير الحاج إلى المشهد لتأديب من فعل ذلك والتنكيل (٢) به ، ففعل بهم ما أمر ، واسترد من النهيب ما أمكنه ورده على أصحابه . وأما ديبس فإنه لما انهزم ، التحق بالملك طغرل بن السلطان محمد وصار معه من خواص أصحابه ، وكان عاصياً على أخيه السلطان محمود .

## ذكر مفارقة الشهيد عماد الدين البرسقي

### واتصاله بالسلطان محمود

قال . ولما فارق ديبس العراق ولحق بطغرل ، أمنت البلاد ، فأرسل السلطان محمود إلى البرسقي يأمره بالعود إلى الموصل والاشتغال بجهاد الإفرنج ، وولى شحنة بغداد يرشق (٣) الزكوى ، فعاد البرسقي في سنة سبع (٤) عشرة وخمسمائة .

وكان أتاك عماد الدين زنكي حينئذ بالبصرة ، فأرسل البرسقي إليه يعلمه الحال ، ويستدعيه ليسير معه إلى الموصل . فحدثني والدي قال : حدثني جماعة ممن كان مع الشهيد ، قالوا : جمع الشهيد أصحابه (٣٢ — ب) وقال لهم : قد ضجرنا بما نحن فيه . كل يوم قد يملك البلاد أمير وتؤمر بالتصرف على اختياره وإرادته ، ثم تارة بالعراق ، وتارة بالموصل ، وتارة (٥) بلاد الجزيرة ، وتارة بالشام ، فهم تشيرون أصنع . فقال له زين الدين علي بن بكتكين — وكان أوثق أصحابه عنده وأكثرهم صحبة له — فقال : يا مولانا ، التركان تقول في أمثالها ، إذا أراد الإنسان [ أن ] يضع على رأسه حجراً فليكن من جبل كبير ، ولكن نحن إذا كنا لا بد وأن نخدم الناس ، فلأن نخدم السلطان أولى ، فقبل رأيه ، وسار من البصرة إلى السلطان محمود ، وأقام عنده ، فلم يرمه ما كان يرجوه ، وأنفق ما كان معه من مال . وكان كلما ضاق به الأمر ، يقول لزين الدين : يا علي ، قد وضعنا على رؤوسنا حجراً عظيماً كما أردت . إلا أنه كان يقف إلى جانب تحت السلطان لا يتقدمه أحد . فلما كان بعض الأيام ، ركب السلطان ليلعب بالكرة ، فدخل الميدان فأخذ الجوكان (٦) (٣٣ — أ) بيده ، واستدعى عماد الدين زنكي وتناوله إياه ، وقال له : إلب معنا . ثم قال السلطان للأمرء معاتباً لهم وموبخاً : أما تستحيون ، يحيى إليكم فلان — وهو من قد عرفتموه وعرفتم محل والده في الدولة — فلم يكن فيكم من يحمل له شيئاً ولا يعمل له دعوة ، والله لقد

(١) بالأصل : العلويون . (٢) بالأصل : والتنكيل . (٣) بالأصل : يرشق . (٤) والتصحیح من : الكامل (٨/ص/٣١٦ : تاريخ دولة آل سلجوق ، ص/١٤٦) . (٥) في ، الكامل (٨/ص/٢٣٧) أن عزله عن شحنة العراق كان سنة ٥١٨ . (٦) بالأصل : تار . (٦) الجوكان : هو الحجون الذي تضرب به الكرة ، ويعبر عنه بالصولجان أيضاً ، وكانت الجوكان عصا مدهونة ، طولها نحو أربعة أذرع ، ورأسها خشبة مخروطية معقوفة تزيد عن نصف ذراع . (الساوك ، ١/ص/١٣٥ جاشية / ١) .

تركته لم أرسل إليه نفقة ولا أعطيته إقطاعاً لأنظر فعلكم . وبالغ في لومهم ، ثم قال له : قد زوجتك امرأة الأمير كندغدى ، وأمر له بمال . وكان هذا كندغدى من أكابر أمراء السلطان محمد والسلطان محمود ، فجعله [ السلطان محمود ] مع أخيه الملك طغرل أتابك له ومدبراً لدولته ، فحسن له العصيان على أخيه السلطان محمود ، وجمع له العساكر الكثيرة وعظم شأنه ، فاتفق أنه مات في تلك السنة ، وخلف ولداً صغيراً وزوجة ، ومن الأموال والبرك (١) والسلاح ما لا يقدر عليه إلا سلطان ، فلما كان الآن ، وقال لعماد (٣٣ - ب) الدين ليتزوجها ، أرسل إليها يقول لها : إننى قد زوجتك بعماد الدين زنكى . فامتنعت ثم أجابت . فقال . فركب زنكى من غد دخوله بها ومعه ولد كندغدى (٢) ، وهو فى موكب عظيم من أصحابه وأصحاب كندغدى ، وأخرجت له زوجته من الخيام والبرك ما ليس لأحد فى العسكر مثله .

### ذكر إقطاعه البصرة من السلطان

ثم إن السلطان أتاه فى ذلك الوقت الخبر بأن العرب قد اجتمعت ونهبت البصرة ، فأمر أتابك عماد الدين بالمسير إليها ، وأقطعه إياها (٣) لما كان بلغه عنه من الحماية لها فى العام الماضى - وقت اختلاف العساكر والحروب - وأمره بالحفظ والإحتياط . وكان قد قبيل للسلطان إن الخليفة قد باشر الحرب ، وأحب جمع العساكر ، وخوف [ من ] ناحيته (٤) ، فتقدم (٥) إلى عماد الدين بمراعاة أحوال واسط والتطاع إلى معرفة حالها ، فإن قصدتها عسكر (٣٤ - أ) من الخليفة يسير إليها ويحفظها ، فسار إلى العراق وأقام بالبصرة ، وأحسن السياسة لأهلها والحماية لهم من العرب وغيرهم ، وصار يرسل طوائف من عسكره فيوقعون بالأعراب ، فأمنت البلاد والطرق ، وواصل السلطان بأخبار العراق حتى لم يخف عليه منها شيء ، فعظم ذلك عند السلطان وزاد محله عنده .

### ذكر ولايته شحنة بغداد

كان قد جرى بين (٦) يرناقش الزكوى شحنة بغداد وبين الخليفة المسترشد بالله نفرة ، فهدهد المسترشد ، فسار (٧) عن بغداد إلى السلطان فى رجب سنة تسع عشرة (٨) وخمسمائة ، شاكياً من المسترشد بالله ، وحذر السلطان جانبه ، وأعلمه أنه قد جمع العساكر عازماً على منعه عن العراق ،

(١) البرك : هو المتاع المأص من ثياب وقاش . (السلوك ، ح/١/ق/١/ص/١٣٤ - حاشية /٦) .  
(٢) هو خالصك بن كندغدى وقد جعل السلطان محمود ، جمال الدين الجواد محمد بن على بن أبى منصور وزيراً لخالصك وأرسله مع عماد الدين . (تاريخ دولة آل سلجوق ، ص/١٩٢) .  
(٣) كان ذلك فى سنة ٥١٨ . (الكامل ، ح/٨/ص/٣١٦) . (٤) بالأصل : ناحية .  
(٥) بالأصل : فقدم .  
(٦) بالأصل : من . (٧) بالأصل : وسار . (٨) فى ، الكامل (ح/٨/ص/٣٢١) ، سنة عشرين .

وقال له : إن تأخرت عن العراق إزداد قوة ومنعك عن البلاد . فتجهز السلطان إلى العراق ، فأرسل إليه الخليفة يطلب منه أن لا يأتي بغداد هذه الدفعة لخراب (٣٤-ب) البلاد والغلاء (١) الذي بها ، وبذل له على تأخره ما لا كثيراً . فلما سمع السلطان الرسالة لم يجب إلى التأخر عن العراق وصمم العزم على الحركة .

فلما بلغ الخبر إلى الخليفة عبر هو وأهله وحرمه وأرباب المناصب إلى الجانب الغربي في ذي القعدة . مظهرآ للغضب والانزعاج عن بغداد إن قصدتها السلطان . فلما خرج من داره بكى (٢) الناس بكاء عظيماً ، واتصل الخبر بالسلطان (٣) فعظم عليه ، وأرسل إليه يستعطفه ويسأله العود إلى داره ، فأعاد الجواب : إنني أمرتك بالتأخر لخراب البلاد وهلاك الناس وعدم الأوقات ، ويقول له : إن قصدت العراق فتحن راحلون عنه بالأهل والمال . فاغتاظ السلطان من ذلك ورحل إلى بغداد ، فلما كان عيد النحر (٤) ، أمر المسترشد بالله بأن تنصب السراقات والمنبر ، وأحضر خواصه وأرباب المناصب وأعيان الدولة ، وصلى هو بالناس يوم العيد (٣٥-أ) وخطبهم ، فبكى الناس لخطبته بكاء عظيماً .

ثم إنه أرسل عفيفاً الخادم في عسكر [إلى] واسط ، وبها عماد الدين زنكي ، [وكان] قد سار من البصرة لحفظها والذب عنها ، فلما وصل عفيف ، أرسل إليه عماد الدين يحذره القتال ويأمره بالعود ، فلم يلتفت [إليه] ، وجاء حتى نزل بالجانب الغربي من واسط ، فعبّر إليه الشهيد وقاتله قتالاً شديداً ، فانهزم عسكر عفيف ، وقتل منهم جماعة كثيرة وأسر مثلهم ، وتجاوز عن عفيف حتى نجا (٥) ، ولو شاء لأخذه .

ثم إن الخليفة جمع السفن جميعاً إليه ، وسد أبواب دار الخلافة سوى باب النوبى (٦) ، وأمر حاجب الباب ، ابن الصاحب ، بالمقام فيه يحفظ الدار ، ولم يبق من حواشى الخليفة بالجانب الشرقى سواه . ووصل السلطان إلى بغداد في عشرين من ذي الحجة ، ونزل بالشامسية (٧) ، ودخل بعض عسكره إلى بغداد ونزلوا في دور الناس ، ولم يزل السلطان يرسل الخليفة بالعود ويطلب الصلح (٣٥-ب) وهو يمتنع ، وكان يجرى بين العسكرين مناوشة (٨) ، والعامّة من الجانب الغربي يسبون السلطان أخش سب .

ثم إن جماعة من عسكر السلطان دخلوا دار الخلافة في المحرم سنة عشرين وخمسمائة (٩) ونهبوا

(١) بالأصل : الغلى . (٢) بالأصل : بكاء . (٣) بالأصل : السلطان . (٤) بالأصل : النجره .  
(٥) بالأصل : نجى . وفي الكامل (ح/٨/ص/٣٢١) ، أن عماد الدين تجاوز عن عفيف «لمودة كانت بينهما» .  
(٦) بالأصل : باب النوبة . والتصحيح من الكامل (ح/٨/ص/٣٢١) . (٧) بالأصل : الشامسيه ،  
(والتصحيح من الكامل ، ح/٨/ص/٣٢٠) . (٨) بالأصل : بين العسكرين منها مناوشة . (٩) في الكامل  
(ح/٨/ص/٣٢١) ، سنة لمحدى وعشرين .

التاج وحجر الخليفة ، وضج أهل بغداد . فلما رآهم الخليفة يهبون داره ، خرج من السرادق والشمسية على رأسه والوزير بين يديه ، وأمر بضرب الكوسات والبوقات ، ونادى [بأعلى (١)] صوته : يآل هاشم ، وأمر بتقديم السفن [ونصب الجسر (٢)] وعبر العسكر دفعة واحدة . وكان في الدار ألف رجل مختفين في السرايب فظهروا — وعسكر السلطان قد اشتغلوا بالنهب — فأسروا جماعة من الأمراء . ونهب العامة دار وزير السلطان ودور جماعة من الأمراء ، ودار عزيز الدين المستوفى ، ودار حكيم أوحد الزمان الطيب ، وقتل منهم خلق (٣) كثير في الدروب . ثم عبر الخليفة إلى الجانب للشرقي ومعه ثلاثون ألف مقاتل (٣٦ - أ) من أهل بغداد والسواد ، وحفروا الخنادق (٤) في الليل ، وحفظوا بغداد من عسكر السلطان ، واشتد الغلاء عند العسكر ، وعظم القتال كل يوم على أبواب البلد وعلى شاطئه دجلة .

وعزم عسكر (٥) الخليفة على تبييت (٦) عسكر السلطان ، فغدر بهم الأمير أبو الهيجاء الكردي الهذباني صاحب إربل ، وخرج كأنه يريد القتال والتحق هو وعسكره بالسلطان . وكان السلطان قد أرسل إلى عماد الدين زنكي يأمره أن يحضر بنفسه (٧) ومعه المقاتلة في البر والماء ، وأن يكثروا السفن مهما أمكنه ، فجمع السفن من البصرة وواسط والبطائح ، ولم يترك ما بين بغداد والبصرة سفينة إلا استصحبها وشحنها بالمقاتلة ، وأصعد في البر والسفن سائرة في الماء ، فلما قارب بغداد نشر الأعلام ، وأظهر السلاح ، وأخرج بعض من في السفن إلى البر (٣٦ - ب) فامتلات الأرض والماء رجالا وسلاحاً ، فرأى الناس منظرأ عجيباً وعظم ذلك في أعينهم ، وركب السلطان والعساكر فرأوا ماملاً قلوبهم وعيونهم ، وازداد عماد الدين عند السلطان منزلة ، واستدل على كفايته ونهضته وحسن سياسته ، لأن البلاد التي كانت بيده لم يكن عسكرها (٨) يقدر يفارقها ليحفظوها ، فأخرج منها هذا الخلق الكثير ، ولم يتعرض إليها أحد بأذى .

وكان الخليفة — لما هرب الأمير أبو الهيجاء وبلغه مجيء عماد الدين — قد ضعفت نفسه ، وعلم أن عماد الدين يجيء ويقاتلهم في الماء ويمنع الميرة عنهم ، ويقاتلهم السلطان في البر فيعظم عليه الخطب ، فحينئذ راسل السلطان طلباً في الصلح ، وترددت الرسل بينهما فاصطلحا وعادا إلى ما كانا عليه ، واعتذر السلطان (٩) مما جرى . وكان حليماً يسمع سبه بأذنه ولا يعاقب عليه . وعفا عن (٣٧ - أ) أهل بغداد جميعهم . وكان بعض أصحابه يشيرون عليه أيام الحصار بإحراق بغداد فلم يفعل ، وقال : لا تساوى العراق بعض هذا .

(١) الإضافة من الكامل (ح/٨/ص/٣٢١) . (٢) : الإضافة من ، الكامل (ح/٨/ص/٣٢١) .  
(٣) بالأصل : خلقاً . (٤) بالأصل : الخنادق . (٥) بالأصل : عسكر . (٦) بالأصل : تبيت .  
وقد صحح المحقق اللفظ على ضوء ما جاء في الكامل (ح/٨/ص/٣٢٢) : « وعزم عسكر الخليفة أن يكبسوا عسكر السلطان » . (٧) في الكامل (ح/٨/ص/٣٢٢) أن عماد الدين كان بواسطة . (٨) بالأصل : عسكره .  
(٩) بالأصل : للسلطان . (والتصحيح من الكامل ، ح/٨/ص/٣٢٢) . (١٠) : بالأصل : عفى .

ولما تم الصلح ، أقام السلطان ببغداد إلى عاشر (١) ربيع الآخر ، وحل الخليفة [إليه (٢)] كل ما استقرت القاعدة [عليه (٢)] من المال ، والسلاح ، والحيل وغير ذلك .

فلما أراد السلطان الرحيل ، نظر في من يصلح أن يلي شحنة بغداد والعراق ، يأمن معه من الخليفة ويضبط الأمور ، فلم ير في (٣) أمرائه وأصحابه من يصلح لسدهذا الباب العظيم ، ويرقع هذا الخرق ويمنعه عن الإتساع ، وتقوى نفسه على ركوب هذا الخطر ، غير عماد الدين زنكي ، فولاه شحنة العراق (٤) مضافاً إلى ما بيده من الإقطاع ، وسار السلطان عن بغداد وقد اطمأن قلبه من جهة العراق ، حيث أسنده إلى الكافي القيم بأمره .

### ذكر قتل البرسقي وشيء من سيرته رحمه الله تعالى

في سنة عشرين وخمسمائة (٥) ، قتل آقسنقر البرسقي بالجامع العتيق (٣٧ - ب) [بمدينة (٦)] الموصل بعد الصلاة يوم الجمعة ، قتله باطنية . وكان رأى تلك الليلة في منامه أن عدة من الكلاب ناروا به ، فقتل بعضها ، ونال منه (٧) الباقون أذى شديداً ، فقص رؤياه على أصحابه ، فأشاروا عليه بترك الخروج من داره عدة أيام ، فقال : لا أترك الجمعة لشيء أبداً ، وكان يشهد في الجامع مع العامة ، فحضر الجامع على عادته ، فثار به من الباطنية (٨) ما يزيد على عشرة أنفس ، فقتل بيده منهم ثلاثة ، وقتل رحمه الله .

وكان خيراً عادلاً ، لين الأخلاق ، حسن العشرة مع أصحابه . حكى (٩) لي والدي رحمه الله تعالى ، قال : حكى بعض الغلمان الذين يخدمون البرسقي ، قال : كان يصلي كل ليلة صلاة كثيرة ، وكان يتوضأ هو بنفسه ولا يستعين بأحد . قال : فرأيته بعض ليالي الشتاء بالموصل ، وقد قام من فراشه ، وعليه فرجية وبر صغيرة وبيده إبريق نحاس وقد قصد دجلة (٣٨ - أ) ليأخذ ماء يتوضأ به ، فلما رأته قمت إليه لآخذ الإبريق من يده ، فمغنى وقال : يامسكين إرجع إلى مكانك فإنه برد ، فاجتمدت به لآخذ الإبريق من يده فلم يفعل ، ولم يزل حتى ردتني إلى مكاني . ثم توضأ ووقف يصلي (١٠) . وذكر لي من أحواله الحسنة أشياء لم أطول بذكرها .

(١) في ، الكامل (٣٢٢/ص/٨/ح) . رابع شهر ربيع الآخر . (٢) الإضافة من ، الكامل (٣٢٢/ص/٨/ح) .  
 (٣) بالأصل : فلم يراق . (٤) في الكامل (٣٢٣/ص/٨/ح) أن عماد الدين ولي شحنة بغداد في شهر ربيع الآخر سنة ٥٢١ . (٥) في الكامل (٣٢٠/ص/٨/ح) أن البرسقي قتل يوم الجمعة نامن ذي العقدة من السنة . (٦) الإضافة من الكامل (٣٢٠/ص/٨/ح) . (٧) بالأصل : منها . (٨) والتصحيح من الكامل ، (٣٢٠/ص/٨/ح) .  
 (٩) بالأصل : الباطنة . (١٠) أسقط « دي سلين » قصة العلام من نسخه .  
 وقد ذكر أنه أسقطها عمداً ، لأنه من غير المعقول حدوثها .



## ذكر ولاية ابنه عز الدين مسعود ووفاته

لما قتل البرسقى ، قام بالموصل بعده ابنه عز الدين مسعود (١) ، وأرسل (٢) إلى السلطان يطلب أن يقرر البلاد عليه ، فأجابه إلى ذلك وأقره على ما كان لأبيه من الأعمال ، فضبط البلاد وقام فيها المقام المرضى ، وكان شاباً عاقلاً ، فجمع عساكر أبيه وأحسن إليهم ، وكان يدبر الأمرين يديه الأمير جاولى - وهو مملوك تركى من ممالك أبيه - وكان أيضاً عاقلاً حسن السيرة ، فجرت الأمور على أحسن نظام ، فلم تطل أيامه ، وأدركه في عنفوان شبابه حمامه ( ٣٨ - ب ) وتوفى سنة إحدى وعشرين وخمسمائة (٣) . فولى بعده أخوه الأصغر ، وقام بتدبير دولته جاولى أيضاً ، وأرسل إلى السلطان يطلب أن يقرر البلاد عليهم ، وبذل أموالاً كثيرة .

## ذكر ولاية المولى الشهيد عماد الدين زنكى الموصل

### وسائر بلاد الجزيرة (٤)

تبتدىء قبل ذكر مملكة البلاد ، بذكر الحال التي كان عليها المسلمون من الوهن والضعف ، والمشركون من القوة ، فنقول : لما ملك المولى الشهيد البلاد ، كان الفرنج قد اتسعت بلادهم ، وكثرت أجنادهم وعظمت هيبتهم ، وزادت صولاتهم ، وتضاعفت سطوتهم ، وعلا شرهم ، واشتد بطشهم ، وامتدت إلى بلاد الإسلام أيديهم ، وضعف أهلها من كف عاداتهم (٥) ، وتتابعت غزواتهم ، وساموا المسلمين سوء العذاب ، وركبوهم بالتيار والتباب ، واستنظار في البلاد شر شرهم ، وعم أهلها شديد حيفهم (٦) وعظيم قهرهم ، فنجوم سعد المسلمين منكدره ، وسماء ( ٣٩ - أ ) عزهم منقطرة ، وشمس إقبالهم مكورة ، ورايات المشركين خلال ديار الإسلام منشورة ، وأنصارهم على أهل الإيمان منصوره .

وكانت مملكة الفرنج حينئذ قد امتدت من ناحية ماردين (٧) وشبختان إلى عرش مصر ، لم يتخلله من ولاية المسلمين غير حلب ، وحمص ، وحمات ، ودمشق ، وكانت سراياهم تبلغ من ديار بكر إلى آمد (٨) ، فلم يبقوا على موحد ولا جاحد . ومن ديار الجزيرة إلى نصيبين (٩)

(١) في الكامل (٨/ص/٣٢٠) ، أن مسعوداً كان يحب إيجفظها من الفرنج حين قتل أبوه . فلما بلغه خبر مقتله سار إلى الموصل ودخلها في أول ذي الحجة سنة ٥٢٠ . (٢) بالأصل : أرسل . (٣) في الكامل (٨/ص/٣٢٣) أن مسعوداً طمع في التغلب على بلاد الشام وسار بعساكره يريد دمشق ، فابتدأ بالرحبة وحاصرها ، فمضى أثناء الحصار ، ومات بعد أن تسلم قلعتها بساعة واحدة . (٤) بالأصل : وسائر البلاد جزيرة العرب . (٥) بالأصل : أعادتهم . (واللفظ المثبت هنا أصوب من لفظ النص . والعادية : الظلم والشر - مختار الصحاح) . (٦) بالأصل : حيفهم . (٧) ماردين : في (ياقوت) : قلعة مشهورة على قنة جبل الجزيرة ، مشرفة على دنيسر ، ودارا ، ونصيبين وذلك القضاء الواسع ، وقدامها برض عظيم . (٨) آمد : في (ياقوت) : هي أعظم مدن ديار بكر وأجلها قدراً وأشهرها ذكراً . وهي بلد قديم حصين ركين مبنى بالحجارة السود . وعلى نزهه دجلة محيطة بأكثره ، مستديرة كلاله ، وفي وسطه عيون ماء وآبار قريبة نحو الذراعين يتناول ماعها باليد ، وفيها بساتين ونهر ، يحيط بها السور . (٩) نصيبين : في (ياقوت) : مدينة عامرة من بلاد الجزيرة ، على جادة القوافل من الموصل إلى الشام . بينها وبين سنجار تسعة فراسخ ، وبين الموصل ستة أيام ، وبين دنيسر يومان .

ورأس العين (١) ، فاستأصلوا ما لأهلها من أثاث وعين .

وأما (٢) الرقة (٣) وحران (٤) ، فقد كان أهلها (٥) معهم في ذل وصغار ، واستضعاف واقتسار ، كل يوم قد أذاقوهم البوار ، ومنعوهم القرار ، وألصقوا بهم الصغار ، فهم ينادون بالويل والشبور ، ويودون لو أنهم من ساكني القبور .

وانقطعت الطرق إلى دمشق إلا على الرحبة (٦) والبر ، فكان التجار والمسافرون (٧) يلقون من المخاوف ، وركوب المفازة تعباً ومشقة ونصباً ، ويخاطرون بالقرب (٣٩ - ب) من العرب بأموالهم وأنفسهم .

ثم زاد الأمر ، وعظم الشر ، حتى جعلوا على كل بلد جاورهم خراجاً وإتاوة ، يأخذونها منهم ليكفوا أيديهم عنهم ، ثم لم يقنعوا بذلك ، حتى أرسلوا إلى مدينة دمشق واستعرضوا الرقيق من أخذ من الروم والأرمن وسائر بلاد النصرانية ، وخيروهم بين المقام عند أربابهم أو العود إلى أوطانهم ، والرجوع إلى أهلهم وإخوانهم ، فمن اختار المقام تركوه ، ومن آثر العود إلى أهله أخذوه ، وناهيك بهذه الحالة ذلة للمسلمين وصغاراً ، وللكافرين قدرة واقتساراً .

وأما حلب فإنهم أخذوا مناصفة (٨) أعمالها حتى في الرجا التي (٩) على باب الجنان ، وبينها وبين المدينة نحو عشرين خطوة .

وأما باقى بلاد الشام ، فكان حالها أشد من هذين البلدين .

فلما نظر الله تعالى إلى ملوك البلاد الإسلامية وأمراء (١٠) الملة (١١) الحنيفية ، وما هم فيه من العجز عن نصره الدين ، والوهن في (٤٠ - أ) حماية الموحدين ، ورأى قهر عدوهم لهم وشدة صوله ، وما نصب عليهم من ظل نكاله وويله ، إرتاح (١٢) للإسلام وأهله ، وأنف لهم من إذلال عدوهم لهم وأسرهم وقتلهم ، فحينئذ أراد أن يسلط على الفرنج من بسوء أفعالها يجازيها ، ويرسل على شياطين الصليبان رجوماً منه تهلكتها وتفنيها ، فنظر في جريدة شجعان أوليائه ، وذوى الرأي

(١) رأس العين : في ( ياقوت ) : رأس عين ، والعاملة تقول : رأس العين . وهي مدينة كبيرة مشهورة من مدن الجزيرة ، حران ونصيبين ودينيسر . وبينها وبين نصيبين خمسة عشر فرسخاً ، وقريب من ذلك بينها وبين حران . وهي إلى دنيسر أقرب ، بينها نحو عشرة فراسخ . وفي رأس عين ، عيون كثيرة عجيبة صافية تجتمع كلها في موضع فتصير نهر الخابور .  
(٢) بالأصل : وأما أهل . ( وقد أسقط المحقق اللفظ : أهل ، لعدم ضرورته ، وهو تكرار لما بعده ) .  
(٣) الرقة : في ( ياقوت ) : بفتح أوله وثانيه وتشديده . مدينة مشهورة على الفرات بينها وبين حران ثلاثة أيام . معدودة في بلاد الجزيرة لأنها من جانب الفرات الشرق . (٤) حران : في ( ياقوت ) : مدينة عظيمة مشهورة من جزيرة أفراس . وهي قصبه ديار مضر . بينها وبين الرها يوم ، وبين الرقة يومان ، وهي على طريق الموصل والشام والروم . (٥) بالأصل : أهلها . (٦) الرحبة : في ( ياقوت ) : رحبة مالك بن طوق . بينها وبين دمشق ثمانية أيام ، ومن حلب خمسة أيام ، وإلى بغداد مائة فرسخ ، وإلى الرقة نيف وعشرون فرسخاً . وهي بين الرقة وبغداد على شاطئ الفرات ، أسفل من قرقيسيا . (٧) بالأصل : المسافرين . (٨) بالأصل : مباذعه . (٩) بالأصل : الذي . (١٠) بالأصل : وأمر . (١١) بالأصل : ملة . (١٢) هكذا بالأصل .

والنجده والشهامة من أصفياه ، فلم ير (١) فيها أقوى على هذا الأمر من المولى الشهيد عماد الدين زكي ولا أثبت جنانا ، ولا أمضى عزما ، ولا أنفذ سنانا ، فولاه الشغور ، ورعاية الجمهور ، كما يقول [ القائل ] :

رماها بحرب منه حتى كأنما بدعوة نوح في العصاة رماها  
أخى الحرب يصلبها بنفس كأنما تراحم في ضنك الوغى بسواها  
كتاب تزهى بالفتوح كأنما تبارى النجوم الطالعات قناها

فغزا الفرنج في عقر ديارهم ، وأخذ للموحدين منهم بثأرهم (٤٠ - ب) فأصبحت أهلة الإسلام مبدرة بعد سرارها ، وشموس الإيمان منيرة بعد ظموس أنوارها ، وماس المسلمون في حلل من النصر فضفاضة ، ووردوا مناهل (٢) من الظفر فياضة ، واستنقذوا من أهل التثليث حصونا ومعاقل ، وجازوهم بما أسلفوا من الدخول والطوايل ، وألقى التوحيد بالديار الجزرية والشامية جرانه ، وبث فيها أنصاره وأعوانه ، وفرح بنصر الله واستبشر ، وقال ، يا أهل الشرك لا عاصم اليوم من أنصاري ولا وزر . فعبس الكفر وبسر ، ثم أدبر خاضعا ولم يستكبر ، فيالها نعمة عمت التوحيد وأهله ، ونقمة مزقت من الشرك شمله ، وسترى (٣) ما أجهلناه مفصلا ، وما اختصرناه مطولا . هذا (٤) سوى مكارم أخلاق إدراع جلبابها ، وحسن سياسة اعتلق بمحكم أسبابها ، يرد ذكرها عند قتله قدس الله روحه ونور ضريحه .

وأما ملكة البلاد ، ففي شهر رمضان من سنة إحدى وعشرين وخمسمائة . قال : تولى عماد الدين زكي بن آقسنقر (٤١ - أ) الموصل ، وديار الجزيرة ، ونصيبين وما كان بيد البرسقي . وكان سبب ذلك أن عز الدين مسعود [ بن البرسقي ] لما توفى وقام بالبلاد بعده أخوه ، وتولى أمره جاولي ، أرسل إلى السلطان محمود يطلب أن يقرر البلاد عليه ، كما ذكرنا . وكان واسطة ذلك القاضي بهاء الدين أبا الحسن علي بن الشهرزوري وصلاح الدين محمد الياغيسيانى (٥) ، فحضرا [ إلى ] بغداد ليخاطبا السلطان في ذلك ، وكانا (٦) يخافان جاولي ولا يرضيان بطاعته والتصرف بحكمه ، فاجتمع [ صلاح (٧) ] الدين ونصير الدين جهر - الذي (٨) كان أعظم أصحاب أتاك زكي منزلة - وكان بين نصير الدين وصلاح الدين مصاهرة ، فذكر له صلاح الدين ما قدم له ، فخوفه نصير الدين (٩) من جاولي وتحكمه على صاحبه ، وقال له : إن رأيت أن تطلب البلاد لعهد الدين فهو الرأي ، لأن السلطان صورة وأنا وأنت معنى ، فأجابته إلى ذلك وأخذه إلى القاضي بهاء الدين

(١) بالأصل : يرى . (٢) بالأصل : مناهيل . (٣) بالأصل : وسرى . (٤) بالأصل : هذاى .  
(٥) كان صلاح الدين أمير حاجب البرسقي . (الكمال ، ج ٨ / ص ٣٢٤) .  
(٦) بياض بالأصل . (والإضافة من الكمال ، ج ٨ / ص ٣٢٤) .  
(٧) بالأصل : زين الدين . (والتصحيح من النص نفسه) .  
(٨) بالأصل : الدين .  
(٩) بالأصل : زين الدين .

ابن الشهرزورى وتحدثا معه ووعدته (٤١ - ب) نصير الدين ومناه، وضمن له عن عماد الدين من الأملاك والإقطاع والوقوف على اختياره ما جاوز أمله، فأجاب بهاء الدين أيضاً، وركب هو وصلاح الدين إلى دار الوزير - وهو حينئذ أنوشروان بن خالد - فقال له: قد علمت أنت والسلطان أن بلاد الجزيرة والشام قد استولى الفرنج [عليها] وتمكنوا منها وقويت شوكتهم، وقد كان البرسقى يكف بعض عاديتهم (١)، فذقتل إزداد طمعهم، وهذا ولده طفل، ولا بد للبلاد من شهيم شجاع يذب عنها ويحمي حوزتها، وقد أنهينا الحال إليك، لثلاثاً (٢) يجرى خلل أو وهن على الإسلام والمسلمين، فنحصل نحن بالإثم من الله، واللوم من السلطان. فأنهى (٣) الوزير ذلك إلى السلطان، فقال: من تريان يصلح لهذه البلاد، فقد نصحتنا (٤) الله تعالى وللمسلمين، فذكر جماعة فيهم عماد الدين زنكى وعظما محله أكثر من غيره (٥)، قال السلطان إلى توليته، لما (٦) علم من شهامته وكفايته وعقله لما تولاه، (٤٢ - أ) وأمره (٧) بالحضور عنده، وفصل الحال في خدمة يحملها، واستقر الحال وولاه (٨) البلاد جميعها (٩)، وكتب منشوره إلى بغداد (١٠).

وسار [زنكى] إلى البوازنج لملكها ويتقوى بها، ويجعلها ظهره إن [صدته (١١)] جاولى عن البلاد. فلما استولى عليها سار عنها إلى الموصل، فحين أن [اتصل خبر] وصوله بجاولى، خرج إلى لقائه ومعه العسكر جميعه، فلما رأى الشهيد، نزل عن فرسه وقبل الأرض، ثم قبل يده وعاد في خدمته، فأقطعه الشهيد الرحبة وأعمالها وسيره إليها. وأقام هو [بالموصل (١٢)] إلى أن يصلح أمورها ويقرر قواعدها، فولى نصير الدين دزدارية (١٣) قلعة [الموصل (١٤)] وفوض إليه أمر الولاية جميعها، وجعل الدزدارية (١٥) في [قلع (١٦)] البلاد لنصير الدين [أيضاً]. وجعل صلاح الدين الياغيسيانى أمير حاجب، وجعل بهاء الدين قاضى قضاة بلاده جميعها وما يفتحه من البلاد، ووفى لهم بما وعدهم. وكان بهاء الدين أعظم الناس عنده منزلة وأكثرهم (٤٢ - ب) انبساطاً معه وقرباً منه، ورتب الأمور على أحسن حال وأحكم قاعدة.

- (١) بالأصل: قد علم عاديتهم (والتصحيح من، الكامل، ح/٨/ص/٣٢٤). (٢) بالأصل: لا (٣) بالأصل: فانها. (٤) بالأصل: نصحتها. (٥) بالأصل: غير. (٦) بالأصل: ولما. (٧) بالأصل: وأمرها. (٨) بالأصل: وولى. (٩) فى ابن واصل (ح/١/ص/٣٣)، أن السلطان محموداً عهد إلى عماد الدين بترية ابنه الملك أب أرسلان المعروف بالحجاجى، فأخذ عماد الدين معه إلى الموصل. وقد أشار ابن الأثير إلى ذلك فيما يلى، فى خبر مقتل نصير الدين جقر سنة ٥٣٩. (١٠) فى ابن خلكان (ح/٦/ص/٣٣) ترجمة عماد الدين زنكى - نشر محمد فريد رفاعى. أنه لما ثوى عز الدين مسعود، عزم السلطان محمود على تسليم الموصل إلى دبس بن صدقة الأسدى صاحب «الحلة»، فأنسكر الخليفة المسترشد عليه ذلك، واستدعى رسول الموصل وقرر معها تولية عماد الدين عليها، وبذل الخليفة للسلطان مائة ألف دينار ترضية له، ومن ثم أصدر السلطان مرسوماً بتولية عماد الدين على الموصل. (١١) بالإضافة من الكامل (ح/٨/ص/٣٢٤). (١٢) بالإضافة من الكامل (ح/٨/ص/٣٢٤) (١٣) الدزدار: (بضم الدال وسكون الزاى وفتح الدال المهملة وبعد الألف راء). لفظ أعجمى معناه: حافظ القلعة، وهو الوالى. (ابن خلكان، ترجمة صلاح الدين الأيوبي). (١٤) بياض بالأصل. (والإضافة من، الكامل، ح/٨/ص/٣٢٤). (١٥) بالأصل الدزدارية.

## ذكر ملكة جزيرة ابن عمر (١)

لما فرغ الشهيد رضى الله عنه من أمر الموصل ، وتقرير قواعد (٢) الجنود وأقطع العساكر ، سار (٣) نحو جزيرة ابن عمر ، فحصرها وبها بعض (٤) [عمالك (٥)] البرسقى ، فامتنع بها ثقة بخصانتها وظناً منه أنها تحميه ، فراسله عماد الدين (٦) وبذل له ورغبة فلم يصنع إلى ذلك ، فحينئذ جد الشهيد فى قتالها ، وبينه وبين البلد الدجلة ، فأمر الناس فألقوا أنفسهم فى دجلة ، بعضهم سباحة (٧) ، وبعضهم فى السفن ، وتكاثروا على أهل الجزيرة ، وكانوا قد خرجوا عن البلد إلى أرض بين البلد وبين دجلة تعرف بالزلاقة ، ليمنعوا من يريد عبور دجلة ، فاقتملوا هم والعساكر قد عبروا الماء ، فانهزم عسكر الجزيرة ، وملك عسكر عماد الدين ، فلما رأى من بالبلد ذلك ، أيقنوا أن البلد يؤخذ عنوة إن لم يأمنوهم ، فأرسلوا (٤٣ - أ) إلى عماد الدين - وكان قد عبر دجلة أيضاً مع عسكر - وطلبوا منه الأمان وقاعدة تقرر (٨) بينهم ، فأجابهم إلى ذلك ، وتسلم البلد ودخله هو وعسكره ، فاتفق أن دجلة زادت تلك الليلة زيادة عظيمة ، حتى التصق (٩) الماء بسور البلد وصعد (١٠) فيه أكثر من قامة ، وامتلات (١١) الزلاقة بالماء ، فلو تأخر دخول الشهيد إلى البلد يومهم ذلك ، لغرقهم الماء عن آخرهم ولم ينبج منهم أحد . فلما رأى ذلك الناس ، أيقنوا بسعادته ، وعلمو أن أموراً - هذه بدايتها - لعظيمة .

## ذكر ملكة البلاد الجزرية بقوة واقتدار (١٢)

قال : فلما فرغ من أمر جزيرة ابن عمر ، سار عنها إلى نصيبين - وكانت لحسام الدين تمر تاش ابن إيلغازى [ بن أرتق ] صاحب ماردين وغيرها - فلما نازلها الشهيد ، سار حسام الدين إلى ابن عمه ركن الدولة داود بن سقمان [ بن أرتق ] ، صاحب حصن كيفا (١٣) يستنجده على دفع أتاك (٤٣ - ب) عن نصيبين ، فوعده النجدة وجمع عساكره ، وعاد حسام الدين إلى ماردين ، وسير رقاعاً (١٤) على أجنحة الطيور إلى نصيبين ، يعلم من بها من الأجناد أنه وابن عمه ركن الدولة سائران [ إليهم (١٥) ] فى العساكر الكثيرة ، ويأمرهم بحفظ البلد ثلاثة (١٦) أيام ، فبينما أتاك الشهيد فى خيمته إذ رأى طائراً قد سقط على خيمة تجاورها ، فأمر بصيده فاصطيد ، فرأى فيه رقعة ففتحها ،

(١) بالأصل : جزيرة ابن عمر بن الخطاب . (٢) بالأصل : قواعدها . (٣) بالأصل : ساير .  
(٤) بالأصل : بعد . (٥) الإضافة من ، الكامل ، ( ٣٢٤/ص/٨/ح ) . (٦) بالأصل : زين الدين .  
(٧) بالأصل : بسباحه . (٨) بالأصل : تقرر . (٩) بالأصل : التصقت . (١٠) بالأصل :  
وصعدت . (١١) بالأصل : واستمرت الزلاقة بالماء . واللفظ : استمرت ، لا معنى له فى الجملة ، واللفظ  
المثبت هنا أقرب الألفاظ للمعنى الذى يعنيه ابن الأثير .  
(١٢) بالأصل : واقتدارا . (١٣) حصن كيفا : فى (ياقوت) : ويقال ' حصن كيبا . وهى بلدة وقاعة عظيمة  
مشرفة على دجلة بين آمد وجزيرة ابن عمر من ديار بكر . (١٤) بالأصل : رقاقا . (١٥) الإضافة من  
الكامل ( ٣٢٥/ص/٨/ح ) . (١٦) فى الكامل ( ٣٢٥/ص/٨/ح ) : خمسة أيام .

وإذا هي الزقعة المذكورة ، فأمر فكتب غيرها ، يقول فيها : من حسام الدين ، إنني قد قصدت ابن عمي ، وقد وعدني بالنصرة والمسير في العساكر ، وما يتأخر وصوله إلينا أكثر من عشرين يوماً ، ويأمرهم بحفظ البلد في هذه المدة ، وشدها على جناح الطائر وأرسله ، فلما رأى من فيه الرقعة ، خافوا على نفوسهم ، وعلموا أنهم يعجزون عن حفظ البلد هذه المدة ، فأرسلوا إلى الشهيد وصانعه وسلموا إليه القلعة ، فبطل على داود وتم تاش ما كانوا عزموا عليه . وقد جرى مثلها (٤٤ - أ) للمولى السعيد نور الدين أرسلان شاه على نصيبين أيضاً سنة أربع وتسعين وخمسمائة ، ونحن نذكرها إن شاء الله تعالى في موضعها (١) .

قال . فلما تسلم الشهيد نصيبين ، سار عنها إلى سنجار ، فامتعت عليه وقاتله من بها ، ثم إنهم سلبوها إليه واتصلوا بخدمته ، وسير منها الشحن (٢) إلى الحابور (٣) فلما جمعه . ثم سار إلى حران - وكانت الرها وسروج وغيرهما من ديار الجزيرة للفرنج لعنهم الله - وأهل حران معهم في ضيق عظيم ، لخلو البلاد من حام يذب عنها (٤) أو سلطان يمنعها (٥) ، فلما سمعوا بملك الشهيد البلاد واستيلائه عليها ، وإذعان من بها إليه ، قويت نفوسهم ، وعلموا أنهم قد أتاهم نصر من الله وفتح قريب ، فرأسوه (٦) بالطاعة ، واستحثوه على الوصول إليهم ، فسار نحوهم (٧) مجداً حتى نزل بساحتهم ، فاستبشروا بقدومه ، وخرجوا إلى لقائه ، فوعدهم ومناهم .

(٤٤ - ب) وأرسل إلى جوسلين صاحب الرها وغيرها من البلاد التي بيد الفرنج بالجزيرة وهادنه مدة يسيرة ، يعلم أنه يفرغ فيها من الاستيلاء على ما بقي له من البلاد الشامية والجزرية وإصلاح شأنها ، والفرغ من إقطاع بلادها لجند يختبرهم ويعرف نصحتهم وشجاعتهم . وكان أهم الأشياء عنده عبور الفرات وملك مدينة حلب وغيرها من البلاد الشامية ، فاستقرت قاعدة الصلح بينه وبين جوسلين على ما اختاره .

## ذكر ملكة مدينة حلب وحماة

كان الفرنج خذلهم الله تعالى قد استضعفوا بلاد الشام الإسلامية ، فتابعوا الغارات على أهلها وقصدوها محاصرين لها لخلوها من حام ومانع ، وقد قوى طمعهم في ملك ما بقي في يد المسلمين

(١) بالرجوع إلى خبر استيلاء نور الدين أرسلان شاه على نصيبين سنة ٥٩٤ هـ ، في « النص » و « الكامل » لم نجد فيه ذكر مكيدة من نوع ما صنع عماد الدين أو غيرها من المكائد .  
(٢) الشحن : جماعات من الفرسان . وفي (لسان العرب) : بالبلد شحنة من الخيل ، أي رابطة . (٣) الحابور : في (ياقوت) : اسم لنهر كبير بين رأس عين والفرات من أرض الجزيرة . والحابور أيضاً ولاية واسعة وبلدان حمة غلب عليها اسمه فنسبت إليه من بلاد قرقيسيا ، وما كسين ، والمجدل ، وعربان . والحابور ، خابور الحسينية من أعمال الموصل في شرق دجلة ، وهو نهر من الجبال عليه عمل واسع وقرى في شمال الموصل في الجبال ، له نهر عظيم يسمى عمله ، ثم يصب في دجلة ، ويخرجه من أرض الزوزان . (ولعل ابن الأثير يقصد أن عماد الدين استولى على خابور الحسينية ، وهو الأقرب إلى الواقع) . (٤) بالأصل : عنهما . (٥) بالأصل : يمنعها . (٦) بالأصل : فرأسوا . (٧) بالأصل : نحوهم .

من البلاد، لا يعلمون ما أعده الله سبحانه في سر الغيب، وما قدره من الإنتقام منهم وإدالة المسلمين عليهم، ليذهب غيظ (٤٥ - أ) قلوبهم. ويشف صدور قوم مؤمنين.

وكان الفرنج يقاسمون أهل حلب على رحا يباب الجنان، بينها وبين المدينة أذرع يسيرة. فلما سمع من بها بعماد الدين وقربه منهم، راسلوه يستغيثون به ويستنصرونه، وأذعنوا له بالطاعة، فسار إليهم فلما عبر الفرات، ملك مدينة منبج، وحصن بزاعة (١) وسار إلى حلب، فالتقاه أهلها وأظهروا من الفرح والسرور به ما لا يعلمه [إلا] الله سبحانه وتعالى، وكان ملكه لها سنة اثنين وعشرين وخمسمائة (٢). ولولا أن الله تعالى من على المسلمين بولاية الشهيد، لكان الفرنج قد استولوا على الشام جميعه، فإنهم كانوا لهم من أتابك طغديكين شاغل ومانع عن بعض أغراضهم، وكانوا امتي حصر واحلب وغيرها جمع طغديكين عسكره وسار نحوهم فيرحلون، فقدر الله تعالى أنه توفي سنة اثنين وعشرين وخمسمائة نغلت البلاد بالمرّة، وصح قول النبي صلى الله عليه وسلم: لم تحل البلاد من قائم (٤٥ - ب) لله بنصر دينه، واطف الله بالمسلمين بعده، وولى الشهيد قدس الله روحه. ولما ملكها أقام بها ليقرر (٣) قواعدها، ويصلح أمورها، ويعمر ما خرب من بلدها بتوالي غارات الفرنج عليها (٤) ففرغ من جميع ما أراده (٥).

وفي سنة ثلاث وعشرين [ وخمسمائة ] . سار إلى حماة فملكها (٦).

## ذكر الحرب بين الشهيد أتابك وبين الملوك الأرتقية (٧)

وملك مدينة سرجة ودارا وما إليهما

في سنة أربع وعشرين وخمسمائة، اجتمع ركن الدولة داود بن سقمان صاحب الحصن وغيره (٨) وحسام الدين تمر تاش بن إيلغازي - وهو ابن عم داود - وانضم إليهما (٩) صاحب آمد (١٠) وغير من ذكرنا، وجمعوا من الأمراء من انتهت قدرتهم إلى جمعه ومن (١١) العساكر والتركمان، وكان داود مطاعا في التركمان، حتى أن نشابته كانت إذا وصلت حلة منهم، تبرك بها رجالهم ونساؤهم فاستمدهم واستنجدهم، فجاءوه على الصعب والذلول، فاجتمعوا في نحو عشرين ألف مقاتل،

(١) بزاعة: في (ياقوت): سمعت من أهل حلب من يقوله بالضم والكسر. ومنهم من يقول: بزاعا، بالفصر. وهي بلدة من أعمال حلب في وادي بطنان، بين منبج وحلب، وبين كل واحدة منهما مرحلة. وفيها عيون ومياه جارية وأسواق حسنة. (٢) في، الكامل (ح/٨/ص/٣٢٦) أنه ملكها في أول الحرم من السنة. (٣) بالأصل: ليقرر. (٤) بالأصل: عليه. (٥) في ابن واصل

(ح/١/ص/٤٠) أن عماد الدين، بعد أن استولى على حلب، سار منها إلى خدمة السلطان محمود في تجهل عظيم، ثم عاد إلى الموصل ومعه منشوره بالجزيرة والشام وما اتصل بهما، بعد أن يحمل للسلطان وأصحابه ما يزيد على مائة وعشرين ألف دينار. وفي ابن العديم (ح/٢/ص/٢٤٣)، أن عماد الدين سار إلى السلطان بعد استيلائه على حماة، ثم عاد « بالتواقيع السلطانية بملك الغرب ». (٦) في الكامل (ح/٨/ص/٣٢٩) تفاصيل استيلاء عماد الدين عليها غدرآ. (٧) بالأصل الأرتقية. (٨) بالأصل: وغيرها. (٩) بالأصل: إليهم. (١٠) هو سعد الدولة أبو منصور إيكليدي بن شجر الدولة إبراهيم. (ابن واصل، ح/١/ص/٥٤). (١١) بالأصل: من.

(٤٦ - أ) وسار إليهم الشهيد ولقيهم بالقرب من دارا (١) - وهي لهم أيضا - فاقتلوا قتالا شديدا ، صبر [فيه] عسكر الشهيد - وهم نحو أربعة آلاف فارس - لشجاعتهم ، وصبر عسكر الأرتقية لكثرتهم ، ثم انجملت الواقعة عن هزيمة الأرتقية ، فلما انهزموا حصر سرجة (٢) فملكها وانتقل إلى دارا فملكها أيضا . فحكى لى والدى ، قال : لما انهزموا سار ركن الدولة داود من المعركة ومعه من سلم من عسكره ، فقصد بلد جزيرة ابن عمر فتهبه وأخربه ، وبلغ الخبر إلى أتابك فसार نحو الجزيرة ، وأراد أن يتبعه إلى ديار بكر ، فلم يمكنه لضيق المسالك وخشونة الطريق بها ، ومع هذا فجميعها لداود ، يخاف أن يمسك عليه المضايق ويناله أذى . ثم إنه صالح القوم وعاد عنهم .

### ذكر فتح حصن الأثارب من الفرنج (٣)

لما فرغ الشهيد قدس الله روحه ، من أمر الملوك الأرتقية وصالحهم وأمن ناحيتهم ، سار إلى الشام ، وقد جمع واحتشد ، وأعد واستعد ، وصمم العزم على الجهاد ، وإجلاء أهل الزيغ والعناد ، وإعلاء كلمة (٤٦ - ب) الله تعالى ، وإدحاض كلمة الشيطان ، وتسليط أهل الحق على عباد الطاغوت وأتباع الصلبان ، وقصد إلى حصن الأثارب (٤) ، ونازله ، وأنزل بأهله التثريب ، وعم بلادهم بالنهب والإحراق والتخريب . وكان هذا الحصن أضر شيء على أهل حلب ، وكانوا مع من فيه من الفرنج ما بين حرب وخرب (٥) . وقد اجتمع فيه من فرسان الفرنج وذوى البأس ، كل معروف بشدة المراس ، إذ هو من أخطر ثغورهم ، وهو من المسلمين في نخورهم ، فتابع الشهيد قتالهم ، وأدمن نزالهم ، وصب عليهم العذاب من كل مكان ، ولاذربه من سطوته وبأسه بالجدران (٦) ، وعمهم الرعب فصاروا يحسبون كل صيحة أنى تسلكون ، وسقط في أيديهم وضل عنهم ما كانوا يفترون ، ومع هذا فقد حفظوا حصنهم وأحسنوا الذب عنهم وعنه . فلما علم ملك (٧) الفرنج الحال ، جمع الفرسان الفرنجية واستشارهم في الذى يصنعون ، وبأى حيلة فى دفعه عن بلادهم يدافعون (٤٧ - أ) فأما أهل الغرة والجهل فهونوا حاله ، وبدلوا من أنفسهم قتاله ، ظناً منهم أنه كمن تقدم من الملوك ، لا يستعملون غير الفرار من الزحوف ، والاحتباء بعريض

(١) دارا : فى ( ياقوت ) : تقع بين نصيبين وماردين فى لحف جبل . (٢) سرجة : فى ( ياقوت ) :  
 بفتح أوله وسكون ثانيه وجيم . يشبه أن تكون كلمة فارسية من « سرجة » ومعناه « رأس البئر » وهو حصن  
 بين نصيبين ودينسر ودارا ، من بناء الروم القديم ، وهو باق إلى الآن ( أى إلى زمن ياقوت ) يسكنه الفلاحون ،  
 رأيتـه . فى طوله ستة أبراج ، وفى عرضه مما يلي الطريق أربعة أبراج . (٣) فى ، الكامل ( ٨ / ص / ٣٣١ )  
 أن فتح حصن الأثارب ، كان قبل حرب الأرتقية . (٤) حصن الأثارب : فى ( ياقوت ) : الأثارب ، قلعة  
 معروفة بين حلب وأنطاكية ، بينها وبين حلب نحو ثلاثة فراسخ . (٥) بالأصل : بين حرب وحرب . ولعل  
 اللفظ : حرب ، الذى اثبتناه هو الذى أرادـه ابن الأثير . (٦) بالأصل : الجدران . (٧) كان ملك  
 الفرنج فى ذلك الوقت ، الملك فولك ، ملك بيت المقدس . ( حنبلى : نور الدين والصلبيون ، ص / ٢٤ ) .



الأسوار لا بحداد الأسنة ورقاق السيوف ، فعارضهم بعض من حضر من شياطينهم وذوى (١) الرأى والتجربة من طواغيمهم ، وقال : إني أرى (٢) شرراً سيكون له ضرام ، ودخاناً تحته شواظ ، أليس هذا الغضنفر (٣) الذى أثر فى طبرية بمفرده ما أثر ، فكيف به اليوم وهو فى عدة وعديد ، ومتطوعة وجنود ، فالقوا قناع التواني ، ولا تسيروا إلى دفعه سير السوانى (٤) ، فلا بد لهذا العارض (٥) أن يملاً بسيله الوادى ، ولهذا النار أن تعم بشرها النادى ، ولهذا الإقدام أن يصل ضرره إلى الحاضر والبادى ، ولئن لم نلقه (٦) بجموع ننتصف منه بها ، ونلحقه بمن تقدمه من مقدمى الجيوش ، لىكون لنا منه يوم عصيب ، ولأى أخذن للمسلمين منا بأوفر نصيب . فحينئذ (٤٧ - ب) إهتموا بجمع الفرسان والأجناد ، وأحضروا من فى أطراف (٧) البلاد ، وجمعوا الدانى والقاصى ، والمطيع والعاصى ، وأقبلوا فى جموعهم المحشورة ، وعساكرهم المجرورة ، وأعلامهم المنشورة ، وصلبانهم وبنودهم ، وملوكهم وفرسانهم وكنودهم (٨) ، وجاءوا إليه وقد غص بهم من الأرض جنوبها ، وامتلاً منهم شمالها وجنوبها ، هذا والرعب قد ألقاه الله فى قلوبهم فهم منه وجلون ، والخوف قد عم رئيسهم ومرءوسهم فهم منه خائفون ، يقدمون فى مسيرهم رجلاً ويؤخرون أخرى ، ويعتقدون أن المقام بهم أولى وأحرى (٩) ، لكن آجالهم تسوقهم إلى مصارعهم (١٠) فهم نحوها يبرزون ، وكأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون .

فلما تدانى الزحفان استشار المولى (١١) الشهيد وزراه وأمرأه ، فأشار أكثرهم بالعود إلى حلب ، ومطاولة الفرنج إلى أن يتفرقوا ، فقال : هذه خطة (٤٨ - أ) خسف تجربتهم علينا ، وتطمعهم فيما لدينا ، لكن الرأى أن نستعين بالله عليهم ونلقاهم ، فإما لنا وإما علينا (١٢) ، وتأهب للقاءهم ، وسار إلى تلقائهم ، فلم يبعد حتى وافاهم ، ولم يغب الحصن عنه حتى أتاهم ، ونشبت (١٣) الحرب بين الفريقين ، واشتد الطعن والضرب بين الطائفتين ، وحمى الشهيد للإسلام وانتصر ، ولبس لأعدائه جلد النمر ، وصال عليهم وزأر ، وقال لهم ذوقوا من سقر ، وظل يوسعهم بحملاته حطماً ، ويستأصل أركانهم هدماً ، ويجرض أصحابه ويدمنهم (١٤) ، وبتتابع الحملات عليهم يأمرهم .

فحينئذ رأى الفرنج ما قد أحاط بهم من البلاء ، وعمهم من الشدة واللأواء ، علموا أن الهزيمة أصلح لهم من العطب ، وأنى لهم ذلك وقد علققت معالقتها وصر الجندب (١٥) ، وحيل بينهم وبين ما يشتهون ، كما فعل بأشباعهم من قبل ، وكثر فيهم الأسر والقتل .

- (١) بالأصل : وذووا . (٢) بالأصل : أرا . (٣) بالأصل : الغضنفر . (٤) السوانى : جمع سانية . والسانية ، الناضجة وهى الناقة التى يستقى عليها . وفى المثل : سير السوانى : سفر لا ينقطع . (مختار الصحاح) . والمراد هنا فى النص ، السير المتمهل . (٥) العارض : السحاب . (٦) بالأصل : نلقه . (٧) بالأصل : الأطراف . (٨) أنظر الصفحة التالية ، حاشية / ٤ . (٩) بالأصل : واجراى . (١٠) بالأصل : مصارعهم . (١١) بالأصل : المولأى . (١٢) بالأصل : لىتنا . (١٣) بالأصل : وبشت . (١٤) يدمنهم : أى يجرضهم على مداومة القتال . (١٥) الجندب : ضرب من الجراد . (مختار الصحاح) .

فلما تعذرت (١) عليهم الهزيمة ، حووا أنفسهم للثيمة (٢) ، وأمرهم ملوكهم بالصبر والثبات ، والجلاد (٤٨ - ب) عن البنين والبنات ، والآباء والأمهات ، والإخوان والأخوات (٣) ، فحينئذ صدقوا القراع ، وأحسنوا المصاع ، وصال ملوكهم وقمامصتهم (٤) ، وفرسانهم وداوتيتهم (٥) ، وقاتلوا قتال من أيس من النجاة بالإنهمام ، فطلبهم (٦) [زنكى] بصدق القتال والإقدام ، ولقيهم الشهيد لقاء محتسب للأخرة :

فأثبت (٧) في مستتقع الموت رجله وقال لها من تحت أخمصك الحشر (٨)

فقلق هو وأصحابه الهام ، وبروا العظام ، وأجلت الوقعة عن رعوس بلا غلاصم ، وأيد بغير معاصم ، وأخذت سيوف الله من أعناق أعدائه أعقاداً ، وأدركت خيله منهم ثاراً وأحسنت جلاداً ، وأمر الشهيد فيهم بالإثخان ، ومنع من الأسر وإعطاء الأمان ، فلأت جشث القتلى تلك الصحراء في الطول والعرض ، وتأول قوله تعالى ﴿ ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض ﴾ (٩) وقصد أن يملأ قلوبهم رعباً ، ويذعرهم عن البلاد سرباً سرباً ، فلم ينج من المعركة إلا من اتخذ الليل جملاً (٩٤ - أ) أو ابتغى بالإختفاء بين القتلى موتاً (١٠) ، فلما

(١) بالأصل : تعذر . (٢) بالأصل : الليمة . (٣) بالأصل : الحوات . (٤) القمامصة ، جمع قومس . والقومس تعريب حرفي للفظة اللاتينية (Comes) أى الأمير . ومعناها الأصل في اللاتينية « الرفيق » ، لأنه كان في بادى الأمر يرافق الملك في حروبه وتقلاته . ولفظة (Comes) اللاتينية ، هي التي حورت في اللغة الفرنسية إلى Comite . واعتادت المراجع العربية أن تعريبها إلى : « كد » و « كند » و « قند » ، ويجمعونه على كندون . (ابن واصل ، ح / ١ / ص / ٧٣ / حاشية / ١) . (٥) نسبة إلى الديوية ، وهم قوم من الإفرنج يحسبون أنفسهم لجهاد المسلمين ، ويعنون أنفسهم عن النسكاح وغيره . ولهم أموال وسلاح ، واطاعة عليهم لأحد . (النجوم الزاهرة ، ح / ٦ / ص / ٣٣ / حاشية / ٣) . وفى (السلوك ، ح / ١ / ص / ٦٨ / حاشية / ٤) ، أن لاسمهم الإفرنجي Templiers . وأن المسلمين أطلقوا عليهم لاسم « جمعية فرسان المعبد » . وقد أسس هذه الجمعية Hugh de payns سنة ١١١٩ م ، لحماية طريق الحج المسيحيين بين يافا وبيت المقدس ، ثم تحولت إلى هيئة حرية دينية . وكان لرؤسائها وفرسانها شأن كبير في تاريخ الإمارات الإسلامية . ويقول ابن الأثير (الكامل ، ح / ٩ / ص / ٢١٤) ، إن المسلمين كانوا يتقون بعبود الديوية وذلك « لأنهم أهل دين يرون الوفاء » .

وهناك جماعة عربية دينية مسيحية أخرى تعرف عند المؤرخين العرب ، بالإستبارية — وسيرد ذكرهم فيما يلي من النص — وعند الغربيين باسم Hospifellers . وهم أيضاً فرسان مثل الديوية . وفى (السلوك ، ح / ١ / ص / ٦٨ / حاشية / ١) ، أن الإستبارية تأسست سنة ١٠٩٩ م . على يد Blessed Girrard ، بعد استيلاء الصليبيين على بيت المقدس . وكان لهم دار بيت المقدس قبل ذلك بزمن طويل ، مأوى للحجاج والمرضى من المسيحيين ، ثم تحولت إلى هيئة عربية دينية . وكان لرؤسائها وفرسانها شأن كبير في تاريخ الإمارات بالشام . وفى (النجوم الزاهرة ، ح / ٦ / ص / ٣٣ / حاشية / ٢) ، أن الإستبارية طائفة من رجال الدين ، كان مبدأ أمرهم في القرن التاسع الميلادى في إيطاليا ، وتعرف باسم : Notre-Dame de la Scale ، ثم زاد عددهم في الحروب الصليبية لمساعدة الصليبيين من جهة ، والدعاية للفرس الذين من جهة أخرى ، وهم فرق كثيرة مختلفة .

وكان للديوية عدة معاقل وحصون بالشام منها : غزة — وهى معقلهم — وصفد : وبيت الأحزان ، وبيت جبريل (الروضتين ، ح / ١ / ص / ١٩٣ : ح / ٢ / ص / ١١ / ص / ١٢١) . كذلك كان للإستبارية عدة معاقل وحصون ، منها : حصن الأكراد ، والمرقب . (السلوك ، ح / ١ / ص / ١٦١) (٦) بالأصل : فظليها . (٧) بالأصل : واثبت . (٨) بالأصل : الحشرة . والبيت ورد بالأصل نثراً ، وهو من قصيدة للشاعر أبى تمام ، رثى بها محمد بن حميد الطائى ، (٩) سورة الأنفال : ٦٧ . (١٠) بالأصل : مؤيلا .

استقر له (١) النصر، وآل به إلى الظفر الصبر، رجع إلى الحصن فلما عتوة وقهراً، وعم كل من فيه قتلاً وسبياً وأسرا. ولقد سمعت من يحكى أن عظام القتلى لم تزل بتلك الأرض مدة طويلة. ولما ملك الحصن آخر به ومحاً (٢) أثره، وأزال من تلك الأرض ضرره، كما قال فيه الشاعر (٣) حيث يقول:

ما ربع مية معموراً يطيف به غيلان أبهى ربي من ربعها الخرب (٤)  
ولا الحدود وإن آدمين من خجل أشهى إلى ناظر من خدتها الترب

قال: ثم رحل إلى حصن حارم (٥) فحصره، فأنفذ من لم يحضر المعركتين من الفرنج ومن نجما مهما (٦) يسألون الصلح، ويبدلون له المناصفة على ولاية حارم، فأجابهم إلى ذلك، لأن عسكره كان قد كثر فيهم الجراحات والقتل، فأراد أن يستريحوا ويريحوا، فهادنهم وعاد عنهم. وقد أيقن المسلمون بالشام بالأمن وحلول النصر، وسيرت البشائر إلى البلاد، وأعلنت في الحاضر والباد.

## (٤٩ - ب) ذكر وفاة السلطان الملك مغنيث الدين

محمود بن محمد بن ملكشاه

في سنة خمس وعشرين وخمسمائة (٧)، توفي السلطان محمود بهمدان، وكان عمره نحو ثمانية وعشرين سنة (٨). وكانت ولايته ما تقارب أربع عشرة سنة (٩). وكان حليماً، كريماً، عاقلاً، عادلاً، كثير الإحتمال. ووزرله أبو القاسم الأنساباذي (١٠)، وهو الذي سعى بالعزيم المستوفى (١١) حتى قبض [عليه] وسلم إلى بهروز شحنة العراق فسجنه بتكريت (١٢)، ثم قتل سنة ست وعشرين.

ولما توفي السلطان محمود، طلب السلطان مسعود بن محمد السلطنة، وطلبها [أيضاً] أخوه

(١) بالأصل: استمر. (٢) بالأصل: محي. (٣) الشاعر هو أبو تمام، والبيتان من قصيدة له في وصف عمورية - وكانت للروم - بعد أن أخرجها الخليفة العباسي المعتصم بالله سنة ٢٢٣، بعد حرب طاحنة. (٤) بالأصل: الحرب. (٥) حارم: في (ياقوت): بكسر الراء. حصن حصين وكورة جميلة تجاه أنطاكية. (٦) بالأصل: منها. (٧) في (الكامل، ج ٨/ص ٣٣٣) أنه توفي في شوال من السنة. (٨) في (الكامل، ج ٨/ص ٣٣٣)، كان عمره سبعا وعشرين سنة. (٩) في (الكامل، ج ٨/ص ٣٣٣)، كانت مدة ولايته اثني عشرة سنة وتسعة أشهر وعشرين يوماً. وما هنا أصح، لأنه ولي السلطنة - كما في (الكامل) - في ٢٤ ذي الحجة سنة ٥١١، وتوفي في شوال سنة ٥٢٥. (١٠) ذكره العمد الكاتب في «تاريخ دولة آل سلجوق، ص ١٠٨، وما بعدها»، أبو القاسم الدرر بن أيضاً. وأخباره منصلة عند العباد. وتوفي أبو القاسم سنة ٥٢٧. (١١) هو أحمد بن حامد ابن محمد أبو نصر. (الكامل، ج ٨/ص ٢٣٨)، وهو عم العمد الكاتب الأصفهاني صاحب «تاريخ دولة آل سلجوق» وغيره، وقد ذكر العمد محنة عمه في كتابه المذكور. (١٢) تكريت: في (ياقوت): بلدة مشهورة بين بغداد والموصل، وهي إلى بغداد أقرب، وبينها وبين بغداد ثلاثون فرسخاً. ولها قلعة حصينة في طرفها الأعلى، راكبة على دجلة. وهي غربي دجلة.

سلجوق شاه بن محمد ، والملك داود بن السلطان محمود (١) ، وكان بينهم حروب كثيرة ، نذكر منها ما كان للشهيد عماد الدين — قدس الله روحه — فيها أثر وفعل ، وترك الباقي إذ هو خارج عن غرضنا .

## ذكر ملك السلطان الملك العادل مسعود

### والحروب الحادثة إلى أن ملك

لما مات السلطان محمود ، اتفق الوزير (٥٠ — أ) الأنساباذى (٢) وأتابك سنقر الأحمدي على [تولية] ولده الملك داود بن محمود ، وخطبوا له في جميع بلاد الجبل وآذربيجان ، وساروا إلى زنجان . وكان السلطان مسعود بكنجة — وهي له — فلما بلغه موت أخيه سار إلى تبريز فملكها ، فسار إليه الملك داود فحصره بها ، ثم أفرج عنه حتى خرج منها وقصد (٣) بلاد الأمير قفجاق (٤) ، فاجتمعت العساكر عليه بها سنة ست وعشرين وخمسة ، وسار إلى بغداد وهو في عشرة آلاف فارس ، وسار قراجه الساقى صاحب خوزستان وفارس إلى بغداد ، ومعه الملك سلجوق شاه ابن السلطان محمد ، وقراجه يريد أن يأخذ السلطنة لسلجوق شاه ، وقد اجتمع معه عسكر عظيم ، وأتاه جماعة من الأمراء الكبار ، منهم يوسف جاوش وغيره ، فسبق سلجوق شاه أخاه السلطان مسعوداً إلى بغداد ونزل بدار السلطنة ، وأرسل السلطان مسعود إلى الشهيد عماد الدين — قدس الله روحه — يستميله ويستنجده ، فأجابه إلى ما طلب (٥٠ — ب) منه ، وسار عن الموصل إلى بغداد ، فبلغ تكريت ليجتمع بالسلطان مسعود ، وكان السلطان مسعود قد وصل عباسية الخالص قريب بغداد .

فلما سمع قراجه وسلجوق شاه بوصول الشهيد إلى تكريت ، عبر قراجه إلى الجانب الغربي ، وأسرى إلى تكريت في عسكره جميعه ، ولم يخلف ببغداد مع سلجوق شاه غير عدد يسير ، ولم يزل يسير حتى وصل إلى تكريت في يوم وليلة ، فواقعه (٥) الشهيد فهزمه قراجه وأسر أكثر أصحابه ، وعاد إلى بغداد .

وأما الشهيد ، فإنه عاد من الهزيمة إلى الموصل (٦) ، فجمع العساكر وأنفق الأموال فعادوا كأنهم لم يصابوا .

(١) في ابن واصل (٤٦/ص/١) ، أن عماد الدين أرسل أيضاً إلى الخليفة المسترشد بالله يسومه أن يخطب ببغداد الملك ألب أرسلان بن السلطان محمد الذي يشرف على تربيته . فاعتذر الخليفة بأن ألب أرسلان ما زال صبياً ، وأن السلطان محموداً عهد بالسلطنة لداود ، وأنه — أي الخليفة — منتظر رأي السلطان سنجر لأنه عم القوم .  
 (٢) بالأصل : الإنشاء بادى (أنظر ما سبق ، ص/٤٢) . (٣) بالأصل : وقصدها . (٤) هو الأمير قفجاق بن أرسلان تاش التركاني ، وكانت له شهرزور وأعمالها . (الكامل ، ٢٦٨/ص/١) .  
 (٥) بالأصل : فواقم . وفي الكامل (٣٣٦/ص/٨) ، أن الموقعة كانت في مكان يقال له « المشوق » .  
 (٦) ذكر ابن الأثير فيما يلي من النص ، في خبر مسير أسد الدين شيركوه إلى مصر ، في المرة الأولى ، وكذلك في الكامل =

وأما السلطان مسعود ، فإنه تقدم من العباسية (١) ، وجرى بينه وبين أخيه سلجوق [شاه] مناوشة ، فلما بلغه خبر الهزيمة الكائنة على الشهيد ، فت ذلك في عضده ، وأضعف نفسه فعاد إلى ورائه .

وكان قد وصل الخبر بوصول السلطان سنجر إلى نواحي همدان — وكان قد خرج في عساكر لا تحصى من خراسان ، ومعه ( ٥١ — أ ) الملك طغرل بن السلطان محمد ليزتبه في السلطنة — فلما اتصل خبر وصوله [ ببغداد ] ، أرسل الخليفة المسترشد بالله إلى السلطان مسعود يأمره بالتوقف ، ليقرر الصلح بينه وبين أخيه سلجوق شاه ، ليتفقا على قتال عمهما السلطان سنجر ، فأقام . وترددت الرسل ، واستقر الصلح على أن تكون السلطنة لمسعود ويكون سلجوق شاه ولي عهده ، وعاد السلطان مسعود إلى بغداد ونزل بدار السلطنة ، وحضر أخوه سلجوق شاه في خدمته .

وسارا جميعاً إلى قتال عمهما (٢) السلطان سنجر ، وألزما المسترشد بالله بالمسير معهما فامتنع ، فهدده قراجه الساقى ، فخرج مكرها منها وسار بعدهما .

وأرسل السلطان سنجر إلى الشهيد يأمره أن يقصد بغداد هو ودييس بن صدقة ملك العرب ، — وكان [ ديبس ] عند الشهيد على ما ذكره إن شاء الله تعالى — ويستوليا هليها ، ويخطبا له ببغداد وبعده للملك طغرل .

## ( ٥١ — ب ) ذكر الحرب بين السلطان سنجر والسلطان مسعود

لما سار السلطان مسعود وأخوه سلجوق شاه إبننا محمد إلى حرب عمهما السلطان سنجر ، جعلنا على المقدمة يرتقى بازدار ، ويوسف جاووش ، وحسين أوزبك ، وهم من أكابر الأمراء ، فلقيتهم طلائع السلطان سنجر بداي مرك (٣) ، فرجعوا إلى كرمان شاه ، وكان على مقدمة السلطان سنجر ، الملك طغرل بن محمد ، وخوارزمشاه ، والأمير قماج . ورحل السلطان سنجر من همدان يريد السلطان مسعوداً ، فعاد مسعود عن طريقه ، فتبعه السلطان سنجر ، فالتقيا قرب الدينور ، وكان العسكران كالبجرين كثرة (٤) . وكان على ميمنة السلطان سنجر طغرل وقماج ، وعلى ميسرته

== (ح/٨/ص/٣٣٦) مساعدة نجم الدين أيوب — والد صلاح الدين — الذى كان دزدار تكريت ، لعقاد الدين بعد هزيمته . وفي الروضتين (ح/١/ص/٢١٠ — نقل عن عماد الكاتب) معلومات أكثر مما فى النص و « الكامل » عن هذه المساعدة . حيث يذكر أن عماد الدين انهزم وبه عدة جراحات ، فلما علم به نجم الدين أيوب وأخوه أسد الدين شيركوه حمله إلى قلعة تكريت بالحبال ، وداويا جراحاته ، وخدماه أحسن خدمة وتقربا إليه . فأقام عندهما بتكريت خمسة عشر يوماً ، ثم سار إلى الموصل ، وأعوزه الظهير فأعطياه جميع ما كان عندهما من الظهير ، حتى أنهما أعطياه جملة من البقر حمل عليها ما سلم من أمتعه . فكان عماد الدين يرى لأيوب هذه اليد ، ويعرف له هذه الضيعة ، ويواصله بالهدايا والألطفاء مدة مقامه فى تكريت . فلما انفصل أيوب عن تكريت وسار إلى عماد الدين ، تلقاه بالرحب والسعة واحترمه احتراماً عظيماً ، وأقطعه عدة قطائع . (١) بالأصل : العباسية . (والنصحیح من الكامل ، ح/٨/ص/٣٣٦) . (٢) بالأصل : عمها . (٣) بالأصل : دامرج . (والنصحیح من ، تاريخ دولة آل سلجوق ص / ١٦٢ . ولم يعرف بها بأقوت فى مجمعه) . (٤) بالأصل : كثيرة .

خوارزمشاه . وعلى ميمنة السلطان مسعود ، قراجة الساقى ، والأمير قزل ، [ وكان قزل (١) ]  
 قد واطأ خوارزمشاه على الهزيمة بين يديه ، ليقع الوهن فى عسكر السلطان مسعود . فلما التقى  
 العسكران ، حمل خوارزمشاه على قزل فانهزم ، واختلطت العسكر ، وارتفع العجاج ، وكان يوماً  
 فامشهوداً ، وحمل قراجة الساقى على القلب — وفيه السلطان سنجر فى عشرين ألف (٢) (٥٢ — أ)  
 رس ، هم أعيان العسكر وشجعانهم ، وبين يديه الأفيلة — فلما تقدم إلى القلب ، حمل طغرل  
 وخوارزمشاه فيمن معهما ، فأتوه من وراء ظهره فصار فى الوسط ، فقاتل إلى أن جرح ، وقتل  
 كثير من أصحابه وأخذ أسيراً ، وانهزم السلطان مسعود ، وقتل يوسف جاووش ، وحسين  
 أوزبك فى المصاف ، وكان ذلك ثامن رجب .

ونزل السلطان سنجر ، وأرسل بعض خواصه إلى السلطان مسعود ، وقد بلغ خونج ، وأمنه  
 واستدعاه إليه ، فحضر عنده وعاتبه على إقدامه عليه ، فاعتذر وأنسب ذلك إلى ابتكين الخادم ،  
 فأمر به فضربت عنقه .

وأمر السلطان بالمسير إلى كنجة . فحكى لى والدى عن جماعة حضروا ذلك المصاف ، قال :  
 أحضر السلطان سنجر قراجة الساقى وعاتبه على فعله ووبخه ، وقال له : إذا حاربني أولاد أخى  
 فليس يبعد (٣) أن يطلبوا السلطنة ، وأما أنت ، فما كنت تريد حتى تجمع العساكر وتوكل الناس  
 على قتالى ، أكان (٤) يصير لك (٥٢ — ب) من الملك أكثر من بلاد فارس وخوزستان . قال :  
 كنت أرجو أن أظفر بك وأقتلك ويكون أولاد أخيك بحكمى ، أقيم من أريد وأعزل من أريد .  
 فغضب السلطان سنجر منه وأمر بقتله ، فقتل ، وأمر أن يشق صدره عن فواده فارأى أكبر  
 منه ، فألقى عليه حجراً كبيراً فلم يبعجه ، فقال : من يكون هذا فواده يحدث نفسه بما قال .

وخطب لطرل ابن أخيه بالسلطنة فى همدان ، وأصفهان ، والرى ، وسائر بلاد الجبل .  
 وجعل فى وزارته (٥) أبا القاسم الأنساباذى (٦) وزير السلطان محمود .

### ذكر وصول الشهيد إلى بغداد وهزيمة

لما سار المسترشد بالله عن بغداد مع السلطان مسعود ، أقام بخانقين ينظر ما يكون من مسعود ،  
 فلما سمع بهزيمة وقاتل قراجة ، رجع إلى الدسكرة ، فأتاه الخبر بوصول أتابك الشهيد عماد الدين  
 زنكى وديس بن صدقة إلى بغداد ، فأسرع العود إليها ، وعبر إلى الجانب الغربى فيمن معه من  
 العساكر ، وكان فيهم (٥٣ — أ) كثرة ، فالتقوا الثلاث بقين من رجب سنة ست وعشرين

(١) الإضافة ، من الكامل (ح/٨/ص/٣٣٧) . (٢) فى الكامل (ح/٨/ص/٣٣٨) : عشرة آلاف .  
 (٣) بالأصل : بعد . (٤) بالأصل : لكان . (٥) بالأصل : وزارته . (٦) بالأصل :  
 الاسترأبى . (انظر ، ما سبق ، ص/٤٢) .

وخمسائة . فحكى لى والدى عن جماعة من أصحاب الشهيد من حضر المصاف ، قالوا : إشتد القتال وظهرنا على عسكر الخليفة ، ولم يبق غير أن ينهزموا ، فرأينا خيمة سوداء قد نصبت عند المعركة ، وخرج المسترشد بالله منها راكباً بسواده ويده سيف مسلول ، فكلمهم قالوا المارأينا : لحقنا دهشة ورعدة حتى كاد السلاح يسقط من أيدينا ، فكانت الهزيمة علينا ، ولم نطق الثبات فانهز منا ونحن لانعقل . وكان ابتداء الهزيمة من ديبس فإنه انهزم أولاً ، وعاد الشهيد إلى الموصل . وعاد المسترشد بالله إلى بغداد . وأما ديبس فإنه قصد نحو الحلة ، وجمع جمعاً وسار إليها ، وبها جمال الدولة إقبال المسترشدى ، فالتقوا واقتتلوا فانهزم ديبس أيضاً .

### ذكر السبب في مصير ديبس (١) عند الشهيد

رضى الله عنه

كان ديبس بن صدقة بن منصور بن ديبس بن علي بن مزيد (٥٣ - ب) ملك العرب صاحب الحلة ، قد جرى بينه وبين المسترشد بالله نفرة ووحشة غير مرة ، أوجبت شكوى المسترشد بالله منه إلى السلطان محمود والسلطان سنجر ، وجرى له أقاصيص طويلة اقتضت الحال أخيراً (٢) إبعاده عن العراق .

وكان شريراً خبيث الطوية . وكان من أشد الناس عداوة للشهيد عماد الدين وأكثرهم وقية فيه . فسار عن العراق سنة خمس وعشرين وخمسائة ، عازماً على قصد الشام ، إلى حصن صرخد لملكه . وسبب ذلك أن صرخد كانت بيد أمير اسمه أكن ، فتوفى وخلف زوجته حدثت نفسها أنها تملك الحصن ، فقال لها بعض أصحابها : إن هذا لا يتم لك إلا برجل يتزوجك من الأمراء الأكبر ، وحسن لها الإتصال بديبس ، فأرسلت إليه تدعوه ليتزوجها وتسلم إليه صرخد . فسار إلى الشام فلقبه سوء نيته ، فضل في البر فأسره قوم من بني كلب ، وسلموه إلى تاج الملوك [بورى] ابن طغتكين أتائبك ، صاحب (٥٤ - أ) دمشق . فلما حصل عنده ، أرسل إليه الشهيد يطلبه منه وبذل فيه مالا ، فامتنع من تسليمه ، فتهدهه أتائبك بقصد بلاده ومحاصرتها ، فسلمه إليه (٣) . فلما صار عنده ، جازى إساءته بإحسان ، وأنعم عليه وخوله (٤) ، وأعطاه المال والخيام والسلاح والخيل وكل ما يحتاج إليه الملوك ، وبالغ في إكرامه إلى غاية لا مزيد عليها .

ولما اتصل خبر مصير ديبس إلى دمشق بالمسترشد بالله ، أرسل إلى تاج الملوك مع سيدي الدولة بن الأنبارى صاحب ديوان الإنشاء ببغداد ، يطلب منه أن يسلم ديبساً إليه . فلما وصل

(١) الاسم مكرر بالأصل . (٢) بالأصل : أخيرة . (٣) في ، الكامل (٨/ص/٣٣٣) ، أن عباد الدين عرض على تاج الملوك أن يسلمه ديبساً ، في مقابل إطلاق سراح ابنه سونغ والأمراء الذين قبض عليهم في حماة ، فأجابته إلى ذلك . (٤) في (مختار الصحاح) : خوله الله الشيء : ملكه إياه . وخول الرجل : حشمه .

دمشق وعلم بمصير ديبس عند الشهيد ، تسمعج وذكره بما يكرهه ، فاتصل ذلك بالشهيد - وكان له في كل بلد من يطالعه بالأخبار - فامتعض لذلك ، وأرسل إلى بزيق وحييها بالرجال ، وأمرهم بأخذ ابن الأنباري وحمله ، فلما عاد أخذ بنواحي الرحبة وحمل إلى الشهيد فخبسه بالموصل ، فأرسل الخليفة ( ٥٤ - ب ) المسترشد بالله يشفع فيه ، فأطلقه وأحسن إليه .

وهذه كانت عادة الشهيد في حزمه واحتياطه ، لا يمكن رسول ملك يعبر في بلاده بغير أمره ، وإذا استأذنه رسول في العبور في بلاده ، أرسل إليه من يسيره ولا يتركه يجتمع بأحد من الرعية ولا غيرهم ، فكان الرسول إليه يدخل بلاده ويخرج منها ، ولم يعلم من أحواله شيئاً البتة .

وفي هذه السنة - أعني سنة ست وعشرين وخمسة - ملك الشهيد قلعة بهمرد (١) من ديار بكر . فانظر إلى هذه الهمة ، قد كان في هذه السنة من الأمور العظيمة ، واختلاف السلاطين ، وانهماه دفعتين ، ولم يشغله ذلك عن زيادة في ملكه ، بمثل هذا الحصن العسير (٢) .

### ذكر حصر المسترشد بالله (٣) أمير المؤمنين الموصل

في ربيع الأول من سنة سبع وعشرين وخمسة ، برز المسترشد بالله من بغداد إلى الرملة ، فزنها وجمع العساكر . وكان قد قصد ( ٥٥ - أ ) عدة أمراء من العساكر السلطانية للخلف الواقع بينهم ، فقوى بهم المسترشد واستبد بالعراق وجبى الأموال ، وأرسل الإمام أبا الفتوح الإسفرائيني (٤) الواعظ إلى الشهيد ، فاعلظ له في القول ، فأهانته الشهيد غاية الإهانة (٥) وعاد [إلى] المسترشد بالله ، فعند ذلك سار إلى الموصل في ثلاثين ألفاً ، فلما بلغ الخبر إلى الشهيد ، رحل عن الموصل في بعض عسكره ، وترك الباقي بالموصل مع نائبه بها نصير الدين جقر ، ونزل أتابك الشهيد بظاهر سنجار . فحدثني والدي ، قال : نزل المسترشد بالله على الموصل في عسكر عظيم ، وحفظها نصير الدين أحسن حفظ ، وقام فيها المقام المرضي . وكان الشهيد يرسل السرايا يقطع الميرة عن عسكر الخليفة من كل ناحية ، فقلت الميرة ، وعزت الأقوات عنهم وصاروا شبه المحصورين ، فأقام الخليفة محاصراً لها نحو ثلاثة أشهر فلم يظفر منها بشيء ، ولم يظهر له من العسكر ( ٥٥ - ب ) بالبلد ما يدل على وهن وضعف ، فعاد إلى بغداد ولم يبلغ غرضاً . فقيل كان سبب عوده أن السلطان

(١) في ، الكامل (ح/٨/ص/٣٦٧) ، أن عماد الدين استولى عليها سنة ٥٣٥ . وهي لداود بن سقمان بن أرتق صاحب حصن كيفا . وقد استولى عليها عماد الدين بعد حرب شديدة بينه وبين صاحبها . (٢) بالأصل : اليسير . وهو تصحيف من الناسخ . وما أنبته المحقق أصح ، إذ أن اليسر في الاستيلاء عليها ، يجعل شهادة ابن الأثير بهاد الدين غير ذات موضوع . (٣) بالأصل : بالله . (٤) بالأصل : الإسفرائيني . (٥) والتصحيح من ، الكامل ، (ح/٨/ص/٣٤٠) . (٥) في الكامل (ح/٨/ص/٣٤٠) ، أن الخليفة «أرسل أبا الفتوح إلى عماد الدين برسالة فيها خشونة زادها أبو الفتوح ، ثقة بقوة الخليفة وناموس الخلافة ، فقبض عليه عماد الدين وناله بما يكره» ، فسار الخليفة إلى الموصل وحاصرها .



مسعوداً أرسل إليه مع نظر (١) الخادم - أمير الحاج - يشير بالعود ، فعاد ؛ وقيل بلغه عزم السلطان على قصد العراق ، فعاد ، وقيل غير ذلك . وبالجملة فلو رأى أمانة ظفر وفتح لم يرحل . وكان عوده في الشبارة (٢) ، وراسل أتابك الشهيد فصالحه وسير إليه الشهيد الخدم والهدايا .

### ذكر ملك الشهيد قلاع [الأكراد] الحميدية (٤)

وفي هذه السنة ، وهي سنة ثمان وعشرين وخمسمائة ، إستولى الشهيد رضى الله عنه على سائر قلاع الأكراد الحميدية وولاياتهم ، منها قلعة العقر (٥) وقلعة شوش (٦) ، وغير ذلك . وسبب قصدها ، أنه لما ملك الموصل وأعمالها ، أقر الأمير عيسى الحميدى على ولايته ، ولم يعترضه فى شىء مما بيده ، فلما حصر المسترشد بالله الموصل ، حضر الأمير عيسى عنده فى جنده وجموعه ، وأمده بالأقوات (٥٦ - أ) وغيرها مما يحتاج إليه ، فلما عاد المسترشد بالله عن الموصل ، أمر الشهيد بحصر قلاع الحميدية ، فحوصرت مدة طويلة ، وقوتلت قتالا شديدا إلى أن فتحت فى هذه السنة ، واطمأن أهل سواد الموصل المجاورون لهؤلاء القوم ، فإنهم كانوا معهم فى خطة خسف .

وفى سنة ثمان وعشرين وخمسمائة ، سار الشهيد إلى مدينة آمد فحصرها وضيق عليها (٧) .

واستوزر ضياء الدين بن الكفر توثى .

ثم رحل عن آمد إلى الشام فحصر مدينة دمشق (٨) .

وفىها توفيت والدة الشهيد بالموصل .

### فى ذكر قتل أمير المؤمنين الخليفة المسترشد بالله

#### وخلافة الراشد (٩)

كان السلطان مسعود سنة ثمان وعشرين وخمسمائة ببغداد ، وقد ضعف أمره وقوى أمر (١٠)

(١) فى ، الكامل (٨/ص/٣٤٠) : نصر . (٢) الشبارة : نوع من السفن . (٣) الإضافة من ،

الكامل (٨/ص/٣٤٣) . (٤) بالأصل : الحمونية . (والنصحيج من النص نفسه ، ومن الكامل ، ٨/ص/

٣٤٣) . (٥) قلعة العقر : فى (ياقوت) : بفتح أوله وسكون ثانية . قلعة حصينة فى جبال الموصل أهابها

آكراده ، وهى شرقى الموصل ، تعرف بعقر الحميدية . (٦) قلعة شوش : فى (ياقوت) : بتسكرار الشين وسكون

الواو . موضع قريب جزيرة ابن عمر من نواحي الجزيرة . والشوش قلعة عظيمة عالية جدا ترب عقر الحميدية من

أعمال الموصل . قيل هى أعلى من العقر وأكبر ، ولكنها فى التدر دونها .

(٧) فى ، الكامل (٨/ص/٣٤٣) أن حصار آمد كان فى جمادى الآخرة من السنة ، ولما عجز عماد الدين عنها

لستولى على قلعة « الصور » . (٨) فى ، الكامل (٨/ص/٣٤٦) ، أن حصار دمشق كان سنة ٥٢٩ .

وفى « المنتظم » (١٠/ص/٤٣) ، أنه لما حاصر عماد الدين دمشق ، بعث أصحابها إلى الخليفة « حملا كثيرا وخطا

بمخسین ألف دينار ، وقالوا : لدفع عنا زككى ونحن نحمل هذا فى كل عام . فبعث إليه : تنح عنهم وخطب للصبى (أى

للملك ألب أرسلان الذى يشرف عماد الدين على تربيته ) وتمال ممة إلى العراق حتى أخطب له وتساعد على مسعود .

فقال : السمع والطاعة ، وخطب للصبى . (٩) بالأصل : الراشد . (١٠) بالأصل : أمره .

أخيه الملك طغرل وملك سائر بلاد الجبل . فراسل السلطان مسعود ، المسترشد بالله يستميله ويطلب منه المساعدة على أخيه . طغرل ، فأجيب إلى ذلك ، وأمدته بالأموال والرجال ( ٥٦ - ب ) فضعفت نفس السلطان مسعود عن المسير ، لأن عمه السلطان سنجر ، كان يقوى أمر الملك طغرل ويشد منه . فلما رأى الخليفة تأخر السلطان مسعود عن المسير ، أرسل إليه يأمره بتعجيل الحركة ودفع أخيه عن البلاد ، فلم يفعل . فأعاد الأمر ثانياً وكرر ذلك ، فلم يتحرك . فأرسل إليه أخيراً جاولى القسيمي ، شحنة بغداد ، مضايقاً له على المسير إلى بلد الجبل وإزاحة أخيه عن البلاد ، وأمره إن رأى من السلطان مدافعة أن يلتقي خيمه . فلما علم السلطان حقيقة الأمر ، عظم عليه ونادى في العسكر ليتجهزوا للرحيل . فبينما هم في التجهيز ليرحلوا ، وإذا قد ورد الخبر بوفاة السلطان طغرل . وكانت ( ١ ) وفاته في المحرم سنة تسع وعشرين وخمسمائة . فأسرع السير إلى همدان ، واجتمعت عليه العساكر . واستوزر شرف الدين أنوشروان بن خالد . ثم وقع الخلاف في عسكره واستوحش منه جماعة من الأمراء منهم الأمير قزل آخر ، ويرنقش بازدار ، وسنقر الخمار تكيئي ( ٥٧ - أ ) وإلى همدان ، وعبد الرحمن [ بن ( ٢ ) ] طغايرك وغيرهم ، وانفردوا عنه في عدد كثير وساروا نحو البشير لموافقة كانت بينهم وبين برسق بن برسق صاحب خوزستان ، وأقاموا ينتظرونه وكانوا في سبعة آلاف فارس ، فسار إليهم السلطان مسعود جريدة في ثلاثة آلاف وكبسهم وهزمهم وفرق شملهم ، وولوا مدبرين نحو بغداد ، فوصلها منهم يرنقش بازدار ، وقزل آخر ، وسنقر الخمار تكيئي ، وأخبروا المسترشد بالله عن سوء ضمير السلطان له ، ووعدوه ( ٣ ) النصر والمساعدة عن أنفسهم وعن جماعة من أكابر الأمراء ، وحسنوا له قتال السلطان ، فأجابهم إلى ذلك ، وقطع خطبة السلطان ببغداد ، وسار عنها في شعبان من هذه السنة . وأتاه في الطريق برسق بن برسق ، فاجتمعوا في سبعة آلاف فارس ، واستخلف في بغداد جمال الدولة إقبال في ثلاثة آلاف فارس ، وراسل أصحاب الأطراف ، المسترشد بالله يبذلون ( ٤ ) له الطاعة ، قريث ( ٥ ) في ( ٥٧ - ب ) الطريق ، فاستصلح السلطان مسعود أكثرهم فالوا إليه وساروا نحوه . وكان قبل إصلاحهم في نحو ثلاثة آلاف فارس ، فصار في خمسة عشر ألفاً ، وأرسل إليه أتاك الشهيد نجدة فوصلت بعد المصاف .

وسار الخليفة إلى داي مرك ، فلما علم السلطان وصوله ، استعد لقتاله وسار إليه فعبأ الخليفة عسكره ، وكان في الميمنة يرنقش بازدار ( ٦ ) ، وسنقر الخمار تكيئي ، وبرسق ابن برسق والغلمان الدارية . وكان في ميسرته جاولى وغيره . ووقف الخليفة في القلب ، والتقوا عاشر رمضان ، والتحم القتال ، فغدرت ميسرة الخليفة ومالت إلى السلطان ، وأحاطت عساكر السلطان بالخليفة وعساكره ، وكثر القتل والأسر ( ٧ ) في عسكر الخليفة ، وأفضى الأمر إلى أن

( ١ ) بالأصل : وكان . ( ٢ ) الإضافة من ، الكامل ( ٨ / ص / ٣٤٧ ) . ( ٣ ) بالأصل : ووعدوه .

( ٤ ) بالأصل : يتبدلون . ( ٥ ) بالأصل : فرتب . ( والتصحیح من الكامل ، ٨ / ص / ٣٤٨ ) .

( ٦ ) بالأصل : وبازدار . ( والتصحیح من ، الكامل ، ٨ / ص / ٣٤٨ ) . ( ٧ ) بالأصل : والاسر .

أخذ بعنان فرسه وأنزل وقبض عليه ، وقبض أيضاً الوزير شرف الدين الزينبي (١) ، وقاضى القضاة (٢) ، وكال الدين بن طلحة صاحب الخزن ، وابن الأنباري (٣) كاتب الإنشاء ، وخلق كثير ورفعوا (٥٨ - أ) إلى قلعة سرجهان بقرب زنجان ، وغنموا كل ما فى العسكر .

وأنفذ السلطان [ بك أبه المحمودى (٤) ] شحنة إلى بغداد ، فوصلها سلخ رمضان ومعه عبيد (٥) ، فقبض جميع أملاك الخليفة ، وثار الفتنه ببغداد ، ووثب العامة على الشيعة ، فقتل الشحنة منهم جماعة ، وجرى يوم العيد فيها فتنه ، وقتل جماعة ونهبت الأموال ، وبقي الخليفة المسترشد بالله فى القبض إلى سادس عشر ذى القعدة ، فاتفق أن رسول السلطان سنجر وصل إلى السلطان مسعود ، فخرج إلى لقائه واشتغل الناس بذلك ، فهجم على الخليفة أربعة (٦) عشر نفرا من الباطنية ، وبقي خارج الخيمة عشرة رجال ، فضربوه بالسكاكين فجرحوه خمسا وعشرين جراحة ، وقطعوا رأسه ، وشقوا جوفه ، وجدعوه ، وأخذوا ثيابه وتركوه عريانا . وكانت خيمته خارج العسكر ، وقتل إمامه ابن سكينه ، وإنسان هاشمى . ووقع الخبر فى العسكر ، فركبوا فى السلاح وقتلوا عشرة من الباطنية وهرب أربعة (٧) عشر (٥٨ - ب) . وبقي المسترشد بالله مطروحا يوما وليلة ، فجاء أهل مراغة فحملوه إلى البلد وكفنوه ودفنوه بمقبرة سنقر الأحمدلى .

وكتب السلطان مسعود إلى شحنة بغداد - وهو الأمير بك أبه - ، يأمره بالبيعة للأمير أبى جعفر المنصور بن المسترشد بالله ، فبايعه يوم الإثنين السادس والعشرين من ذى القعدة . وحضر بيعته (٨) عشرون (٩) رجلا من أولاد الخلفاء : أولاد المقتدى بأمر الله عم والده ، وأولاد المستظهر بالله عمومته ، وأولاد المسترشد بالله إخوته . ثم بايعه الهاشميون ، ثم القضاة ، والعلماء والأمراء وغيرهم . وتلقب الراشد بالله ، واستقرت الخلافة له .

## ذكر عمر المسترشد بالله وشيء من سيرته

رحمه الله تعالى

قال . كان مولده فى شعبان سنة ست وثمانين وأربعمائة . وكان عمره ثلاثا (١٠) وأربعين سنة وثلاثة أشهر وثمانية أيام . وكانت خلافته سبع عشرة سنة وسبعة أشهر . وأمه أم ولد . وكان شهما (٥٩٠ - أ) شجاعا ، مقداما ، فصيحاً .

- (١) هو شرف الدين على بن طراد الزينبى (الكامل ، ج٨/ص٣٤٩) . وترجمته فى (شذرات الذهب ، ج٤/ص١١٧ - وفيات سنة ٥٣٨) . (٢) هو ، أبو القاسم على بن الحسين الزينبى (ابن عم الوزير على ابن طراد الزينبى) . (الكامل ، ج٨/ص٣٥٥) . وترجمته فى (شذرات الذهب ، ج٤/ص١٣٥ - وفيات سنة ٥٤٣) . (٣) هو سيد الدولة محمد بن عبد الكريم بن إبراهيم الشيبانى . وقد توفى سنة ٥٥٨ . وترجمته فى (شذرات الذهب ، ج٤/ص١٨٤) . (٤) الإضافة من الكامل (ج٨/ص٣٤٨) . (٥) بالأصل : عميد . (والتصحيح من ، الكامل ، ج٨/ص٣٤٨) . (٦) بالأصل : أربع . (٧) بالأصل : أربع . (٨) بالأصل : ببيعته . (٩) بالأصل : عشرين . (١٠) بالأصل : ثلاثة .

وتمكن في خلافة (١) تمسكنا عظيماً ، لم يره أحد من تقدم من الخلفاء من عهد المنتصر بالله (٢) إلى خلافته ، إلا أن يكون المعتضد بالله والمكتفي بالله ، لأن المماليك (٣) كانوا قديماً يخلعون الخلفاء ويحكمون عليهم ، ولم يزالوا كذلك إلى ملك الديلم واستيلائهم على العراق . فزال هبة الخلافة بالمرّة إلى انقراض دولة (٤) الديلم . فلما ملك السلجوقية جددوا من هبة الخلافة ما كان قد درس لاسيما (٥) في وزارة نظام الملك ، فإنه أعاد الناموس والهبة إلى أحسن حالاتها ، إلا أن الحكم والشحن بالعراق كان للسلطان وكذلك العهد (٦) وضمان البلاد . ولم يكن للخلفاء إلا إقطاع يأخذون دخله . وأما المسترشد بالله فإنه استبد (٧) بالعراق بعد السلطان محمود ، ولم يكن للسلطان (٨) معه في كثير من الأوقات سوى الخطبة . واجتمعت عليه العساكر ، وقاد الجيوش (٥٩ - ب) وبأشر الحروب . وقد أتينا على ذكر ذلك في المستقصى في التاريخ .

## ذكر مسير الراشد بالله (٩) أمير المؤمنين

### إلى الموصل مع أتابك الشهيد

في سنة ثلاثين وخمسمائة ، سار الراشد بالله إلى الموصل صحبة أتابك عماد الدين زنكي ملتجئاً إليه . وكان سبب ذلك ، أن العساكر السلطانية اختلفت على السلطان مسعود ، وكذلك أصحاب الأطراف ، وتراسلوا في الاجتماع على قتاله وإقامة سلطان يرتضونه ، واستقر بينهم الاجتماع ببغداد . فسار أتابك الشهيد من الموصل إلى بغداد ، وقدمها للملك داود بن السلطان محمود في عسكر أذربيجان ، وورد إليها يرتقش بازدار في عسكر قزوين . وكان مع الملك داود الأمير عنتر بن أبي العسكر الجاواني يدبر أمره . فلما اجتمعت العساكر ببغداد حسنوا للراشد الخروج معهم عن بغداد إلى السلطان مسعود ومخاربه ، فأجابهم إلى ذلك . وكان وزيره حينئذ جلال الدين أبا الرضى محمد بن أحمد بن صدقة (٦٠ - أ) الذي صار وزيراً لأتابك الشهيد فيما بعد . واجتمعوا على هذا العزم في صفر سنة ثلاثين وخمسمائة . وظهر من الراشد بالله تنقل في الأحوال ، وتلون في الآراء (١٠) ، وقبض على جماعة من أعيان أصحابه ، منهم : أستاذ الدار أبو عبد الله الحسين

(١) بالأصل : خلفه . (٢) بالأصل : المنتصر بالله . (والتصحيح من ، الروضتين ، ١/ص/٣١) .  
وقد ولي الخليفة المنتصر بالله الخلافة من سنة ٢٤٧ - ٢٤٨ . أما المنتصر بالله . فهو الخليفة الفاطمي ، الذي ولي الخلافة في مصر ، من سنة ٤٨٧ - ٤٩٥ . (٣) المماليك : يقصد بهم الترك الذين دخلوا في خدمة الدولة العباسية في عهد الخليفة المعتصم بالله الذي ولي الخلافة سنة ٢١٨ . (الكامل ، ٥/ص/٢٣١) واستمروا يستبدون بالحكم حتى سنة ٣٣٤ ، حيث تغلب عليهم بنو بويه الذين يذكروهم « النص » بالديلم ، وأستولى معز الدولة البويهى على بغداد في هذه السنة ، في عهد الخليفة المستكفي بالله (الكامل ، ٦/ص/٣١٤) وظلوا يستبدون بالخلافة حتى سنة ٤٤٧ ، حيث قضى عليهم السلاجقة (الكامل ، ٨/ص/٧١) . (٤) بالأصل : دولته . (٥) بالأصل : الاستمارة . (٦) بالأصل : العمدة . (والتصحيح من ، الروضتين ، ١/ص/٣١) . (٧) بالأصل : اشتد . (والتصحيح من ، الروضتين ، ١/ص/٣١) . (٨) بالأصل : السلطان . (٩) بالأصل : بالله .

(١٠) في المنتظم (١٠/ص/٥٥) ، أن الخليفة كان يرضن على عماد الدين بالأموال ، فأنتقل عليه عماد الدين حتى تقل له إقطاع الوكلاء ، ثم عاد الخليفة ودفع له ثلاثين ألف دينار ، وسحب منه الإقطاع . ويذكر أيضاً أن العلاقة تحولت

بن جبير ، وجمال الدولة إقبال المسترشدى ، وأراد القبض على وزيره جلال الدين بن صدقة ، ركب في موكبه إلى أتابك الشهيد ، فنزل في خيمه ، فأجاره وأمنه ، فركب الشهيد ووقف مقابل التاج ، وأرسل يشفع في الذين قبض عليهم الراشد شفاعته تحتها إلزام وحكم ، فأطلقوا ، وسلم إقبال المسترشدى إلى الشهيد ، لأنه أظهر من العناية بأمره أكثر من غيره . فلما وصل إلى خيمه كرمه واحترمه وأحسن إليه ، ولم يجازه على ما كان منه قديما من عداوته . ثم إن قاضي القضاة الزينبي خاف من الخليفة أيضاً ، فالتجأ إلى الشهيد فأمنه وأحسن إليه ، وقرر مع الملك داود (٦٠ - ب) أن يستوزر جلال الدين بن صدقة ، فاستوزره في ربيع الآخر .

ثم ورد الخبر ، أن الملك سلجوق شاه بن السلطان محمد وصل إلى واسط في جمادى الأولى في عسكر كثير (١) ، فأنحدر أتابك الشهيد إليه ليحاربه ، فوقع الخلف بين سلجوق شاه وبين أتابك البقش ، وراسل الشهيد البقش فاستماله وحذره من سلجوق شاه فقال إليه ، وسار هو وجماعة من الأمراء إلى عسكره وفارقوا سلجوق شاه .

وعاد الشهيد إلى بغداد ومعه البقش وجماعة الأمراء ، فازداد أتابك الشهيد عظمة وعلو محل وكانوا لا يصرون إلا عن أمره ورأيه .

ثم عاد الشهيد وأصلح أمر الوزير جلال الدين بن صدقة مع الراشد ، وإعادة إلى وزارته . وكثر الفساد في العراق ، وتطرق المفسدون والعساكر إلى نهبه ، فنهبوا (٢) الحرم الطاهري (٣) ، وشارع دار الرقيق ، وكثيراً من بلد دجيل ، وبعض طريق (٦١ - أ) خراسان ونهبت الأموال أيضاً ببغداد علانية لا مانع لهم من ذلك .

ثم إن السلطان مسعوداً سار نحو العراق ، فبلغ الشامية في عسكر كثير ، فأراد من بغداد من الملوكة والأمراء قتاله ، ثم خافوا لما رأوا ما عندهم من الخلف وتلون الخليفة النبی معولهم عليه . وتقدم السلطان مسعود إليهم فحصرهم نيفا وخمسين يوماً ، فتسلل (٤) عسكره وقلوا ، فعاد إلى النهروان عاز ماعلى العود إلى بلد الجبل ، فوصله بالنهر وان طر نظامي (٥) صاحب واسط ، وأخبره بما معه من السفن والمقاتلة في الماء ، فسار السلطان مسعود إليها وعبر فيها تحت بغداد ،

== بين عماد الدين والخليفة إلى تخوف ، بحيث وضع الخليفة حرساً تحت قصر التاج لاستعماراً من عماد الدين ، ثم عادت المياه إلى مجاريها بينهما بعد ذلك .

(١) بالأصل : كثيراً . ( والتصحیح من الكامل ، ح/٨/ص/٣٥٢ ) . (٢) في ، الكامل ( ح/٨/ص/٣٥٤ ) ، أن عماد الدين هو الذى أرسل من نهب الحرم الطاهري ، فأخذوا منه أموالاً كثيرة ، وذلك لما رأى أن العيارين يهبونه . (٣) بالأصل : الطاهري . ( والتصحیح من ( ياقوت ) والحريم الطاهري حتى بأعلى مدينة السلام بغداد في الجانب الغربي منها ، منسوب إلى طاهر بن الحسين ، وبه كانت منازلهم ، وكل من لجأ إليه آمن . فذلك سمي الحرم ، وكان أول من جعلها حريماً ، عبد الله بن طاهر بن الحسين . (٤) بالأصل : فتسلل . (٥) بالأصل : الطرمطاي . ( والتصحیح من الكامل ح/٨/ص/٣٥٤ ) .

وعبرت العساكر التي كانت ببغداد إلى الجانب (١) الغربي لمنعه فسبقهم . فلما رأوا ذلك علموا قوته فعاد كل منهم إلى بلده وولايته (٢) .

وخرج الراشد بالله من دار الخلافة ، ونزل على أتاك الشهد ملتجئاً إليه ، ومعه وزيره ( ٦١ - ب ) ابن صدقة وجماعة من الخدم والأترار وسار معه إلى الموصل . واستقر السلطان مسعود ببغداد في ذي القعدة .

وأقام أتاك الشهد للخليفة كل ما يريد ، وبالغ في ذلك ، وأرسل إليه من الأموال والعروض والآلات ما لا حد عليه . وأقام بالموصل إلى أن سار على ما ذكره إن شاء الله تعالى .

## ذكر خلع الراشد بالله أمير المؤمنين وخلافة المقتدى لأمر الله

### أمير المؤمنين رضي الله عنهما أجمعين

لما سار الراشد بالله عن بغداد إلى الموصل صحبة أتاك الشهد ودخلها السلطان مسعود ، عزم على خلع الراشد والبيعة لغيره بالخلافة ، ووافقته على ذلك الأمراء وأرباب المناصب . فأحضر القضاة والشهود والفقهاء ، وأثبتوا محضراً شهدوا فيه بما أوجب خلعه ، فأقضى الفقهاء أن من هذه صفته لا يصلح للخلافة (٣) . وحكم القاضي ابن الكرخي (٤) قاضي الحريم (٦٢ - أ) بخلعه فخلعوه حينئذ .

وسأل [ السلطان مسعود ] عمن يصلح للخلافة ، فأشار عليه شرف الدين الزينبي ، بأبي (٥) عبد الله بن المستظهر بالله ، وأشار غيره بالعدول عنه ، وقال : إنه رجل كبير قد جرب الأمور وعرفها ، وإن من الرأي للسلطان أن يبايع قتي صغيراً (٦) ليست له تجربة ولا سن عليه ، ﴿ ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون (٧) ﴾ . فوقع الاتفاق على أبي عبد الله (٨) ، فبايعه السلطان والأمراء ، والقضاة ، والفقهاء وسائر الناس ، وبايعه فيهم الشيخ أبو النجيب الفقيه الصوفي ، ووعظه موعظة بليغة . ولقب المقتدى لأمر الله . فلما استقر في الخلافة ، أرسل إليه السلطان مع وزيره

(١) بالأصل : جانب . (٢) بالأصل : وولايته . وفي ، المنتظم (ح/١٠/ص/٥٥) أن سبب لاستحاب عماد الدين من الحرب ، لكشانه مؤامرة من السلطان مسعود مع بعض قواده (قواد عماد الدين) على قتله .  
(٣) يلوح أن هناك سقط في «النص» . ففي الكامل (ح/٨/ص/٣٥٤) ، أن الخليفة الراشد كان قد حاف للسلطان مسعود بخط يده «لأن متى جندت أو خرجت أولتيت أحداً من أصحاب السلطان بالسيف فقد خلعت نفسي من الأمر» فأقضى القضاة والشهود والفقهاء بخروجه عن الخلافة : ثم ذكر ابن الأثير سيأ آخر خلعه ، وهو اتهامه بأخذ الأموال ، وأشياء تقدح في الإمامة ، فأفتوا «أن من هذه صفته لا يصلح أن يكون لإماماً» . (٤) بالأصل : ابن الكرخي . (والتصحیح من الكامل ، ح/٨/ص/٣٥٤) . (٥) بالأصل : أبي . (٦) بالأصل : زغيراً . (٧) سورة الأنفال : ٣٢ . (٨) في ، الكامل (ح/٨/ص/٣٥٥) أن المبايعه كانت في ثامن عشر ذي الحجة سنة ٥٣٠ هـ .

كمال الدين الدرگزینی (١) ، يسأله ما يحتاج إليه ليقام به ، فقال للوزير : ما أدرى قدر ما يحتاج إليه ، لكن لنا ثمانون بغلا تنقل الماء من دجلة — مع قربها منا — من بكرة إلى آخر النهار للشرب لا يستعمل منه في غيره شيء ، فانظروا حينئذ ما وراء هذا فقوموا (٦٢ - ب) لنا به ، فعاد الوزير وقال للسلطان : قد كان الرأي في العدل عن هذا الرجل ، ولكن الأمور مقدره ، وقد رأيت من هذا الرجل ما دل على وفور العقل وحسن التوصل إلى أغراضه وعلى غاية المعرفة ، وذكر قوله . فلم يبق من الحاضرين إلا من استحسنت ذلك .

ولما اتصل خبر بيعته إلى الراشد بالله وأتابك الشهيد ، أرسل رسولين (٢) إلى السلطان ، وأرسل الشهيد رسالة إلى الديوان العزيز (٣) . فأما رسول الراشد فلم تسمع رسالته . وأما رسول (٤) الشهيد فإنه أكرم كثيراً ، وكان الرسول عنه ، كمال الدين أبا الفضل محمد بن عبد الله ابن القاسم الشهرزوري . فحكى لي والدي عنه أنه قال : لما حضرت الديوان ، قيل لي تباع أمير المؤمنين . قال ، فقلت : أمير المؤمنين عندنا بالموصل ، وقد بايعناه نحن وأتمم والناس قاطبة في شرق الأرض وغربها ، وقد علمتم ما قيل في من يباع آخر ، وطال الكلام وعدت إلى [ ٦٣ - أ ] منزلي ، فلما كان الليل ، جاءتني امرأة عجوز سرا ، وأبلغتني عن المقتني لأمر الله رسالة ، مضمونها العتاب على ما كان من الامتناع عن البيعة ، ومعها جملة صالحة من التحف والمال . قال ، فقلت : غداً يظهر أثر خدمتي . فلما كان الغد حضرت ، وقيل لي في أمر البيعة فقلت : إن الراشد له في أعناقنا بيعة ، ولا يجوز التكت إلا بما يوجب خلعه ، وأنا فقيه لا يجوز لي فعل ما ينافي الشرع ، فيثبتون ما يوجب خلعه حتى أخلعه ، وأبابع عنى وعن صاحبي ، فلما سمعوا هذا أحضروا المحضر المذكور ، فلما رآه وشهد بر الشهود ، خلع الراشد وباع المقتني لأمر الله ، وقال : هذا أمير المؤمنين قد صار إليه خلافة الله في أرضه ، والسلطان فقد استراح ممن كان يقصده ويجمع عليه الجوع ، ونحن فلا بد لنا من هذه الدعوى (٥) نصيب . فرفع قوله [ إلى الخليفة (٦) ] فأمر الخليفة أن يجرى في إقطاع الشهيد من خاصه (٧) (٦٣ - ب) « صريفين » و « درب هارون » ويزاد في ألقابه ، وقال : هذه قاعدة لم يسمح بها لأحد من زعماء الأطراف ، أن يكون له في العراق إقطاع . واستحلف القاضي كمال الدين السلطان للشهيد ، واستنزله عما في نفسه منه .

وأما الراشد ، فإن السلطان سنجر أرسل إلى أتابك الشهيد يأمره بإخراجه عن بلده ، فسار إلى أذربيجان ثم إلى همذان ، واجتمع هو والملك داود ، ومنكبرس صاحب فارس ، وبوزابه (٨) صاحب خوزستان ومعهم عساكر كثيرة ، وسار السلطان إليهم فتصافوا واقتتلوا ، فقتل منكبرس

(١) أنظر ما سبق ، ص ٤٢ / حاشية / ١٠ . (٢) بالأصل : رسولان . (٣) في ، الفخرى (ص ٤٩) ، أن عماد الدين أرسل كمال الدين ليقدر أمر الراشد في الخلافة ، وأن يجتمع ويبالغ في تقرير أمره ، ولكن كمال الدين تصرف من تلقاء نفسه في المبايعه للخليفة المقتني . (٤) بالأصل : الرسول . (٥) بالأصل : الدعوة . (٦) الإضافة ، من السكامل (ح ٨ / ص ٣٥٥) . (٧) أى من أملاك الخليفة الخاصة . (٨) بالأصل : بوزان . (والتصحيح من ، السكامل ، ح ٨ / ص ٣٦١) .

وانهزم الراشد وقصد أصفهان ، فقتله الباطنية سابع وعشرين (١) رمضان سنة اثنتين وثلاثين وخمسةائة ، ودفن بأصفهان .

## ذكر خروج ملك الروم إلى الشام وما فعله الشهيد

في سنة اثنتين وثلاثين وخمسةائة ، خرج ملك الروم (٢) من القسطنطينية ، ومعه خلق عظيم (٦٤ - أ) لا يحصون كثرة من الروم والفرنج وغيرهما من أنواع النصارى ، فقصد الشام ، فخافه الناس خوفا عظيما . وكان الشهيد مشغولا بما تقدم ذكره لا يمكنه مفارقة الموصل (٣) ، فقصد ملك الروم مدينة بزاعة وحصرها - وهي على مرحلة من حلب (٤) وفتحها عنوة ، فقتل المقاتلة وسبي الذرية في شعبان .

ثم سار عنها إلى شيزر - وهي حصن منيع على مرحلة من مدينة حماة - فحصرها منتصف شعبان ، ومعه من في الشام من الفرنج ، وهم الذين أشاروا عليه بقصد شيزر ، وقالوا له : إنها ليست لأتابك فلا يتم بحفظها والذب (٥) عنها . وكانت حينئذ للأمير أبي العساكر سلطان بن علي ابن مقلد بن نصر بن منقذ الكناني المنقذي ، فقصدها الروم وحصروها ونصبوا عليها ثمانية عشر (٦) منجنيقا (٧) ، وأرسل سلطان بن منقذ إلى الشهيد يستنجده - وكان على [عزم] المسير إلى الشام لما بلغه خبر خروجهم إليه - فجد السير في عساكره فنزل على حماة ، وكان يركب كل يوم في (٦٤ - ب) عساكره ويسير إلى شيزر بحيث يراه ملك الروم ، ويرسل سرايا تتخطف من يخرج من عساكرهم للميرة والنهب ، ثم يعود آخر النهار . وكان الروم والفرنج قد نزلوا على جبل شرقي شيزر ، فأرسل إليهم الشهيد يقول لهم : إنكم قد تحصنتم بهذه الجبال ، فاخرجوا عنها إلى الصحراء حتى نلتقي ، فإن ظفرتم أخذتم الشيزر (٨) وغيرها ، وإن ظفرت بكم أرحت المسلمين

(١) في ، الكامل (٨/ص ٣٦٢) ، أنه قتل في الخامس والعشرين من الشهر .

(٢) كان إمبراطور الروم في ذلك الوقت يوحنا الثاني كالجوهايز (١١١٨ - ١١٤٣ م = ٥١٢ - ٥٣٨ هـ) .

وفي ، الكامل (٨/ص ٣٥٩) أن خروج ملك الروم إلى الشام كان بسبب حصار عماد الدين « بعين » وذلك

لمستجابة لاستجداد إفرنج الشام به . وقد ذكر ابن الأثير ، في الكامل ، خبر استيلاء عماد الدين على بعين سنة ٥٣١ هـ ، بينما

ذكره ، هنا ، في النص ، في سنة ٥٣٤ هـ ، (وما في الكامل يتفق مع ابن القلانسي ص/٢٥٨) . (٣) هذه

العبارة توحي أن هناك أجبار عن الموصل في النص الأصلي الذي بخط ابن الأثير ، وساقطة في نصنا ، مع ملاحظة أنه

لا توجد أخبار في « الكامل » تشير إلى ما كان يشغل عماد الدين بالموصل ، ولما الذي فيه ، أن عماد الدين كان

يحصر حمص حينما وصل ملك الروم إلى الشام . (٨/ص ٣٥٩) . (٤) بالأصل : وهي على حلب مرحلة .

(والتصحيح من الروضتين ، ١/ص ٣٢) . (٥) بالأصل : والدت . (٦) بالأصل : ثمان عشرة .

(٧) المنجنيق : في (صبح الأعشى ، ٢/ص ١٤٤) أنه « آلة من خشب ، له دفتان قائمتان ، بينهما سهم طويل

رأسه تقبل وذنبه خفيف ، تجعل كفة المنجنيق التي يجعل فيها الحجر يجذب حتى ترفع أسافله أعاليه ، ثم يرسل فيرتفع

ذنبه الذي فيه الكفة فيخرج الحجر منه ، فاأصاب شيئا إلا أهلكته » . (٨) الشيزر وشيزر بمعنى واحد .

وشيزر كما في (ياقوت) ، قلعة حصينة تشتمل على كورة بالشام ، قرب المعرة (معرة النعمان) بينها وبين حماة يوم ،

وفي وسطها نهر الأردن ، عليه قلعة في وسط المدينة ، أوله من جبل لبنان ، تعد في كورة حمص .



من شركم - ولم يكن له بهم قوة (١) لكثرتهم ، وإنما كان يفعل هذا ترهيباً (٢) لهم - فأشار الفرنج على ملك الروم بلقائه وقتاله وهونوا أمره ، فقال لهم ملك الروم : أتظنون أن معه من العساكر من ترون ، وله البلاد الكثيرة ، وإنما هو يريدكم قلة من معه لتطمعوا فيه وتصحروا (٣) له ، فحينئذ ترون من كثرة عسكره ما يعجزكم .

وكان أتابك مع هذا يرأس لإفرنج الشام ويحذرهم ملك الروم ، ويعلمهم أنه إن ملك بالشام حصناً واحداً أخذ البلاد التي بأيديهم (٦٥ - أ) منهم . وكان يرأس ملك الروم يتهده ويوهمه أن الفرنج معه ، فاستشعر كل واحد من الفرنج والروم من صاحبه ، فرحل ملك الروم عنها في رمضان . وكان مقامه عليها أربعة وعشرين يوماً (٤) ، وترك المجانيق وآلات الحصار بحالها . فلما سمع الشهيد برحيلهم سار خلفهم ، فظفر بطائفة منهم في ساقه العسكر فغنم منهم وقتل وأسر ، وأخذ جميع ما خلفوه ورفع إلى قلعة حلب ، وكفى الله المؤمنين القتال .

وكان المسلمون بالشام قد اشتد خوفهم ، وعلموا أن الروم إن ملكوا حصن شيزر ، لا يبقى لمسلم معهم مقام ، لا سيما بمدينة حماة لقربها .

ولما يسر الله تعالى هذا الفتح ، مدح الشعراء الشهيد فأكثروا ، ومن مدحه المسلم بن الخضر ابن قسيم الحموي فقال من قصيدة (٥) أولها :

بعزمك أيها الملك العظيم      تذلل لك الصعاب وتستقيم

ويقول فيها (٦) :

(٦٥ - ب) ألم تر أن كلب الروم لما  
جاء يطبق الفلوات خيلاً  
وقد نزل الزمان على رضاه  
فحين رميته بك في خميس  
وأبصر في المفاضة منك جيشاً  
كأنك في العجاج شهاب نور

تبين (٧) أنه الملك الرحيم  
كأن الجحفل الليل البهيم  
ودان لخطبه الخطب الجسم  
تيقن أن ذلك لا يدوم  
فأحرن (٨) لا يسير ولا يقيم  
توقد وهو شيطان رجيم

(١) بالأصل : بقوة . (٢) بالأصل : ترهيباً . (٣) بالأصل : وتحضروا . (والتصحیح من ، الروضتين ، ح/١/ص/٣٢) . (٤) في ، السكامل ( ح/٨/ص/٣٦٠ ) : أربعين يوماً . (٥) بالأصل : قصده . (٦) بعدما بالأصل ، اللفظ : شعر . ( وقد أسقطه المحقق لأنه زائد ) . (٧) في خريدة القصر ( ح/١/ص/٤٧١ ) : تظن ، وهذا اللفظ أنسب من لفظ النص في أداء المعنى . (٨) بالأصل : وحرب . وفي ، السكامل ( ح/٨/ص/٣٦١ ) : فأحرب . واللفظ الذي أنبته الحق ، من خريدة القصر ( ح/١/ص/٤٧١ / حاشية / ٩١ ) ، وهو أقرب إلى المعنى المقصود في البيت .

أراد بقاء مهجته فولى وليس سوى الحمام له حميم  
وهي طويلة .

ومن عجيب ما يحكى في هذه الحادثة ، أن الخبر لما وصل بقصد الروم شيزر ، قال الأمير  
مرشد بن علي — أخو صاحبها — وهو ينسخ مصحفاً فرفعه بيده ، وقال : اللهم بحق من أنزلته  
عليه ، إن قضيت بمجيء الروم فاقبضني إليك فتوفى بعد أيام ، ونزل الروم بعد وفاته .  
ولما عاد الروم إلى بلادهم ، سار أتاك إلى حصن عرقة (١) — وهو من أعمال طرابلس — فحصره  
وفتحه (٦٦ — أ) عنوة ونهب ما فيه ، وأسر من به من الفرنج وأخربه وعاد سالماً غانماً .  
وفها توفي القاضي بهاء الدين علي بن القاسم الشهرزوري ، قاضي الممالك الأتابكية . وكان  
أعظم الناس منزلة عنده .

### ذكر ملك الشهيد قلعة شهرزور (٢)

[ كانت قلعة شهرزور (٣) ] وأعمالها وما يجاورها من البلاد والجبال في يد قفجاق (٤) بن أرسلان  
تاش التركاني ، وكان مالكا لها ، نافذ الحكم على قاصي التركان ودانهم ، يرون طاعته فرضاً  
حتماً ، فتحامي الملوك قصد ولايته ولم يتعرضوا لها لخصائتها ، فعظم شأنه وازداد جمعه ، وقصده  
التركان من كل فج عميق .

فلما كان سنة أربع وثلاثين وخمسمائة ، أبلغ أتاك الشهيد عنه ما اقتضى أن يقصد بلاده (٥) ،  
فخذه أصحابه من ذلك وأشاروا بتركه ، علماً منهم أن الحماة والذابين عن بلاده كثير ، وأنه إن ضيق  
عليه سلم الولاية إلى السلطان مسعود ، فيصير مجاوراً للولاية الشهيد فلم يرجع عن عزمه (٦) ، وسير  
(٦٦ — ب) إليه عسكرياً ، فجمع قفجاق من التركان من يقدر على حمل السلاح ، فاجتمع عنده  
من السكينة (٧) ماسد بهم الفضاء ، وتلقاهم (٨) عسكرياً والشهيد وقاتلهم ، وصبر عسكرياً وتابعوا الحملات

(١) حصن عرقة : في ( ياقوت ) : عرقة . بكسر أوله وسكون ثانيه . بلدة في شرقي طرابلس ، بينهما أربعة  
فراسخ ، وهي آخر عمل دمشق . وهي في سفح جبل ، بينها وبين البحر نحو ميل . وعلى جبالها قلعة لها . وينقل ياقوت  
عن أبي بكر الهمداني ، أنها بلد من العواصم ، بين رقتية وطرابلس . (٢) بالأصل : « ذكر ملك الشهيد  
قلعة شهرزور وأعمالها وما يجاورها من البلاد والجبال في يد قفجاق ... » أي أنه لا يوجد فاصل بين العنوان والموضوع  
مما يدل على أن هناك سقط في النص . (٣) في الكامل ، (٨/ص/٣٦٧) ، أن استيلاء عماد الدين على شهرزور ،  
كان بعد حصاره دمشق ، الذي سيأتي خبره فيما يلي . (٤) في الكامل (٨/ص/٣٦٨) : قفجاق .  
(٥) لم يذكر ابن الأثير في ، الكامل (٨/ص/٣٦٨) سبباً وضحاً لقصد عماد الدين ، صاحب شهرزور ، وإنما  
ذكر أن قفجاق ، « عظم شأنه ، وازداد جمعه ، وأتاه التركان من كل فج عميق » . ولعل عماد الدين خاف من عظم  
شأن قفجاق ، وهو مجاور له بالموصل ، فعاوجه بالحرب قبل أن يستفعل أمره . (٦) بالأصل : عزيمته .  
(٧) بالأصل : السكينة . (٨) بالأصل : تقيهم .

على التركان حتى هزموهم واستباحوا عسكرهم ، ففضوا منهزمين لا يلوى أخ على أخيه ولا والد على ولده ، وسار العسكر عقب الهزيمة ودخلوا بلادهم ، فلكوا شهرزور (١) وغيرها من البلاد وأضافوها إلى مملكته ، وأصلح الشهيد أحوال أهلها ، وخفف عنهم ما كانوا يلقونه من التركان .

ثم إن الشهيد عزم على المسير إلى الشام ، فإنه كان لا يرى المقام بل لزال طاعنا إما لرد عدو يقصده ، وإما لقصد (٢) بلاد عدو ، وإما لغزو الفرنج وسد الثغور ، فكانت مياثر (٣) السروج آثر عنده من وثير المهاد ، والسهر في حراسة المملكة أحب إليه من عرض الوساد (٤) ، وأصوات السلاح ألد في سمعه من غناء القينات ، ولقاء (٥) القرن أشهى إليه من إضجاع الغايات ، وفيما (٦) ذكرته وأذكره (٦٧ — أ) دليل على صحة ذلك (٧) .

### ذكر حصار دمشق وبعثك

وفي هذه السنة أيضاً ، وهي سنة أربع وثلاثين وخمسمائة ، سار الشهيد في جنوده بعد ما ملك شهرزور إلى مدينة دمشق فحصرها ، وصاحبها حينئذ جمال الدين محمد بن بوري بن طغديكين . وكان محمد محكوماً عليه ، والغالب على أمره معين الدين أنز (٨) مملوك جده طغديكين . وكان أتابك قد أمر كمال الدين أبا الفضل بن الشهرزوري بمسكابة جماعة من مقدمي أحداثها وزناطرتها ، واستماتهم وإطعامهم في الرغائب والصلوات ، ففعل ذلك ، فأجابه منهم خلق كثير إلى تسليم البلد ، وخرجوا متفرقين إلى كمال الدين وجدد عليهم العهود ، وتواعدوا يوماً يزحف فيه الشهيد إلى البلد ليفتحوا له الباب ويسلموا البلد إليه ، فاعلم كمال الدين ، أتابك بذلك ، فقال : لا أرى هذا رأياً ، فإن البلد ضيق الطرق والشوارع ، ومتى دخل العسكر إليه لا يتمكنون من القتال فيه لضيقه ، (٦٧ — ب) وربما كثر المقاتلون لنا والمجربون ، فنعجز عن مقاومتهم لأنهم يقاتلوننا

(١) شهرزور : في ( ياقوت ) : بالفتح ثم السكون وراء مفتوحة بعدها زاي وو او سا كنة وراء . كورة واسعة في الجبال ، بين لمربل وهمدان . . . وأهل هذه النواحي كلهم أكراد . وينقل ياقوت عن معمر بن المهلهل الأديب ، أن شهرزور ، مدينتان وقرى ، فيها مدينة كبيرة وهي قصبتهما في وقتنا هذا يقال لها « نيم أراي » ، وأهلها عصاة على السلطان ، قد استظموا الحلاف واستعذبوا العصيان . والمدينة في صحراء ، وأهلها بطش وشدة ، يمتعون أنفسهم ويحمون حوزتهم . وسك سور المدينة ثمانية أذرع ، وأكثر أمراءهم منهم . . . وهم موالي ( الخليفة ) عمر بن عبد العزيز . وجرأهم الأكراد بالغبلة على الأمراء ومخالفة الحلفاء ، وذلك أن بلدهم مشقة ستين ألف بيت من أصناف الأكراد الجلالية ، والباسيان ، والحكمية ، والسولية . ولهم به مزارع كثيرة ، ومن صحاريهم يكون أكثر أفواتهم . ( وقد طول ياقوت في ذكر الأخبار عنها ) . (٢) بالأصل : القصد . (٣) مياثر : جمع ميثرة ، وهي « هنة كهينة المرفقة تتخذ للسرج كالضفة » . والجمع مواثر ، ومياثر . ( الإفصاح في فقه اللغة ، ص / ٣٤٠ ) . (٤) بالأصل : الوساد اساد . واللفظ : اساد زائد ، ولذلك أسقطه المحقق . (٥) بالأصل : واللقاء . (٦) بالأصل : فني . (٧) بالأصل : ما ذكرته واذكره صحيح دليل على صحة ذلك . (٨) هو معين الدين أنز بن عبد الله . توفي سنة ٥٤٤ هـ : وترجمته ، في : الكامل ( ح / ٩ / ص / ٢٦ ) : « مرآة الزمان ( ح / ٨ / ص / ٢٠٢ ) : ( شذرات الذهب ( ح / ٤ / ص / ١٣٨ ) . وقد ورد في « أنز » في كل من الكامل والشذرات : « أنز » ( بالزاي ) .

على الأرض والسطوحات ، وإذا دخلنا البلد اضطررنا إلى التفرق لضيق المسالك فيطمع فينا أهله ، وعاد عن ذلك العزم بحزمه وحذره . ومن العجب أن محمد بن بوري صاحب دمشق توفي وأتابك يحاصره ، فضبط أنر الأمور وساس البلد ، فلم يتغير بالناس حال ، وأرسل إلى بعلبك وأحضر مجير الدين أبق بن محمد بن بوري ورتبه بالملك مكان أبيه — وكان صغيراً — فشى الحال يتمكن معين الدين أنر وقوته . فلما وصل مجير الدين (١) إلى دمشق ، أقطع بعلبك (٢) لمعين الدين أنر ، فأرسل إليها وتسلمها ، فلما (٣) علم الشهيد ذلك ، سار إلى بعلبك وحصرها عدة شهور فلما عتوت وقهر (٤) ، وترك بها نجم الدين أيوب دزدارا ، وعزم على العود عنها إلى دمشق ، فجاءه رسل صاحبها يبذل الطاعة والخطبة له فأجابته إلى ما بذل ، وعاد عن قصد دمشق (٦٨ — أ) وقد خطب له فيها (٥) وصار أصحابها (٦) في طاعته وحكمه .

## ذكر فتح حصن بارين وهزيمة الفرنج

في هذه السنة ، وهي سنة أربع وثلاثين وخمسة (٧) ، سار أتابك الشهيد رضى الله عنه ، إلى بلاد الفرنج وأغار عليها ، واجتمع ملوك الفرنج وقامصتهم وكنودهم وفرسانهم ورجالهم وساروا إليه . فلقبهم بالقرب من حصن بارين (٨) — وهو المسمى حينئذ بعين — وهو للفرنج ، فالتقوا عنده ، فجمع الشهيد عساكره وحثمهم على الجهاد ، وأشلاههم على الكفرة الأوغاد ، ورتب أطلابه (٩) ، وحرص أصحابه ، وحزب أحرابه ، وناوشهم القتال ، وأعملوا الرماح والنبال ، ولم يزل هذا دأبهم حتى حمى الوطيس ، فحينئذ حملت الفرنج حملة اختلط فيها المرءوس والرئيس ، وارتفع القتام ، واشتد الزام ، وعظم الزحام ، وأديرت مترعة (١٠) كؤوس الحمام ، وبطل

(١) بالأصل : مجد الدين . (والتصحيح من النص نفسه) . (٢) بعلبك : في ( ياقوت ) : بالفتح ثم السكون وفتح اللام والباء الموحدة والكاف مشددة . مدينة قديمة ، فيها أبنية عجيبة وآثار عظيمة وقصور على أساطين من الرخام لا نظير لها في الدنيا . بينها وبين دمشق ثلاثة أيام ، وقيل اثنتا عشر فرسخاً من جهة الساحل . (٣) بالأصل : فلم . (٤) في ، الكامل ( ٣٦٤/ص/٨/ح ) ، أن استيلاء عماد الدين على بعلبك كان في ذى الحجة سنة ٥٣٣ ، وكذلك في ابن القلانسي ، ويظهر أن ابن الأثير — من حيث التاريخ — تبع ابن القلانسي في « الكامل » في السنة التي استولى فيها عماد الدين على بعلبك ، وتبع الفارقي ، في « النص » . فقد أضاف ناشر « ذيل تاريخ دمشق » (ص/٢٧١/حاشية/١ — أخبار سنة ٥٣٤ ، مانصه : قال الفارقي : « إن في هذه السنة ملك أتابك زنسكي قلعة بعلبك ونزل على دمشق وحاصرها مدة ، ثم سلموا إليه قلعة بصرى » . وأما حصار دمشق فقد كان في شهر ربيع الأول سنة ٥٣٤ ، وقد سار إليها من بعلبك . (الكامل ، ٣٦٧/ص/٨/ح) . (٥) بالأصل : فيه . (٦) بالأصل : أصحابه . (٧) في ، الكامل ( ٣٥٧/ص/٨/ح ) ، ابن القلانسي (ص ٢٥٩) ، أن استيلاء عماد الدين على « بعين » كان سنة ٥٣١ . أنظر ما سبق ص/٥٥/حاشية/٢) . (٨) بارين : في ( ياقوت ) . بعين ، بوزن خمسين . « بليد بين حصن والساحل ، هكذا تتلفظ به العامة ، وهو خطأ . ولما هو بارين » . (٩) الأطلاب : جمع طاب ، ( بضم فسكون ) بمعنى الكتبية في مصطلح ذلك العهد . (الذيل على الروضتين ، ص/١٢٨/حاشية/١) . وفي ، مرآة الزمان ( ٦٩٥/ص/٨/ح ) ، أني الطلاب ، فرقة من الفرسان عددها خمسمائة فارس . (١٠) بالأصل : مترعة .

العامل (١) وعمل الحسام ، فن ضربة تقط ، وأخرى تقد ، وثارَت عِجاجة كانت تحجب الشمس ، وخفت الأصوات فلا تسمع إلا الهمس ، وصبر الفريقان ( ٦٨ - ب ) صبراً لم يسمع بمثله في سالف الدهور ، إلا ما يحكى عن ليلة الهريير (٢) ، ونصر الله المسلمين نصراً عزيزاً ، وأحلبهم من عارفته محلاً حريزاً ، وأجلت الواقعة عن هزيمة الفرنج ، وأخذتهم سيوف المسلمين من كل ناحية وهرب ملوكهم وفرسانهم فدخلوا حصن بارين واحتموا به ، لأنه كان من أقرب حصونهم (٣) [ إليهم ] ، وسلموا عدتهم وعتادهم ، وكرعهم وأزوادهم ، وكثر فيهم القتل فهم بين الجريج بحد الصفاح ، ونصول السهام والرماح ، ﴿ سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً ﴾ (٤) ثم سار الشهيد بعد الهزيمة إلى بارين وبه الفرنج ليحصره ، فحين نازله طاف به وقابله ، فرأى حصناً معلقاً في الهواء ، مقارناً هامة الجوزاء ، قد فاق الجبال الراسيات وجازها سموماً ، وقد تشمخ بأنفه عن أن يرام ، ونأى بجانبه عن أن يضام (٥) ، فلا ترمقه الأبصار إلا عادت حسيرة ، ولا تومه الطيور إلا أضحت (٦) أجنحتها مهيضة كسيرة ، ومن به من ملوك الفرنج وفرسانهم ، وكهولهم وشبانهم ، واثقين بحصانته ، معتزين بعلو ( ٦٩ - أ ) مكانه ومكانته ، متيقنين أن الحوادث لا تنالهم وهم به معتمون ، وأن الأيام لا تنفذ سهامها فيهم وهم به مقيمون ، وقد وعدهم الشيطان النجاة ولات حين مناص ، وحقق عندهم السلامة وحيل بينهم وبين الخلاص ، يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غروراً ، وأنى يكون ذلك وقد أهدقت بهم الأسد في عربنها ، الذابة عن دين الله تعالى ودينها ، فحين رأى الشهيد هذا الحصن وارتفاعه ، ومن اجتمع به من شجعان الفرنج وفرسانهم ، المحامين عن أنفسهم وأهلبيهم وأمواهم وصلبانهم ، علم أنه لا ينال بالتواني ، ولا يبلغ قلبه بسير السواني ، فأعد واستعد ، وشم في قتاله عن ساق الجد ، ونازله بعزم أعظم منه ، وقوة لا تعجز عنه ، وحصره وأحاط به كإحاطة الهالة بالقمر ، وبياض (٧) العين بسواد البصر . ورماه بسهام شهامته وضيق على من به الخناق ، وتابع الزحف إليهم ووالى القتال عليهم ، وأكثر من إرسال السهام وحجارة المجانيق ( ٦٩ - ب ) حتى كادت تحجب الهواء (٨) ، وتحول بينهم وبين السماء ، وكانت فوق من به كسحاب لمعان نصولها برقه المتألق ، ووقع الأحجار رعه المتبعق ، إلا أنه سحاب يمطر المنيا ، وينبت الختوف والرزايا ، فحينئذ استخذى الحصن وانخذل ، واستسلم لصولة هذا الهمام البطل ، وألقى إلى الإستسلام بيده ، ولم ينفعه حصانته وكثرة عدده وعدده ، كمال قال فيه بعضهم :

بادى المعالم أطرقت شرفاته إطراق منجذب القرينة عان

(١) العامل : هو صدر الريح دون السنان ( لسان العرب ) . (٢) ليلة الهريير ، هى الليلة الثالثة والأخيرة من موقعة القادسية بين سعد بن أبى وقاص والقائد الفارسي رسم بالعراق سنة ١٦ هـ . (٣) بالأصل : أقرب من حصونهم . (٤) سورة الأحزاب : ٦٣ . (٥) بالأصل : يضام . (٦) بالأصل : اصت . (٧) بالأصل : والبياض . (٨) بالأصل : الهوى .

## أغضى كستمع الهوان تغيت أنصاره وخلا عن الخلان

ولا عار على من أفرسه الغضنفر ، ولا نقيصة على من أذعن (١) لصولة الموت الأحمر ، فاكل غانية هند ، ولا كل ذات سوار دعد . ولما عين من به الهلاك راسلوا في طلب الأمان ليسلوا ، وسألوه في حقن دمائمهم ليستسلوا ، وهو لا يصغى إلى مقاتلهم ، ولا يسمع رسالتهم ، وقد قوى عزمه على أخذه قهراً ( ٧٠ - أ ) ليملك به (٢) سائر بلادهم ، ويرجح المسلمين بعد هذه الواقعة من قراهم وجلادهم . فبينما هم كذلك ، بلغه أن من بالساحل من الفرنج الناجين من المعركة ، السلمين من الهلكة ، قد ساروا إلى بلاد الفرنج والروم في البحر يستجدونهم ويستنصرونهم ، وينهون إليهم ما دهمهم وبلادهم ، وما فيه ملوكهم وقمامتهم من الحصر وأكنادهم ، وأن أولئك قد جمعوا وحشدوا ، وإلى المسير نحوه فقصدا ، فحينئذ جد في الحصار وأذكى العيون ، وعمل (٣) [ على ] التضييق (٤) على من بالقلعة ومنع كل شيء عنهم حتى (٥) الأجناد ، وأقبلت الأمداد من سائر أنواع النصرانية إلى الساحل من كل حذب ينسلون ، وإلى تلبية من به من إخوانهم يهرعون . هذا ومن بالحصن لا يعلمون بشيء من ذلك ، وقد تيقنوا أنهم عن قريب ما بين مأسور وهالك ، فأعادوا مراسلته (٦) في طلب الأمان ، فأجابهم إليه بعد أن علم وصول الأمداد إلى الساحل واجتماعهم على من به من أهله ( ٧٠ - ب ) فلما أجابهم إلى الأمان وتسليم الحصن منهم سلموه وهم لا يصدقون بالنجاة ، وساروا عن الحصن يوماً ، فلقيتهم أمداد النصرانية ، فسألوهم عن حالهم فأخبروهم بتسليم الحصن ، فلاموهم ووبخوهم وعنفوهم ، وقالوا : عجرتم عن حفظه يوماً أو يومين . فحلفوا لهم أننا لم نعلم بوصولكم ، ولم يبلغنا عنكم خبر منذ حصرنا إلى الآن . فلما عميت الأخبار عناظتنا أنكم قد أهملتم أمرنا ، وقعدتم عن نصرنا فحقتنا دماءنا بتسليم الحصن وافندينا به ماوراءه . وكان حصن بارين من أضر بلاد الفرنج على المسلمين ، فإن أهله كانوا قد خربوا ما بين حماة وحلب من البلاد ونهبوها وتقطعت السبل ، فأزال الله بالشهيد - رضى الله عنه - هذا الضرر العظيم . وفي مدة مقامه على حصار بارين ، سير جنسدا إلى المعرة (٧) وكفر طاب وتلك الولاية جميعها فاستولى عليها وملكها ، وهي بلاد كثيرة وقرايا عظيمة .

(١) بالأصل : أذعر . (٢) بالأصل : بهم . (٣) بالأصل : وعمى . (٤) بالأصل : (٥) التضييق . (٥) بالأصل : حتى . (٦) بالأصل : لمراسته .

(٧) المعرة ، هي معرة النعمان . وفي (ياقوت) : هي مدينة كبيرة قديمة مشهورة من أعمال حمص ، بين حلب وحماة . وفي ، السكامل (ج/٨/ص/٣٥٨) : « ومن أحسن الأعمال ما عمله زنكي مع أهل المعرة ، فإن الفرنج كانوا قد أخذوا أملاكهم ، فلما فتحها زنكي الآن ، حضر من يق من أهلها ومعهم أعقاب من هلك وطلبوا أملاكهم ، فطلب منهم كتباً ، فقالوا : إن الفرنج أخذوا كل مالنا والكتب التي للأملاك فيها . فقال أطلبوا دفاتر حلب ، وكل من عليه خراج على ملك يسلم إليه . ففعلوا ذلك ؛ وأعاد على الناس أملاكهم . وهذا من أحسن الأفعال وأعدلها . »

## (٧١ - أ) ذكر حصار الروم والإفرنج مدينة حلب

لما وصل الروم والفرنج إلى الشام لإزالة الشهيد عن حصار بارين ومن بها من ملوك الفرنج ورأوا الأمر قد فات ، لم يروا أن تخلوا (١) سفرتهم من أثر يؤثرونه في حماية دينهم ويرجعوا بخفي حنين ، فاتفقوا على قصد بعض بلاد المسلمين ومحاصرته ، لعلمهم يظفرون بما يذهب عنهم غم مصيبتهم ويجبر كسرهم ، فساروا ونازلوا مدينة حلب وحصروها ، وهم في جمع لم يشاهد الناس مثله كثرة ، وهم مع ذلك موتورون ، فلم ير الشهيد أن يخاطر بالمسلمين ويلقاهم ، فانحاز عنهم ونزل قريباً منهم يمنع عنهم الميرة ، ويحفظ أطراف البلاد من انتشار العدو فيها والإغارة عليها . وأرسل (٢) القاضي كمال الدين بن الشهرزوري إلى السلطان مسعود ينهى إليه حال البلاد وكثرة العدو ، ويطلب منه النجدة وإرسال العسكر . فحكى لى والدى عن كمال الدين ، قال : قلت للشهيد ( ٧١ - ب ) لما أرسلنى : أخاف أن تخرج البلاد من أيدينا ، ويجعل السلطان هذا حجة وينفذ العساكر ، فإذا توسطوا البلاد ملكوها . فقال الشهيد : إن هذا العدو قد طمع في البلاد ، وإن أخذ حلب لم يبق بالشام إسلام ، وعلى كل حال فالمسلمون أولى بها من الكفار . قال : فلما وصلت إلى بغداد وأديت الرسالة ، وعدنى السلطان بإنفاذ العساكر ثم أهمل ذلك ولم يتحرك فيه بشيء ، وكذب الشهيد متصلة إلى يحتنى على المبادرة بإنفاذ العساكر ، وأنا أخاطب ولا أزداد على الوعد ، فلما رأيت قلة اهتمام السلطان بهذا الأمر العظيم ، أحضرت فلانا - وهو فقيه وكان ينوب عنه في القضاء ، وكان حاضرا عند حكاية كمال الدين هذا لوالدى - قال : فقلت له : خذ هذه الدنانير وفرقها في جماعة من أوباش بغداد والأعاجم ، وإذا كان يوم الجمعة وصعد الخطيب المنبر بمجامع القصر قاموا وأنت معهم واستغاثوا بصوت واحد ، والإسلامه ، وادين ( ٧٢ - أ ) محمداه ، ويخرجون من الجامع ويقصدون دار السلطان مستغيثين ، ثم وضعت إنسانا آخر يفعل (٣) مثل ذلك في جامع السلطان . فلما كانت الجمعة ، وصعد الخطيب المنبر ، قام ذلك الفقيه وشق ثوبه وألقى عمامته عن رأسه وصاح ، وتبعه أولئك النفر بالصياح والبكاء ، فلم يبق بالجامع إلا من قام يبكي ، وبطلت الجمعة . وسار الناس كلهم إلى دار السلطان ، وقد فعل أولئك الذين بجامع السلطان مثلهم ، واجتمع أهل بغداد وكل من بالعسكر (٤) قاطبة عند دار السلطان يبكون ويصرخون ويستغيثون ، وخرج الأمر عن الضبط ، وخاف السلطان في داره ، وقال : ما الخبر . فقيل [ له ] : إن الناس قد ثاروا حيث لم ترسل العساكر إلى الغزاة . فقال : أحضروا ابن الشهرزوري . قال : فحضرت

(١) بالأصل : يخلوا . (٢) في الكامل ، (٨/ص/٣٥٩ - حوادث سنة ٥٣٢ هـ) ، أن عماد الدين أرسل القاضي إلى السلطان يطلب النجدة ، حين كان الفرنج على بزاعة .  
(٣) بالأصل : فعل . ( والتصحيح من الروضتين ، (١/ص/٣٥ ، الكامل (٨/ص/٣٦٠) .  
(٤) العسكر : حى في الجانب الشرقى من بغداد ، جعله الخليفة المهدي (١٥٧ - ١٦٩ هـ) معسكراً للجنود فسمى « عسكر المهدي » ، ثم عمرت بالناس والبنيان . ( الاصلطخرى ، ص/٥٨ )

عنده وأنا خائف منه ، إلا أنني قد عزمت على صدقه وقول الحق . فلما دخلت [ عليه ] ، قال : يا قاضي ما هذه الفتنه ، فقلت : إن الناس قد فعلوا هذا ( ٧٢ — ب ) خوفاً من القتل والشرك ، ولاشك أن السلطان ما يعلم كم بينه وبين العدو ، إنما بينكم نحو أسبوع ، وإن أخذوا حلب إنحدروا إليك في الفرات وفي البر ، وليس بينكم بلد يمنعهم عن بغداد ، وعظمت الأمر عليه حتى جعلته كأنه ينظر إليهم . فقال : أردد هؤلاء العامة عنا وخذ من العساكر ما شئت وسر بهم والأمداد تلحقك . قال : فخرجت إلى العامة ومن انضم إليهم وعرفتهم الحال ، وأمرتهم بالعود فعادوا وتفرقوا . وانتخبت من عسكره عشرين ألف فارس . وكتبت إلى الشهيد أعرفه الخبر ، وأنه لم يبق غير المسير ، وأجدد إستدثانه في ذلك . فأمر بتسييرهم والحث على ذلك ، فعبرت العساكر إلى الجانب الغربي ، فبينما نحن نتجهز للحركة ، وإذا قد وصل نجاب من الشهيد ، يخبر أن الروم والفرنج رحلوا عن حلب خائبين لم ينالوا منها غرضاً (١) ، ويأمرني بترك إستصحاب العساكر ومخاطبة السلطان ( ٧٣ — أ ) في إقامتهم . فلما خوطب السلطان في ذلك ، أصر على إنفاذ العساكر إلى الجهاد وقصد بلاد الفرنج وأخذها منهم وإزاحتهم عنها . وكان قصده بذلك أن تطأ عساكره البلاد بهذه الحججة فيملكها . قال : فلم أزل أتوصل مع الوزير وأكابر الدولة حتى أعدت العساكر إلى الجانب الشرقي وسرت (٢) إلى الشهيد . فانظر إلى هذا الرجل الذي هو خير من عشرة آلاف فارس . رحم الله الشهيد ، فلقد كان ذاهمة عالية ، ورغبة في الرجال ذوى الرأى والعقل ، يرغبهم (٣) ويخطبهم من البلاد ، ويوفر لهم العطاء . حكى لى والدى ، قال : قيل للشهيد ، إن هذا كمال الدين يحصل له كل سنة منك ما يزيد على عشرة آلاف دينار أميرية (٤) ، وغيره يقنع منك بخمسمائة دينار ، فقال لهم : بهذا العقل والرأى تدبرون دولتى ، إن كمال الدين يقل له هذا القدر ، وغيره يكثر له خمسمائة دينار ، فإن شغلا ( ٧٣ — ب ) واحداً يقوم فيه كمال الدين خير من مائة ألف دينار . وكان كما قال رضى الله عنه .

(١) ذكر ابن الأثير خبر حلب في الكامل (ح/٨/ص/٣٥٩) ، فقال ، انه عندما حاصر الروم بزاعة كان عماد الدين يناصر حصص ، فضى جماعة من أعيان حلب إليه فاستفتاوا به واستنصروه ، فسير معهم كثيراً من العساكر فدخلوا إلى حلب ليمعروها من الروم لأن حصروها . ولما ملك الروم بزاعة ، رحلوا إلى حلب في خيلهم ورجلهم ، فخرج إليهم أحداث حلب فقاتلهم قتالا شديداً ، فقتل من الروم وجرح خلق كثير ، وقتل بطريق جليل القدر عندهم ، وأقاموا عليها ثلاثة أيام فلم يروا فيها طمعاً ، فعادوا عنها خاسرين إلى قلعة الأتاب . (٢) بالأصل : سيرت . (والتصحیح من ، الروضتين ، ح/١/ص/٣٦) . (٣) بالأصل : ويرغبهم . (٤) بالأصل : وأمر به . (والتصحیح من ، الروضتين ، ح/١/ص/٣٦) .



## ذكر ملك الشيباني وبناء العمادية ببلد الهكارية

في سنة سبع وثلاثين (١) [وخمسة] سار أتاك الشهيد إلى بلد الهكارية ، وكان بيد الأكراد وقد أكثروا في البلاد الفساد ، إلا أن نصير الدين جقر [نائب السلطان الشهيد بالموصل (٢)] كان قد ملك كثيراً من بلادهم واستولى عليها . فلما بلغها أتاك الشهيد حصر قلعة الشيباني (٣) - وهي من أعظم قلاعهم وأحصنها - فملكها وأخربها . وأمر ببناء قلعة العمادية (٤) عوضاً عنها . وكانت هذه العمادية حصناً كبيراً عظيماً ، يقبل في حصون الجبال ما يقاربه ، فأخربه الأكراد لعجزهم عن حفظه لكبره . فلما ملك الشهيد البلاد التي لهم ، قال : إذا عجز الأكراد عن هذا الحصن فأنا لا أعجز عنه ، فأمر ببنائه . وكان رحمه الله تعالى ذا عزم ونفاذ أمر ، فبناه وسماه العمادية ، نسبة (٧٤ - أ) إلى لقبه عماد الدين .

وفيه أيضاً خطب لأتاك الشهيد بآمد (٥) ، وكان قد أرسل إلى صاحبها يطلب منه الانفصال عن موافقة ركن الدولة داود صاحب الحصن والالتقاء إلى خدمته والخطبة له ، فإن أجاب وإلا قصدتها وحصرها (٦) ، فأجابوه وخطبوا له وصاروا في طاعته .  
وفيه أيضاً ملك الشهيد مدينة حديثة (٧) وعانة (٨) .

(١) في ، الكامل (ح/٨/ص/٢٤٣) ، أن استيلاء عماد الدين على قلاع الأكراد الهكارية ، ومنها الشيباني ، كان سنة ٥٢٨ . وصرح ابن الأثير ، بأنه يروى هذا الخبر عن بعض العلماء الأكراد ، وأنه لا يعلم بالضبط تاريخ فتح هذه القلاع . (٢) الإضافة من الروضتين (ح/١/ص/٣٦) .

(٣) لم يذكر (ياقوت) هذه القلعة في معجمه . (٤) هناك اختلاف عند ابن الأثير في اسم القلعة التي أقام عماد الدين على أنقاضها قلعة العمادية . فهو هنا يذكر ، أن القلعة هي قلعة الشيباني ، بينما يذكر في الكامل (ح/٨/ص/٣٤٣ - أخبار سنة ٥٣٨) أنها قلعة الجلاب ، وبعد سطور ذكر أنها قلعة آشب ، وذكر ابن الأثير خبر استيلاء عماد الدين عليها وأنه أخربها وأقام على أنقاضها قلعة العمادية ، وعلى هذا الخبر اعتمد (ياقوت) في وصفه لقلعة العمادية ، فقال عنها : أنها قلعة حصينة مكينة عظيمة في شمالي الموصل ومن أعمالها . عمرها عماد الدين زنكي بن آقسنقر سنة ٥٣٧ ، وكان قبلها حصناً للأكراد ، فأكبره خربوه ، فأعاد زنكي وسماه باسمه نسبة إليه . وكان اسم الحصن ، آشب . ويصفها ، البديلي في كتابه « شرفنامه » (ح/١/ص/١٠٢) : « وقلعة العمادية الحالية من الأبنية الحديدية التي بناها في عهد السلاجقة عماد الدين زنكي بن آقسنقر والى الموصل وسنجار . وتقع المدينة وقلعتها على صخرة عظيمة مستديرة ، ترتفع بعض الأمكنة منها عن الأرض مائة ذراع ، وبعضها حوالي الخمسين أو الستين ، والبعض الآخر عشرين ذراعاً . وفي القلعة جبان عميقان يمدانها بالماء ، ومنها يأخذ الحمام والمدرسة وسائر الممارات ، ولكن الناس يجلبون مياه الشرب من خارج البلد على ظهور الدواب ... » . (٥) في ، الكامل (ح/٩/ص/٥) ، أن ذلك كان سنة ٥٣٦ . (٦) بالأصل : واحصرها . (٧) حديثة : ذكر (ياقوت) ، موضعين باسم حديثة . أحدهما : « حديثة الموصل » ، وهي بلدة كانت على دجلة بالجانب الشرقي قرب الزاب الأعلى . والآخر : « حديثة الفرات » ، وتعرف بحديثة النورة ، وهي على فراسخ من الأنبار ، وبها قلعة حصينة في وسط الفرات والماء يحيط بها . (٨) ونحن نرجح أن الموضع المقصود هنا ، « حديثة الفرات » ، لجواريتها لـ « عانة » كما يتبين من الحاشية التالية . المحقق) . (٨) عانة : في (ياقوت) : بلد مشهور بين الرقة وهيت (على الفرات) ، يعد في أعمال الجزيرة .

## ذكر الوحشة بين السلطان مسعود<sup>(١)</sup> وأتابك

الشهيد رضى الله عنهما

قال . كان السلطان مسعود لما أفضت السلطنة إليه ، لا يزال الأمراء والأكابر وأصحاب الأطراف يخرجون عن طاعته ، تارة مجتمعين وتارة متفرقين . وقد تقدم ذكر بعض ذلك . وكان كلما إنفتق (٢) عليه فتق نسبه إلى الشهيد ، وظن أنه هو أشار به وسعى فيه ، لعله أن جماعة الأمراء يعرفون محل الشهيد من العقل والتدبير والسياسة وكثرة البلاد والأموال والعساكر . (٧٤ - ب) وكان ظن السلطان فيه صادقا ، فإنه كان يفعلُه لئلا يخلو وجه السلطان من شاغل ليتمكن هو من فتح البلاد والتمكن في الملك . فلما كان هذه السنة - وهي سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة - زالت الشواغل عن السلطان وتفرغ باله ، فجمع العساكر فأكثر (٣) ، وأظهر العزم على قصد الموصل وبلاد الشهيد ، فرددت [الرسل (٤)] بينهما حتى استقرت الحال على مائة ألف دينار إمامية يحملها إلى السلطان . وطلب السلطان أن يحضر الشهيد في خدمته ، فامتنع واعتذر باشتغاله بالفرنج وتمسك العدو وقربه من البلاد التي بيده ، فعذره السلطان وشرط عليه فتح الرها . وكان [ من ] أعظم الأسباب في تأخر السلطان عن قصد الموصل ، أنه قيل له إن تلك البلاد لا يقدر على حفظها من الفرنج غير أتابك عماد الدين ، فإنها قد وليها قبله مثل جاولى سقاووا ، ومودود ، (٧٥ - أ) وجيوش بك ، والبرسقى وغيرهم من الأمراء ، وكان السلاطين (٥) يمدونهم بالعساكر الكثيرة ولا يقدرّون على حفظها ، ولا يزال الفرنج يأخذون منها البلد بعد البلد إلى أن وليها أتابك ، فلم يمدّه أحد من السلاطين بفارس واحد ولا بمال ، ومع هذا فقد فتح من [بلاد] العدو عدة حصون وولايات (٦) ، وهزمهم غير مرة واستضعفهم ، وعز الإسلام به . ومن الأسباب المانعة له أيضا ، أن الشهيد رحمه الله ، كان لا يزال ولده الأكبر سيف الدين غازى في خدمة السلطان مسعود بأمر والده ، وكان السلطان يحبه ويقربه ويعتمد عليه ويثق به ، فأرسل إليه الشهيد يأمره بالهرب والمجيء إلى الموصل ، وأرسل إلى نائبه بالموصل - وهو نصير الدين جقر - يأمره بمنعه من دخول الموصل ، ومن المسير إليه أيضا ، فهرب سيف الدين وجاء إلى الموصل ، فلم يمكنه نصير الدين من دخولها ، وأراد المسير إلى والده فمنعه (٧٥ - ب) أيضا ، وقال له : ترسل إلى (٧) والدك تستأذنه في الذى تفعله ، فأرسل إليه ، فأعاد جوابه : إني لا أريدك مهما السلطان ساخط عليك ، وألزمه بالعود ، وأعادته ومعه رسول إلى السلطان يقول له : إني بلغنى أن ولدى فارق الخدمة بغير إذن فلم أجمع به ورددته إلى بابك . فحل هذا عند السلطان محلا كبيرا

(١) بالأصل : بين السلطان وبين مسعود . (٢) بالأصل : اتفق . (٣) بالأصل : فأكثره .

(٤) الإضافة من ، الروضتين (ج/١/ص/٣٦) . (٥) بالأصل : وكان السلطان السلاطين .

(٦) بالأصل : ولايات . (٧) بالأصل : لى .

أجاب إلى ما أراد الشهيد . ولما استقر المال حمل منه عشرين ألف دينار ، أكثرها جناس عروض . ثم إن الأمور تقلبت وعاد أصحاب الأطراف وخرجوا (١) عليه ، فاضطر إلى مداراة شهيد وأطلق له الباقي استمالة (٢) له واستصلاحا لقلبه .

## ذكر ملكة عدة بلاد وحصون من ديار بكر

في سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة ، سار الشهيد إلى ديار بكر قاصداً فتحها ومحاصراً لها ، ففتح عدة بلاد ، منها : مدينة طنزة (٣) ، وأسعد (٤) ، وملك مدينة المعدن (٥) (٧٦ - أ) الذي عمل منه النحاس من أرمينية (٦) ، ومدينة حيزان (٧) . وملك أيضاً حصن الزوق (٨) ، وحصن طليس (٩) ، وحصن باتاسا (١٠) ، وحصن ذى القرنين .

وأخذ من أعمال ماردين عدة مواضع ، ورتب أمور الجميع ، وترك فيها من يحفظها إذا سار عنها . وقصد مدينة آمد ، ومدينة حاني (١١) فحصرهما . فملك مدينة حاني ، فدوخ البلاد ، وأقام على آمد محاصراً لها ، وقصد إستطلاع حال الرها على ما تذكره إن شاء الله تعالى .

## في ذكر فتح الشهيد مدينة الرها

في جمادى الآخر من سنة تسع وثلاثين وخمسمائة ، فتح الشهيد رضى الله عنه مدينة الرها من فرنج ، وكانت لجوسلين (١٢) عاتيم وشيطانهم ، والمقدم على رجالتهم وفرسانهم ، وكلهم قد ذعن له بالنهاية في الشجاعة ، فهم يخضعون له ببذل الطاعة . وكان مدة حصارها ثمانية وعشرين يوماً ، وأعادها إلى حكم الإسلام ، ونفذت فيها أحكام أهل الإيمان ، وهذه الرها هي من أشرف بلدن عند النصارى (٧٦ - ب) وأعظمها محلاً . وهي إحدى السكراسى عندهم ، فأشرفها البيت

- (١) بالأصل : خرجوا . (٢) بالأصل : استماله واستماله واستصلاحاً . (٣) طنزة : في (ياقوت) : بفتح أوله وسكون ثانيه وزاى . بلد بجزيرة ابن عمر من ديار بكر . (٤) أسعد : لم يذكرها (ياقوت) ، وفي تاريخ الفارق (ص/٥٩/حاشية/٥ - نقلاً عن تقويم البلدان) : بكسر المعزة والسين وكسر العين وسكون الراء المهملات ثم دال . ويقال لها « سعرت » ، على جبل بالقرب من شط دجلة ، هي عن ميفارقين على مسيره يوم ونصف . (٥) المعدن : في (ياقوت) : بكسر الدال وآخره نون . قرية من رى زوزن ، من نواحي نيسابور . وفي السلوك (ج/١/ص/٦٩٠/حاشية/٤) بلدة بأرمينية قرب منبع نهر دجلة ، سميت بهذا الاسم لوجود مناجم لمعدن النحاس والحديد بقريةها . (٦) العبارة « الذى يعمل منه النحاس من أرمينية » مضطربة المعنى ، ولعلها كانت بخط ابن الأثير : « وملك مدينة المعدن التى يستخرج منها النحاس ، ويعمل فى أرمينية » . (٧) حيزان : في (ياقوت) : بكسر أوله وسكون ثانيه وزاى وألف وتون . بلد فيه شجر وبساتين كثيرة ومياه غزيرة . وهي قرب أسعد من ديار بكر . (٨ و٩ و١٠) : وردت أسماء الحصون فى ، الكامل ، معرفة عما هي عليه هنا فقد وردت : الدوق ، مطليس ، بالنسبة . ولم يستطع المحقق ، تحقيق هذه الأسماء لعدم ورودها فى ياقوت ، كذلك وردت محرفة فى ابن واصل (ح/١/ص/٩٢) . (١١) حاني : فى (ياقوت) : بالنون ، رزن قاضى وغازى ، اسم مدينة معروفة بديار بكر ، فيها معدن الحديد ومنها يجلب إلى سائر البلاد . (١٢) هو جوسلين الثانى ابن جوسلين الأول .

المقدس ، ثم أنطاكية ، [ ثم رومية (١) ] والقسطنطينية ، والرها . وكان هذا فتح الفتوح حقا ، وأشبهها بيدر صدقا ، من شهبه فقد تمسك من الجهاد بأوثق (٢) سبب ، ولو عاصره الطائي (٣) لعلم أنه أولى بقوله ، السيف أصدق أنباء من الكتب ، لأن ضرر من بهذه المدينة من الفرنج على المسلمين لقربها عظيم ، وشرهم إليها جسيم . إذ كانت من الديار الجزرية عينها ، ومن البلاد الإسلامية حصنها ، وانضاف إليها عدة من البلاد فاتسعت مملكتهم ، واشتدت على أهلها وطأتهم فلكوا من نواحي ماردين إلى الفرات — على طريق شبختان — عدة حصون ، كسروج ، والبيرة (٤) ، وجبلين ، والموزر (٥) ، والقرادى (٦) ، وسن ابن عطير (٧) وغير ذلك (٨) . وكانت غاراتهم تبلغ مدينة آمد من ديار بكر ، وماردين ، ونصيبين ، ورأس عين ، والرقه . وأما حران فكانت [ معهم (٩) ] في الخزي ، كل يوم قد صبجوها بالغارة (١٠) ، فلما رأى (٧٧ - أ) الشهيد الحال هكذا ، أنف لدولته أن يترك من بالرها من الكفار يجوسون من مملكة الإسلام خلال الديار ، وكان يعلم أنه لا ينال منها غرضا ، ولا يمكنه أن يحيل جوهر الكفار بها عرضا ، ما دام بها جوسلين وفرسانه ، وجنوده وأعوانه ، وأنه متى قصدتها محاصرا لها إجمعت الفرنج لحفظها منه ، فعدل إلى أعمال الحيل والخداع ، إذ كان أجمع في هذه الحادثة من المصاع (١١) ، والرأى قبل شجاعة الشجعان هو أول وهى المحل الثانى . فعدل عن قصدتها إلى ما جاورها من ديار بكر التى بيد المسلمين ، كحانى ، وجبل جور (١٢) ، وآمد على ما تقدم ذكره ، فكان يقاتل من بها قتالا فيه إبقاء وهو يسر حسوا (١٣) فى ارتغاء (١٤) ، فهو يخطبها وعلى غيرها يحوم ، ويطلبها وسواها يروم ، ووكل بها من يخبره بخلو عربنها من آساده ، وفراغ حصنها من (١٥) أنصاره وأجناده . فلما رأى جوسلين اشتغال الشهيد بحرب أهل ديار بكر ، ظن (٧٧ - ب) أنه لا فراغ له إليه ، وأنه لا يمكنه الإقدام عليه ، ففارق الرها إلى بلاده الشامية ليلاحظ أعماله ، ويتعهد ذخأره وأمواله

- (١) الإضافة من ، الروضتين (ح/١/ص/٣٦) . (٢) بالأصل : اوثق . (٣) بالأصل : الطائى . وهو الشاعر أبو تمام الطائى ، الذى مدح الخليفة العباسى المعتصم بالله حين فتح عمورية من الروم سنة ٢٢٣ .
- (٤) البيرة : فى (ياقوت) : بالباء والياء . بلد قرب سميساط . بين حلب والنعور الرومية . وهى قلعة حصينة ، ولها رستاق واسع . وفى ، الكامل (ح/٩/ص/١٥٦) ، أنها قلعة متباعدة على الفرات من الجانب الجزرى .
- (٥) الموزر لم ترد فى (ياقوت) . وفى ابن واصل ، (ح/١/ص/٩٢/حاشية/١٠) ، أنها كورة بالجزيرة منها نصيبين الروم . (٦) القرادى : لم يرد لها تعريف فى (ياقوت) . ووردت فى ابن واصل (ح/٣/ص/١٤٠) ، أنها ضيعة من أعمال شبختان ، وفى (س/١٩٥) — نفس المصدر) أنها ضيعة من عمل ماردين .
- (٧) سن ابن عطير : لم يرد لها تعريف فى (ياقوت) . وفى ، الكامل (ح/٨/ص/٢٨٥) قلعة ابن عطير ، وتقع عند الرها . (٨) فى الكامل (ح/٩/ص/٨) . أن هذه الحصون وغيرها مما يقع غرب الفرات كانت لجوسلين صاحب الرها . (٩) الإضافة من ، الروضتين (ح/١/ص/٢٧) . (١٠) بالأصل : بالغاره .
- (١١) بالأصل : المصاع ، (١٢) جبل جور : فى (ياقوت) : بالجيم المضمومة وسكون الواو وراء . اسم الكورة كبيرة متصلة بديار بكر من نواحي أرمينية ، وأهلها نصارى أرمين ، وفيها قلاع وقرى . (١٣) أى على مهل . (١٤) فى غير ضجيج . (١٥) بالأصل : عن .

فأتت الشهيد عيونه فأخبرته بمسيره مع عساكره وذويه ، وخلو (١) البلد عن حافظه وحاميه ،  
 فخذ أمر بالنداء في العسكر بالتجهيز والتشمير ، والجد في المسير ، ويهدد لمن عن صحبته تأخر ،  
 وأعلمهم أنه لا يقبل عذر من اعتذر ، وأقبل مسرعا كالسهم الصادر عن وتره ، والسيل الصائر  
 إلى مستقره ، وتبعته العساكر يتلو بعضها بعضا ، عازمين على أن يؤدوا من الجهاد سنة وفرضا ،  
 وأقبلوا زمرا مجدين كقطع السحاب تحتها الجنايب (٢) ، وقد استعانوا على السرعة بركوب  
 النجايب (٣) . فلما علم من بها من العدو إقباله ، سرى الرعب في أحشائهم ، واختلط الخوف بدمائهم  
 وسقط في أيديهم ، ورأوا أنهم قد ضلوا وقالوا ﴿ لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من  
 الخاسرين (٤) ﴾ . فأبى الله إلا أن ينتقم (٧٨ - أ) منهم بسيف الشهيد ، ويجمع في جهنم بين الغائب  
 منهم والشهيد ، جزاء بغيهم الشنيع ، وقتلهم الفطيع ، فصبه الله عليهم عذابا ، وساقه إليهم عقابا  
 فضاقت عليهم الأرض بما رحبت ، وضاقت عليهم نفوسهم ، ونكست لشدة هيئته رؤوسهم ،  
 ووافى البلد في حده وحديده ، وعده وعديده وبمواكبه (٥) المنصورة ، وجموعه المحشورة ، وبنوده  
 المنصورة ، كما قال فيه [ المؤرخ (٦) ] :

بجيش جاش بالفرسان حتى	ظننا البر (٧) بجرا من سلاح
وألسنة من العذبات حمر	تخاطبنا بأفواه الرياح
وأرع جيشه ليل بهيم	وغرته عمود للصباح
صفوح عند قدرته ولكن	قليل الصفح ما بين الصفاح
وكان (٨) ثباته للقلب قلبا	وهيئته جناحا للجناح

وزحف بهم نحو البلد يقدمه ، والشجاعة تقدمه ، فكادت الأرض تزلزل . والنهار بسواد  
 الليل يسربل (٧٨ - ب) ، وصار الفرنج مع علمهم بأنهم صأرون إلى البوار ، يتهاقنون إلى القتال  
 تهافت الفراش في النار ، أخذوا بقول [ من ] يقول (٩) :

تأخرت أستبقي الحياة فلم أجد لنفسى حياة مثل أن أتقدما

فلما رأى الشهيد البلد ، رأى بلدا جمع بين الحصانة والحسن ، فراسل (١٠) أهله يبذل لهم الأمان  
 والأمن ، ليسلموه سليما من إخراب أسواره (١١) ، وإخلاء دياره ، ضنا منه على مثله أن يصبح

(١) بالأصل : وخو . (٢) الجنايب : الريح الجنوبية (مختار الصحاح) . (٣) بالأصل : الجنايب .  
 والجنايب جمع نجيب ، وهي الإبل . (٤) سورة الأعراف : ١٤٩ . (٥) بالأصل : وبما كره .  
 (٦) الإضافة من المحقق ، ونسبى به ابن الأثير نفسه . وذلك استنادا على ما جاء في الروضتين ( ٣٧/ص/١/ح )  
 ما نصه : « ... فأقبل الشهيد بعساكره إلى الرها ، ثم وصف ابن الأثير الجيش وأنشد » . ثم ذكر أبو شامة نفس  
 الأبيات الخمسة . وعبارة أبو شامة تشير إلى أن الشعر لابن الأثير . أما اللفظ الذي أضفناه ، من المؤكد أنه سقط  
 سهوا من النسخ . (٧) بالأصل : البحر . (والتصحيح من الروضتين ، ج/١/ص/٣٧) .  
 (٨) بالأصل : فكان . (والتصحيح من الروضتين ، ج/١/ص/٣٧) . (٩) بالأصل : بقوله يقول .  
 وقد أسقط المحقق اللفظ : يقول ، لأنه زائد . (١٠) بالأصل : فراسله . (١١) بالأصل : سواره .

خاويًا على عرشه ، وأن يلتحق سماؤه بفرشه ، فأبوا قبول الأمان ، وامتنعوا من الإذعان ، فاستنار الله تعالى في قتاله ، وقدم الشجعان لنزاله ، ونصب المجانيق ، وقدم النقاين ، وألح على من به القتال ، خوفاً أن يجتمع الفرنج فيزحونه عنه ويستنقذونه (١) منه . وبلغ الخبر إلى الفرنج فقاموا وقعدوا ، وأبرقوا وأرعدوا ، وجمعوا فارسهم وراجلهم ، وشابهم وكهلهم ، وحرصوا على السرعة خوف الفوات ( ٧٩ - أ ) وعاد جوسلين عند سماعه الخبر إلى شرق القرات ، لعله يجد فرصة ليدخل إليها ، أو يرسل نجدة يحافظ عليها ، فحبل بينه وبين ذلك ، وأنى يكون ما يريد وخصمه الشهيد أتاك . ولم يزل [ الشهيد ] يزحف إليها مرة بعد أخرى ، حتى وصل النقايون إلى سورها فنقبوه ، فألقوا النار فيه فأحرقوه ، وملك البلد عنوة وقهرا ، وأوسع كل من فيه نكالا (٢) وشراً ، فلما ملكها استباحها ، وأذل لقاحها ، ونكس صلبانها ، وأباد قسوسها ورهبانها ، وقتل شجعانها وفرسانها ، فهم معه بين قتيل وأسير ، وجريح وكسير ، وملاً الناس أيديهم من النهب والسبي ، من كل مال نفيس وغلام رائق ، وبكر كالظبي عاتق ، وأمصاهم من النكال ما هو لهم عتيد ﴿ وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد (٣) ﴾ . ثم إنه دخل البلد فراقه منظره ، وشاقه مخبره ، فأسف لمثله من الخراب ، وأن (٤) يستولى عليه في ملكة البوار والتباب ، ورأى إن أخر به وأخلاه من أهله ، غير ( ٧٩ - ب ) مستحسن من مثله ، فأمر بإعادة ما أخذ منه من أثاث ومال ، وسبى ورجال ، وجوار وأطفال ، فردوا عن آخرهم لم يفقد منهم إلا الشاذ النادر ، فعاد البلد عامراً بعد أن كان داثراً ، وآهلاً وآمناً بعد أن كان للذئاب والجامع (٥) مسكناً ، ورتب فيه من العساكر من يحفظه ، وسار عنه فاستولى على ما كان بيد الفرنج من (٦) هذه الناحية من المدن والحصون والقرايا ، كسروج وغيرها ، وأخلى الديار الجزرية من (٧) معرة الفرنج وشرهم ، وأراح أهلها من كيدهم وضرهم ، وأصبح أهلها بعد الخوف آمينين ، وعلى مهاد الأمن وادعين ، وأجفل الكفر وحزبه بين يدي الإيمان وأهله ، وهم على آثارهم يكسعون أديارهم ، ويوحشون منهم ديارهم ، والسكفرة يجدون في الهرب ، خوف العطب ، وكلمهم من الرعب لاه ذاهل ، ومنادى التوحيد ينادى : جاء الحق وزهق الباطل . وألقى الإسلام بهذه البلاد جرائه ، وبث فيها (٨٠ - أ) أنصاره وأعوانه ، وصدق وعد الله في قوله ﴿ وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض (٨) ﴾ . فهي لهم إلى يوم العرض . وكان فتحاً عظيماً لم ينتفع المسلمون بمثله ، وطار في الآفاق ذكره ، وطاب بها نشره ، وسارت به الرفاق ، وامتلاّت به المحافل في الآفاق ، وشهده خلق كثير من الصالحين والأولياء ، واستبشر به الأبرار والأصفياء . حكى لى جماعة أعرف

(١) بالأصل : يستقذونه . (٢) بالأصل : مكالا . (٣) سورة هود : ١٠٢ . (٤) اللفظ مكرر بالأصل . (٥) بالأصل : الجامع . (والاصحیح من «دى ساين» (ص/١٢٣) . والجامع ، الضبع لأنها تجمع إذا مشت . (٦) محيط المحيط . (٧) بالأصل : فن . (٨) سورة النور : ٥٥ .

صلاحهم ، أنهم رأوا يوم فتح الرها الشيخ أبا عبد الله بن علي بن مهران الفقيه الشافعي — وكان من العلماء العاملين ، والزاهدين في الدنيا المنقطعين عنها ، وله الكرامات الظاهرة — ذكروا عنه أنه غاب عنهم في زاويته يوم ذلك ، ثم خرج عليهم وهو مستبشر مسرور ، عنده من الإرتياح مالم يروه أبدا ، فلما قعد معهم قال لهم : حدثني بعض إخواننا ، أن أتاك زكي فتح مدينة الرها ، وأنه شهد معه فتحها يومنا هذا ، ثم قال : ما يضرك يا زكي ما (٨٠—ب) فعلت بعد اليوم ، وبقي يردد هذا القول مرارا ، فضبطوا ذلك اليوم فكان يوم الفتح . ثم إن نفرا من الأجناد حضروا عند هذا الشيخ ، وقالوا له : منذ رأيناك على السور تكبر أيقنا بالفتح ، وهو ينكر حضوره ، وهم يقسمون أنهم رأوه عيانا . وحكى لي أيضا بعض العلماء بالأخبار والأنساب — وهو أعلم من رأيت بها — قال : كان ملك جزيرة صقلية من الفرنج لما فتحت الرها ، وكان بها بعض العلماء الصالحين من المغاربة من المسلمين ذكر اسمه وأنسيته ، وكان الملك يحضره ويكرمه ، ويرجع إلى قوله ، ويقدمه على من عنده من الرهبان والقسيسين ، فلما كان الوقت الذي فتحت فيه الرها ، قد سير هذا ملك الفرنج جيشا في البحر إلى إفريقية ، فهبوا وأغاروا وأسروا ، وجاءت الأخبار إلى الملك وهو جالس ، وعنده هذا العالم المغربي ، وقد نعس وهو شبه النائم ، فأيقظه الملك (٨١—أ) وقال له : يا فقيه ، قد فعل أصحابنا بالمسلمين (١) كيت كيت ، أين كان محمد عن نصرهم . فقال : كان قد حضر فتح الرها . فتضاحك من عنده من الفرنج . فقال لهم الملك : لا تضحكوا ، فوالله ما قال عن غير علم ، واشتد هذا على الملك . فلم يمض غير قليل ، حتى أتاهم الخبر بفتحها على المسلمين ، فأنساهم شدة هذا الوهن ، رجاء ذلك الخبر ، لعلوا منزلة الرها عند النصرانية . وحكى لي أيضا غير واحد [من (٢)] [أثق [به] : أن رجلا من الصالحين ، قال : رأيت الشهيد بعد قتله في المنام في أحسن حال ، فقلت له : ما فعل الله بك . فقال : غفر لي . فقلت : بماذا . قال : بفتح الرها .

## ذكر محاصرة الشهيد قلعة ألبيرة

لما فرغ الشهيد من أخذ الرها وإصلاح حالها ، والإستيلاء على ما وراءها من البلاد والولايات ، سار إلى قلعة ألبيرة — وهي (٣) حصن حصين مطل على الفرات ، وهو لجوسلين أيضا — (٨١—ب) فحصره وضيق على من به ، وغاداهم القتال وراوهم ، وقطع عنهم الميرة حتى أشرفوا على تسليمها ، فأتاه خبر قتل نصير الدين جقر نائبه بالموصل والبلاد الشرقية ، فرحل عنها خوفا أن يحدث بعده في البلاد فتق يحتاج (٤) إلى المسير إليها ، فلما رحل عنها ، سير إليها حسام الدين

(١) بالأصل : المسلمين . (٢) الإضافة من ، الروضتين (ح/١/ص/٣٧) .

(٣) بالأصل : وهو . (٤) بالأصل : نجاح . (والنصحيح من ، الروضتين ح/١/ص/٤٠) .

ثم تاش بن إيلغازي صاحب ماردين عسكرياً ، فسلمها الفرنج إليهم (١) ، خوفاً من الشهيد أن يعود إليهم فيأخذها (٢) .

## ذكر قتل نصير الدين جقر على يد الملك ألب أرسلان

في ذي القعدة من سنة تسع وثلاثين وخمسمائة ، قتل نصير الدين جقر (٣) بن يعقوب ، نائب الشهيد بالموصل وسائر البلاد الشرقية . وكان سبب قتله ، أن الملك ألب أرسلان المعروف بالحفاجي (٤) ولد السلطان محمود بن محمد كان عند الشهيد وهو أتابكة ومربيه ، وكان يظهر للخلقاء وللسلطان مسعود وأصحاب الأطراف (٨٢-أ) أن البلاد التي بيده ، إنما هي للملك ألب أرسلان ، وأنه نائبه فيها ، فكان إذا أرسل رسولا ، أو أجاب (٥) عن رسالة ، فإنما يقول ، قال (٦) الملك كذا وكذا ، وكان ينتظر وفاة السلطان مسعود ليجمع العساكر بإسمه ويخرج الأموال ويطلب [له] (٧) السلطنة ، فعاجلته المنية قبل ذلك . وكان هذا الملك بالموصل هذه السنة ، وبها نصير الدين — وهو ينزل إليه كل يوم يخدمه [ويوقف (٧)] عنده ساعة ثم يعود — فحسن المفسدون للملك قتله ، وقالوا له : إنك إن قتلت ملك الموصل وغيرها ، ويعجز أتابك أن يقيم بين يديك ، ولا يجتمع معه فارسان عليك . فوقع هذا في نفسه وظنه صحيحاً ، فلما دخل نصير الدين إليه على

(١) في ، الكامل (٩/ص/١٠) ، أن أهل ألبيرة هم الذين استدعوا حسام الدين ليسلموا إليه البلد خوفاً من أن يعود إليهم عماد الدين . ولعل أهل ألبيرة أرادوا أن يوقفوا بين عماد الدين وحسام الدين ليتخلصوا منهما جميعاً .  
(٢) بالأصل : فيأخذهم . (والتصحيح من الروضتين ، ١/ص/٤١) . (٣) بالأصل : جعفر . (والتصحيح من النص نفسه) . ولم يعثر المحقق على ترجمة لنصير الدين ، وإنما يفهم مما جاء في « تاريخ دولة آل سلجوق » أنه كان سبي السيرة ، وأن عماد الدين لم يكن راضياً عنه ، فقد ذكر العماد الكاتب ، أن عماد الدين استصنى أمواله بعد قتله « واستخرج ذخائره ، واستنظف أوله وآخره ، وصادر أهله وأقاربه ، وأحل بنوآبه نوابه ، وسلبهم القوة والقوت ونوع عليهم جورهم المقوت » (ص/١٨٧-١٨٨) . (٤) يختلف العماد الكاتب مع ابن الأثير في لقب الملك أرسلان وأنه ليس هو المعروف بالحفاجي ، وإنما المعروف بهذا اللقب ، هو أخوه فرخشاه ، ونس ما ذكره العماد عن قتل نصير الدين والملك الذي قتله (ص/١٨٧) : « كان مع زنسكي ملكان من أولاد السلطان محمود بن محمد ابن ملكشاه ، أحدهما يسمى ألب أرسلان ، وهو في معقل من معاقل سنجان ، والآخر يسمى فرخشاه ، ويعرف بالملك الحفاجي ، وهو بالموصل . وكان هذا الملك مسلماً إلى الأمير ديبس بن صدقة ، فانتزعه منه زنسكي في حرب ، وأنزل من كرامه في منزل رجب . وكانت الخاتون السكمانية زوجة زنسكي تربيته وتربيته وتجري به في حلبة تجريبه وتجريبه حتى بلغ وأدرك ، وساكن فطنته تحرك . وفهدته المرأة غير مرة . وأنهدته ، وعاهدته على الوفاق وعلى الوفاء بعهدته . وتأسد الشبل وضاق به عرينه ، وشمخ عرينه . وكان نصير الدين جقر (هكذا بالمرجع) نائب زنسكي بالموصل للدماء سفاكاً ، وبالنفوس فتاكاً ، يأخذ البريء بالسقيم ، ويلحق الولود بالعقيم ، . . . وأنه لما أحس من الملك تحس الملك ، صار يقبض عنانه ، ويبسط فيه لسانه ، ويقول : لن عقل ولأعقلته ، ولن نقل وطبعه ولأنا نقلته . فسمع الملك ما راعه ، وأسره في نفسه وما أذاعه . فقدر ودبر ، وفكر ومكر ، وجمع لئله من حوله ، وقال لهم فسكنوا قوله ، وانفقوا على أنه إذا جاء إلى سلام خاتون أو سلامه ، أحيط به من خلفه ومن قدامه ، فإذا أصابوا منه المقتل ، ملكوا الموصل » . ثم ذكر العماد قتله بيد حاشية الملك ، ثم قال ، لأنه بعد أن قبضوا على الملك فرخشاه وقضوا عليه ، « عطف زنسكي على الملك الآخر ألب أرسلان فاستخرجه من معقله ، وعنى بتفاصيل أمره وجماله ، وضرب له نوبية ونوباء ، ورتب له في حالتي جلوسه وركوبه رتبا ، وأغرى بتولي كرامه وتوخييه ، وغرضه خفاء ماجرى من هلاك أخيه » . (٥) بالأصل : وأجاب . (والتصحيح من الروضتين ، ١/ص/٤١) . (٦) بالأصل : فان . (٧) : الإضافة من الروضتين (١/ص/٤٧)



عادته ، وثب عليه جماعة في خدمة الملك فقتلوه (١) ، وألقوا رأسه إلى أصحابه ، ظنا منهم أن أصحابه إذا رأوا رأسه تفرقوا ويملك الملك ألب أرسلان البلاد ، فكان الأمر بخلاف الذي ظنوا . فإن أصحابه (٨٢-ب) وأصحاب [ أتاك (٢) ] الذين معه ، لما رأوا رأسه قاتلوا من بالدار مع الملك واجتمع معهم الخلق الكثير . وكانت دولة (٣) الشهيد مملوءة بالرجال الأجلاد ذوى الرأى والتجربة . فلم يتغير عليه بهذا الفتق شيء . وكان من جملة من حضر ، القاضى تاج الدين يحيى بن عبد الله بن القاسم الشهرزورى ، فدخل إلى السلطان (٤) وخدعه حتى أصعبه إلى القلعة ، وهو يحسن له الصعود إليها لملكها ، وحينئذ يستقر له ملك البلد . فلما صعد إلى القلعة سجنوه بها ، وقتل العلمان الذين قتلوا نصير الدين ، وأرسلوا إلى أتاك يعرفونه الحال ، فسكن (٥) جاشه واطمأن قلبه ، إلا أنه لم يستقر جنانه حتى أقام بها النواب ، على ما نذكره إن شاء الله تعالى .

### ذكر ولاية زين الدين على قلعة الموصل

لما قتل نصير الدين ، أرسل أتاك الشهيد ، شرف الدين ابن أخت نصير الدين إلى الموصل ليتولى ما كان خاله يتولاه (٨٣-أ) ، ولم يعطه علامة التسليم ولا كتب له منشورا ، وقال له : كل من هناك غلمانكم ، وتقدم إليه بما يفعل . فسار حتى وصل إلى الموصل . وكان بقلعة الموصل نقيب اسمه حسن ، فلما قتل نصير الدين ، أعلق باب القلعة وجمع الأجناد عنده في حفظها ، فلما وصل ابن أخت نصير الدين ، أرسل إليه النقيب يقول له : لإرسال منشور المولى أتاك بولاية القلعة ، فإذا رأيت علامته أذنت لك في الدخول ومعك من يخدمك حسب . ثم أرسل أنا إلى أتاك من أثق إليه أستأذنه في تسليم الأمر إليك ، فإذا أذن فعلت ، وإن لم يأذن أخرجك منها . فترددت الرسل بينهما حتى أذن له في دخول القلعة على القاعدة المذكورة . فبينما هو يريد دخول البلد ، إذ رأوا غبرة مقبلة من طريق الشهيد فأقاموا ينتظرونها ، وإذ قد انكشفت عن زين الدين على [ بن بكتكين (٦) ] قد جاء مجدا ليكون نائبا في القلعة . وكان سبب ذلك أن الشهيد تغير (٨٣-ب) عزمه عن الأول لأسباب يطول ذكرها ، فأرسل زين الدين — وكان كثير الثقة به والاعتماد عليه — فوصل الموصل في تلك الحال ، فقال له النقيب حسن مثل قوله لشرف الدين ابن أخت نصير الدين ، فأجاب زين الدين إلى ذلك ، ودخل القلعة في نفر يسير ، وأرسل النقيب إلى الشهيد من يثق إليه يستأذنه ، فأمره بتسليم القلعة إلى زين الدين ففعل . واستقر زين الدين

(١) في ، الكامل (٩/ص/٩) ، أن الذين قتلوا نصير الدين ، هم من كان عند الملك من أجناد عماد الدين وماليك . (٢) الإضافة من ، الروضتين (ج/١/ص/٤١) . (٣) بالأصل : دور . (والتصحیح من الروضتين ، ج/١/ص/٤١) . (٤) هذا سهو من ابن الأثير ، لأن ألب أرسلان لم يكن سلطانا ، وإنما كان مسلكا فقط . (٥) بالأصل : فتسكن . (٦) الإضافة من النص نفسه ، من ترجمته له فيما يلي سنة ٥٦٣ .

ويمكن ، وسلك بالناس غير الطريق التي سلكها نصير الدين وسهل الأمر ، فأطمأن الناس وأمنوا ، وازدادت (١) البلاد معه عمارة .

### حصر حصن فنك (٢)

هذا (٣) الحصن هو مجاور جزيرة ابن عمر ، وهو للأكراد البشنوية (٤) إلى زماننا هذا ، وله معهم مدة طويلة ، يقولون نحو ثلاثمائة سنة . وهو من أمنح الحصون ، مطل على دجلة ، وله سرب إلى عين ماء لا يمكن أن يحال بين أهله وبينها (٥) . فلما كان سنة أربعين (٨٤ — أ) وخمسة (٦) ، تقدم أتابك إلى زين الدين على بإرسال عسكر إليه يحصره ، فسير خلقا كثيرا من الفرسان والرجالة فحصره ، وأقاموا عليه يحصرونه إلى أن قتل الشهيد ، وضيقوا على أهله ومنعوه الميرة وهم صابرون . فلما قتل الشهيد زال عنهم الحصر ، وانكشف ما بهم من الضر ، وكان لأصحابه معه عدة حصون أخذها منهم الشهيد ، كاهيثم ، وجديدة نصيين (٧) ، وشاروا ، وغيرها من قلاع الزوزان (٨) .

### ذكر حصار قلعة جعبر

قال . كانت هذه قلعة جعبر (٩) ، قد سلمها السلطان ملكشاه إلى الأمير سالم بن مالك العقيلي على ما ذكرنا عند ملك قسيم الدولة مدينة حلب ، فلم تزل بيده ويد أولاده إلى هذه السنة — وهي سنة إحدى وأربعين وخمسة — فسار الشهيد إليها فحصرها ، وكان الباعث على حصرها وحصر فنك ، أن لا يبقى في وسط بلاده ما هو لغيره — وإن قل — للحزم الذي عنده والاحتياط ، (٨٤ — ب) وأقام عليها يحصرها بنفسه . ومن أعجب موافقة الأقوال للأقدار ، ما حكي

(١) بالأصل : وازداد . (٢) فنك : في ( ياقوت ) : بالفتح أولا وثانياً وكاف . قلعة حصينة منيعة للأكراد البشنوية ، قرب جزيرة ابن عمر بينهما نحو من ، فرسخين ، ولا يقدر صاحب الجزيرة ولا غيره — مع مخالفتهم للبلاد — عليها وهي بيد هؤلاء الأكراد منذ سنين كثيرة نحو الثلاثمائة سنة . وفيهم مروة وعصبية ، ويحمون من يلتجئ إليهم ويحسنون إليه . (٣) بالأصل : هذه . (٤) بالأصل : البشنوية . (والنصحيح من الروضتين ، ح/١/ص/٤١) . (٥) بالأصل : بينهما . (٦) في الكامل ( ح/٩/ص/١٢ ) ، أن حصار فنك كان سنة ٥٤١ ، أثناء حصار عماد الدين قلعة جعبر . (٧) جديدة نصيين : في ( ياقوت ) : قلعة في كورة بين النهرين التي بين نصيين والموصل ، وأكثر ما تكون لصاحب الموصل . وأعمالها متصلة بأعمال حصن كيفا ، ولها قرى ومزارع . (٨) الزوزان : في ( ياقوت ) : زوزان . بفتح أوله وثانيه ثم زاي أخرى وآخره نون . كورة حسنة بين جبال أرمينية وبين أخلاط وأذربيجان وديار بكر والموصل . وأهلها أرمن ، وفيها طوائف من الأكراد . وينقل عن ابن الأثير ، أن الزوزان ، ناحية واسعة شرقي دجلة من جزيرة ابن عمر . وأول حدوده من نحو يومين من الموصل للحدود « خلاط » وينتهي حدها إلى أذربيجان إلى أول عمل سلهاس . وفيها قلاع كثيرة حصينة ، وكلها الأكراد البشنوية والبختية . فن قلاع البشنوية : قلعة برقة ، وقلعة بشير . وللبختية قلعة جردقل ، وهي أجل قلعة لهم ، وهي كرسى ملكهم ، وآتيل ، وعلوس . وبإزاء الحراء لأصحاب الموصل : ألتى ، وأروخ ، وباخوخة ، وبرخو ، وكنور ، ونبروه ، وخوشب . (٩) قلعة جعبر : في ( ياقوت ) : على الفرات بين بالس والبرقة قرب صفين ، وكانت قديماً تسمى دوسر . وكان يملكها رجل من بني قشير أعمى يقال له جعبر بن مالك .

لى والدى قال : أرسل الشهيد ، الأمير حسان المنبى إلى صاحب القلعة لمودة بينهما فى معنى تسليمها (١) إليه ، وقال [له] : تضمن له عنى الإقطاع الوافر والعطاء الكثير ، فإن أجاب إلى التسليم ، وإلا فقل له : والله لأقيم محاصراً لك إلى أن أملكها عنوة ، ثم لا أبقى عليك ، ومن الذى يمنعك منى . فصعد إليه حسان وأخبره برسالة أتابك ، وأشار عليه بالتسليم إليه ، فامتنع . فقال له فهو يقول لك ، إن سلمت وإلا فعلت وصنعت ، وما الذى يمنعك منى . فقال : قل له ، يمنعنى منه الذى منعك يا حسان من الأمير بلك . فعاد حسان وأخبر الشهيد بامتناعه وكنم عنه هذا . فلم يمض غير قليل ، حتى قتل الشهيد وفرج الله عن صاحبها . قال . وكانت قصة حسان مع بلك ، أن حسانا (٢) كان صاحب منبج فحصره بلك (٨٥ - أ) - وهو ابن [أخى] إيلغازى بن أرتق - وضيق عليه ، فبينما هو فى بعض الأيام يقاتله ، إذ جاءه سهم لا يعرف من أين جاء ، فقتله وخلص حسان منه (٣) .

## ذكر قتل الشهيد زنى رضى الله عنه

قد ذكرنا حصار قلعة جعبر وملازمة الشهيد قتلها ، فلم يزل كذلك إلى أن مضى من شهر ربيع الآخر خمس ليال ، فبينما هو نائم دخل عليه نفر من مماليكه فقتلوه غيلة ولم يجزوا عليه (٤) وهربوا من ليلتهم إلى القلعة [ ولم يشعر أصحابه بقتله ، فلما صعد أولئك النفر إلى القلعة (٥) ] صاح من بها إلى العسكر يعلمهم بقتله ، فبادر أصحابه إليه ، فأدركه أوائلهم وبه رمق . حدثنى والدى عن بعض خواصه ، قال : أدركته وهو فى السياق ، فحين رأى ظن أنى أريد قتله ، فأشار إلى ياصبعه السبابة ، فوفقت من هيئته ، وقلت له : يامولانا من فعل بك هذا حتى أقتله ، فلم يقدر على الكلام . وختم الله بالشهادة أعماله ، وفاضت (٦) منه نفسه (٨٥ - ب) وسكن رسمه ، وأصبح معدوماً كأن لم يكن بالأمس ، وزال عنه الملك ، واستولى عليه الهلك ، ولم يكن عنه أصحابه وعساكره ، ولا حماه أمواله ودساكره ، ولا آخر الأجل مماليكه وأجناده ، ولا زحزح عنه الفناء حصونه وبلاده ، كما [ قال ] فيه بعض الشعراء ، حيث يقول :

فأعجب لمن قاد الجيوش ونفسه  
يلقى الكتاب مفرداً بكتائب  
لا يرعوى عن أن يقارع وحده  
قسمان بين الكر والإقدام  
من نفسه واليوم يكدر (٧) حامى  
ألفا بأبيض صارم صمصام

(١) بالأصل : تسلّمها . (٢) بالأصل : حسان . (٣) عن مقتل بلك بن بهرام بن أرتق ، أنظر ، الكامل (٨/ص/٣١٥ - سنة ٥١٨) . (٤) فى « تاريخ دولة آل سلجوق » (ص/١٨٩) ، أن سبب قتله ، أنه نام يوماً وهو مخمور ، وكان به من مماليكه يلعبون ويطربون فهددهم ، فقتلوه خوفاً منه . (٥) الإضافة من ، الروضتين (٨/ص/٤٢) . (٦) بالأصل : فاطم . (٧) بالأصل : لكدر .

يأتي الفتوح على الفتوح بسيفه      وبرأيه وبِعزمه المقدم  
حتى إذا الأجل انقضى مستكملاً      ماخط في الألواح بالأقلام  
لاقي الحمام ولم يكن (١) مستيقنا      أن الحمام سيبتلي بحمام

وأضحى (٢) وقد خاناه الأمل ، وأدركه الأجل ، وتخلي عنه العبيد والخول ، فأى نجم للإسلام  
أفل ، وأى ناصر للإيمان رحل ، وأى بحر ندى ( ٨٦ - أ ) نضب ، وأى بدر مكارم غرب ،  
وأى أسد افترس ، ولم ينجح قلة حصن ولا صهوة فرس ، فكم أتعب نفسه لتمهيد الملك وسياسته ،  
وكم أذابها في حفظه وحراسته ، فحين بلغ من ذلك ما أراد ، واستكمل في سعة الملك وشدة الهيبة  
وزاد ، وهانت عليه المصاعب ، وزالت المناعب ، واستكانت لصولته القروم ، وخضعت لهيبته  
الترك والفرنج والروم ، أتاه مبيد الأمم ومفضيها في الحدث والقدم ، ومهلك العرب والعجم ،  
فأخذ من العالم سره وروحه ، وسقاه بكأسه غبوقه وصبوحه (٣) ، وزال عنه سلطانه ، وبعد عنه  
حماته وأعوانه ، وفارقته أنصاره وخلائه ، وأخذ من جميع ما يملك وحيداً ، وجعله فريداً ، وأصاره  
بعد القهر للخلائق مقهوراً ، وبعد وثير المضاجع في التراب معفراً مقبوراً ، رهين حدث لا ينفعه إلا  
ما قدم ، ولا يقبل ( ٨٦ - ب ) من ساكنه فيه الندم ، وقد طويت صحيفة عمله ، ونشرت  
جريدة أجره ، ونسخت آية عمره ، وبليت سورة ذكره ، فلو شوهدت وقعاته لم تذكر وقعة  
الهباء (٤) ، ولا سطرت حرب الآلاء ، ولو نظرت فتكاته لأنسيت البراض (٥) والجحاف (٦) ، أو عد  
صرعى سيفه لكأثرت (٧) هلكى الجحاف (٨) ، وحين اخترمته المنية ، وخانتها الأمنية ، أضحى  
الإسلام لفقد ناصره عبوساً ترحاً ، والكفر لعدم خاذله جدلاً مرحاً ، وما علما أن لهما من الملوك  
أبنائه جابراً وكاسراً ، ومؤيداً وقاهراً ، بل من يربو (٩) [ في ] نصره التوحيد عليه ، ويزيد في  
هدم منار الثلاث وتعجل النار (١٠) إليه :

زاد على ما قام آباؤه      به وقد شاد الذى أثلوه  
أقصر أهل العصر عن شأوه      حسرى وطال السكل إذ طاولوه

وسيرد من فتوحهم وجهادهم ما يرقع هذا الخرق ، ويجبر هذا الوهن . ولما قتل دفن بصفين

(١) بالأصل : اكن . (٢) بالأصل : اخنا . (٣) الغبوق : الشرب بالعنى . والصبوح : الشرب  
بالغدادة . (مختار الصحاح) . (٤) بالأصل : الهباء . ووقعة الهباء من أيام العرب في الجاهلية بين عبس  
وذبيان على ماء يسمى « جفر الهباءة » . وتفاصيلها في « المقدم الفريد » ( ٥ / ص / ١٥٦ ) .  
(٥) البراض : هو البراض بن قيس ، أحد فتاك العرب المشهورين ، وقد تسبب في حرب الفجار بين كنانة وقيس  
عيلان في الجاهلية . وتفاصيل الوقعة ، في « المقدم الفريد » ( ٥ / ص / ٢٥٣ ) . (٦) بالأصل : الجحاف .  
وهو الجحاف بن حكيم السلمي ، وكان بينه وبين الأخطل الشاعر عداوة ، أثار الجحاف بسببها حرباً على بني تغلب —  
قوم الأخطل — فقتل فيهم مقتلة عظيمة . (الكامل ، ٨ / ص / ١٠٤ . سنة ٧٠ هـ) . (٧) بالأصل : لكثره .  
(٨) هو سيل وقع بمكة عام ٨٠ هـ ، عرف بسيل الجحاف « لأن ذلك السيل يجفف كل شيء مر به » .  
(الطبري ، ٦ / ص / ١٣٨ ) (٩) بالأصل : يزرب . (١٠) بالأصل : الشارب .

عند أصحاب أمير المؤمنين علي (٨٧ — أ) عليه السلام . ولقد بلغني أنه اجتاز بهاوزار مشاهدتها ثم قال : وددت أني شهدت صفين بعسكري مع أمير المؤمنين علي عليه السلام ، حتى كنت أريه القتال الذي يعجز أصحابه عنه . ولكل إمرئ ما نوى . وأما صورته ، فإن والدي حكى لي ، قال : كان حسن الصورة ، أسمر اللون ، مليح العينين ، قد وخطه الشيب ، طويلاً ، وليس الطويل البائن ، قال : وأشبهه من رأيت به ، حفيده (١) السعيد عز الدين أتاك مسعود بن مودود ابن زنكي ، إلا أن الشهيد كان أم قامه (٢) منه . وخلف من الأولاد : سيف الدين غازيا (٣) — وهو الذي ولي الملك بعده — ونور الدين محمود (٤) ، الملك العادل ، وقطب الدين مودود (٥) [ وهو ] أبو الملوك الآن بالموصل ، ونصرة الدين أمير أميران . فانقرض عقب (٨٧ — ب) سيف الدين من الذكور والإناث ، وعقب نور الدين من الذكور . ولم يبق الملك إلا في عقب قطب الدين . وخلف الشهيد أيضاً بنتاً . ولقد أنجب رحمه الله ، فإن أولاده الملوك لم يكن مثلهم وسندكر من أخبارهم ما يعلم صحة ما قلناه .

### ذكر بعض سيرة الملك الشهيد رضى الله عنه

كانت سيرته من أحسن سير الملوك وأكثرها حزماً وضبطاً للأمر ، كانت رعيته في أمن شامل لعجز القوى عن التعدي على الضعيف ، ونحن نذكر من سياسته وآرائه وإنصافه وشجاعته وغير ذلك ، ما يعلم به محله من العقل ، وحسن قيامه بأمر الملك واضطلاعه به ، وإن من تقدمه من الملوك لم يصلوا إلى ما أوتيه من ذلك ، وحينئذ تقول : كم ترك الأول للآخر .

فمن ذلك إنصافه بين القوى والضعيف . حدثني والدي رضى الله عنه ، قال : قدم الشهيد — قدس الله روحه — (٨٨ — أ) إلينا بجزيرة ابن عمر بعض السنين — وكان الزمان شتاءً — فنزل بالقلعة ونزل العسكر في الخيام ، وكان في جملة أمرائه الأمير عز الدين أبو بكر الديبسي — وهو من أكابر أمرائه ، ومن ذوى الرأي عنده — فدخل الديبسي البلد ونزل بدار إنسان يهودى وأخرجه منها ، واستغاث اليهودى إلى الشهيد وهو راكب ، فسأل عن حاله فأخبر به ، وكان الشهيد واقفاً والديبسي إلى جانبه ليس فوقه أحد ، فلما سمع أتاك الخبر ، نظر إلى الديبسي نظر مغضب ولم يكلمه كلمة واحدة ، فتأخر القهقرى ودخل البلد وأخرج خيامه وأمر بنصبها (٦) [ خارج البلد (٧) ]

(١) بالأصل : حاقده . (والتصحيح من ، دى سلين ، ص/١٣٥) . (٢) بعده في النص ما أتى ، ثم ضرب عليه الناسخ : وخلف من الأولاد سيف الدين غازى وهو الذي ولي الملك بعده ونور الدين محمد الملك النادل وقطب الدين مودود بن زنكي إلا أن الشهيد كان أم قامه منه . (٣) بالأصل : غازى . (٤) بالأصل محمود . (٥) بالأصل : مودود . (٦) بالأصل : نصبها . (٧) : الإضافة من ، الروضتين .

ولم تكن (١) الأرض تحتل وضع الخيام عليها لكثرة الوحل والطين . قال : فلقد رأيت الفراشين وهم ينقلون الطين لينصبوا خيمته ، فلبارأوا كثرتة جعلوا على الأرض تبناً ليقيموها (٢) وينصبوا الخيام ، وخرج إليها من ساعته . وناهيك بهذا سياسة وإنصافاً .

قال : وكان ينهى أصحابه عن إقتناء الأملاك ( ٨٨ - ب ) ويقول : مهما البلاد لنا فأى حاجة بكم إلى الأملاك ، فإن الإقطاعات تغنى عنها ، وإن خرجت البلاد عن أيدينا فإن الأملاك تذهب معها ، ومتى صارت الأملاك لأصحاب السلطان ظلوا الرعية وتعدوا عليهم وغصبوا أملاكهم . رحمه الله ورضى الله عنه ، فلقد كان ينظر إلى الغيب من وراء ستر رقيق ، فما أحسن هذا الخلق ، وأحسن هذا النظر للرعايا ، وأكثر هذه الشفقة عليهم والرحمة لهم ، لا خلاف في أن عمارة البلاد من ثمرات العدل وكف الأيدي المتطاولة إلى أهلها .

ومن علم حال هذه البلاد قبل ملكة عرف مقدار ما عمر منها . حكى لى والدى قال : رأيت الموصل التي هي أم البلاد في أول أيام الشهيد وأكثرها خراب ، فكان الخراب من محلة الطبالين إلى القلعة وإلى دور السلطنة ، وكانت العرصة ترى من قريب مسجد التركاني ، وهو قريب من الطبالين ، وكان ( ٨٩ - أ ) الجامع العتيق أيضاً بلا عمارة ألبتة . وكانت (٣) جميع المحال المجاورة للسور من سائر جهاته غير معمورة ، وكان أدنى العمارة من السور ما يكون رمية حجر ، وكان الناس لا يقدرّون على المشى إلى الجامع غير يوم الجمعة لبعده عن العمارة . وأول من بنى بالقرب من دار المملكة الأمير ناصر الدين كورى (٤) بن جكرمش ، فإنه طلب من الشهيد أن يأذن له ليبنى داراً قريباً من خدمته ، فأجابته إلى ذلك ، وأمره أن يبني بمكان يكون بينه وبين القلعة مقدار حجر المنجنيق ، فبنى داره الأولى ، وهي اليوم مدرسة وققها أم الملك الصالح (٥) . ثم بنى بعد ذلك داره الأخرى أقرب إلى دار المملكة . وهذا الذى ذكرناه عن خراب البلد كثير جداً . فلما طالت الأيام الشهيدية ، وحسى البلاد ومنع المفسدين وكف أيدي الأقوياء ، سارت سيرته في البلاد ، فقصده الناس واتخذوا بلاده داراً ، فإنه من أكرم إرتبط . فلم تزل العمارة تكثر بالموصل وغيرها ، حتى لقد ذهب كثير من المقابر ( ٨٩ - ب ) وبنيت دوراً . وهو الذى أمر ببناء دور المملكة بالموصل ، ولم يكن بها للسلطان غير الدار المعروفة بدار الملك مقابل الميدان ، فبنى هذه الدور جميعها ، ثم أمر بالزيادة في علو سور الموصل فزيد (٦) فيه ما يقارب

(١) بالأصل : يكن .  
(٢) بالأصل : ليقها . ( والتصحیح من ، الروضتين ، ١/١٠٣/٤٣ ) .  
(٣) بالأصل : وكان .  
(٤) بالأصل : لورى ( وقد سبق ذكره ، ص / ١٦ ) .  
(٥) هو الملك الصالح إسماعيل بن نور الدين بن عماد الدين زنكى . وقد خلف أباه بعد وفاته سنة ٥٦٩ .  
(٦) بالأصل : فزيده .

مثله ، وأثره ظاهر إلى يومنا هذا في السور . وأمر أيضاً بتعميق خندقها ، فعمل على ما هو عليه اليوم . وكانت الموصل أولاً بغير سور (١) ، فأول من عمل لها سورا شرف الدولة مسلم بن قريش ، ولم يعمل له فصيلا ولا خندقا ، وكان قليل العلو . فلما ملكها جكر مش بن فصيلها وحفر لها خندقا وليس بالعميق ، فلما ملكها الشهيد وحصرها المسترشد بالله على ما ذكرناه سنة سبع وعشرين وخمسة ثم عاد عنها ، أتم سورها وخندقها ، ففعل ذلك وتولاه نائبه نصير الدين . فهذا السور وهذا الخندق هما (٢) على الحال التي عملت في الأيام الشهيدة . وهو الذي فتح الباب (٩٠ — أ) العهادى وإليه ينسب .

قال المؤرخ . وكانت الموصل أقل بلاد الله فاكهة ، فكان الذي يبيع الفواكه يكون عنده مقرض يقص به العنب لقلته إذا أراد أن يزنه . فلما عمرت البلاد ، عملت البساتين بظاهرها وفي ولايتها ، فهي اليوم أكثر البلاد فاكهة ، فالرمان يبقى (٣) إلى أن يدرك العتيق والجديد ، وكذلك الكمثرى (٤) ، وقريب منه العنب ، وأما التفاح فيجمع العتيق والجديد .

### ومن ذلك حسن رأيه رحمه الله

فمن آرائه الصائبة ، أنه كان شديد العناية بأخبار (٥) الأطراف وما يجري لأصحابها حتى في خلواتهم ، ولا سيما دركاه (٦) السلاطين . وكان يخسر على ذلك المال الجزيل . وكان يطالع ويكتب إليه بكل ما يفعله السلطان في ليله ونهاره من حرب وسلم ، وهزل وجد وغير ذلك . فكان يصل إليه في كل يوم من عيونه عدة قاصدين .

قال والدى رحمه الله : وكان مع اشتغاله (٩٠ — ب) بالأمور الكليات من أمور الدولة لا يهمل الاطلاع على الصغير . وكان يقول : إذا لم يعرف الصغير ليمنع صار كبيرا . قال : فمن ذلك ، أنني وصلت إلى عسكره بقلعة جعبر قبل قتله بأيام ، وقصدت خيام جمال الدين الوزير ، فحين وصلت أدخلني إليه ، فبينما أنا عنده ، وهو يسألني عن طريقى ، وإذا قد جاءه مملوك تركى من عند الشهيد وقال له بالعجمية كلاما لأعلمه . فقال لى جمال الدين : متى وصلت . فقلت : الساعة . فقال هذا عجب تجيء الساعة ويسمع أتاك بوصولك ، ولا شك قد علم بك قبل وصولك إلى ، وقد أرسل يقول : سله عن فنك وحصارها وأحوال الجند عليها ، وما يصل إليهم من الجامكيات (٧) والسلاح وجميع الأحوال . قال : فحدثته بجملة الحال كأنه يشاهده فمضى وعاد ، وقال : يقول لك ،

(١) بالأصل : صور . (٢) بالأصل : هو . (٣) بالأصل : يبقى .  
 (٤) بالأصل : الكمثرى . (٥) بالأصل : بإخيار . (٦) دركاه : هى الساحة أمام قصر السلطان ، أو الدهليز ، أو الرواق ، أو المدخل . (ابن واصل ، ح/١/ص/١٠٢/حاشية/١) . وفى (المعجم فى اللغة الفارسية) يرسم اللفظ هكذا : دركاه ، وهو ، سراى الملاك . (٧) الجامكيات ، مفردتها ، جامكية ، وهى الراتب عامة . (السلوك ، ح/١/ص/٥٣/حاشية/٢) . وهى هنا روايت الجند .

إن كنت تعلم أن هناك نقصاً (١) في شيء مما يحتاج إليه المحاصر فعرفنا (٩١ - أ) حتى نزيله ونفعل ما يجب. فقلت: ليس هناك إلا ما يجب المولى وزدته شرحاً، فانظر إلى هذه الهمة، وإلا فأى محل لفنك في سعة مملكته الطويلة العريضة.

قال: وأصغر من هذا أنه بلغه أن جماعة من فلاحى مدينة الموصل رحلوا إلى بلد ماردين، فأرسل إلى حسام الدين (٢) يطلب منه أن يعيدهم، فرد الجواب: إنا نحن نحسن إلى الفلاحين ونخفف عنهم، ونأخذ منهم فى القسمة من الغلال العشر، فلو فعلتم أتم مثل فعلنا لم يفارقوكم. فقال الشهيد لرسوله: قل لصاحبك، إذا أخذت أنت من كل مائة [سهم ٦] سهماً واحداً كان كثيراً لك، لأنك مشغول ببلدتك فى رأس ماردين. وأما أنا فإذا أخذت الثلاثين كان قليلاً، لما أنا بصدده من قصد الأعداء والجهاد، ولولاي لطل عليك أن تشرب الماء آمناً فى ماردين، ولما كان الفرنج ملكوها، ولئن لم تعد الفلاحين وإلا أخذت كل فلاح فى بلد ماردين إلى بلد الموصل، فأعادهم. فهذا [إهتمام] لا (٣) مزيد عليه (٤) فى معرفة (٩١ - ب) أحوال المملوك.

قال. ومن جملة رأيه الحسن، أنه كان يتعهد أصحابه ويمتنعهم، فلا يرفع أحداً فوق قدره الذى يستحقه ولا يضعه دونه، ويشق إلى أحدهم على قدر ما يعلم منه، فمن ذلك أنه كان له طشت دار (٥) يسمى سباتوه فسلم إليه يوماً خشكناكة (٦) وقال [له]: إحفظ هذه. فبقي نحو ستة لا تفارقه الخشكناكة خوفاً أن يطلبها منه، فلما كان بعد ذلك قال له: أين تلك الخشكناكة. فأخرجها فى منديل وقدمها بين يديه، فاستحسن ذلك منه، وقال: مثلك ينبغى أن يكون مستحفظ الحصن، وأمر له بدردارية قلعة كواشى، فبقي فيها إلى أن قتل أتابك.

ومن آرائه: أنه كان لا يمكن أحداً خدمه من مفارقة بلاده، وكان يقول: إن البلاد كبستان عليه سياج، فمن هو خارج السياج يهاب الدخول، فإذا خرج منها من يدل على عورتها ويطمع العدو فيها زالت الهيبة وتطرق الخصوم إليها. فمن (٩٢ - أ) [ذلك أنه (٧)] هرب منه أمير كبير يقال أبو بكر - وكان مقدم البكجية، وهو مقطع نصيين - فهرب منه إلى حسام الدين تمرتاش بماردين، فأرسل الشهيد يطلبه فلم يسلمه إليه، فنازل ماردين وحصرها، فلما عجز حسام

(١) بالأصل: نقص . (٢) هو حسام الدين تمرتاش بن إيلغازى بن أرتق .  
(٣) بالأصل: الا . (٤) بالأصل: عليهم . (٥) طشت دار: لفظ فارسى مركب من مقطعين، الأول الطشت (بالسين المهملة، بفتح الطاء) والمسكان السين المهملة فى اللغة العربية) وهو الذى يغسل فيه (والعامية أبدلوا السين المهملة بشين معجمة)، والآخر «دار» ومعناه مسمك، فيكون المعنى «مسمك الطشت» .  
(الفتقندى، ج/٥/ص/٤٦٩). (٦) خشكناكة: نوع من الفطير المصنوع من الزبد والسكر والجوز والستق.  
(ابن واصل، ج/١/ص/١٠٢/حاشية/٣) . (٧) الإضافة من «دى سلين» (ص/١٤٢).



الدين عن منعه سيره إلى دركاه السلطان مسعود ، فلما بلغ الشهيد الخبر أرسل الهدايا للسلطان والوزير فسلم إليه فسجنه وكان آخر العهد به .

ومن صائب رأيه وجيده (١) ما فعله من نقل طائفة من التركان الإيوانية مع الأمير اليارق إلى الشام وأسكنهم بولاية حلب ، وأمرهم بجهاد الفرنج ، وملكهم كل ما استنقذوه من البلاد التي للفرنج وجعله ملكا لهم ، فكانوا يغادون الفرنج بالقتال (٢) ويرأحونهم ، وأخذوا كثيراً من السواد ، وسدوا ذلك النغر العظيم . ولم يزل جميع ما فتحوه في أيديهم إلى نحو ستة ستائة .

ومن آرائه أنه لما اجتمع له الأموال الكثيرة أودع بعضها بالموصل ، وبعضها بسنجار ، وبعضها بحلب ، (٩٢ - ب) وقال : إن جرى على بعض هذه الجهات خرق ، أو حيل يبنى وبينه ، أستعين (٣) على سد هذا الخرق بالمال الذي في غيره .

### ومن ذلك (٤) شجاعته وهيبته الهیوبة

وأما شجاعته وإقدامه فإنه النهاية [فيهما (٥)] ، وبه كان يضرب المثل . أما قبل أن يملك فمشاهده معروفة مشهورة ، منها حملته على الفرنج بطبرية ووصله إلى بابها ، وقد تقدم ذلك . ومنها أيضاً حملته على أصحاب قلعة عقر الحميدية وصعوده في جبالها إلى سورها ، ومقامه هناك مشهور إلى الآن إلى أشباه كثيرة لهذا . وأما بعد أن ملك ، فمن عرف حاله وإحاطة الأعداء والمنازعين له ببلاده ، وصبره واستيلاءه (٦) مع هذا على بلادهم ، علم محله من الشجاعة والصبر والإقدام . والذي حكى لي والدي من ذلك ، قال : كان الشهيد — قدس الله روحه — قد أحقق الأعداء بولايته والمنازعون له ، ففهم أمير المؤمنين (٩٣ - أ) المسترشد بالله ، قد كان الحال بينهما ظاهراً ، حتى أن المسترشد بالله سار إلى الموصل وحصرها . ومنهم السلطان مسعود في أعمال الجبال وأذربيجان قد جاور أعمال الشهيد بتلك النواحي ، وهو أقوى الخلق ، وأكثرهم عساکر ، وأشدهم كراهة للشهيد . ثم إلى جانبه أعمال أرمينية — وهي لبيت سكران (٧) — ولهم العساکر الكثيرة والبلاد الواسعة ، وهم أعداؤه ، وقد جاورهم في خيزان (٨) ، والمعدن وغيرهما . ثم إلى جانب بيت سكران ، ركن الدولة داود بن سقمان بن أرتق صاحب حصن كيفا وديار بكر ، وابن عمه حسام الدين تمر تاش بن إيلغازي بن أرتق صاحب ماردين ، وقد جاورا كثيراً من ولايته ، منها :

(١) بالأصل : ومن صائب الرأي الجيده ( والتصحيح من ، الروضتين ، ح/١/ص/٤٣ ) . (٢) بالأصل : للقتال . (٣) بالأصل : أستعين به . (٤) بالأصل : ومن ذلك من شجاعته . (٥) الإضافة من ، الروضتين ( ح/١/ص/٤٤ ) . (٦) بالأصل : واستيلاء . (٧) هو سكران القطبي صاحب خلاط ، وقد توفي سنة ٥٨١ هـ . وقد ظهر بيت سكران — وهم أتاكبة أرمينية — في سنة ٤٩٣ هـ ، على يد سكران (أو سقمان) الأول ، وقضى عليهم الأيوبيون سنة ٦٠٤ ( زامباور ) . (٨) بالأصل : خيزان .

جزيرة ابن (١) عمر و نصيبين . ومع هذا فأخذ من بلادها كثيراً ، ثم إلى جانبها الفرنج من قريب  
ماردين إلى باب دمشق ، قد جاؤوا بلادهم من رأس عين ، وحران ، وحلب ، وحمات ، وحصص ،  
وبعلبك ، وهم (٩٣ - ب) أشد ما كانوا قوة وأكثر جمعا . ومع هذا فهو يملك بلادهم ويهزمهم  
مرة بعد أخرى . ثم صاحب دمشق قد جاوره بها ، ومع هذا فهو يأخذ أيضاً من بلادهم ، فكان  
لا يستقر بل يغزو كلا منهم في عقر داره — ماعدا السلطان مسعود — فإنه كان لا يباشر  
قصده ، بل كان يضع أصحاب الأطراف على الخروج عليه ، فإذا فعلوا ، عاد السلطان [محتاجاً (٢)]  
إليه ، وطلب منه أن يجمعهم على طاعته ، فيصير كالحاكم على الجميع ، وكلهم يداريه ويخضع له ،  
ويطلب منه أن تستقر القواعد على يده . فانظر إلى هذه الشجاعة وهذا الرأي والتدبير . ولو  
لم يكن في زمانه غير ركن الدولة داود صاحب الحصن لكفى به ، فإنه كان بعيد الصوت في التركان  
يجمع منهم كل من حمل السلاح . وكان أيضاً مع هذا شجاعاً مقداماً لا تضره الهزائم شيئاً ، بل  
يفارق المعركة مهزوماً ثم يعاود الحرب بعد أيام .

(٩٤ - أ) وأما الفرنج ، فقد كانوا للممالك البلاد قد قهروا المسلمين ، وملكوا بلادهم وأكثروا  
فيهم القتل ، ولهم فيهم الصوت العظيم والهيبة التي تحملهم على مقارنة بلادهم خوفاً منهم ، فلما ملك  
البلاد فعل بهم ما ذكرنا بعضه ، ولو لم يكن له فيهم نكاية غير فتح الرها لكان عظيماً . وحكى لي عنه ،  
أنه لما عزم على المسير إلى الرها حين فتحها ، أحضر طعاماً وقال لأصحابه (٣) : لا يتقدم إلى ،  
ولا يأكل معي إلا من يحمل غداً معي على الرها ، فلم يتقدم إليه غير رجلين ، أحدهما شاب  
حسن ، أول ما تكاملت لحيته ، فنعته أصحابه ، فقال : أتركوه فإنني أتوسم فيه شجاعة ، فكان  
ذلك الشاب (٤) أول الناس مقدماً (٥) إلى سور الرها .

### وأما صدقاته رضى الله عنه

فكان يتصدق كل جمعة بمائة دينار أميرى ظاهرة ، ويتصدق في ما عداه من الأيام  
سراً مع من يثق إليه (٦) . حكى لي : أنه ركب يوماً فعثرت به دابته ، فكد يسقط عنها  
فاستدعى أميراً كان (٩٤ - ب) معه اسمه بليان ، فقال له كلاماً لم يفهمه بليان ولم يتجاسر على  
أن يستفهم منه ، فعاد عنه إلى بيته فودع أهله عازماً على الهرب (٧) . فقالت له زوجته : ما ذنبك ،  
وما الذى حملك على هذا الهرب . فذكر لها (٨) الحال . فقالت له : إن نصير الدين له بك عناية ،  
فاذكر له قصتك وافعل ما يأمرك به ، فقال : أخاف أن يمنعني عن الهرب وأهلك . فلم تزل زوجته

(١) بالأصل : بن . (٢) الإضافة من ، الروضين (ح/١/ص/٤٤) .

(٥) بالأصل : دقدها .

(٤) بالأصل : الشباب .

(٣) بالأصل : الاصابه .

(٨) بالأصل : له

(٧) بالأصل : عازما على هذا الهرب

(٦) اللفظ مكرر بالأصل .

تراجعه وتقوى عزمه على القول لنصير الدين فرجع إلى قولها ، وقصد نصير الدين وعرفه حاله ، فضحك وقال : خذ هذه الصرة الدنانير واحملها إليه فهي التي أراد . فقال بليمان : الله الله في دمي ونفسي . فقال : لا بأس عليك ، فإنه ما أراد غير هذه الصرة ، فحملها إليه فحين رآه قال (١) : أمعك شيء . قال نعم ، فأمره أن يتصدق به . فلما فرغ بليمان من الصدقة ، قصد نصير الدين وشكره وقال له : من أين علمت أنه أراد الصرة فقال له : إنه يتصدق هذا اليوم بمثل هذا القدر ، يرسل إلى يأخذه من الليل . ( ٩٥ - أ ) وفي يومنا هذا لم يأخذه ، ثم بلغني أن دابته عثرت به حتى كاد يسقط إلى الأرض وأرسلك إلى ، فعلمت أنه ذكر الصدقة فأرسلتها معك إليه . فانظر إلى هذه السعادة حيث قدر الله تعالى له مثل هذا الثائب في شدة ذكائه وفطنته ، وإلى هذه الهيبة الشديدة التي منعت ذلك الأمير عن المراجعة ، وبها امتنع القوى عن الضعيف . وحكى لي والدي من شدة هيئته ما هو أشد من هذا ، قال والدي : خرج يوماً الشهيد من قلعة الجزيرة من باب السر خلوة ، وملاح له نائم ، فأيقظه بعض الجاندارية (٢) وقال له : أقعد ، فحين رأى الشهيد سقط إلى الأرض فحركوه فوجدوه ميتاً .

### وأما قوة عزمه ، وقلة (٣) تلونه ، وعلو همته

قال لي والدي رحمه الله : كان الشهيد رضى الله عنه قليل التلون والتنقل (٤) ، بطيء المثل والتغير ، شديد العزم لم يتغير على أحد من أصحابه منذ ملك إلى أن قتل ، إلا بذنب يوجب التغير ، والأمراء والمقدمون (٥) الذين كانوا معه أولاً ، هم ( ٩٥ - ب ) الذين بقوا أخيراً من سلم منهم من الموت ، فلماذا كانوا ينصحونه ويبدلون نفوسهم له . قال والدي : كنت أرى من جمال الدين محمد ابن علي بن أبي منصور الوزير في الأيام (٦) الشهيدية من الكفاية والنظر في صغير الأمور وكبيرها ، والمحافضة فيها ما يدل على تمكنه من الكفاية ، فلما وصل الأمر إلى الملك قطب الدين مودود ابن أتابك الشهيد وجمال الدين وزيره حينئذ ، وقد تمكن زين الدين علي بن بكتكين (٧) في الدولة تمكنا عظيماً ، وتقدم عند قطب الدين جماعة من أصحابه ، فكان جمال الدين مع تمكنه وعلو محله يهمل بعض الأمور ، قال ، فقلت له يوماً : أين تلك الكفاية التي كنا نراها منك في الأيام الشهيدية ، ما أرى منها الآن شيئاً . [ فقال ] لي : الآن ما عندي كفاية . فقلت : ما هذا العمل من ذلك بشيء . فقال : أنت صبي غر ، ليست الكفاية عبارة عن فعل واحد في كل زمان ، إنما الكفاية أن يسلك الإنسان في كل زمان وما يناسبه ، ذلك الوقت كان لنا صاحب متمكن قوى العزم

(١) بالأصل : فقال . (٢) الجاندارية : فئة من مماليك السلطان أو الأمير . واللفظ مركب من مقطعين فارسيين ، أحدهما : « جان » ومعناه ، سلاح . والآخر « دار » ومعناه « ممسك » ووظيفة جاندار السلطان « أن صاحبها يستأذن على دخول الأمراء للخدمة ، ويدخل أمامهم إلى الديوان . ( السلوك ، ح / ١ / ص / ١٣٣ / حاشية / ١ ) .

(٣) بالأصل : وقائه . (٤) بالأصل : والتنقل . (٥) بالأصل : المقدمون . ( والتصحیح من ، الروضتين ح / ١ / ص / ٤٤ ) . (٦) بالأصل : أيام . (٧) بالأصل : بلكين .

لا يتجاسر (٩٦ - أ) أحد على الاعتراض عليه، ولا يتلون بأقوال أصحابه لحفظناه، وكان ما أفعله كفاية. وأما الآن فلنا سلطاناً (١) غير متمكن وهو محكوم عليه، فهذا الذي أفعله هو الكفاية.

قال: وكان له جماعة كثيرة خراسانية [في] الركاب لهم الجامكيات الوافرة، وكان في الديوان [من] يجمعونها من جهاتها ويقسمونها عليهم كل ثلاثة أشهر مرة. ففي بعض السنين تأخرت جامكياتهم تأخراً يسيراً، فاجتمعوا ووقفوا بحيث يراهم مجتمعين، فعلم أنهم يشكون شيئاً، فأرسل إليهم وسألهم عن حالهم فذكروه له. فقال لهم: أشكوتم إلى الديوان. قالوا: لا. قال: فهل ذكرتم حالكم لصلاح الدين أمير حاجب. قالوا: لا. قال: فلأى شيء أعطى الديوان مائة ألف دينار، وأعطى الأمير حاجب أكثر من ذلك، إذا كنت أنا أتولى الأمور صغيرها وكبيرها، كنتم شكوتهم حالكم إلى الديوان، فإن أهملوا أمركم كنتم قلتم لصلاح الدين، فإن أهمل أمركم كنتم شكوتهم الجميع إلى حتى كنت أعاقبهم على إهمالكم، (٩٦ - ب) وأما الآن فالذنب لكم. ثم أمر بتأديبهم وقطع جامكياتهم حتى شفع فيهم بعض الأمراء، فعفا عنهم. ثم أحضر الديوان وصلاح الدين وقال لهم: إذا كنتم تهملون أمر جندي الذين تحت ركابي ومن هو ملازمي في سفري وإقامتي، وبهم من الحاجة إلى النفقات في أسفارهم ما تعلمونه، فكيف يكون حال من بعد عني، وأنكر عليهم، فخرجوا من عنده وفرقوا في الأجناد من أموالهم حتى وصلت جامكياتهم، فأخذوا عوض ما أخرجوه. فرحمه الله فلقد كان حسن السياسة وال ضبط للأمر، فإنه بهذه الحالة الواحدة أصلح الجند لطاعة الديوان، وأصلح الديوان للنظر في مصالح الجند، وعظم نفسه عن أن يخاطب في هذا الأمر الحقيق، وسهل عليه بذل المبلغ الكثير لمن يقوم بأمره.

وكان (٢) ديوانه يقاس بدواوين السلاطين السلجقية لكثرة التجميل ونفاذ الأمر وعظم الحاشية والخرج. قال والدي: كان الإنسان إذا قدم عسكره لم (٣) يكن غريباً، فإن كان جندياً لشمتم عليه الأجناد وأضافوه، وقاموا بما يحتاج إليه لكثرة أموالهم. وإن كان القادم صاحب ديوان، قصد (٩٧ - أ) منزلة الديوان فرأى من توفروهم عليه، ونظرهم في مصالحه ما يكون كأنه في أهله. وإن كان عالماً، فيقصد خيام القضاة بنى الشهرزوري وجماعتهم والمتعلقين بهم من قضاة البلاد، فيحسنون إليه ويؤنسونه غربته فيعود أهلاً (٤). وسبب ذلك جميعه أنه كان يخاطب الرجال ذوى الهمم العلية، والآراء الصائبة، والأنفس الآبية (٥)، ويوسع عليهم في أرزاقهم فيسهل عليهم فعل الجميل واصطناع المعروف.

(١) بالأصل: السلطان.  
 (٢) بالأصل: كان.  
 (٣) بالأصل: من. (والتسحيح من، الروضتين، ح/١/ص/٤٤).  
 (٤) في الروضتين (ح/١/ص/٤٥): كأنه أهل.  
 (٥) بالأصل: الآبية.

## وأما غيرته

فكان الشهيد رحمه الله تعالى شديد الغيرة على الحريم ، لاسيما نساء الأجناد ، فإن التعرض إليهن كان من الذنوب التي لا يغفرها ، وكان يقول : إن جندی لا يفارقوني في أسفاري ، وما يقيمون عند أهلهم ، فإن نحن لم نمنع من التعرض إلى حرمهم هلكن وفسدن . فمن شدة غيرته وتعظيمه لهذا الذنب ، أنه كان قد أقام دزداراً بقلعة الجزيرة اسمه حسن ولقبه ثقة الدين ويعرف بالبربطي ، وكان من خواصه وأقرب الناس إليه ، وكان غير ( ٩٧ - ب ) مرضى السيرة ، فبلغه عنه أنه يتعرض للحرم ، فأمر حاجبه صلاح الدين الياغيسيانى أن يسير مجدداً ويدخل الجزيرة بغتة ، فإذا دخلها أخذ البربطي وقطع ذكره وقلع عينيه عقوبة لنظره بهما إلى الحرم ثم يصلبه ، فسار صلاح الدين مجدداً ، فلم يشعر البربطي إلا وقد وصل إلى البلد ، فخرج إلى لقائه ، فأكرمه صلاح الدين ودخل معه البلد ، وقال له : المولى أتاك يسلم عليك ، ويريد أن يعلى قدرك ويرفع منزلتك ، ويسلم إليك قلعة حلب ، ويوليك جميع البلاد الشامية لتكون هناك (١) مثل نصير الدين [ جقر ] ها هنا ، فتجهز وتحذر مالك في الماء إلى الموصل وتسير إلى خدمته ، ففرح ذلك المسكين ولم يترك له قليلاً ولا كثيراً إلا نقله إلى السفن ليحدرها (٢) إلى الموصل في دجلة ، فحين فرغ من جميع ذلك ، أخذه صلاح الدين وأمضى فيه ما أمر به ، وأخذ جميع ما له لم يعد منه الحبة الفرد ، فلم يتجاسر بعده أحد على سلوك شيء من أفعاله . فاعجب من ( ٩٨ - أ ) حزم هذا السلطان واحتياطه حيث أرسل أكبر من في دولته ، وأخفى أمره خوفاً من جهل ذلك الدزدار أن يحمله على العصيان ، أو على أمر يتعب في تلافيه . ثم أنظر من صلاح الدين ، كيف خدع ذلك المسكين بإكرامه ووعدته بالأعمال السنوية حتى أخرج ذخائره وأمواله ، ولم يبق منها شيئاً . ولو سلك غير هذا لعدم من ماله الكثير .

## ذكر ملك سيف الدين غازى بن زنگى (٣)

وما فعله جمال الدين الوزير إلى أن ملك

لما قتل أتاك الشهيد رحمه الله ، هرب جمال الدين واختفى عند أمير يعرف بأميرك الجاندار خوفاً من صلاح الدين الياغيسيانى لعداوة كانت بينهما . وفي تلك الليلة ركب الملك ألب أرسلان ابن السلطان محمود - وكان مع الشهيد - واجتمعت العساكر عليه وخدموه ، فأرسل جمال الدين إلى صلاح الدين يقول له : إن المصلحة أن نترك ما كان بيننا وراء ظهورنا ، ونسلك طريقاً يبقى به الملك ( ٩٨ - ب ) في أولاد صاحبنا ، ونعمر بيته جزاء لإحسانه إلينا ، فإن الملك قد طمع

(١) بالأصل : امثل . (٢) بالأصل : ليحدرها ( والتصحيح من ، الروضتين ، ح / ١ / ص / ٤٤ ) .

(٣) بالأصل : ذكر ملك سيف الدين غازى ابن زنگى .

في البلاد واجتمعت عليه العساكر، ولئن لم تتلاف هذا الأمر في أوله، وتنداركة في بدايته لیتسعن (١) الحرق ولا يمكن رقعته، فأجابه صلاح الدين إلى ذلك، وحلف كل واحد منهما لصاحبه، فظهر (٢) حينئذ جمال الدين من الإختفاء، وركب إلى الملك وخدمه وضمن له فتح البلاد وأطمعه فيها ومعه صلاح الدين، وقال له: إن أتاك كان نائباً عنك في البلاد وباسمك كنا نطمعه، فقبل قولهما وظنه حقاً، وقرهما طمعا في أن يكونا عن ناله على تحصيل غرضه، وأرسل إلى زين الدين الموصل يعرفانه قتل الشهيد، ويأمراته بالإرسال إلى سيف الدين غازي — وهو ولد زنكي الأكبر — وإحضاره إلى الموصل، وكان بشهر زور — وهي إقطاعه من أبيه — ففعل زين الدين ذلك. وكان نور الدين محمود ابن الشهيد قد سار لما قتل والده إلى حلب فملكها (٣). وقال (٩٩ — أ) جمال الدين للملك: إن من الرأي أن يسير صلاح الدين إلى مملوكك محمود بحلب يدبر أمره، فأمره بذلك. وكان هذا أمراً (٤) قد تقدر بين جمال الدين وصلاح الدين، وهو (٥) مسير صلاح الدين إلى الشام، وتقرير أمر نور الدين، وحفظ البلاد هناك لتلا بطمع الفرنج في شيء منها. وكانت مدينة حماة إقطاع صلاح الدين، فرغب في الشام لهذا السبب، ولأنه ظن أن أمر الملك يقوى ويملك البلاد ولا يبقى لأولاد الشهيد شيء شرقي الفرات. وكان أحب الأشياء إلى جمال الدين بعد صلاح الدين أيضاً، لأنه لم يأمن منه (٦). فلما أمر الملك بمسير صلاح الدين إلى الشام سار، وبقي جمال الدين وحده مع الملك، فأخذته وقصد الرقة، فحسن له جمال الدين الإشتغال بشرب الخمر والحلوة بالنساء، وأرسل إليه عدة جوار كن للشهيد، وشيئاً من المال يهبه المغنيات، وهون عليه أمر ملك البلاد، وقوى طمعه فيها حتى ظن أنها في يده (٩٩ — ب) فاشتغل الملك بذلك، وأراد أن يعطى الأمراء، فتمعه خوفاً من أن تميل قلوبهم إليه، وقال: لهم منكم الإقطاع الجزيل والنعم الوافرة. وشرع جمال الدين بستميل العسكر ويحلف الأمراء لسيف الدين ابن أتاك الشهيد واحداً بعد واحد، وكل من يحلف يأمره بالمسير إلى الموصل هارباً من الملك. وأقام بالملك في الرقة عدة أيام، ثم سار به إلى ماكسين (٧)، فتركه بها عدة أيام أيضاً، وقد شغله جمال الدين بلذاته عن طلب الملك، ثم سار به نحو سنجار، وكان سيف الدين غازي قد دخل الموصل فاستقر بها، فقوى حينئذ جنان جمال الدين [ ووصل هو والملك إلى سنجار (٨) ] وأرسل إلى دزدارها وقال

(١) بالأصل: لا يتسعن. (٢) بالأصل: فظهر. (٣) في، الروضتين (١/ص/٤٧): وذلك بإشارة أسد الدين شيركوه عليه بذلك. (٤) بالأصل: أمر.

(٥) مكان اللفظ « وهو » بالأصل « وهيراه » وهو لفظ غامض لم نستطع بيانه لعدم وروده في المراجع التي تحت أيدينا. ولعل اللفظ الذي أبتناه يؤدي المعنى المقصود في العبارة. (المحقق)

(٦) بالأصل: يأخذ منه، واللفظ هنا غامض المعنى وقد استبدلناه باللفظ « يأمن » لأنه أقرب إلى المعنى. (المحقق)

(٧) ماكسين: في (ياقوت) بكسر القاف. بلد بالخابور قريب من رحبة مالك بن طوق من ديار ربيعة.

(٨) الإضافة من، الروضتين (١/ص/٤٧).

له : لا تسلم البلد ولا تمكن أحداً (١) من دخوله ، ولكن أرسل إلى الملك وقل له : أنا تبع الموصل ، فتي دخلت الموصل سلمت إليك . ففعل الدردار (٢) ، ذلك . فقال جمال الدين [ للملك (٣) ] : المصلحة إننا نسير إلى الموصل ، فإن مملوكك غازي إذا سمع بقرئنا منه خرج إلى الخدمة ، وحينئذ تقبض عليه وتسلم (٤) البلاد ، فساروا عن سنجان ، وأكثر (٥) رحيل (١٠٠—أ) العسكر [ إلى الموصل (٣) ] هارين من الملك فبقى في قلعة من العسكر ، فساروا (٦) إلى مدينة بلد (٧) ، وعبر الملك دجلة من هناك ، فلما عبرها ، سار جمال الدين إلى الموصل فدخلها ، وأرسل الأمير عز الدين أبا بكر الديبسي في عسكر إلى الملك ، وهو في نفر يسير ، فأخذه وأدخله الموصل ، فكان آخر العهد به . واستقر أمر سيف الدين ، وأقر زين الدين على ما كان عليه (٨) من ولاية الموصل ، وجعل جمال الدين وزيره . وأرسلوا إلى السلطان مسعود فاستحلفوه لسيف الدين خلف ، وأقره على البلاد وأرسل له الخلع . وكان هذا سيف الدين قد لازم [ خدمة (٣) ] السلطان مسعود أيام [ أبيه (٣) ] سفيراً وحضراً . وكان السلطان يحبه كثيراً ويأنس به وييسطه (٩) ، فلما خوطب في العمين وتقرير البلاد لم يتوقف ، فانظر إلى فعل جمال الدين وحسن عهده ، وكال مروءته ، ورعايته لحقوق مخدمه وإحسانه ، وهذا المقام الذي ثبت فيه يعجز عنه عشرة ألف فارس ، فلقد قلل من قال : الناس ألف منهم ( ١٠٠ — ب ) كواحد . وهو معذور فإنه لم ير مثل جمال الدين . ولما استقر سيف الدين في الملك أطاعه جميع البلاد ، ما عدا ما كان بديار بكر : كالمعدن ، وحيزان وأسعد وغير ذلك ، فإن المجاورين لها تغلبوا عليها .

## ذكر عصيان (١٠) أهل الرها واستيلاء المسلمين عليها ثانياً

لما قتل الشهيد كان جوسلين الفرنجي — الذي كان صاحب الرها في ولايته غربي الفرات في تل باشر وما جاورها ، فراسل أهل الرها — وكان عامتهم من الأرمن — وواعدهم يوماً يصل إليهم فيه ، فأجابوه إلى ذلك ، فسار في عساكره إليها وملكها ، وامتنعت عليه القلعة بمن فيها من المسلمين ، وقاتلهم وجد في قتالهم ، فبلغ الخبر إلى نور الدين — وهو حينئذ بحلب قد ملكها بعد قتل والده — فسار مجدداً إليها في العسكر الذي عنده ، فلما سمع جوسلين بوصوله خرج عن الرها إلى بلده ، ودخل نور الدين المدينة ونهبها وسبي أهلها ( ١٠١ — أ ) وفي هذه الدفعة نهب

(١) بالأصل : ولا يمكن أحد . (٢) بالأصل : دزدار . (٣) الإضافة من ، الروضتين (١٠/ص ٤٧) (٤) بالأصل : ويتسلم . (٥) بالأصل : وكثير . (٦) بالأصل : فسار . (٧) بلد : في ( ياقوت ) : وربما قيل لها « بلط » ( بالطاء ) وهي مدينة قديمة على دجلة فوق الموصل ، بينهما سبعة فراسخ . وبينها وبين نصيبين ثلاثة وعشرون فرسخاً . وأسماها بالفارسية : شهر اباد . (٨) بالأصل : لايه . ( والتصحیح من ، الروضتين ، ١٠/ص ٤٧ ) . (٩) بالأصل : وينسطه . (١٠) في ، ابن الفلاني (ص ٢٨٨) ، أن عصيان الرها كان في أيام من جادى الأولى سنة ٥٤١ .

وخربت وغلبت من أهلها ولم يبق منهم بها إلا القليل . وكان من بالقلعة قد أرسلوا إلى الموصل يعرفون سيف الدين الخبر ، فوصل القاصد إلى ولاية الموصل ، فلقى عز الدين أبا بكر الديبسي وقد سار إلى الجزيرة ليتسلها إقطاعاً ، فسلك طريق البقعاء (١) متصيذاً ، فلقى القاصد فأخبره خبر الرها ، فترك عز الدين قصد الجزيرة وسار نحو الرها ، وأرسل إلى سيف الدين قاصداً مستريحاً ينهى إليه الحال ، ويطلب منه المدد ، فجهزت العساكر من الموصل ، وجد عز الدين في السير ، فوصلها وقد ملكها نور الدين واستقر فيها ، ونهبها وأجلى من كان بها من الفرنج ، وكان هذا فتحاً ثانياً . وبقيت الرها بيد نور الدين لم يعارضه فيها سيف الدين .

### نادرة عجبية

لما ملك نور الدين الرها ونهبها المسلمون ، أرسل من غنائمها إلى الأمراء وغيرهم ماجرت به العادة . وكان زين الدين علي من جملة من أرسل إليه منها ، وفي جملة ما أرسل [ إليه ] عدة من الجوارى ( ١٠١ - ب ) فحملن إلى داره ، ودخل لينظر إليهن ، وقال لمن عنده من أصحابه : مكانكم حتى أعود إليكم . فغاب عنهم قليلاً ثم خرج ، وقد اغتسل ، وهو يضحك ، فلما قعد قال : قد جرى لي اليوم أعجوبة ، وهى أننا [ لما (٢) ] فتحنا الرها مع الشهيد رحمه الله [ كان في جملة ماغنمت جارية مالت نفسى إليها ، فعزمت على أن أبيت معها ، فسمعت منادى الشهيد وهو يأمر بإعادة السبي والغنائم (٢) ] وكان مهيماً مخوفاً ، فلم أجسر على إتيانها وأطلقتها ، فلما كان الآن ، أرسل إلى نور الدين سهمى من الغنيمة وفيه تلك الجارية ، فوطئتها خوفاً من العود .

### ذكر اجتماع سيف الدين ونور الدين ابني (٣) زنكي

لما فرغ سيف الدين من إصلاح [ أمر (٤) ] السلطان وتخليفه وتقرير أمر البلاد ، عبر إلى الشام لينظر في [ تلك (٤) ] النواحي ، ويقرر القاعدة بينه وبين أخيه نور الدين وهو بحلب ، وقد تأخر من الحضور عند أخيه وخافه (٥) ، فلم يزل يرأسله ويستميله ، وكلما طلب شيئاً أجابه إليه

(١) لم يعرف بها ياقوت في معجمه ، وإنما ذكر بقعاء الموصل ، وذلك عند تعريفه بديار ربيعة ، فقال : إن ديار ربيعة تقع بين الموصل ورأس عين نحو بقعاء الموصل ونصيبين ورأس عين وديسر والخابور جميعه .  
(٢) الإضافة من ، الروضتين (ح/١/ص/٤٩) . (٣) بالأصل : ابن . (٤) الإضافة من ، الروضتين (ح/١/ص/٤٧) . (٥) لم يذكر ابن الأثير خبر الاجتماع بين الأخوين في « السكامل » ، كذلك لم يذكر سبب الخلاف بينهما ، لا في « السكامل » ولا في « النس » ونستطيع نحن أن نرجع سبب الخلاف ، إلى أن نور الدين خرق التقاليد القبلية — وانزكيون من القبائل التركية — التي تنص على أن تكون زعامة البيت للأرشد من أبنائه ، فنافس نور الدين أخاه الأكبر في الملك ، فاستولى على حلب والرها ، الأمر الذي أزعج سيف الدين ، فأخذ يعمل على التوفيق بينه وبين أخيه كما هو واضح في النس .



إستمالة لقلبه ، فاستقرت الحال بينهما على أن يجتمعا خارج المعسكر السيفي (١) ، ومع كل واحد منهما خمسمائة (١٠٢ - أ) فارس ، وسار سيف الدين من معسكره في خمسة (٢) فوارس ، فلم يعرف نور الدين سيف الدين حتى قرب منه ، فحين رآه عرفه ، فترجل له وقبل الأرض بين يديه وأمر أصحابه بالعود عنه فعادوا (٣) ، وقعد نور الدين وسيف الدين بعد أن اعتنقا وبكيا ، فقال له سيف الدين : لم امتنعت من الحجى إلى ، كنت تخافنى على نفسك ، والله لم يخطر ببالى ماتكره ، فلئن أريد البلاد دوع من أعيش ، وبمن اعتضد إذا فعلت السوء مع أخى وأحب الناس إلى فاطمأن نور الدين وسكن روعه ، وعاد إلى حلب فتجهز ، وعاد بعسكره إلى خدمة أخيه سيف الدين فأمره سيف الدين بالعود وترك عسكره (٤) عنده ، وقال له : لا غرض لى فى مقامك عندى ، وإنما غرضى أن تعلم الملوك والفرنج اتفاقنا ، فمن يريد السوء بنا يكف عنه ، فلم يرجع نور الدين ولزمه إلى أن قضيا ما كانا فيه . وعاد كل واحد منهما إلى بلده .

## ذكر نزول الفرنج على دمشق وحصرها وما فعله

### سيف الدين حتى رحلوا عنها

(١٠٢ - ب) فى سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة ، خرج ملك الألمان (٥) من بلاد الفرنج فى جيوش عظيمة لاتحصى كثرة من الإفرنج إلى بلاد الشام ، واتفق هو ومن بساحل الشام من الفرنج ، واجتمعوا وقصدوا مدينة دمشق ونازلوها (٦) ولا يشك ملك الألمان أنه يملكها وغيرها لكثرة جموعه وعساكره . وهذا النوع من الفرنج هم أكثر الفرنج عدداً وأوسعهم بلادا ، وملكهم أكثرهم عدداً وعدداً ، وإن كان غير ملكهم أشرف منه عندهم وأعظم محلا ، والسيف أصدق أنباء من الكتب . فلما حصروا دمشق وبها صاحبها مجير الدين أبى بن محمد بن بورى (٧) بن طغتكين ، وليس له من الأمر شىء (٨) وإنما كان الأمر إلى معين الدين [أنز] بن بملوك جده طغتكين ، فهو كان الحاكم والمدبر للبلد وللعسكر . وكان عاقلا خيرا دينا حسن السيرة ، فجمع العسكر وحفظ البلاد ، وحصرهم الفرنج وزحفوا إليهم سادس ربيع الأول ، فخرج العسكر وأهل البلد لمنعهم عن القرب

(١) فى ، مرآة الزمان (ح/٨/ص/١٩٢) ، أن سيف الدين لما راسل أخاه نور الدين للاجتماع به ، اعتذر نور الدين بالفرنج خوفاً على نفسه منه ، خلف له سيف الدين ، واتفقا على أن يجتمعا بالجزيرة ، وتقابلا ليلا فى الحابور . ( وهذا الاجتماع الليلى له معناه ، وذلك لى لا تكون هناك فرصة لأن يقا تل أحدهما الآخر ، وأهل الذى اختار هذا الوقت هو نور الدين ، لأنه هو الذى يخاف من أخيه . (المحقق) (٢) بالأصل : خمس .

(٣) بالأصل : فناد . (٤) بالأصل : ونزل بعسكره . (والتصحیح من ، الروضتين ، ح/١/ص/٤٨) .

(٥) هو كونراد الثالث إمبراطور ألمانيا . وقد اشترك معه فى قيادة هذه الحملة — وهى الحملة الصليبية الثانية — لويس السابع ملك فرنسا . (ابن واصل ، ح/١/ص/١١٢/حاشية/٣) . (٦) بالأصل : ونازلها . (والتصحیح من ، الروضتين ، ح/١/ص/٥٣) . (٧) بالأصل : نورى . (والتصحیح من ، الروضتين ، ح/١/ص/٥٣) : (٨) بالأصل : شيئا .

منه ، وكان فيمن خرج معهم ، الفقيه (١٠٣ - أ) حجة الدين يوسف بن ذى ناس (١) الفندلاوى المغربى ، وكان شيخا كبيرا زاهدا عابدا ، خرج راجلا فرآه معين الدين فقصدته وسلم عليه ، وقال له : يا شيخ أنت معذور ونحن نكفيك ، وليس بك قوة على القتال . فقال : قد بعت واشترى ، فلا نقيه ولا نستقيه يعنى قول الله تعالى ﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم ﴾ (٢) الآية . وتقدم وقاتل الإفرنج حتى قتل رضى الله عنه عند النيرب شهيدا . وقوى أمر الفرنج وتقدموا ، فزولوا بالميدان الأخضر وضعف أهل البلد عن ردهم عنه ، وكان معين الدين قد أرسل إلى سيف الدين يستغيث به ويستنجده ، ويسأله القدوم عليه ، ويعلمه شدة الأمر الذى قد دفعوا إليه ، فجمع سيف الدين عساكره وحشد ، وسار مجدا إلى مدينة حمص ، وأرسل إلى معين الدين يقول له : قد حضرت ومعى كل من يطيق حمل السلاح من بلادى ، فإن أنا جئت إليك ولقينا الفرنج وليست دمشق بيد نوابى وأصحابى وكانت الهزيمة (١٠٣ - ب) علينا ، لا يسلم منا أحد لبعده بلادنا عنا ، وحينئذ يملك الفرنج دمشق وغيرها ، فإن أردت أن ألقاهم وأقاتلهم ، فسلم البلد إلى من أثق إليه ، وأنا أحلف لك ، إن كانت النصر لنا على الفرنج أنتى لا آخذ دمشق ، ولا أقيم بها إلا مقدار ما يرحل العدو عنها وأعود إلى بلادى . فطالته (٣) معين الدين لينظر ما يكون من الفرنج .

وأرسل سيف إلى الفرنج الغرباء تهدهم ، ويعلمهم أنه على قصدهم إن لم يرحلوا ، وأرسل معين الدين إليهم أيضا يقول لهم : قد حضر ملك الشرق ومعهم من العساكر مالا طاقة لكم به ، فإن أتم رحلتهم عنا وإلا سلمت البلد إليه ، وحينئذ لا تطمعون فى السلامة منه . وأرسل إلى فرنج الشام يخوفهم من أوثك الفرنج الخارجين إلى بلادهم ، ويقول لهم : أتم بين أمرين مذمومين ، إن ملك هؤلاء الفرنج الغرباء دمشق (٤) لا يبقون عليكم ما بأيديكم من البلاد ، وإن سلمت أنا دمشق إلى سيف الدين فأنتم تعلمون أنكم (١٠٤ - أ) لا تقدرتون على منعه عن البيت المقدس ، وبذلهم أن يسلم إليهم بانياس إن رحلوا ملك الألمان عن دمشق ، فأجابوه إلى ذلك وعلموا صدقه ، واجتمعوا بملك الألمان وخوفوه من سيف الدين وكثرة عساكره وتتابع أمداده ، وأنه ربما ملك دمشق فلا يبقى لهم معه مقام بالساحل ، فأجابهم إلى الرحيل عن [دمشق (٥)] وسار عنها . ورحل فرنج الساحل وتسلموا حصن بانياس من معين الدين ، وبقى حصن بانياس مع الفرنج حتى فتحه نور الدين محمود ابن زنكى رحمه الله تعالى . ذكر الحافظ أبو القاسم بن عساكر فى تاريخ دمشق ، قال : حكى [لى] (٦) بعض الأئمة العلماء ، إنه رأى الفندلاوى فى المنام ، فقال له أين أنت . قال : فى جنات عدن على سرر متقابلين .

(١) فى السكامل (ح/٩/ص/٢٠) : ابن ذى ناس . وفى النجوم الزاهرة (ح/٥/ص/٢٨٢) : ابن درناس . وفى شذرات الذهب (ح/٤/ص/١٣٦) : ابن دواس الفندلاوى . وترجمته فى الشذرات (نفس الجزء والصفحة) .  
 (٢) سورة التوبة : ١١١ . (٣) بالأصل : فما طلمه . (والنصحیح من الروضتين ، ح/١/ص/٥٣) .  
 (٤) بالأصل : بدمشق . (٥) الإضافة من ، الروضتين (ح/١/ص/٥٣) . (٦) الإضافة من ، السكامل (ح/٩/ص/٢١) .

## ذكر فتح نور الدين حصن العزيمة (١)

لما رحل الفرنج عن دمشق ، سار معين الدين أنر إلى بعلبك ، وأرسل إلى نور الدين وهو مع أخيه سيف الدين ، فسأله أن يحضر عنده فيجتمع به ، فسار إليه واجتمعا (١٠٤ - ب) فوصل إليهما حينئذ كتاب القمص صاحب طرابلس ، يشير عليهما بقصد حصن العزيمة (٢) وأخذه من فيه من الفرنج . وكان سبب ذلك ، أن ولد الفنش (٣) صاحب طليطلة (٤) ، خرج مع ملك الألمان إلى الشام وتغلب على العزيمة وأخذه من القمص ، وأظهر أنه يريد أخذ طرابلس منه أيضا . وجد هذا الذي ملك العزيمة ، هو الذي غزا إفريقية وفتح مدينة طرابلس [ الغرب ] (٥) فلما استولى هذا على العزيمة ، كاتب القمص نور الدين ومعين الدين في قصده ، فسارا إليه مجديا فصباحا ، وكتبا إلى سيف الدين [ وهو بمص (٦) ] يستجدانه ويطلبان المدد ، فأمدهما بعسكر جرار ، وجعل مقدمه عز الدين أبا بكر الديبسي ، فحصروا الحصن وبه ابن الفنش ، فامتنع به وحماه ، فرحف (٧) المسلمون إليه ، وتقدم النقباقون الذين مع نور الدين فنقبوا السور ، فلما رأوا الفرنج ذلك ، أذعنوا واستسلموا ، وألقوا ما بأيديهم فملك المسلمون الحصن ، وأخذوا كل من فيه من رجل وصبي وإمرأة ، وفيهم ابن الفنش (٨) ، وأخربوا الحصن (١٠٥ - أ) وعادوا إلى سيف الدين .

## ذكر ملك سيف الدين قلعة داراء

قد ذكرنا أن أتاك الشهيد رضى الله عنه ملك داراء (٩) وبقيت بيده إلى أن قتل . فلما قتل أخذها حسام الدين تمر تاش صاحب ماردين (١٠) . فلما كان في سنة أربع وأربعين وخمسة ، سار سيف الدين إليها وحصرها ، وقاتل من بها وضيق عليهم فملك الحصن (١١) ، واستولى على كثير من بلد ماردين بسببها .

- 
- (١) بالأصل : عريفة . (والتصحيح من ، الكامل ، ح/٩/ص/١١) . (٢) بالأصل : العمية . (٣) بالأصل : الفنش . (والتصحيح من ، الكامل ، ح/٩/ص/٢١) . والfnش هو النطق العربي لاسم الفوننو الأسباني . (٤) بالأصل : صاحب جزيرة صقلية . (والتصحيح من ، الكامل ، ح/٩/ص/٢١) . وما في الكامل أصح ، لأن لفرنج الأندلس استولوا على طليطلة سنة ٤٧٨ . (الكامل ، ح/٨/ص/١٣٨) (٥) الإضافة هنا للتمييز بينا وبين طرابلس الشام المذكورة قبلها . (٦) الإضافة من ، الكامل (ح/٩/ص/٢١) . (٧) بالأصل : فرحف . (٨) في ابن القلانسي (ص/٣٠١) أن نور الدين أخذ معه ابن الفنش وأمه ومن أسرهم إلى حلب . (٩) داراء : في (بافوت) : داراء ، وتقع بين نصيبين وماردين في لُحف جبل . (١٠) بعد مقتل عماد الدين ، طمع الفرنج والأراقة وصاحب دمشق بأملاكه ، فأخذوا يستردون ما استولى عليه من بلادهم . وقد حاول الفرنج استرداد أريحا ، ولكنهم فشلوا كما مر بنا . واسترد حسام الدين تمر تاش ، دارا وغيرها ، واسترد صاحب دمشق بعلبك ، ولم يذكر ابن الأثير خبر بعلبك هنا ، وإنما ذكره في « الكامل » (ح/٩/ص/١٦ ، سنة ٥٤١) . (١١) في ، الكامل (ح/٩/ص/١٨) أن سيف الدين استردها في سنة ٥٤٢ .

## ذكر حصار قلعة ماردين الشهباء

ثم إن سيف الدين سار إلى ماردين وحصرها (١) ، عازماً على أن يدخل ديار بكر ويستعيد ما أخذ من البلاد بعد قتل والده الشهيد رضى الله عنه ، فأقام عليها يحاصرها ، وتفرق العسكر في بلدتها ينهبون ويخربون ، فلما نظر حسام الدين صاحبها (٢) إلى ما يفعل العسكر في بلاده ، قال : كنا نشكوا من أتاك الشهد وأين أيامه ، فلقد كانت أعيادا ، قد حصرنا غير مرة فلم يتعد هو وعسكره حاصل السلطان ، ولا أخذوا كفا (١٠٥ - ب) من التبن بغير ثمنه .

رب يوم بكيت منه (٣) فلما صرت في غيره بكيت عليه

ثم إنه راسل سيف الدين وصالحه على ما أراد ، وزوجه ابنته الخاتون ، ورحل سيف الدين عن ماردين وعاد إلى الموصل ، وجهازت خاتون وسيرت إليه ، فوصات إلى الموصل وهو مريض قد أشرف على الموت ، فتوفي ولم يدخل بها . فلما توفي تزوجها أخوه الملك قطب الدين مودود ، فكان أولاده الملوك منها .

## ذكر غزو الفرنج ببصرى (٤) وما جرى لهم فيها

في سنة ثلاث وأربعين وخمسةائة ، سار نور الدين محمود ابن الشهيد رضى الله عنهما (٥) إلى بصرى (٦) ، وقد اجتمع بها الفرنج في قبضهم وقضيضهم (٧) ، وقد عزموا على قصد بلاد الإسلام (٨) . فلما سمع نور الدين خبرهم سار نحوهم ، فالتقوا هنالك واقتتلوا أشد قتال ، ثم أنزل

(١) في ، الكامل (١٨/ص/٩/ح) أن سيف الدين سار إلى ماردين في سنة ٥٤٢ ، بعد استيلائه على دارا .  
(٢) بالأصل : صاحبها . (٣) بالأصل : فيه . (والتصحيح من ، الروضتين ، ج/١/ص/٦٥) .  
(٤) بالأصل : بغيري . (والتصحيح من ، الروضتين ، ج/١/ص/٥٥) . وأبو شامة يصرح بأنه ينقل الخبر من « الأتابكة » . ونلاحظ أن ابن الأثير ، ذكر في ، الكامل ، (ج/٩/ص/٢٢) أن نور الدين انتصر بغيري أيضاً . وهذا خطأ من ابن الأثير ، لأن نور الدين انهزم من الفرنج في معركة بغيري ، وقد حدثت سنة ٥٤٣ ، كما في ابن القلانسي (ص/٣٠٢) . وينقل أبو شامة عن ابن أبي طي ، تقاعس أسد الدين شيركوه فيباعن القتال رغم هزيمة المسلمين . يقول أبو شامة : « وذكر ابن أبي طي أن أسد الدين ، لما كان في نفسه على نور الدين ، من تقديم ابن الداية عليه ، لم ينصح يوماً - وهي وقعة بغيرا - ( هكذا ، بالألف ) . ومن به نور الدين ، فقال له : ما هذا الوقوف والغفلة في هذا الوقت والمسلمون قد انكسروا . فقال : يا خوند ، إيش نفع نحن ، إنما ينفع مجد الدين أبو بكر ، فهو صاحب الأمر ، فاستدرك نور الدين ذلك ، وطيب قلب أسد الدين بعد ذلك ... » . ويورد أبو شامة أيضاً ، أبيانا من قصيدة لابن منير الشاعر « تقدمت لاعتذارا عما جرى في هذه الغزاة » أول بيت منها :

لم يشنه من ماء بغيرا أن فر (م) الأثبات داد عنها انزلاقه

ويورد أيضاً (ص/٥٨) بعض أبيات من قصيدة لبعض الحلبيين يمدح بها نور الدين لانتصاره على الفرنج بأنطاكية ، سنة ٥٤٤ ، أي بعد هزيمة بغيري ، أول بيت منها :

إن كان آل فرنج أدركوا فلجنا في يوم بغيرا ونالوا منية الظفر

(٥) بالأصل : عنه جا . (٦) بالأصل : بغيري . (٧) بالأصل : وقضيضهم . (٨) في ، الكامل

(ج/٩/ص/٢٢) ، أن الفرنج تجمعوا ليقتصدوا أعمال حلب ليغيروا عليها .

الله تعالى نصره على المسلمين ، وانهمز الفرنج وأخذتهم سيوف المسلمين ، فكانوا بين قتيل وأسير (١٠٦- أ) وأما السالم منهم من المعركة فقليل ، ولهذا يقول القيسراني (١) في هذه الواقعة من قصيدة [ يقول ] في أولها (٢) :

يا ليت إن الصد مصدود      أولا فليت اليوم مردود  
إلى متى يعرض عن مغرم      في خده للدمع أخيدود  
ومنها (٣)

وكيف لا ينثني (٤) على عيشنا الـ      محمود والسلطان محمود  
وصارم الإسلام لا ينثني      إلا وشلو الكفر مقودود  
مناقب لم تك موجودة      إلا ونور الدين موجود  
وكم له من وقعة يومها      عند ملوك الشرك مشهود  
والقوم إما مرهق صرعة      أو موثق بالقيد (٥) مشدود

### ذكر وفاة سيف الدين غازي بن أتابك عماد الدين زنكي

في أواخر جمادى الآخرة (٦) من سنة أربع وأربعين وخمسمائة ، توفى سيف الدين غازي بن أتابك عماد الدين زنكي بن آقسنقر . وكان مرضه حمى حادة ، فأرسل إلى بغداد وأحضر أوحده الزمان الطيب ، ولم يكن في زمانه (٧) أعرف منه بالطب (٨) ، (١٠٦- ب) فلما رأى شدة مرضه علم أن الأغلب عليه العطب ، فأعلم جمال الدين وزين الدين حاله ، وقال لهما : ليس له علاج غير شيء واحد ، وهو خطر فعالجه ، فتوفى . وكان عمره نحو أربعين سنة . وكان من أحسن الناس صورة . ودفن بالمدرسة التي أنشأها بالموصل . وخلف ولدا ذكرا أخذه عمه نور الدين محمود ورباه وأحسن تربيته ، وزوجه بياضة عمه قطب الدين مودود ، فلم تطل أيامه وأدركه أجله في عنفوان شبابه فتوفى . وانقرض عقب سيف الدين رحمه الله تعالى .

### في ذكر بعض سيرته وأخلاقه رحمه [ الله ]

كان رحمه الله تعالى كريماً ، شجاعاً ، عاقلاً ، ذا حزم وعزم ، ولما (٩) توفى والده الشهيد ، استوزر جمال الدين أبا جعفر المقدم ذكره ، وحكمه وأعطاه عشر دخل بلاده ، وأقر زين الدين

(١) هو أبو عبد الله محمد بن نصر بن صغير بن خالد بن التيسراني ، توفى سنة ٤٤٨ . وترجمته في ، شذرات الذهب (ح/٤/ص/١٥٠) . (٢) بالأصل : أولها يقول . (٣) بالأصل : ومنها في ذكره . (وقد حذف المحقق اللغظين : في ذكره ، لأنها لا يدلان على شيء) . (٤) بالأصل : لاني . . . (٥) بالأصل : بالقد . (٦) بالأصل : جمدى الآخر . (٧) بالأصل : يزمانه . (٨) بالأصل : بالطلب . (٩) بالأصل : لما .

على ولاية قلعة الموصل ، وكان له إربيل ، فزاد إقطاعه وأعلى محله . وأقطع عز الدين أبا بكر الديبسي جزيرة ابن عمر وجميع قلاع الزوزان وغيرها ، وقرر أمر المملكة فلم يتغير شيء بقتل والده .

(١٠٧- أ) حكى لى والدى : إنه كان راتبه كل يوم لسماطه مائة شاة بكرة ، ينزل الجند فى خدمته كل يوم ويأكلون الطعام ، وكان له سماط آخر النهار ، يذبح له كل يوم ثلاثون رأساً من الغنم الجيد ، سوى الخيل والبقر .

وهو أول من حمل (١) على رأسه سنجق (٢) من أصحاب الأطراف ، فإنه لم يكن فيهم من يفعله لأجل السلاطين السلجوقية .

وهو أول من أمر عسكريه أن لا يركب أحدهم إلا والسيف فى وسطه والديبوس تحت ركابه سفرًا وحضراً ، ولم يكن يفعل قبل ذلك فى سائر البلاد إلا فى السفر ، فلما أمر هو عسكريه ، إقتدى به غيره من أصحاب الأطراف .

وبنى بالموصل المدرسة الأتابكية العتيقة ، وهى من أحسن المدارس وأوسعها ، وجعلها وقفاً على الفقهاء الشافعية والحنفية نصفين .

وبنى أيضاً رباطاً للصوفية بالموصل (٣) وهو الرباط المجاور لباب المشرعة ، ووقف عليها الوقوف الكثيرة .

(١٠٧- ب) قال : وكان جمال الدين ، وزين الدين ، وعز الدين الديبسي ، قد اتفقت كلمتهم فى أيامه ، واضطر إلى مداراتهم ، لأنهم كانوا يخوفونه السلطان ، فلما طال ذلك عليه ، عزم على المسير إلى السلطان مسعود وقال لهم : أنا كنت من أقرب الناس إلى السلطان ، ومنزلتى عنده مشهورة ، ولا بدلى من المسير إليه ، فخافوه إن هو سار إليه ، أن يعود وقد أمن جانبه فلا يبقى عليهم ، فكانوا لا يزالوا يمنعونهم عما يريد من ذلك إلى أن أدركه أجله .

وكان كريماً ، قصده شهاب الدين الحيص بيص (٤) وامتدحه بقصيدته المشهورة التى [يقول فى (٥)] أولها : شعر .

إلام يراك المجد فى زى شاعر وقد نخلت شوقاً فروع المنابر

(١) بالأصل : احل (٢) السنجق : لفظ تركى ، معناه : الرمح . والمراد هنا العلم الذى هو الراية ، إلا أنه لما كانت الراية إنما تجعل فى أعلى الرمح ، عبر بالرمح نفسه عنها . والسنجقدار ، هو حامل السنجق . (صبح الأعشى ، ٥/ص/٤٥٨) . (٣) بالأصل : بالموصل أيضاً . (وقد أسقط المحقق اللفظ : أيضاً لتكراره فى الجملة) . (٤) هو شهاب الدين أبو القوارس سعد بن محمد بن سعد بن صفي التميمي الشاعر المشهور توفى سنة ٥٧٤ هـ ، وترجمته فى شذرات الذهب (٥/ص/٢٤٧) . (٥) بالأصل : التى أولها يقول شعر . (٦) بالأصل : الاكم (والتصحيح من الروضتين ، ١/ص/٦٥) .

وهي من جيد شعره ، فأعطاه جائزته ألف دينار أميرى ، سوى الإقامة والتعهد مدة مقامه ،  
وسوى الخلع والثياب من سائر الأنواع .

### فى ذكر ملك أخيه قطب الدين (١٠٨ - أ)

لما توفى سيف الدين غازى ، كان أخوه قطب الدين مودود بالموصل ، فاتفقت كلمة جمال  
الدين وزين الدين (١) على تملكه طلباً للسلامة منه ، فإنه كان لين الجانب ، حسن الأخلاق ،  
كثير الحلم ، كريم الطباع ، فأحضروه من داره وحلفوه لهم وحلفوا له ، ونزل بدار المملكة  
وحلف له الأمراء والأجناد ، واستقر فى الملك ، وأطاعه جميع ما كان لأخيه سيف الدين ، لأن  
المرجع كان فى جميع المملكة إلى جمال الدين وزين الدين . ولما ملك واستقر فى الملك ، تزوج  
الختاتون ابنة حسام الدين تمرتاش التى (٢) كان سيف الدين تزوجها ولم يدخل بها ، فولدت  
لقطب الدين أولاده الذين ملكوا الموصل بعده على ما نذكره . ولم يملكها من أولاد قطب الدين  
أحد من غير أولادها .

### فى ذكر فاطمة ابنة عبد الملك (معرفة حسنة تذكر)

قد ذكر أصحاب التواريخ والمعارف ، أن فاطمة (٣) بنت عبد الملك بن مروان (٤) بن الحكم ،  
وأما عاتكة بنت يزيد بن معاوية (٥) بن أبى سفيان (٦) - جد أمها لأبيها - ، وابنه يزيد -  
وهو (١٠٨ - ب) - جدها لأمها - ، ومعاوية بن يزيد - وهو خالها - ، ومروان بن الحكم -  
وهو جدها لأبيها - ، وعبد الملك بن مروان (٧) - وهو أبوها - ، والوليد ، وسليمان ،  
وزيد ، وهشام أولاد عبد الملك - وهم إخوتها - ، وعمر بن عبد العزيز - وهو زوجها -  
والوليد (٨) بن يزيد بن عبد الملك - وهو ابن أخيها - ، وزيد وإبراهيم ابنا الوليد بن  
عبد الملك - وهما ابنا أخيها - أيضاً . ولم يبق من بنى أمية الذين ولوا الأمر ، من كان يحرم  
عليها أن تضع خمارها عنده ، إلا مروان بن محمد ، المعروف بالبحار لاغير . وهذه الخاتون (٩) كان  
يحل لها أن تضع خمارها عند خمسة عشر ملكاً ، وهم : نجم الدين إيلغازى بن أرتق - وهو  
جدها لأبيها - ، وسفيان بن أرتق - وهو عم (١٠) أبيها - ؛ وحسام الدين تمرتاش - وهو  
أبوها - ، ونجم الدين ألبى - وهو أخوها - ، وقطب الدين إيلغازى بن ألبى - وهو ابن

(١) فى الكامل ، (٢٤/٩/ص) : جمال الدين الوزير وزين الدين على أميرالجيوش . (٢) بالأصل : الذى .  
(٣) بالأصل : فطمه . (٤) بالأصل : مروان . (٥) بالأصل : معويه . (٦) بالأصل : سفيان .  
(٧) بالأصل : مروان . (٨) بالأصل : واليد . (٩) المقصود بها زوجة قطب الدين مودود .  
ابنة حسام الدين تمرتاش . (١٠) بالأصل : وهواعم .

أخيها - ، وحسام الدين ، وناصر الدين - وهما أولاد قطب الدين - ، وسيف الدين غازي ،  
الوقطب الدين مودود (١٠٩ - أ) إبنا الشهيد زنكي - وهما زوجها - ، وعماد الدين  
شهيد - وهو حوها - وولداها سيف الدين غازي (١) ، وعز الدين مسعود (٢) - إبنا قطب  
الدين مودود - ، ونور الدين أرسلان شاه بن عز الدين مسعود (٣) - وهو ابن ابنها - ،  
وإبنة الملك القاهر عز الدين مسعود بن نور الدين (٤) [ أرسلان شاه ] ، ومعز الدين سنجر  
شاه بن سيف الدين غازي (٥) - وهو ابن ابنها - ، وإبنة معز الدين محمود (٦) ، وعماد الدين  
زنكي بن قطب الدين مودود (٧) - وهو ابن زوجها - ، وولده قطب الدين محمد (٨) .

## ذكر ملك نور الدين محمود ابن الشهيد مدينة سنجان

وما كان بينه وبين [ أخيه قطب الدين ]

لما ملك قطب الدين الموصل والبلاد الجزرية بعد وفاة أخيه سيف الدين غازي ، كان نور الدين  
محمود بحلب - وهو أكبر من قطب الدين - فكاتبه بعض الأمراء وطلبوه إليهم ، وكانهم  
حسدوا زين الدين وجمال الدين ، وأرادوا أن يحكم عليهم ابن صاحبهم . وكان فيمن كاتبه ،  
المقدم (٩) والشمس الدين ابن المقدم - وهو حينئذ دزدان سنجان - (١٠٩ - ب)  
واستدعاه ليسلم إليه سنجان ، فسار نور الدين جريدة في سبعين فارساً في أكابر دولته ، منهم .  
أسد الدين شيركوه ، ومجد الدين أبو بكر بن الداية وغيرهما ، فوصل إلى ماكسين في ستة أنفس  
في يوم شديد المطر وعليهم اللباييد ، فلم يعرفهم (١٠) الذين بالباب ، وأرسلوا إلى الشحنة وأخبروه  
بوصول نفر من الأجناد وكانهم تركان ، فلم يستقم القاصد كلامه حتى وصل نور الدين ، فحين رآه  
الشحنة قبل يده وخرج عن الدار ، فنزلها نور الدين حتى لحق به أصحابه ، وسار مجدداً إلى سنجان ،  
فوصلها وليس معه غير نفر يسير ، فنزل بظاهر البلد وألقى نفسه على محفور صغير (١١) من شدة  
تعبه ، وأرسل إلى المقدم بالقلعة يعرفه واصله . وكان المقدم قد استدعى إلى الموصل ، لأن خبره

- (١) هو سيف الدين غازي (الثاني) . وقد ملك الموصل بعد أبيه ، من سنة ٥٦٥ حتى سنة ٥٧٦ .  
(٢) مالك عز الدين مسعود الموصل ، من سنة ٥٧٦ حتى سنة ٥٨٩ . (٣) ملك نور الدين أرسلان  
شاه الموصل ، من سنة ٥٨٩ حتى سنة ٦٠٧ . (٤) ملك الملك القاهر الموصل ، من سنة ٦٠٧ حتى سنة ٦١٥ ،  
والذي ينتهي « تاريخ دولة الأتابكة » بنجر ملكها . (٥) صاحب جزيرة ابن عمر ، ٥٧٦ - ٦٠٥ .  
(٦) صاحب جزيرة ابن عمر ، ٦٠٥ - ٦٣٩ . (٧) صاحب سنجان ، ٥٦٦ - ٥٩٤ .  
(٨) صاحب سنجان ، ٥٩٤ - ٦١٦ . (٩) في الكامل (ح/٩/ص/٢٤) : « وفيمن كاتبه المقدم  
عبد الملك والشمس الدين محمد » . (١٠) بالأصل : تعرفه . (والتصحيح من الروضتين ، ح/١/ص/٦٨) .  
(١١) في الروضتين : (ح/١/ص/٦٨) محفورة صغيرة . والأصوب أن يقال : حفر صغير . ففي (لسان العرب) ،  
مادة : حفر : الحفر ، بالتحريك ، هو التراب المخرج من التسيء المحفور .



مع نور الدين بلغ من بها ، فأرسلوا إليه وأحضره (١) ، فتوقف عدة أيام فلم يصل نور الدين ، فسار إلى الموصل وترك ابنه شمس الدين بسنجار ، وقال له ( ١١٠ - أ ) : أنا أتأخر (٢) في الطريق ، فإن وصل نور الدين فأرسل من يعلمني . فلما فارق سنجان وصل نور الدين . فلما علم شمس الدين بوصوله ، أرسل قاصداً مجدداً إلى أبيه بالخبر ، وأنهى الحال إلى نور الدين فسقط في يده وخاف فوات الأمر . ووصل القاصد الذي سيره ابن المقدم إلى أبيه ، فأدركه بتليغفر (٣) ، فعاد إلى سنجان وسلمها إلى نور الدين ، فكتب [ نور الدين ] نحر الدين قرا أرسلان بن داود صاحب الحصن يستنجده ، وبذل له قلعة الهيثم ، فسار إليه بجنده . ولما سمع أتاك قطب الدين الخبر ، جمع عساكره وسار عن الموصل نحو سنجان ومعه جمال الدين وزين الدين ، ونزلوا بتل يعفر ، وأرسلوا إلى نور الدين ينكرون عليه لإقدامه وأخذ ما ليس له ، ويهددوه بقصده وإخراجه عن البلاد قهراً إن لم يرجع اختياراً (٤) ، فأعاد الجواب : إني أنا الأكبر ، وإنى أحق أن أدبر أمر أخى منكم ، وما جئت إلا لما تتابعتم إلى كتب الأمراء يذكرون كراهيتهم لولا يتكما عليهم ( ١١٠ - ب ) - يعني زين الدين وجمال الدين - تخفت أن يحملهم الغيظ والأنفة على إخراج الأمر عن أيدينا . وأما تهديدكم إياي بالحرب والقتال ، فأنا لا أقاتلكم إلا بجندكم - وكان قدهرب إليه جماعة من أجنادهم - فخافوا أن يلقوه لئلا يخامر عليهم باقي العسكر ، ودخل الأمراء في الصلح وأشار به جمال الدين ، وقال : نحن نظهر للسلطان والخليفة أننا تبع نور الدين ، ونور الدين يظهر للفرنج أنه بحكمنا ويهددهم بنا ، فإن كاشفناه وحاربناه ، فإن ظفر بنا (٥) طمع فينا السلطان ، وإن ظفرنا به (٦) طمع فيه الفرنج . ولنا بالشام حصص وقد صار له عندنا سنجان ، فهذه أنفع لنا من تلك ، وتلك أنفع له من هذه ، والرأى أن نسلم (٧) [ إليه (٨) ] حصص ونأخذ سنجان ، وهو في نحر يازاء الفرنج ويتعين مساعدته ، فانفق الجماعة على هذا الرأى . وسار إليه جمال الدين فأكرمه نور الدين وبالغ في تعظيمه (٩) وإكرامه ، وعاتبه جمال الدين وقال : كنت أرسلت إلى في شيء تريده من البلاد حتى كنت أفعل ما تريد ( ١١١ - أ ) ولا تطمع فيك الأعداء وفينا ، وطال الحديث بينهما . وأجاب نور الدين إلى ما طلب منه ، واستقر الصلح على ذلك ، وتسلم نور الدين

(١) هكذا بالأصل . (٢) بالأصل : إذا تأخره . (والتصحيح من الروضتين ، ١/ص/٦٧) .  
 (٣) وترسم أيضاً : تل يعفر ، وهو الأكثر استعمالاً . وفي ( ياقوت ) : تل أعفر ، هكذا تقول عامة الناس .  
 وأما خواصهم فيقولون : تل يعفر . وقيل إن أصله : التل الأعفر ، لونه ، فغير بكثرة الاستعمال وطلب الحق . وهو اسم قلعة ورض بين سنجان والموصل في وسط واد فيه نهجرجار . وهي على جبل منفرد حصينة محكمة ، وفيها نخيل يجلب رطبه إلى الموصل . (٤) بالأصل : باختيارا . (والتصحيح من الروضتين ، ١/ص/٦٧) . (٥) بالأصل : ظفرنا به . (والتصحيح من ، الروضتين ، ١/ص/٦٧) . (٦) بالأصل : ظفرنا . (والتصحيح من ، الروضتين ، ١/ص/٦٧) . (٧) بالأصل : يسلم . (٨) الإضافة من الروضتين (٩) بالأصل : تعظيمه .

محصص (١) ، وسلم سنجار إلى أخيه . وعاد نور الدين إلى الشام ، وأخذ ما كان بسنجار من المال ، ولما أراد العود ، قال لجمال الدين : لا بد من أن تكون عندي ، فلي من الحق مثل ما لأخي ، وأنا أحوج إليك منه . فقال له جمال الدين : أنت فيك من الكفاية ما يستغني [ به (٢) ] عن وزير ومشير (٣) ، وليس عندك من الأعداء مثل ما عند أخيك ، لأن عدوك كافر فالناس يدفعونه ديانة ، وأعداء أخيك مسلمون فيحتاج من يقوم بدفعهم ، وإذا كنت عند أخيك فالنفع عائد إليك ، وأريد من بلادك مثل مالي من بلاد أخيك معونة على كثرة خرجي ، فأجابه إلى ذلك . فقال له جمال الدين : أنت عليك خرج كثير لأجل الكفار ويجب مساعدتك ، وأنا أقنع منك بعشرة آلاف دينار كل سنة ، فأمر له بها . فكان نائب جمال الدين يقبضها (٤) كل سنة ويشتري بها أسرى (٥) ( ١١١ - ب ) من الفرنج ويطلقهم .

ولما تسلم قطب الدين سنجار أقطعها زين الدين ، لأن محص كانت لأخيه وهو مقيم بها . واتفقت كلمتهم ، واتحدت آراؤهم ، فكان كل واحد منهما لا يصدر إلا عن أمر أخيه .

### ذكر قضية قلعة سنجار

قال . فلما مات سيف الدين وتولى أخوه (٦) قطب الدين ، أحضر شمس الدين محمد بن المقدم عبد الملك من سنجار — وكان هذا شمس الدين خصيصاً بسيف الدين — . وسبب وصلته به أنه لما قصد [ سيف الدين ] خدمة السلطان مسعود السلجوقي ، رتب في خدمته عشرة من الجندارية ، وكان عبد الملك واحداً (٧) منهم ، ومعه ولد له ملبح الصورة ، فكلف به وأجبه (٨) واستصحبه معه إلى الموصل . ولما انفرق عبد الملك من الجندارية وتبع سيف الدين إلى الموصل ، استخلف سيف الدين ، عبد الملك في سنجار .

فلما توفي سيف الدين وتملك قطب الدين ، أرسل إلى سنجار واستطلب إليه شمس الدين ابن عبد الملك فاستحضره (٩) ، وحلفه على أنه لا يمكن والده من تسليم (١٠) سنجار إلى غيره ، خلف له ( ١١٢ - أ ) . ثم هرب من عند قطب الدين إلى (١١) سنجار . فعندما استوثق أمر قطب الدين بالموصل واستقرت (١٢) له المملكة ، كتب (١٣) [ عبد الملك ] لنور الدين أن يسلمها إليه ، ويعلمه أن

(١) في الكامل ، (ح/٩/ص/٢٤) أن نور الدين تسلم حصن الرحبة . (٢) الإضافة من ، الروضتين ، (ح/١/ص/٦٧) . (٣) بالأصل : وشير . (والتصحيح من ، الروضتين ، ح/١/ص/٦٧) . (٤) بالأصل : بقبضها . (٥) بالأصل : ويشتري به ما اشترى . (والتصحيح من ، الروضتين ، ح/١/ص/٦٨) . (٦) بالأصل : أخاه . (٧) بالأصل : واحد . (٨) بالأصل : وجه . (٩) بالأصل : فاستحضره . (١٠) بالأصل : تسلم . (١١) بالأصل : الا . (١٢) بالأصل : واستمرت . (١٣) بالأصل : كاتب .

خزائن بيت أتاك جميعها في سنجار . فلما بلغ قطب الدين (١) ذلك ، سير إليهما ولاطفهما ودخل لهما في كل ما اقترحا عليه ، وحلفا له بمحضر من قاضيا (٢) وأعيان شهودها . واقترح الرسول أن يستصحب معه شمس الدين إلى الموصل فأبى عليه ، وادعى الحياء من قطب الدين لكونه خرج هارباً منه ، فاتفق عند (٣) خروج والده عن سنجار مرحلة ، قدمها نور الدين من حلب في مائتي فارس (٤) ، فنفذ شمس الدين إلى والده المقدم (٥) عبد الملك [ من ] يعرفه بوصوله ، فخرج ولم يقدر الرسول على منعه (٦) .

وكان شمس الدين عند قدوم نور الدين قد فتح الخزائن ، واختار منها من نفائس الجواهر وأخير (٧) الذخائر ما يعز وجوده ، وكتب إلى نور الدين في تسليم البلد إليه ، على أن لا يطالبه بشيء ، ما أخذه ، فأجابه إلى ذلك ، وتسلم البلد يوم الإثنين (١١٢ - ب) عاشر رجب ، وحصل ابن المقدم على ما في يده من الذخائر .

ولما بلغ قطب الدين ما اتفق ، بعث وزيره جمال الدين الأصفهاني ليفرغ (٨) ما كان في الخزائن من الأموال والأقشة والجواهر ، ومعه جريدة تتضمن (٩) ذلك المال [ وعند لقائه بنور الدين (١٠) ] قال له : هذا مال المسلمين ولا يحل لك إطلاق شيء منه . فقال نور الدين : إن كان أخذ شيئاً من مال المسلمين بالغدر ، ففي عنقه .

ثم إن جمال الدين قرر الصلح بين نور الدين وبين أخيه قطب الدين ، على أن يأخذ نور الدين الخزائن التي في سنجار ، ويأخذ الرقة والرحبة وحمص ، ويعطيه سنجار ، وتبقى الرها في يد نور الدين على ما كانت أولاً .

ثم رحل نور الدين وترك نائبه فيها حتى يتسلم البلاد ، وعاد إلى حلب (١١) ، ومعه خزائن سنجار على ستائة جمال — ما خلا البغال وما فرقه على أولاد الملوك والأمراء — وستة وتسعين (١٢) بغلاً محملة ذهباً (١٣) .

## ذكر قتل البرنس صاحب أنطاكية

في سنة أربع وأربعين وخمسمائة ، سار نور الدين إلى حصن حارم وهو للفرنج ، فحصره وخرّب (١١٣ - أ) ربهضه ونهب سواده .

- (١) بالأصل : لقطب الدين . (٢) بالأصل : قاضيا . (٣) بالأصل : على .  
 (٤) في ص/٩٥ ، أنه خرج في سبعين فارساً من أكبر دولته . (٥) بالأصل : مقدم .  
 (٦) العبارة « فخرج ولم يقدر الرسول على منعه » إذا كان المقصود منها ، أن الرسول لم يستطع إعادة والد شمس الدين إلى سنجار ، فإنه يتقضا ما سبق (ص/٩٦) ، (٧) بالأصل : وخاير . (٨) بالأصل : ليفرغه .  
 (٩) بالأصل : جريدة ما يتضمن . (١٠) الإضافة من « دي سلين » (ص/١٧٦) .  
 (١١) بالأصل : أحلب . (١٢) بالأصل : وتسعون . (١٣) بالأصل : ذهب .

ثم رحل عنه إلى حصن إناب (١) فحصره ، فاجتمعت الفرنج مع البرنس صاحب أنطاكية وساروا إليه ليرحلوه عن إناب فلم يرحل بل لقيهم ، وتصاف الفريقان (٢) واقتتلوا وصبروا ، وظهر (٣) من نورالدين من الشجاعة والصبر في الحرب على حداثة سنه (٤) ما تعجب الناس منه . فانجلى الحرب عن هزيمة الفرنج وقتل المسلمون منهم خلقاً كثيراً . وفيمن قتل ، البرنس صاحب أنطاكية ، وكان عاتياً من عتاه الفرنج وذوى التقدم فيهم والملك (٥) .

ولما قتل البرنس خلف إبنا صغيرا وهو ييمند ، فبقى مع أمه بأنطاكية ، فتزوجت أمه (٦) بإبرنس آخر ، وأقام معها بأنطاكية يدبر الجيش ويقودهم ويقاتل بهم إلى أن يكبر ييمند ابن البرنس المقتول .

ثم إن نورالدين غزا بلد الفرنج غزوة أخرى (٧) ، فلقيه فرسان الفرنج وقاتلوه ، فهزمهم وقتل منهم وأسر ، فكان في الأسرى البرنس الثانى زوج أم ييمند ، فلما أسره تملك ييمند أنطاكية بلد أبيه وتمسك منه ، وبقى بها إلى أن أسره نورالدين بحارم سنة تسع وخمسين وخمسمائة (١١٣ - ب) على ما نذكره إن شاء الله تعالى . فأكثر الشعراء مدح نورالدين وتمننته بهذا الفتح وقتل البرنس ؛ فن قال فيه : القيسراني الشاعر ، [ في ] قصيدته المشهورة التي أولها هذه الآيات (٨) :

هذى العزائم لا ما تدعى القضب	وذى المكارم لاما قالت الكتب
وهذه الهمم اللاتي متى خطبت (٩)	تعثرت خلفها الأشعار والخطب
صاغت يا ابن عماد الدين ذروتها	براحة للمساعي دونها تعب
ما زال جدك يبني كل شاهقة	حتى ابنتى قبة أوتادها الشهب
أغرت سيوفك بالإفرنج راجفة	فؤاد رومية الكبرى لها يجب
ضربت كبشهم منها بقاصمة	أودى بها الصلب وانحطت لها (١٠) الصلب
طهرت أرض الأعدى من دمائمهم	طهارة (١١) كل سيف عندها جنب
حتى استطار شرار الزند قادحة	فالحرب تضرم والآجال تحتطب
والخيل من تحت قتلاها تقر لها (١٢)	قوائم خانن الركض والخبب

(١) حصن إناب : في (ياقوت) : بكسرتين وتشديد النون والباء الموحدة . حصن من أعمال عزازمن نواحي حلب .  
(٢) بالأصل : الفريقين . (٣) بالأصل : وظهره . (٤) كان نورالدين في نحو الخامسة والثلاثين من عمره فقد كان مولده سنة ٥١١ . (٥) في ابن القلانسي ، (ص/٣٠٥) أن الواقعة كانت في يوم الأربعاء الحادى والعشرين من صفر من السنة . (٦) هي كونيستانس ، وقد تزوجت في مغامراً لاسمه «رينودى شاتيون» (جسبي : نورالدين والصلبيون ، ص/٨٤) . (٧) لم يحدد ابن الأثير هنا ، ولا في «الكامل» مكان هذه الغزوة . غير أن ابن القلانسي (ص/٣٠٥) ، يذكر أن نورالدين نزل بعد وقعة «إناب» على أنطاكية ، فم الصلح بينه وبين صاحبها . (٨) بعد هذا اللفظ ، بالأصل ، لفظ : «يقولها» . وقد حذفه المحقق لأنه زائد . (٩) بالأصل : خطيت . (١٠) بالأصل : بها . (١١) بالأصل : طهارت . (١٢) بالأصل : بها .

والنقع فوق صقال البيض منعقد  
والسيف هام على هام بمعركة  
(١١٤ - أ) والنبل كالوبل هطالا وليس له  
ولللظبا (١) ظفر حلوا مذاقته  
وللأسنة عما في صدورهم  
من كان يغزو بلاد الشرك مكتسبا  
ذو غرة (٢) ما سمت والليل معتكر  
أفعاله كاسمه في كل حادثة  
كما استقل دخان تحته لهب  
لا البيض ذو ذمة فيها ولا اليلب  
سوى القسي وأيد فوقها سحب  
كأما الضرب فيما (٢) بينها ضرب  
مصادر ألقوب تلك أم قلب  
من الملوك فنور الدين محتسب  
إلا تمزق عن شمس الضحى الحجب  
ووجهه نائب عن وصفه اللقب

وهي طويلة جداً . وما قال فيها بعض الشاميين وأنسيت اسمه : (٤)

أقوى الضلال وأقفرت عرصاته  
وانتاش دين محمد محموده  
ردت على الإسلام عصر شبابه  
أرسي قواعده ومد عماده  
وأعاد وجه الحق أبيض ناصعا  
وعلا الهدى وتبليجت قسماته  
من بعد ما علت دما عبراته  
وثباته من دونه وثباته  
صعدا وشيد سوره سوزاته  
إصلاته وصلاته وصلاته

(١١٤ - ب) وهي أيضا طويلة .

### ذكر ملك حصن (٥) أفامية

وفي سنة أربع وأربعين وخمسمائة (٦) ، سار نور الدين إلى حصن أفامية ، وهو للفرنج أيضا ، وبينه وبين مدينة حماة مرحلة . وهو حصن منيع (٧) على تل مرتفع عال ، من أحسن القلاع وأمنعها . وكان من به من الفرنج (٨) يغيرون (٩) على مدينة حماة وشيزر وينهبونها ، وأهل تلك الأعمال معهم تحت الذل والصغار ، فسار نور الدين إليه وحصره وضيق عليه ، ومنع من به القرار ليلا ونهارا ، وتابع عليهم القتال لينعمهم الإستراحة ، فاجتمعت الفرنج من سائر بلادها ، وساروا نحوه ليزحزحوه عنه (١٠) ، فلم يصلوا إليه إلا وقد ملك الحصن ، وملاه ذخائر من طعام ومال وسلاح ورجال ، وجميع ما يحتاج إليه . فلما

(١) بالأصل : وللظبي . (٢) بالأصل : فيها . (٣) بالأصل : ذو غزمة . (والصحيح من ،  
الروضتين ، ح/١/ص/٥٩) . (٤) في ، الروضتين (ح/١/ص/٦٠) ، أنه الشاعر أحمد بن منير الطرابلسي .  
(٥) بالأصل : حصين . (٦) في ، السكامل (ح/٩/ص/٢٧) ، أن فتح أفامية كان سنة ٥٤٥ هـ .  
وما هنا يطابق ما في ، ابن القلانسي (ص/٣٠٥) . (٧) بالأصل : منيع . (٨) بالأصل : للفرنج .  
(٩) بالأصل : يعبرون . (والصحيح من ، الروضتين ، ح/١/ص/٦٢) . (١٠) بالأصل : عنها .

بلغه قرب الفرنج منه سار نحوهم، فحين رأوا جده (١) في لقاءهم، رجعوا القهقرى واجتمعوا إيلادهم، وكان قصارهم أن صالحوه على ما أخذ. ومدحه (٢) الشعراء فأكثروا، فن ذلك (١١٥ - أ) قول ابن منير (٣) في قصيدته التي أولها :

أسنى الممالك ما أطلت منارها	وجعلت مرهفة الشيفار دسارها
وأحق من ملك البلاد وأهلها	رءوف تكنف عدله أقطارها
أدركت تارك في البغاة وكنت يا	مختار أمة أحمد مختارها
عارية الزمن المغير سما لها (٤)	منك المعير فاسترد معارها
صارت (٥) نجومك فوقها ولربما	باتت تنافسها (٦) النجوم سرارها
أمت مع الشعري العبور وأصبحت	شعراء تستقلى (٧) الفحول شوارها (٨)

وهي طويلة .

## ذكر الحرب بين نور الدين وجوسلين

وانهزام نور الدين رضى الله عنه

في سنة [ ست وأربعين وخمسمائة (٩) ] سار (١٠) نور الدين إلى بلاد جوسلين، وهي القلاع التي شمال حلب، منها: تل بامر، وعين تاب (١١)، وعزاز (١٢) وغيرها من الحصون. فجمع جوسلين الفرنج فارسهم وراجلهم، ولقوا نور الدين، فكانت بينهم حرب شديدة أجلت عن انهزام المسلمين وظفر الفرنج. وأخذ جوسلين، سلاح دار (١٣)، كان لنور الدين أسيرا وأخذ ما معه من السلاح، فأنفذه (١١٥ - ب) إلى السلطان مسعود بن قليج أرسلان السلجوقي صاحب قونية (١٤) وأقصر

(١) بالأصل: وجده . (٢) بالأصل: ومدحه . (٣) بالأصل: ابن الرومي . (٤) والتصحيح من، الروضتين، ح/١/ص/٦٢) . (٥) بالأصل: سماكها . (٦) بالأصل: تنافسها . (٧) والتصحيح من، الروضتين، ح/١/ص/٦٣) . (٨) بالأصل: سوارها . (٩) نياض بالأصل . (١٠) بالإضافة من، الكامل، ح/٩/ص/٢٩) . (١١) عین تاب : في (ياقوت) : قلعة حصينة ورستاق بين حلب وأنطاكية، وكانت تعرف بـ « دلوک »، و« دلوک » رستاقها . (١٢) عزاز : في (ياقوت) : بفتح أوله وتكرار الزاي، وربما قيلت بالألف في أولها . بليدة فيها قلعة ولها رستاق شمال حلب، بينهما يوم . (١٣) السلاح دار . هو المنوط بحمل سلاح السلطان أو الأمير الذي هو في خدمته . ومن وظيفته أيضاً، الإشراف على السلاح خاناه وما هو من توابع ذلك . ولنظ السلاح دار، مركب من كلمتين، أولاهما عربية، ومعناها آلة القتال، والثانية فارسية، ومعناها مسك، ويكون المعنى، مسك السلاح . (السلوك ح/١/ص/٦٥/حاشية ٣) . (١٤) بالأصل: فنية . (والصحيح من، الكامل، ح/٩/ص/٢٩)

وغيرها من تلك الأعمال - وكان نور الدين قد تزوج ابنته - وأرسل مع السلاح إليه يقول: قد أنفذت لك سلاح صهرك ، وسيأتيك بعد هذا غيره ، فعظمت هذه الحالة على نور الدين ، وأعمل الحيلة على جوسلين حتى أسره على ما نذكره .

## في ذكر أسر جوسلين ومملك بلاده

لما بلغ نور الدين ما فعله جوسلين من إرسال سلاحه إلى حميه السلطان مسعود ، قام لذلك وقعد ، وهجر الراحة للأخذ بشأره ، وأزكى (١) العميون على جوسلين ، وأحضر جماعة من التركان وبذل لهم الرغائب من الإقطاع والأموال ، إن هم ظفروا بجوسلين إما قتلاً أو أسراً ، لأنه علم إن هو جمع العساكر الإسلامية لقصده ، جمع جوسلين الفرنج وحذر وامتنع ، فأخذ إلى أعمال الحيلة . فاتفق أن جوسلين خرج متصيداً متنزهاً في نفر يسير ، فظفر به طائفة من التركان [ فأخذوه أسيراً (٢) ] فصانعهم على مال بذله لهم فرغبوا فيه (١١٦ - أ) وأجابوه إلى ذلك وأخفوا أمره عن نور الدين ، وأرسل جوسلين في إحضار المال ، فأتى بعض التركان إلى نائب نور الدين بملب (٣) فأعلمه الحال ، فسير معه عسكرياً أخذوا جوسلين من التركان قهراً ، وكان نور الدين حينئذ بمحصر . وكان أسره من أعظم الفتوح على المسلمين ، فإنه كان شيطاناً عاتياً من شياطين الفرنج ، شديد العداوة للمسلمين ، وكان هو يتقدم على الفرنج في حروبهم ، لما يعلمون من شجاعته وجودة رأيه وشدة عداوته للملة الإسلامية ، وقسوة قلبه على أهلها ، وأصيبت النصرانية كافة بأسره ، وعظمت (٤) المصيبة [ عليهم (٥) ] بفقده ، وخلت بلادهم من حامياها ، وثغورهم من حافظها ، وسهل أمرهم على المسلمين بعده ، وكان كثير الغدر والمكر لا يقف على يمين ولا يفي بعهده ، طالما صالحه نور الدين وهادنه ، فإذا أمن جانبه بالعهود والمواثيق نكث وغدر ، فلقبه غدره ومكره ، ولا يحق المكر السوء إلا بأهله (٦) .

فلما أسر (١١٦ - ب) تيسر فتح كثير من بلادهم وقلاعهم ففهمها : تل باشر ، وعين تاب ،

(١) بالأصل : واذكر . (٢) الإضافة من ، الروضتين (ح/١/ص/٧٢) وقد ذكر أبو شامة ، أن سبب أسره ، أنه « خرج في عسكره وأغار على طائفة من التركان فذهب وسبى ، فاستحسن من السبي امرأة منهم خلا معها تحت شجرة ، فعاجله التركان ، فركب فرسه ليقاتلهم فأخذوه أسيراً » . ويذكر أبو شامة أنه نقل خبر أسر جوسلين من ابن الأثير ، ومعنى هذا ، أن ناسخ المخطوط ، تصرف في الخبر . (٣) هو أبو بكر بن الداية . (الكامل ، ح/٩/ص/٢٩) . (٤) بالأصل : وعظمة . (٥) الإضافة من ، الروضتين (ح/١/ص/٧٢) . (٦) في ابن الوردي (ح/٢/ص/٥١) أن جوسلين بذل نور الدين أموالاً لا تحصى لإطلاق سراحه ، فاستشار نور الدين أمرائه في ذلك فلم يوافقوا على إطلاقه ، فخالفهم وأطلقه ، فمات قبل أن يخرج من الشام (أى من حلب) وانتفع المسلمون ، وعند ذلك منكرات نور الدين .

وإعزاز ، وقورس (١) ، والراوندان (٢) ، وحصن البارة (٣) ، وتل خالد (٤) ، وكفر لانا (٥) ، وكفر سوت (٦) ، وحصن بسرفوت (٧) بجبل بنى عليم ، ودلوك (٨) ، ومرعش (٩) ، ونهر الجوز ، وبرج الرصاص (١٠) . وكان نور الدين ، رحمه الله تعالى ، إذا فتح حصناً لا يرحل عنه حتى يملأه رجالاً وذخائر يكفيه عشر سنين ، خوفاً من نصرة تتجدد للفرنج على المسلمين ، فتكون حصونهم مستعدة غير محتاجة إلى شيء .

وقال الشعراء في هذه الحادثة فأكثرُوا ، فمن ذلك قول القيسراني من قصيدة ، أولها هذه الآيات حيث يقول :

دعا ما ادعى (١١) من غره النهى والامر  
ومن ثنت (١٢) الدنيا إليه عنانها  
كما أهدت الأقدار للقمص أسره  
طغى وبغى عدواً على غلوائه  
وأمت عزاز كاسمها بك عزة  
(١١٧-أ) فسر واملاً (١٦) الدنيا ضياءً وبهجة  
كأنى بهذا العزم لا فل حده  
وقد أصبح البيت المقدس طاهراً  
فما الملك إلا ما حباك به القهر  
تصرف فيما شاء عن إذنه الدهر  
وأسعد قرن من حواه (١٣) لك الأسر  
فأوثقه الكفران ، عدواه (١٤) والكفر  
تشق (١٥) على النسرين لو أنها وكر  
فبالأفق الداجي إلى ذا السنا فقر (١٧)  
وأقصاه بالأقصى وقد قضى الأمر  
وليس سوى جارى الدماء له طهر

- (١) قورس : بينها وبين حلب يوم (الاصطخري ، ص/٤٩) .  
قلعة حصينة وكورة طيبة معشبة مشجرة ، من نواحي حلب .  
(٢) الراوندان : في (ياقوت) :  
(٣) بالأصل : حصن البارة . والبارة ، كما في (ياقوت) : ببلدة وكورة من نواحي حلب ، وفيها حصن ، وهى ذات بساتين ، ويسمونها زاوية البارة .  
(٤) تل خالد : : في (ياقوت) : قلعة من نواحي حلب .  
بالتاء المثناة والقصر . بلدة ذات جامع ومنبر ، في سفح جبل عال من نواحي حلب ، بينهما يوم واحد ، وهى ذات بساتين ومياه جارية زهية طيبة ، وأهلها إسماعيلية .  
(٥) كفر لانا : في (ياقوت) :  
(٦) كفر سوت : بالأصل كفر سود (والصحيح من ، ياقوت) . يضم الدين أم ولو وآخره تاء مثناة ، من أعمال حلب الآن (أى في زمن ياقوت) قرب بهستا . بلديه أسواق حسنة عامرة .  
(٧) حصن بسرفوت : بالأصل : بسرفوت . (والصحيح من ، ياقوت) ، وهو حصن من أعمال حلب في جبال بنى عليم .  
(٨) دلوك : في (ياقوت) : يضم أوله وآخره كاف . ببلدة من نواحي حلب بالعواصم .  
(٩) مرعش : في (ياقوت) : بالفتح ثم السكون والعين مهملة مفتوحة وشين معجمة . مدينة في الثغور بين الشام وبلاد الروم ، ولها سوران وخنق ، وفي وسطها حصن عليه سور يعرف بالروانى ، بناه الخليفة مروان بن محمد ، المعروف بمروان الحمار .  
(١٠) برج الرصاص : في (ياقوت) : قلعة ولها رساتيق ، من أعمال حلب قرب أنطاكية .  
(١١) بالأصل : ادعا .  
(١٢) بالأصل : بنت .  
(١٣) بالأصل : جواه .  
(١٤) بالأصل : عدواه .  
(١٥) بالأصل : يشق .  
(١٦) بالأصل : واملأ .  
(١٧) بالأصل : قفر . (والصحيح من ، الروضتين ، ص/٧٣) .



وقال بعض الشاميين (١) أيضاً في هذا المعنى ، هذه الآيات :

أني ومن أوهائك الأقسدار	هيات يعصم من أردت (٢) حذار
تسرى (٣) فيصبح دونها الأقرار	همم تحملك كل يوم رتبة
فلمن في الفلك الأثير قرار	ومطامح في العز إذ هي صوبت
لا سجل أنشاها (٤) ولا إمرار	طلعت عليك بجوسلين ذريعة
فيشف وهو النائق (٦) المدرار	وسعادة ما زلت تمرى (٥) خلفها
وأرته كيف يحين (٧) الغدار	فأرتك ما يجنى الوفي وفاؤه

وهي طويلة .

### ذكر المصاف بين نور الدين والإفرنج بدلوك

لما سار نور الدين إلى قلاع جوسلين ليتملكها ، ملك بعضاً وبقي بعض ( ١١٧ - ب ) فاجتمعت الفرنج وسارت نحو الباقي لتمنعه (٨) منه ، وظنوا أنه يمتنع باجتماعهم ولا يقدم عليهم في عقر ديارهم ، فلما بلغه خبرهم سار إليهم ، وصمم العزم على لقاءهم ، فالتقوا بدلوك واقتتلوا ، وكان بين الطائفتين حرب يشيب لها الوليد ، ففتح الله المسلمين أكتاف الفرنج ، فهزموهم هزيمة أتت على كثير منهم وسلم الباقون ، واستولى نور الدين على دلوك وغيرها . وفي ذكرها وذكر غيرها قال بعض الشعراء الشاميين (٩) قصيدة فيها :

أعدت بعصرك هذا الأنيق (١٠)	فتوح النبي وأعصارها
فواطأت يا حبيذا (١١) أحديها (١٢)	وأسررت (١٣) من بدر (١٤) أنوارها (١٥)
وكان مهاجرها تابعيك	وأنصار رأيك أنصارها
فجددت إسلام مسلمانيها (١٦)	وعمر جددك عمارها

(١) هو أحمد بن منير الشاعر . (الروضتين ، ح / ١ / ص / ٧٥) . (٢) بالأصل : ارغت . (والتصحيح من ، الروضتين ، ح / ١ / ص / ٧٥) . (٣) بالأصل : يسرى . (٤) بالأصل : أنساها . (٥) بالأصل : تمرى ، (والتصحيح من ، الروضتين ، ح / ١ / ص / ٧٥) . (٦) بالأصل : النابق . (والتصحيح من ، الروضتين ، ح / ١ / ص / ٧٥) . (٧) بالأصل : يحين . (والتصحيح من ، الروضتين ، ح / ١ / ص / ٧٥) . (٨) بالأصل : لتمنعه . (٩) هو أحمد بن منير الشاعر . (الروضتين ، ح / ١ / ص / ٧٦) . (١٠) بالأصل : الايق . (والتصحيح من ، الروضتين ، ح / ١ / ص / ٧٦) . (١١) بالأصل : تابعيك . (١٢) الإشارة هنا إلى غزوة أحد . (١٣) بالأصل . واسرت . (١٤) الإشارة هنا ، إلى غزوة بدر . (١٥) بالأصل : إيدارها . (١٦) الإشارة هنا إلى الصحابي المشهور ، سلمان الفارسي .

وما يوم إنب إلا كتية ك (١) بل طال بالبوع أشبارها  
 وأيامك الغر من بعده تعيد إلى الطي أغرارها  
 (١١٨ - أ) ويوم على الجون جون السرا ة عز فسعظها عارها  
 صدمت عريمتها صدمة أذابت مع الماء أحجارها  
 فصبحت بالخمس أحفاضها ومسيت بالخمس أبكارها  
 وفي تل باشر باشرتهم بزحف تسور أسوارها  
 وإن دالكتمم دلوك فقد شددت فصدقت أخبارها

## ذكر وفاة السلطان مسعود بن محمد بن السلطان

### ملكشاه السلجوقي بهمدان

في سنة سبع (٢) وأربعين وخمسة ، توفي السلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه بهمدان . وكان مرضه حمى حادة نحو أسبوع ، وعهد إلى ملكشاه ابن أخيه السلطان محمود وخطب (٣) له ببلاد الجبل .

وكان الغالب على البلاد والعساكر في أيام السلطان مسعود خاصبك (٤) بن بلنكري ، فقام بأمر ملكشاه ولم يمهله غير قليل حتى قبض عليه ، وكتب إلى أخيه الملك محمد بن السلطان محمود وهو بخوزستان يستدعيه إليه ليخطب له (١١٨ - ب) بالسلطنة ، وكان غرض خاصبك أن يقبض عليه أيضاً ، ويخلو وجهه من منازع من السلجقية ، وحينئذ يطلب السلطنة لنفسه . فلما كاتب محمداً أجابه إلى الحضور عنده ، وسار إليه وهو بهمدان واجتمع به ، وخدمه خاصبك خدمة عظيمة وحمل إليه التحف الكثيرة ، فلما كان الغد من يوم وصول الملك محمد ، دخل إليه خاصبك فقتله محمد وألقى رأسه إلى أصحابه ففرقوا ، واستقر محمد وثبت قدمه واستولى على بلاد الجبل جميعها ، وكان قتله سنة ثمان وأربعين وخمسة ، وقتل معه زنكي الجاندار . وبقي خاصبك مطروحاً حتى أكلته الكلاب .

وكان ابتداء حاله ، أنه كان من أولاد بعض التركان ، فخدم السلطان فقال إليه وقدمه حتى

(١) بالأصل : كتيك . (والتصحيح من ، الروضتين ، ١/ص/٧٦) .

(٢) بالأصل : سنة أربع . (والتصحيح من ، الكامل ، ٩/ص/٣١) . (٣) بالأصل : وخطب .

(٤) بالأصل : خاصبك . (والتصحيح من ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ١٨٠/ص) . وابن الأثير يرسم الاسم

في الكامل (٩/ص/٣٢) خاص بك .

فاق سائر الأمراء ، فتقدم (١) تقدماً عظيماً ، واستولى على أكثر البلاد . وهو كان السبب في أكثر الحوادث الشاغلة للسلطان مسعود ، فإن الأمراء الأكابر كانوا يأنفون من اتباعه ، لما كان يعاملهم به من الهوان ( ١١٩ - أ ) والتكبر عليهم .

وفيها ، أعنى سنة ثمان وأربعين وخمسمائة ، وصل إلى الموصل الأمير إياز قفجاق - وهو من أكابر أمراء العجم - شاكياً من شمس الدين إيلدكز ، ومستغيثاً عليه ومستشفعاً إليه ، وإنجاده (٢) بعساكر يفتح بها ما بيده من البلاد ، فجهزت العساكر معه ، وجعل مقدمها الأمير قراجة تجته ، مقطوع بلد الهكارية ، فوصلوا إلى سلهاس وأقاموا معه وأصلحوا حاله معه إيلدكز ، وهو صاحب تلك البلاد جميعها ، وكان هذا قبل أن يستولى على همذان وأصفهان وسائر بلاد الجبل . وفيها توفي حسام الدين تمرتاش صاحب ماردين ، وولى بعده ابنه نجم الدين ألبى .

### في ذكر ملك نور الدين دمشق

في سنة تسع وأربعين وخمسمائة ، ملك نور الدين مدينة دمشق وأخذها من صاحبها مجير الدين أبق بن محمد بن بوري (٣) بن طغديكين أتابك . وكان الذي حمل نور الدين على الجد في ملكها ، أن الفرنج ملكوا في السنة الحالية مدينة عسقلان ( ١١٩ - ب ) وهي مدينة فلسطين حسناً (٤) وحصانة ، ولما كانوا يحصرونها ، كان نور الدين يتلطف [ عليها ] ولا يقدر على إزعاجهم عنها ، لأن دمشق في طريقه ، وليس له طريق على غيرها لاعتراض بلاد الفرنج في الوسط ، فقوى الفرنج بها حتى طمعوا في دمشق ، واستضعفوا مجير الدين وتابعوا الغارة على أعماله ، وأكثروا القتل بها والنهب والسبي ، وزاد الأمر بالمسلمين بها ، إلى أن جعل الفرنج على أهل المدينة قطيعة كل سنة ، فكان رسولهم يحيى إلى دمشق ويحییها من أهل البلد . ثم اشتد (٥) البلاء على أهلها ، حتى أرسل الفرنج واستعرضوا عبيدهم وإماءهم ممن أخذ من سائر بلاد النصرانية ، وخيروهم بين المقام عند (٦) مواليهم أو العودة إلى أوطانهم ، فمن أحب المقام تركوه ، ومن أحب وطنه سار (٧) إليه ، وزالت طاعة مجير الدين عن أهل البلد إلى أن حصروه في القلعة مع إنسان منهم يقال له مؤيد [ الدين (٨) ] ابن الصوفي . فلما كانت ( ١٢٠ - أ ) الأمور بها هكذا ، خاف أهلها وأشفقوا من العدو ، فجأروا (٩) إلى الله تعالى ودعوه في أن يكشف ما بهم من الخوف ، فاستجاب لهم وأذن في خلاصهم

(١) بالأصل : فتقدم . (٢) بالأصل : أو إنجاده . (٣) بالأصل : نوري . (٤) والتصحيح من ، الكامل ، ٤٥/ص/٩/٢ . (٥) بالأصل : أشد . (٦) بالأصل : وعند . (٧) بالأصل : صار . (٨) الإضافة من ، ابن الفلانسى (ص/٣٢٩) . (٩) في الروضتين (١/ص/٩٥) فلجأوا .

مما هم فيه على يد أحب عباده إليه ، وأحسنهم طريقة ، وأمثلهم سيرة ، وهو الملك العادل حقاً نور الدين محمود ، فحسن له السعي في ملك البلد وألقاه في روعه . فلما خطر له ذلك أفكر فيه فعلم أنه إن رام ملكه بالقوة والحصار تعذر عليه ، لأن صاحبه كان متى رأى شيئاً من ذلك ، راسل الفرنج واستألمهم واستعان بهم . وكان أبغض الأشياء إلى الفرنج أن يملك نور الدين دمشق لأنه كان يأخذ حصونهم ومعاقلمهم وليست له فكيف إذا [ أخذها و (١) ] قوى بها . وانضاف إلى ذلك كراهية لسفك دماء المسلمين ، فإن الدم كان عنده عظيماً لما كان قد جبل عليه من الرأفة والرحمة والعدل ، فلما رأى الحال هكذا عدل إلى أعمال الحيلة ، فراسل مجير الدين صاحبها واستألمه ، وواصله بالهدايا وأظهر له المودة (١٢٠ - ب) حتى وثق إليه ، ثم صار يكاتبه في بعض الأوقات ويقول له [ إن ] فلاناً — ويذكر بعض الأمراء الذين لمجير الدين — قد كاتبنى في الخامرة عليك فأحذره ، فتارة يأخذ إقطاع أحدهم ، وتارة يقبض عليه . فلما خلت دمشق من الأمراء ، قدم أميراً كان عنده يسمى عطاء بن حفاظ السلمى الخادم (٢) ، وكان شهماً شجاعاً ، وفوض إليه أمر دولته ، وكان نور الدين لا يتمكن من دمشق معه ، فقبض عليه مجير الدين وقتله ، فقال له عند قتله : إن الحيلة قد تمت عليك فلا تقتلنى ، واستبقنى فإنه سيظهر لك ما أقول ، فلم يصغ إلى قوله وقتله . فلما قتل [ عطاء ] قوى طمع نور الدين في البلد ، فراسل أحداث البلد (٣) وزناطرتة (٤) واستألمهم ، فأجابوه إلى تسليم البلد . فسار إليهم وحصرهم عدة (٥) أيام ، فكاتب مجير الدين الفرنج وبذل لهم الأموال وقلعة بعلبك إن رحلوا نور الدين عنه ، وإلى أن جمعوا وجاءوا ، بلغهم أخذ نور الدين البلد فعادوا بخن حنين .

(١٢١ - أ) وأما نور الدين فإنه لما حصر البلد وضيق على من به ، ثار الأحداث الذين كاتبهم نور الدين وسلخوا إليه البلد من الباب الشرقي ، فدخله بالأمان عاشر صفر . وحصر مجير الدين في القلعة ، وراسله وبذل له الإقطاع الكثير ، من جملته مدينة حمص ، فأجاب إلى تسليم القلعة ، فسلمها إليه وسار إلى حمص .

ولما استقر نور الدين في البلد ، عمل مع أهله مكرمة عظيمة ، وأظهر فيهم عدلاً عاماً سيرد ذكره سنة تسع وستين ، عند [ ذكر ] سيرة نور الدين رحمه الله تعالى . وألقى الإسلام (٦) بدمشق

(١) الإضافة من ، الروضتين (ح/١/ص/٩٥) . (٢) بالأصل : الخادم . (والتصحيح من ، السكامل ، ح/٩/ص/٤٦) . (٣) الأحداث : رجال الشرطة المكلفون بإخاد الفتن والاضطرابات وعقاب مثري الشعب : أو هم رجال الحرس الإقليمي في العصور الوسطى . (الروضتين ح/١/ق/١/ص/٨٥/حاشية/٤) . نقل عن : Dozy, Supp. Dict. Ar : Reinud, J. A. 1848, II, 281 . (٤) بالأصل : وزناطرتيه . (والتصحيح من ، المصدر السابق ، ص/٢٣٩) ، وزناطرتة : طبقة معينة من سكان المدن مولعة بتحريك الفتن والقتل . (المصدر السابق، ص/٨٥/حاشية/٥) . نقل عن : Dozy, Supp. Dict. Ar (٥) في الروضتين (ح/١/ص/٩٦) : عشرة أيام . (٦) بالأصل : الا الاسلام .

جرانه ، وثبت أوتاده ، وأيقن الكفار بالبوار ، ووهنوا واستكانوا ، فصار جميع ما بالشام من البلاد الإسلامية بيد نور الدين .

وأما مجير الدين فإنه أقام بحمص ، وراسل أهل دمشق في إثارة الفتنة ، فأنهى الأمر إلى نور الدين ، يخاف أن يحدث ما يشق تلافيه بل ربما تعذر ، لا سيما مع مجاوزة الفرنج ، فأخذ حصن من مجير الدين وعوضه عنها مدينة بالس فلم يرضها ، وسار عن ( ١٢١ - ب ) الشام إلى العراق ، فأقام ببغداد وابتنى داراً تجاور (١) المدرسة النظامية وتوفى بها .

## ذكر القبض على سليمان [ شاه ] وحمله إلى الموصل

في جمادى الأولى من سنة إحدى وخمسين وخمسمائة ، قبض زين الدين [ على كوجك (٢) ] نائب أتابك قطب الدين مودود ، على الملك سليمان شاه بن السلطان محمد وحمله إلى الموصل فسيجنه بها . وسبب ذلك أن سليمان شاه إستأذن الإمام المقتنى لأمر الله في قصد خدمته . وسأل أن يشرفه (٣) ويخطب له ويمده (٤) بالعساكر ليقصد بلاد الملك محمد ابن أخيه السلطان محمود ، فأجيب إلى ذلك وأذن له ، فسار إلى بغداد فوصل إليها في المحرم سنة إحدى وخمسين وخمسمائة ، وأحضر بدار الخلافة ، وجمع النقباء والقضاة والشهود ، وحلف سليمان شاه للخليفة على قواعد استقرت بينهما ، وخطب له ببغداد في المحرم ، ولقبه شاهنشاه المعظم غياث الدنيا والدين ، وخلع عليه الخليفة وعلى الأمير قويدان [ وجعل الأمير قويدان ، صاحب الحلة أمير حاجب معه (٥) ] وسار نحو [ بلاد (٥) ] الجبل عازماً على قصد بلاد الملك محمد ، وخرج الخليفة (١٢٢ - أ) إلى حلوان ، وأرسل إلى ملكشاه بن السلطان محمود أخى سليمان شاه واستدعاه ، فحضر ومعه (٦) ألفا فارس فقرر الخليفة القواعد بينه وبين سليمان شاه ، وحلف كل واحد منهما للآخر ، وسيرهما في العساكر وقواهما بالأموال والعدد .

وبلغ الخبر إلى الملك محمد ، فجمع عساكره ولقى سليمان شاه وملكشاه بقرب همدان وتصافوا ، فانهزم سليمان شاه وملكشاه ، وظفر الملك محمد بعسكرهما وما معهما وعادوا منهزمين إلى بغداد .

وأما سليمان شاه فإنه سار على شهرزور قاصداً نحو بغداد ، وكان الملك محمد قد أرسل [ إلى ] أتابك قطب الدين وزين الدين واستألهما فأجاباه إلى موافقته ، وسار زين الدين نجدة له في عسكر كثير ، فبلغه خبر الهزيمة وأن سليمان شاه قد سار على شهرزور ، وهى لزين الدين ونائبه بها

(١) بالأصل : محاول . (٢) الإضافة من ، الكامل (٤٨/ص/٩/٢) . (٣) بالأصل : يشرف . (٤) بالأصل : ويمد . (٥) الإضافة من ، الكامل (٤٩/ص/٩/٢) . (٦) بالأصل :

الأمير بوزان، فوقف زين الدين على طريقه، فلما وصل إليه أخذه وقبض عليه، وحمله إلى الموصل فحبسه بها مكرماً معظماً، وكانت الخطبة له ببغداد.

## في ذكر حصر نور (١٢٢ - ب) الدين قلعة حارم

في هذه السنة، سار الملك العادل نور الدين محمود إلى قلعة حارم، وهي للفرنج ثم لبيمنند صاحب أنطاكية فحصرها — وهذا الحصن غربي حلب بالقرب من أنطاكية — وضيق على أهلها، وهي من أمنع الحصون وأحصنها في نحور المسلمين، فاجتمعت الفرنج من قرب منها وبعد، وساروا نحوه لمنعه. وكان بالحصن شيطان من شياطين الفرنج يعرفون عقله وحسنه، وحسن رأيه، ويرجعون إلى قوله، فأرسل إليهم يعرفهم قوتهم، وأنهم قادرون على حفظ الحصن والذب عنه بما عندهم من العدد والعدد وحصانة القلعة، ويشير عليهم بالمطاوله وترك اللقاء. وقال لهم: إن لقيتموه هزمكم وأخذ حارم وغيرها، وإن حفظتم أنفسكم منه أطقنا الامتناع عليه. ففعلوا ما أمرهم به وأشار عليهم، وراسلوا نور الدين في الصلح على أن يعطوه حصّة من أعمال حارم، فأبى أن يجيبهم إلا على مناصفة الولاية، فأجابوه إلى ذلك، فصالحهم وعاد، وفي ذلك يقول بعض الشعراء (١)، من أبيات له يقول فيها (٢): شعر.

عزا له فوق السها إساد	(١٢٣ - أ) ألبست دين محمد يا نوره
حتى تثقف عوده المناد	مازلت تمسكته بمناد القنا (٣)
عدد يراع به ولا استعداد	لم يبق مذ أرهقت (٤) عزمك دونه
حمدتك عن خطبائها الأعواد	إن المنابر لو تطيق تكلمها
فلهم إلى المرعى (٥) الوبي معاد	ولئن حمت منك الأعادي مهلة
طرفاه ضرب صادق وجلاد	ملق بأطراف الفرنجة كل كلال (٦)
حاموا برائش (٧) كيدهم أو كادوا	حاموا فلما عاينوا خوض الردى
حرما بحارم (٩) والمصاد مصاد	ورأى البرنس (٨) وقد تبرنس ذلة
عودا فواتهم إليه مراد	عجبا لقوم حاولوك وحاولوا
وأبوه ذاك العارض المداد	من (١٠) منكر أن ينسف السيل الربى

(١) في الروضتين (ح/١/ص/١٠١)، أنه أحمد بن منير الطرابلسي. (٢) بالأصل: فيها يقول.  
 (٣) بالأصل: الفتى. (٤) بالأصل: ارهقت. (٥) بالأصل: المراعى. (٦) بالأصل: كل كلال.  
 (٧) بالأصل: خاموا فرايس. (والتصحیح من، الروضتين، ح/١/ص/١٠١). (٨) بالأصل: الرئيس.  
 (والتصحیح من، الروضتين، ح/١/ص/١٠١). (٩) بالأصل: لحارم. (١٠) بالأصل: في.

وأأن يعيد (١) الشمس كاسفة السنة نار لها ذلك الشهاب زناد  
لا ينفع الآباء ما سمكوا من الـ علياء حتى ترفع الأولاد

وهي طويلة .

## في ذكر الزلزلة التي (٢) جرت في الشام ونواحيها

في سنة اثنتين (٣) وخمسين وخمسة ، كان بالشام زلزلة شديدة (١٢٣ - ب) ذات رجفات عظيمة متتابعة ، أخرجت البلاد وأهلكت العباد . وكان أشدها بجمة وحصن شيزر (٤) ، فإنهما خربتا بمره . وكذلك ماجاورهما كحصن (٥) بارين ، والمعرة وغيرها من البلاد والقرايا . وهلك تحت الهدم من الخلق مالا يحصيه إلا الله تعالى ، وتهدمت الأسوار والدور والقلاع . ولولا أن الله من على المسلمين بنور الدين ، جمع العساكر وحفظ البلاد ، وإلا كان دخلها الفرنج بغير قتال ولا حصار .

ولقد بلغني من كثرة الهلكى ، أن بعض المعلمين بجمة ، ذكر أنه فارق المكتب لمهم عرض له ، فجاءت الزلزلة فأخرجت الدور ، وسقط المكتب على الصبيان جميعهم . قال المعلم : فلم يأت أحد يسأل عن صبي كان له في المكتب ، وأشبه هذه الحكاية من الأخبار الدالة على أن كثرة الهلكى كثيرة جداً .

## ذكر ملك نور الدين المرحوم حصن شيزر

بندى . بذكر حصن شيزر ولمن كان قبل هذا الوقت الذى ملكه نور (١٢٤ - أ) الدين فيه ، فنقول : هذا الحصن قريب من حماة ، بينهما نحو نصف نهار ، وهو من أمنع القلاع وأحصنها ، على حجر عال له طريق منقور في طرف الجبل ، وقد قطع الطريق في وسطه وجعل عليه جسر من خشب ، فإذا قطع ذلك الجسر تعذر الصعود إليه ، وكان لآل منقذ الكنتانيين (٦) ، يتوارثونه من أيام صالح بن مرداس إلى أن انتهى الأمر إلى الأمير أبي المرفف نصر بن علي بن المقلد بن نصر بن منقذ ابن نصر بن هاشم بعد أبيه أبي الحسن على ، فبقي به مدة طويلة إلى أن مات بشيزر سنة إحدى وتسعين وأربعمائه . وكان شجاعاً كريماً صواماً قواماً ، فلما حضره الموت استخلف أخاه الأمير أبا سلامة مرشد بن علي ، فقال : [ والله (٧) ] لا وليتها ولأخرجن من الدنيا كما دخلتها ، وكان عالماً بالقرآن والأدب ، كثير الصلاح ، فولاه أخاه الآخر أبا العساكر (٨) سلطان بن علي ، وكان أصغر منه ، فاصطجبا أجمل صحبة مدة من الزمان ، فأولد أبو سلامة مرشد عدة أولاد ذكور (٩) ، فكبروا

(١) بالأصل : يعيد . (٢) بالأصل : الذى . (٣) بالأصل : اثنتين . (٤) بالأصل : وحصن شيزر .  
(٥) والأصحح من ، الروضتين ، ١/ص/١٠٥ . (٦) بالأصل : الحصن . (٧) والأصل : الكنتانيين ،  
(٨) بالإضافة من ، الروضتين (١/ص/١١١) . (٩) بالأصل : بالعسكر . (والصحح من ،  
الروضتين ، ١/ص/١١٢) . (٩) بالأصل : ذكوره .

وسادوا ، منهم : عز الدولة أبو الحسن ( ۱۲۴ - ب ) على ، ومؤيد الدولة أسامة بن مرشد وغيرهما ، ولم يولد لأخيه سلطان ولد ذكر إلى أن كبر ، فجاءه أولاد ، فحسد أخاه على ذلك ، وكان كلما رأى صغرا ( ۱ ) أولاده وكبر أولاد أخيه وسيادتهم ، ساءه ذلك وخافهم على أولاده ، وسعى المفسدون بينهما فغيروا كلا منهما على أخيه ، فكتب الأمير سلطان إلى أخيه شعرا يعاتبه على أشياء بلغته [ عنه فأجابته ( ۲ ) ] بأبيات جيدة في معناها ، رأيت إثبات بعضها ، وهى هذه الأبيات ، شعر :

ظلم أبت في الظلم لإتماديا	وفي الصد والهجران لإلتانهايا
شكت هجرنا في ذلك والذنب ذنبها	فيا عجبا من ظالم جاء شاكيا
وطاوعت الواشين في وطالما	عصيت عدولا في هواها وواشيا
ومال بها تيه ( ۳ ) الجمال إلى القلى	وهيات أن أمسى لها الدهر قاليا ( ۴ )
ولا ناسيا ما أودعت من عهدها	وإن هى أبدت جفوة وتناسيا
ولما أتانى من قريضك جوهر	جمعت المعالى فيه لى والمعانيا
وكنت هجرت الشعر حيناً لأنه	تولى برغمى حين ولى شبايا
( ۱۲۵ - أ ) وأين من الستين ( ۵ ) لفظ مفوف	إذا رمت أدنى القول منه عصانيا
وقلت أخى يرعى بنى وأسرتى	ويحفظ عهدى فيهم وذماميا
ويجزيم ( ۶ ) مالم أكلفه فعله	لنقى فقد أعددت من تراثيا
فمالك لما أن حنى الدهر صعدي ( ۷ )	وثلم ( ۸ ) منى صارما كان ماضيا
تكرت حتى صار برك قسوة	وقربك منهم جفوة وتناثيا ( ۹ )
فأصيحت صفر الكف مارجوته	أرى اليأس قد عنى سبيل ( ۱۰ ) رجائيا
على أننى ما حلت عما عهدته	ولا غيرت هذى السنون وداديا
فلا غرو عند الحادثات فإننى	أراك يمينى والأنام ( ۱۱ ) شماليا
تهن بها عذراء لوقرت بها	نجوم سماء ( ۱۲ ) لم تعد دراريا
تحملت بدر من صفاتك زانها	كما زان منظوم الآتى الغوانيا
وعش بانيا للوجود ما كان واهايا	مشيدا من الإحسان ما كان هاويا

- ( ۱ ) بالأصل : اصغر . ( ۲ ) الإضافة من ، الروضتين ، ح / ۱ / ص / ۱۱۲ . ( ۳ ) بالأصل : بهياته . ( والتصحیح من ، الروضتين ، ح / ۱ / ص / ۱۱۲ ) . ( ۴ ) بالأصل : قاليا . ( ۵ ) بالأصل : السين . ( والتصحیح من ، الروضتين ، ح / ۱ / ص / ۱۱۲ ) . ( ۶ ) بالأصل : ويجربهم . ( والتصحیح من ، الروضتين ، ح / ۱ / ص / ۱۱۲ ) . ( ۷ ) بالأصل : صعدي . ( والتصحیح من ، الروضتين ، ح / ۱ / ص / ۱۱۲ ) . ( ۸ ) بالأصل : تلم . ( والتصحیح من ، الروضتين ، ح / ۱ / ص / ۱۱۲ ) . ( ۹ ) بالأصل : وثائيا . ( والتصحیح من ، الروضتين ، ح / ۱ / ص / ۱۱۲ ) . ( ۱۰ ) بالأصل : سبيل . ( والتصحیح من ، الروضتين ، ح / ۱ / ص / ۱۱۲ ) . ( ۱۱ ) بالأصل : والأيام . ( والتصحیح من ، الروضتين ، ح / ۱ / ص / ۱۱۲ ) . ( ۱۲ ) بالأصل : السماء .



وكان الأمر فيه في حياة الأمير مرشد بعض الستر ، فلما مات سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة قلب أخوه لأولاده ظهر المخن (١) ، وباداهم (٢) بما يسوءهم (١٢٥ - ب) ، وتمادت الأيام بينهم إلى أن قوى عليهم فأخرجهم من شيزر . وكان أعظم الأسباب في إخراجهم ، ما حدثت به عن مؤيد الدولة أسامة بن مرشد ، قال : كنت من الشجاعة والإقدام على ما قد علمه الناس ، فبينما أنا بشيزر ، وإذا قد أتاني إنسان ، فأخبرني أن بدجلة ، يقاربها ، أسداً ضارياً . قال : فركبت فرسي وأخذت سيفي وسرت إليه لأقتله ، ولم أعلم أحداً من الناس لئلا أمتع من ذلك ، فلما قربت من الأسد ، نزلت عن فرسي وربطته ومشيت نحوه ، فلما رأني قصدني ووثب علي ، فضربته بالسيف على رأسه فانفلق ، ثم أجهزت عليه وأخذت رأسه في مخلاة فرسي وعدت إلى شيزر ، ودخلت على والدتي (٣) وألقيت الرأس بين يديها وحدتها الحال ، فقالت : يا بني تجهز للخروج من شيزر ، فوالله لا يمكنك عمك من المقام ولا أحداً من إخوتك ، وأتم على هذه الأحوال من الإقدام والجرأة . فلما كان الغد وإذا قد أمر عمي بإخراجنا من عنده ، والزمن به إلزاماً لا مهلة [فيه] فتفرقنا في (١٢٦ - أ) البلاد ، فقصدوا الملك العادل نور الدين ، وشكوا إليه ما لقوا من عمهم ، فلم يمكنه قصده والأخذ بثأرهم وإعادتهم إلى وطنهم لاشتغاله بجهاد الكفار ، وخوفه من أن يسلم شيزر إلى الفرنج ، وبقى في نفسه منه أثر . وتوفي الأمير سلطان وولي بعده أولاده ، فبلغ نور الدين عنهم مراسلة الفرنج ، فاشتد ما في نفسه وهو ينتظر الفرصة ، فلما خربت القلعة بالزلزلة لم يسلم منها أحد كان في الحصن ، فبادر إليها وملكها وأضافها إلى بلاده ، وعمرها وعمر أسوارها وأعادها كأن لم تحرب . وكذلك أيضاً فعل بمدينة حماة وكل ما خرب بالشام بهذه الزلزلة ، فعادت البلاد كأحسن ما كانت .

## ذكر وفاة عز الدين الديبسي وحصر الجزيرة

في ذى الحجة من سنة اثنين (٤) وخمسين وخمسمائة ، توفي الأمير عز الدين أبو بكر الديبسي صاحب جزيرة ابن عمر ، فسار قطب الدين أتابك مودود ابن (٥) الشهيد إليها ، ظناً منه [أنها] لا تمتنع عليه ، لأنها كانت بيد الديبسي إقطاعاً منه ، فلما وصل إليها رأى [أنه] قد (١٢٦ - ب) تغلب عليها مملوك للديبسي اسمه أغلبك ، وقد أطاعه الجند وامتنعوا بالمدينة ، وكان الديبسي لم يخلف ولداً ، فلماذا تغلب أغلبك بعده . وأقام أتابك قطب الدين محاصراً للمدينة عدة شهور لأنه لم ير أن يضع من قدرها بالإسراع في ملكها ، ثم تسلمها (٦) وترك بيد أغلبك القلاع المختصة

(٣) بالأصل : والدي .

(٢) بالأصل : وناداهم .

(١) بالأصل : المخن .

(٦) في السكامل

(٥) بالأصل : وابن .

(٤) بالأصل : اثنين .

(١٢٦/٩/ص/٥٥٣) أنه تسلمها في شهر صفر سنة ٥٥٣ .

بها وهي : كواشي (١) ، والزعفران ، وفرح ، وجميع قلاع الزوزان وغيرها . وعاد أتاك إلى الموصل بعد الإستيلاء على الجزيرة ، وكانا لديسي من أكابر الأمراء ، يأخذ نفسه مأخذ الملوك . حكى لي والدي . إنه لم يضع علامته على إطلاق (٢) مال أبداً قل أم أكثر . وكان عاقلاً حازماً ، ذا رأى وكيد ومكر .

## ذكر حصار الملك محمد وزين الدين دار السلام بغداد

في سنة ثلاث وخمسين وخمسة ، سار الملك محمد بن السلطان محمود إلى بغداد ليحصرها ، وأرسل إلى أتاك قطب الدين يستمده ، ويطلب منه أن ينجده بإرسال العساكر . فجهز إليه عسكراً كثيفاً ، وجعل مقدمه زين الدين نائبه (١٢٧ - أ) في جميع بلاده وسيرهم إليه . واجتمعوا بالملك محمد بنواحي حربي (٣) ، وساروا في الجانب الغربي إلى بغداد فوصلوها في ذي القعدة . وبلغ الخبر إلى المقتفي لأمر الله ، فأمر بإخراجه قصر عيسى ، والمربعة ، والقرية ، والمستجدة ، والنجمي ونهب أصحابه ما وجدوا في الدور من الأموال والآثاث وغير ذلك ، وخرب عسكر الملك محمد نهر القلائين ، وألثوثة ، وباب الميدان ، وقطفتا (٤) ، ولم يتعرض أحد للكرخ وباب البصرة ، وخرج أهلها (٥) إلى العسكر فاتجروا وكسبوا معهم الأموال الكثيرة . وجد المقتفي لأمر الله في حفظ بغداد وجمع الغلات ، وقام وزيره عون الدين بن هبيرة في هذا الأمر المقام الذي يعجز عنه غيره .

ولما وصل العسكر إلى بغداد نصبوا جسراً على دجلة ، وعبراً أكثر العسكر إلى الجانب الشرقي وأقام زين الدين وعسكر أتاك قطب الدين بالجانب الغربي ، نازلين تحت الصراة ، وكان القتال في الماء على باب البلد ، ولم يقتل بين الفريقين إلا نفر يسير ، وإنما الجراح كان كثيراً . وأمر المقتفي لأمر الله فنودي ببغداد : [ كل من جرح (١٢٧ - ب) فله خمسة (٦) دنانير ، فكان كل من جرح يوصل ذلك إليه . فحضر بعض العامة عند الوزير بجر وحا ، فقال له الوزير : هذا جرح صغير لا تستحق عليه شيئاً . فعاد إلى القتال فضرب في جوفه فخرجت أمعاؤه ، فعاد إلى الوزير وقال له : يامولانا الوزير : يرضيك هذا . فضحك منه ، وأمر له بصلته وأحضر من عاجله .

(١) كواشي : في (ياقوت) : الكواشي ، بالفتح وشين معجمة . قلعة حصينة في الجبال التي في شرق الموصل ، ليس إليها طريق إلا لرجل واحد . وكانت قديماً تسمى « أردميت » . وكواشي ، لسم لها محدث . (٢) بالأصل : الاطلاق . (٣) لعلها « الحربية » الواردة في الاصطغري (س/٥٨) . وهي إحدى القناعات التي بناها الخليفة المنصور العباسي (١٣٦ - ١٥٨ هـ) حول بغداد ، لحاشيته ومواليه وأتباعه . (٤) بالأصل : وقطيناً . (٥) والتصحيح من ، الكامل ، ح/٩/ص/٥١) . (٦) بالأصل : وأهلها . (والاصحاح من ، الكامل ، ح/٩/ص/٥١) . (٦) بالأصل : خمس .

ولم يزل الخليفة يرسل زين الدين ويستميله ، إلى أن تغيرت نيته في القتال ، وثبط الملك محمد عنه أيضاً (١) ، وكانت كتب الخليفة ورسوله ، صادرة إلى جميع أصحاب الأطراف المجاورين للملك محمد ، يحثهم على قصد بلاده ، وأقطع كل صاحب طرف ما يليه منها ، فتحرك أصحاب الأطراف .

وكان قد طال المقام على بغداد ولم ينل [ الملك محمد ] منها غرضاً ولا غلابها سعر ، لأن الوزير كان يعطى الأجناد الغلات عوض الأموال ، فيبيعونها لينفقوا ثمنها ، فكانت (٢) الأسعار لا تزال رخيصة بهذا السبب .

ثم إن الخبر وصل إلى الملك محمد ، بأن أخاه ملكشاه قد قصد همدان ودخلها في عسكر (١٢٨ - أ) كثير ونهبها ، وأخذ نساء الأمراء الذين معه وأولادهم فاختلف العسكر وتفرقوا ، وعاد الملك محمد نحو همدان ، وعسكر الموصل مع زين الدين نحو الموصل ، وعاد كل أمير إلى بلاده على عزم العود إلى بغداد ، وخرج أهل بغداد فنهوا أواخر العسكر والمنقطعين ، وشعثوا دار السلطان .

### ذكر وفاة المقتدي لأمر الله وخلافة ابنه المستنجد بالله

[ في ] ثاني ربيع الأول سنة خمس وخمسين وخمسمائة ، توفي أمير المؤمنين المقتدي لأمر الله أبو عبد الله محمد بن المستظهر بالله بعلة التراقي . وكان مولده ثاني عشر ربيع الآخر سنة تسع وثمانين وأربعمائة . وأمه أم ولد تدعى ياغى . وكانت خلافته أربعا (٣) وعشرين سنة وشهرين (٤) .

ولما توفي جددت البيعة لولده أبي المظفر يوسف ولقب المستنجد بالله ، وكان قد عهد إليه قبل وفاته ، وبإيعه الأمراء ، والقضاة ، والفقهاء ، وأعيان الناس . وكتب إلى الآفاق بأخذ البيعة له فلم يمتنع أحد من ذلك . وأقر عون الدين بن هبيرة على وزارته .

### (١٢٨ - ب) في ذكره مسير سليمان شاه إلى همدان

في أوائل سنة خمس وخمسين وخمسمائة ، وردت رسل الأمراء الأكبر من بلاد الجبل إلى أتاكب قطب الدين ، يطلبون منه إنقاذ الملك سليمان شاه بن محمد إليهم ليولوه السلطنة ، وترددت

(١) في الكامل ( ٩/ص/٥١ ) : « وكان زين الدين وعسكر الموصل غير مجدين في القتال لأجل الخليفة والمسلمين ، وقيل لأن نور الدين محمود بن زنكي — وهو أخو قطب الدين صاحب الموصل الأكبر — أرسل إلى زين الدين يلومه على قتال الخليفة فقهر وأقصر » . (٢) بالأصل : فكان .

(٣) بالأصل : أربع . (٤) في الكامل ( ٩/ص/٦٨ ) ، وثلاثة أشهر وستة عشر يوماً والصواب ، شهرين وخمسة عشر يوماً ، لأنه يوبع بالخلافة في ١٨ ذى الحجة سنة ٥٣٠ . (الكامل ، ٨/ص/٣٥٥) .

الرسول في ذلك حتى استقر الأمر بينهم أن يكون سليمان شاه سلطاناً ، وقطب الدين أتاكبه والمرجع إليه في جميع مملكته ، وجمال الدين وزيره ، وزين الدين مقدم عسكره . وتحالفوا على هذا وجيز سليمان شاه ، وحمل إليه أتاكبه قطب الدين من الأموال والثياب والخيل والآلات ما يصلح للسلطين ، وسار ومعه زين الدين في عسكر الموصل نحو همدان ، فلما قاربوا بلاد الجبل ، أقبلت العساكر إلى خدمة سليمان شاه أرسلالاً (١) ، كل يوم يلتقاه طائفة وأمير ، فاجتمع معه عسكر عظيم ، فخافهم زين الدين على نفسه وعلى الموصل أيضاً ، لأنه رأى من تسلطهم على السلطان واطراحهم للأدب ما أوجب الخوف ، فعاد عنه إلى الموصل . فحين فارقه (١٢٩ - أ) زين الدين لم ينتظم أمره ولم يتم له ما أراد . حكى لي والدي قال : استدعاني جمال الدين الوزير بعد مسير سليمان شاه وقال : قد استقر الأمر كيت وكيت ، فتعود إلى الجزيرة وتقطع علائقك وتقضى أشغالك ، فإنني أريد أن أجعلك نائبي بالعراق . قال : فسرني [ ذلك ] من وجهه وسأني من آخر ، إلا أنني لم أر من طاعته بدأ . قال : ثم استدعاني بعد ذلك ، وقال لي : عد إلى بلدك ، فإن سليمان شاه لم ينتظم حاله فقارفته (٢) وعدت .

وفيها أعنى ستة خمس وخمسين ، حجج (٣) زين الدين نائب قطب الدين ، وحذره أصحابه من الحج لأجل مساعدته (٤) الملك محمد في حصر بغداد ، فلم يلتفت إلى قولهم وسار . فلما وصل بغداد أكرمه [ الخليفة ] المستنجد [ بالله ] ، واجتمع به وأمر بالخلع عليه ، فلما لبس الخلعة كانت طويلة — وكان هو قصيراً جداً — فمد يده إلى كمرانه وأخرج ما شد به وسطه وقصر الجبة ، فنظر المستنجد إليه فاستحسن ذلك منه ، وقال لمن عنده : مثل هذا يكون الأمير والجندي لامثلكم . فلما دخل عليه (١٢٩ - ب) قبل يده ، ثم خرج من عنده بعد أن حادته بالتركية — وكان المستنجد بالله يتكلم بها جيداً — فلما خرج نظره إليه المستنجد من شباك ، [ وكان زين الدين ] قد أخرج شيئاً من السيف الذي أنعم به عليه من الديوان ، فلم يره جيداً وهو يوميء برأسه — يعني أنه غير جيد — فأرسل إليه سيفاً آخر ، وقال الرسول : يقول لك أمير المؤمنين ، ذاك السيف يترك ، وهذا يقاتل به أعداء أمير المؤمنين وأعداء المسلمين . فرد وجهه وقبل الأرض وتقلده . وأحسن إلى الناس في الطريق ، وأكثر الصدقات .

(١) بالأصل : دارسالاً .

(٢) بالأصل : فقارفته . (٣) بالأصل : حجج . (٤) بالأصل : مساعده .

## في حصر نور الدين قلعة حارم

في ستة سبع وخمسين وخمسمائة ، جمع نور الدين العساكر بحلب ، وسار إلى قلعة حارم وحصرها وجد في قتالها ، فامتعت عليه لحصاتها وكثرة من بها من فرسان الفرنج وشجعانهم . فلما علم الفرنج خبرها ، جمعوا فارسهم وراجلهم من سائر البلاد وحشدوا ، وأعدوا واستعدوا ، وساروا نحوه ليرحلوه عنها . فلما قاربوه طلب منهم ( ١٣٠ - أ ) المصاف فلم يجيبوه إلى ذلك ، وراسلوه وتلفظوا الحال معه . فلما رأى أنه لا يمكنه أخذ الحصن ولا يجيبونه إلى المصاف عاد إلى بلاده .

ومن كان معه في هذه الغزوة ، الأمير مؤيد الدولة أسامة بن مرشد بن منقذ - وكان من الشجاعة في الغاية التي لا مزيد عليها - فلما عاد إلى حلب ، دخل مسجد سيرين (١) - وكان قد دخله في العام الماضي سائراً إلى الحج - فلما دخله الآن ، كتب على حائطه ، يقول ، شعر :

لك الحمد يا مولاي كم لك منة      علي وفضل لا يحيط به (٢) شكري  
نزلت بهذا المسجد العام قافلاً (٣)      من الغزو وفور النصيب (٤) من الأجر  
ومنه رحلت العيس في عامي الذي      مضى نحو بيت الله والركن والحجر  
فأديت مفروضي وأسقطت ثقل ما      تحملت من وزر الشيبدة (٥) عن ظهري

## في ذكر إنهزام نور الدين بحصن الأكراد وما جرى (٦) له

في سنة ثمان وخمسين وخمسمائة ، جمع الملك العادل نور الدين محمود بن الشهيد زنكي عساكره جميعها ودخل بلاد الفرنج ، فنزل بالبقية ( ١٣٠ - ب ) تحت حصن الأكراد (٧) - وهو للفرنج - عازماً على دخول بلادهم ومنازلة طرابلس (٨) ، فبينما الناس في بعض الأيام في خيامهم وسط النهار ، لم يرعهم إلا ظهور صليبان الفرنج من وراء الجبل الذي عليه الحصن . وكان سبب ذلك ، أنهم

(١) بالأصل : مرر . ( والتصحیح من . الروضتين ، ح / ١ / ص / ١٢٧ ) .  
(٢) بالأصل : بها . (٣) بالأصل : قافلاً . (٤) بالأصل : النصب . (٥) بالأصل :  
السيئة ) ( والتصحیح من ، الروضتين ، ح / ١ / ص / ١٢٧ ) . (٦) بالأصل : جراً . (٧) حصن الأكراد  
في ( ياقوت ) : حصن منيع حصين على الجبل الذي يقابل حصص من جهة الغرب ، وهو جبل الجليل المتصل بجبل لبنان .  
وهو بين بعلبك وحمص . وكان بعض أمراء الشام قد بنى في موضعه برجاً وجعل فيه قوماً من الأكراد طليعة بينه وبين  
الفرنج . وأجرى لهم أرزاقاً فتدبروها بأهاليهم ، ثم خافوا على أنفسهم في غارة ، فجعلوا يحصنونه إلى أن صارت قلعة حصينة  
منعت الفرنج عن كثير من غاراتهم فنازلوه ، فباعه الأكراد منهم ورجعوا إلى بلادهم وملكه الفرنج ، وهو في أيديهم  
إلى هذه الغاية ( أى إلى زمن ياقوت ) . وبينه وبين حصص يوم ، ولا يستطيع صاحبها إنتراعه من أيديهم .  
(٨) بالأصل : طرابلس .

اجتمعوا واتفق رأيهم على كسبة المسلمين في النهار لانهم يكونوا آمنين ، فركبوا نحوهم ، فلم يشعر  
بترك (١) المسلمين إلا وقد قار بوجههم ، فأرادوا منعهم فلم يطيقوا ذلك ، وأرسلوا إلى نور الدين يعلمونه الخبر ،  
فرفقههم الفرنج [ بالحلمة (٢) ] وأخذوهم بين أيديهم ، فوصلوا معاً إلى العسكر النورى ، فلم يتمكن المسلمون من  
ركوب الخيل وأخذ السلاح إلا وقد خالطوهم ، فكان أقصى (٣) رأيهم الإنهزام ، ووضع الإفرنج  
فيهم السيف وأكثر (٤) القتل والأسر ، وكان أشد شيء على المسلمين الدوقس الرومى ، فإنه كان  
قد خرج إلى الساحل في جمع كثير من الروم فقاتلوا محتسبين في زعمهم ، فلم يبقوا على أحد ، وقصدوا  
خيام الملك العادل ( ١٣١ - أ ) نور الدين فخرج من ظهر خيمته عجلاً بغير قباء (٥) فركب فرسا  
هناك للشوية ، ولسرعه ركبته وفي رجله شبحه (٦) ، فنزل إنسان من الأكراد فقطعها ، فنجى نور الدين  
وقتل الكردى ، وكان أكثر القتل في السوفة والغلمان . ولما نجا نور الدين سأل عن مخلفي ذلك  
الكردى فأحسن إليهم جزاء لفعله .

وسار نور الدين إلى مدينة حمص وأقام بظاهرها ، وأحضر منها ما فيها من الخيام ونصبها على  
بحيرة قدس ، على فرسخ من حمص ، وبينها وبين مكان الواقعة أربع فراسخ ، فكان الناس لا يظنون  
أنه يقف دون حلب ، فكان رحمه الله أشجع من ذلك وأقوى عزماً .

ولما نزل على بحيرة قدس ، اجتمع إليه كل من نجا من المعركة ، فقال له بعض أصحابه : ليس من  
الرأى أن تقيم ههنا ، فإن الفرنج ربما حملهم الطمع على المحيى إلينا ونحن على هذه الحال ، فوبخه  
وأسكته وقال : إذا كان معى ألف فارس لا أبالي بهم قتلوا أم كثروا ( ١٣١ - ب ) والله  
لا أستظل بجدار حتى آخذ بثأر الإسلام وثأرى .

ثم إنه أرسل إلى حلب ودمشق ، وأحضر الأموال والدواب والأسلحة والخيام وسائر ما يحتاج  
إليه الجند فأكثر ، وفرق ذلك جميعه على من سلم ، وأمان قتل أو أسر فإنه أقر إقطاعه على  
أولاده ، فإن لم يكن [ له ] ولد فعلى بعض أهله ، فعاد العسكر كأنه لم يفقد منه أحد .

وأما الفرنج فإنهم كانوا عازمين على قصد حمص بعد الهزيمة ، لأنها أقرب البلاد إليهم ، فلما بلغهم  
مقام نور الدين عندهما ، قالوا : إنه لم يفعل هذا إلا وعنده من القوة أن يمنعنا .

وكان نور الدين قد أكثر الخرج ، إلى أن قسم في يوم واحد مائتى ألف دينار حرم ، سوى غيرها

(١) البرك : لفظ فارسى معناه ، طليعة الجيش (Dozy : Supp Dict Ar) وفي «الحوادث الجامعة» (ص/٢٩/  
حاشية/٢) ، أن البرك عند الترك ، كالسرية عند العرب . (٢) الإضافة من ، الكهلى (ص/٩/٨٣) .  
(٣) بالأصل : اقصا . (٤) بالأصل : وأكثر . (٥) القباء ، نوع من الثياب ، مشتق من ذلك  
لاجتماع أطرافه . والجمع أقبية . (لسان العرب) . (٦) شبحه القرس : سائلة يربط بها قدم الحصان ، وفي أحد  
طرفيها عروة تزر في القدم ، وفي الآخر وتد يدين في الأرض . (Dozy : Suppy Dict Ar)

من الدواب والحيام والسلاح وغير ذلك . وتقدم إلى ديوانه أن يحضروا الجند ويسألوا (١) كل واحد منهم عن الذى أخذ [منه] ومهما (٢) ذكر شيئاً أعطوه عوضه (٣) ، فحضر بعض الجند وادعى شيئاً كثيراً علم النواب كذبه فيما ادعاه لمعرفتهم بحاله ، فأرسلوا (١٣٢ - أ) إلى نور الدين ينهون إليه القصة ، ويستأذنه فى تحليفه على ما ادعاه ، فأعاد الجواب : لا تكفروا عطاءنا بالأذى ، فإنى أرجو الثواب والأجر على قليله وكثيره . وقال له أصحابه : إن لك فى البلاد إدرات كثيرة وصلات عظيمة للفقهاء والفقراء والصوفية والقراء ، فلو استعنت بها الآن لكان أمثل ، فغضب من هذا وقال : والله [إنى (٤)] لا أرجو النصر إلا بأولئك ، وإنما ترزقون وتنصرون بضعفائكم ، كيف أقطع صلوات قوم يقاتلون عنى وأنا [نائم (٤)] فى فراشى بسهام لا تخطىء ، وأصرفها إلى من لا يقاتل عنى إلا إذا رأى بسهام قد تخطىء وتصيب ، ثم هؤلاء القوم لهم نصيب فى بيت المال أصرفه إليهم ، كيف أعطيه غيرهم ، فسكتوا .

تلك المكارم لا قعبان من لبن شيباً بماء فعادا بعد أبو الاله (٥)

هكذا هكذا وإلا فلا لا .

ثم إن الفرنج أرسلوا إلى نور الدين فى المهادنة فلم يجهم إليها ، فتركوا عند الحصن من يحميه ، وعادوا إلى بلادهم وتفرقوا .

## فى ذكر القبض على جمال الدين الوزير

ابن على الأصفهاني

(١٣٢ - ب) فى هذه السنة أيضاً ، قبض أتابك قطب الدين على وزيره جمال الدين محمد بن على الأصفهاني . وكان قد خدم الشهيد فولاه نصيبين فظهرت كفايته ، فأضاف إليه الرحبة فأبان عن كفاية وعفة ، وكان من خواصه وأكبر ندمائه ، فجعله مشرف مملكته كلها ، وحكمه تحكيمياً لا مزيد عليه . فحكى لى والدى ، قال : أرسلنى دزدان الجزيرة إلى الوزير ضياء الدين الكفرتوتى - وهو وزير الشهيد والحاكم فى بلاده قبل أن أتصل أنا بخدمة جمال الدين وأنوب عنه - يقول له : قد بلغت أن جمال الدين يقصدنى ويريد أن يعزلى ، وأنا متعلق بك وبنصير الدين ، ومن أصحابك ، فكيف ترى الحال . قال : فلما أبلغت الوزير هذه الرسالة ، قال لى : ما سمعت من جمال الدين شيئاً من هذا عند أتابك ، ومع هذا ، فالرجل يدخل قبلى ويخرج بعدى ، فما أعلم

(١) بالأصل : ويسأله . (٢) بالأصل : مهما . (٣) بالأصل : عوضه .

(٤) الإضافة من ، الروضتين (ح/١/ص/١٢٨) . (٥) ورد بالأصل ثراً ومحرراً هكذا : هذى المكارم

لأفغان من لبن شيباً بماء فعادا بعد أبو الاله . (والتصحيح من البيهقي : الخاسن والمساوى ، ح/١/ص/٧٤) .

ما يكون منه . ولم يزل كذلك ( ١٣٣ - أ ) إلى أن قتل الشهيد ، وكان منه ما قد تقدم ذكره في حفظ الدولة . ووزر لولده سيف الدين ، ثم لقطب الدين . وكان بينه وبين زين الدين عهد و موافيق على المصافاة والإتفاق . وكان أصحاب زين الدين يكرهونه ويقعون فيه عند زين الدين فنهاهم . وكانت الموصل في أيامه ملجأ لكل ملهوف ، ومأمن لكل خائف ، فسعى به الحساد إلى أتاك حتى أوغروا صدره عليه ، وقالوا : إنه يأخذ أموالك فيتصرف بها ، فلم يمكنه أن يغير عليه شيئا بسبب إتفاقه مع زين الدين ، فوضع على زين الدين من غيره عن مصافاته ومؤاخاته ، فقبض عليه وحبس بقلعة الموصل ، ثم ندم زين الدين على الموافقة على قبضه ، لأن خواص أتاك وأصحابه كانوا يخافون جمال الدين ، فلما قبض انبسطوا في الأمر والنهي على خلاف غرض زين الدين ، فكان زين يذم أصحابه على تحسين الموافقة على قبض جمال الدين .

### ( ١٣٣ - ب ) ذكر مسير شيركوه وعساكر نور الدين إلى ديار مصر

في سنة تسع وخمسين وخمسمائة (١) سار أسد الدين شيركوه بن شاذى - وهو من أكابر الأمراء الذين في خدمة الملك العادل نور الدين محمود - إلى الديار المصرية عازما على ملكها واستضافتها إلى المملكة النورية .

ونحن نبتدىء قبل ذكر مسيره وما كان منه ، بذكر حاله وتنقله واتصاله بالخدمة النورية ، فنقول : كان أسد الدين شيركوه [ وأخوه (٢) ] نجم الدين أيوب - وهو أكبر (٣) أبناء شاذى - من بلد دوين [ وهى بلدة من آخر بلاد أذربيجان مما يلي الروم (٢) ] وأصلهما من الأكراد الروادية ، وهذا القبيل هو أشرف الأكراد ، فقدموا العراق وخدموا مجاهد الدين بهروز شحنة العراق ، فبرأى من نجم الدين عقلا ورأيا وحسن سيرة ، فجعله دزدار تكريت ، وهى له ، فسار إليها ومعه أخوه أسد الدين ، فلما انهزم أتاك الشهيد رضى الله عنه بالعراق من قراجة الساقى على ما ذكرناه قبل ، وصل إلى تكريت ، فخدمه نجم الدين وأقام له السفن ، فعبر دجلة هناك وتبعه أصحابه ، فأحسن نجم الدين صحبتهم وسيرهم ( ١٣٤ - أ ) ثم إن أسد الدين قتل إنسانا بتكريت لملاحاة جرت بينهما ، فأرسل مجاهد الدين إليه وإلى أخيه نجم الدين فأخرجها من تكريت ، فقصدا أتاك الشهيد ، فأحسن إليهما وعرف لهما خدمتهما ، وأقطعهما إقطاعا حسنا ، وصارا من جملة جنده . فلما فتح حصن بعلبك جعل نجم الدين دزدارا فيه . فلما قتل الشهيد حضره عسكر دمشق ، فأرسل إلى الملك سيف الدين غازى

(١) فى الكامل ( ١٢٩/ص/٨٣ ) أن مسيره كان فى شهر جمادى الأولى من السنة . (٢) الإضافة من ، الروضتين ( ١٢٩/ص/١٠ ) . (٣) بالأصل : الأكبر .



— وقد قام بالملك بعد والده — ينهى الحال إليه ويطلب العسكر (١) ليرحل صاحب دمشق عنه، وكان سيف الدين في ذلك الوقت في بداية ملكه، وهو مشغول بإصلاح السلطان وأصحاب الأطراف الذين يجاورونه، فلم يتفرغ (٢) لبعليك، وضاق الأمر على من بها من الحصر، فلما رأى نجم الدين الحال، وخاف أن تؤخذ قهراً وعنوة ويناله أذى، أرسل في تسليم القلعة وطلب إقطاعاً ذكره فأجيب إلى ذلك، وحلف له صاحب دمشق عليه وتسليم القلعة، وفي (٣) له بما حلف عليه من الإقطاع والتقدم (١٣٤ — ب) وصار عنده من أكابر الأمراء (٤)، واتصل أخوه أسد الدين شيركوه بالخدمة النورية بعد قتل الشهيد — وكان يخدمه في أيام والده — فقربه نور الدين وأقطعته، ورأى منه في حروبه ومشاهدته آثاراً (٥) يعجز عنها غيره لشجاعته وجرأته، فزاده إقطاعاً وقرباء، حتى صار له حمص والرحبة وغيرهما، وجعله مقدم عسكره.

فلما تعلققت المهمة النورية بملك دمشق، أمر أسد الدين فراسل أخاه نجم الدين أيوب — وهو بها — في ذلك. وطلب منه المساعدة على فتحها، فأجاب إلى ما يراد منه، وطلب هو وأسد الدين من نور الدين كثيراً من الإقطاع والأموال ببلد دمشق وغيرها، فبذل لهما ما طلبا (٦) منه، وحلف لهما عليه، ووفى لهما لما ما لهما، وصارا عنده في أعلى المنازل، لاسيما نجم الدين، فإن سائر الأمراء كانوا لا يقعدون عند نور الدين، إلا أن يأمرهم أو أحدتهم بذلك، إلا (٧) نجم الدين، فإنه كان إذا دخل إليه قعد من غير أن يؤمر بذلك.

فلما كان هذه السنة وعزم نور (١٣٥ — أ) الدين على إرسال العساكر إلى مصر، لم ير لهذا الأمر الكبير أقوم ولا أشجع من أسد الدين فسيره. وكان سبب ذلك أن شاور السعدى — وزير العاضد تدين الله العلوى صاحب مصر — عزل من الوزارة (٨)، فسار إلى الملك العادل نور الدين، فوصل إليه وهو بدمشق، والتجأ إليه واستجار به، فأحسن لقاءه وأكرم مشواه، وأنعم عليه إنعاماً غميره به. وكان وصوله سنة ثمان وخمسين وخمسة مائة (٩)، وطلب منه إرسال العساكر إلى مصر ليعود إليها ويكون له فيها حصصاً ذكرها له، ويتصرف على أمره ونهيه واختياره (١٠)، ونور الدين يقدم في ذلك رجلاً ويؤخر أخرى، تارة تحمله رعاية قصد شاور

(١) بالأصل: للعسكر. (٢) بالأصل: يتفرغوا. (٣) بالأصل: ووفى.  
(٤) في الكامل (١٥/ص/٩/ح — سنة ٥٤١) أن صاحب دمشق أعطى نجم الدين « إقطاعاً ومالاً وملكه عشر قرى من بلاد دمشق، وانتقل أيوب إلى دمشق فسكنها وأقام بها ». (٥) بالأصل: أناره.  
(٦) بالأصل: طلب. (٧) بالأصل: إلى. (٨) في الكامل (٨٤/ص/٩/ح) أن ضرغاماً نازح شاور الوزارة وغلبه عليها، فهرب منه شاور إلى الشام ملتجئاً إلى نور الدين.  
(٩) في الكامل (٨٤/ص/٩/ح) أن وصوله كان في ربيع الأول من السنة.  
(١٠) في الكامل (٨٤/ص/٩/ح) « ويكون لنور الدين ثلث دخل البلاد بعد إقطاعات العساكر ويكون شيركوه مقبلاً بعسكره في مصر ويتصرف هو بأمر نور الدين ».

[بأبه (١)] وطلب الزيادة في الملك والتقوى على الفرنج ، وتارة يمنعه خطر الطريق وكون الإفرنج فيه ، إلا أن يوغلوا في البر فيمتعضوا الخطر (٢) آخر مع الخوف من الفرنج أيضا (٣). ثم استخار الله تعالى وأمر أسد الدين بالتجهز للمسير معه (٤) ، وكان هوى أسد الدين في ذلك (١٣٥ - ب) وعنده من الشجاعة وقوة النفس مالا يبالي بمخافة ، فتجهز وسار مع شاور في جمادى الأولى من سنة تسع وخمسين ، وأمره نور الدين بإعادة شاور إلى منصبه ، والانتقام ممن نازعه في الوزارة ، فساروا جميعا ، وسار معهم نور الدين إلى أطراف بلاد الإسلام بمابلي الفرنج بعساكره ليشغلهم عن التعرض لأسد الدين ، فكان ظن نور الدين صحيحا (٥) ، فسار (٦) الفرنج لحفظ بلادهم من نور الدين . ووصل أسد الدين إلى مصر سالما هو ومن معه ، فهرب المنازع لشاور في الوزارة ، وعاد شاور وزيرا وتمسك من منصبه . وأقام أسد الدين بظاهر القاهرة ، وغدر به شاور لما عاد إلى منصبه ، وعاد عن ما كان قرره لنور الدين من البلاد المصرية ولأسد الدين أيضا ، وأرسل إليه يأمره بالعود إلى الشام . فأنف أسد الدين من هذه الحال ، وأعاد الجواب يطلب ما كان استقر ، فلم يجبه شاور إليه . فلما رأى ذلك ، أرسل نوابه قتلوا مدينة بليس ، وحكم على (١٣٦ - أ) البلاد الشرقية ، فأرسل شاور إلى الفرنج يستمدهم ويخوفهم من نور الدين إن ملك مصر . وكان الفرنج قد أيقنوا بالهلاك إن ملكها نور الدين فهم خائفون ، فلما أرسل شاور إليهم يستجدهم ويطلب أن يساعده على إخراج أسد الدين من البلاد ، جاءهم فرج لم يحتسبوه ، وسارعوا إلى تلبية دعوته والمبادرة إلى نصرته ، وطمعوا في ملك ديار مصر ، وكان قد بذل لهم مالا على المسير إليه ، فتجهزوا وساروا . فلما بلغ نور الدين خبر تجهيزهم للمسير ، سار بعساكره إلى طرف بلاده بمابلي الفرنج ليمتنعوا عن المسير ، فلم يمتنعوا ، لعلمهم أن الخطر في مقامهم إذا ملك أسد الدين مصر ، أشد من الخطر في مسيرهم (٧) ، فتركوا في بلادهم من يحفظها ، وسار ملك القدس في الباقيين (٨) إلى مصر . وكان قد وصل إلى الساحل جميع كثير من الفرنج في البحر لزيارة البيت المقدس ، فاستعان بهم ملك الفرنج فأعانوه ، وسار بعضهم معه ، وأقام بعض في البلاد لحفظها (٩) ، فلما قارب الفرنج مصر ، فارقها أسد (١٣٦ - ب) الدين وقصد مدينة بليس ، وأقام بها هو وعسكره وجعلها ظهرا له يتحصن به . فاجتمعت العساكر المصرية والفرنجية ، ونازلوا أسد الدين بمدينة بليس

(١) الإضافة من ، الكامل (٨٤/ص/٩) . (٢) بالأصل : بخطر . (٣) في الكامل (٨٤/ص/٩) . سبب آخر عن تخوف نور الدين من إرسال أسد الدين إلى مصر ، وهو الخوف من « أن شاور لأن استقرت قاعدته ربما لا يفي » . (٤) في الروضتين (١٣٠/ص/١) ، أن نور الدين أرسل أسد الدين إلى مصر « قضاء لحق الوافد المستصرخ ، وجسا للبلاد وتظلماً على أحوالها » . وينقل أبو شامة (١٣٢/ص) عن العماد الكاتب ، أن نور الدين أرسل أسد الدين مع شاور « على قرار عينه ، وأمر بينه ، وبقية يدركها ، وخطة يملكها ، وبحجة واضحة في الملك يسلكها » . (٥) بالأصل : صحيح . (٦) بالأصل : فصار . (٧) بالأصل : لمسيرهم . (٨) بالأصل : الباقيين . (٩) بالأصل : يحفظها .

وحصروه بها ثلاثة أشهر ، وقد امتنع بها أسد الدين ، وسورها من طين قصير جدا وليس لها خندق ولا فضيل يحميها ، وهو يغاديهم القتال ويرأوهم ، فلم يبلغوا منه غرضا ولا نالوا منه شيئا . فبينما هم كذلك ، أتاهم الخبر بهزيمة الفرنج بحارم وملك نور الدين الحصن ومسيره إلى بانياس ، فحينئذ سقط في أيديهم ولات حين مناص ، فأراد الفرنج العود إلى بلادهم ليحفظوها ، ولعلمهم يدركون بانياس قبل أخذها ، فلم يدركوها إلا وقد ملكها على ما نذكره إن شاء الله تعالى ، وراسلوا أسد الدين في الصلح والعود إلى الشام ومفارقة مصر وتسليم ما بيده منها إلى المصريين ، فأجابهم إلى ذلك لأنه لم يعلم بما فعله نور الدين بالفرنج في الساحل . فحدثني من رأى أسد الدين حين خرج (١٣٧-أ) من بلبس ، قال : رأيتُه وقد أخرج أصحابه بين يديه وبقي في آخرهم ، ويده لات حديد يحمي ساقهم ، والمسلمون (١) والفرنج ينظرون . قال : فأناه لإفرنجي من الفرنج الغرباء ، فقال له : أما تخاف أن يغدر بك هؤلاء - المسلمون والفرنج - وقد أحاطوا بك [ وبأصحابك (٢) ] فلا (٣) يبقى لكم معهم بقية . فقال شيركوه : ياليتهم فعلوا حتى كنت ترى (٤) ما لم تر مثله ، كنت والله أضع [ فيهم (٥) ] السيف ، فلا يقتل منا رجل حتى يقتل [ منهم ] رجالا ، وحينئذ (٥) يقصدهم الملك العادل نور الدين - وقد ضعفوا وفقى أبطالهم - فيملك بلادهم ويفنى (٦) من بقي منهم ، والله لو أطاعني هؤلاء - يعني أصحابه - لخرجت إليكم [ من (٧) ] أول يوم ، لكنهم امتنعوا . فصلب الفرنجي على وجهه ، وقال : كنا نعجب من فرنج هذه الديار ، ومبالغتهم في صفتك وخوفهم منك ، والآن فقد عذرتناهم (٨) . ثم رجع عنه (٩) وسار شيركوه إلى الشام وعاد سالما (١٠) .

## في ذكر فتح ( ١٣٧ - ب ) حصن حارم من الإفرنج

في هذه السنة في رمضان ، فتح الملك العادل نور الدين قلعة حارم وملكها من الفرنج . والسبب في هذا الفتح ، أن نور الدين لما عاد منهزما على ما ذكرناه (١١) قبل ، أقبل على الجد والاجتهاد ، والاستعداد للجهاد ، والأخذ بمأرته ، وغزو العدو في عقر داره ، وليرفو ذلك الحرق ، ويرتق ذلك الفتق ، ويمحو سمة (١٢) الوهن ، ويعيد رونق الملك ، فراسل أخاه قطب الدين (١٣) بالموصل ،

- (١) أي المصريون . (٢) الإضافة من ، الروضتين ( ١/ص/١٣٢ ) . (٣) بالأصل : ولا . (٤) بالأصل : ترا . (٥) بالأصل وحينئذ هم . (٦) بالأصل : وبملك . (٧) والتصحيح من ، الروضتين ، ( ١/ص/١٣٢ ) . (٨) الإضافة من ، الكامل ( ٩/ص/٨٥ ) . (٩) بالأصل : غدرنا بهم . (١٠) والتصحيح من ، الروضتين ، ( ١/ص/١٣٢ ) . (١١) بالأصل : غدرنا بهم . (١٢) في الكامل ( ٩/ص/٨٥ ) أن شيركوه خرج من بلبس في شهر ذي الحجة من السنة . (١٣) هو قطب الدين مودود بن عماد الدين زنكي ، صاحب الموصل ( ٥٤٤ - ٥٦٥ ) .

ونجر الدين قرا أرسلان (١) بالحصن ، ونجم الدين ألي (٢) بماردين وغيرهم من أصحاب الأطراف [ يستنجدهم (٣) ] .

فأما قطب الدين أتابك ، فإنه جمع عساكره وسار مجدا وعلى مقدمة عسكره زين الدين نائبه .  
وأما نجر الدين قرا أرسلان فبلغني عنه أنه قال له ندماءؤه وخواصه : على أي شيء عزمت ،  
فقال : على القعود ، فإن نور الدين قد تحشف من كثرة الصوم والصلاة ، فهو يلقي نفسه والناس معه  
في المهالك . فكلهم وافقه (٤) على ذلك ، فلما كان الغد ، أمر (١٣٨ - أ) بالنداء في العسكر  
بالتجهز للغزاة . فقال له أولئك : ما عدا مما بدا ، فأرقتك بالأمس على حال نرى (٥) الآن ضدها .  
فقال : إن (٦) نور الدين قد سلك معي طريقا ، إن لم أنجده ، خرج أهل بلادى عن طاعتى ،  
وأخرجوا البلاد عن يدي ، فإنه كاتب زهادها وعبادها والمنقطعين (٧) عن الدنيا ، يذكر لهم مالتى (٨)  
المسلمون من الفرنج ، وما نالهم من القتل والأسر والنهب ، ويستمد منهم الدعاء ، ويطلب [ منهم (٩) ]  
أن يحشوا المسلمين على الغزاة (١٠) ، فقد قعد كل واحد من أولئك ومعه أتباعه وأصحابه ، وهم يقرءون  
كتب نور الدين ويكون ، ويلعنونى ويدعون (١١) على ، فلا بد من إجابة دعوته . ثم تجهز أيضا  
وسار إلى نور الدين بنفسه .

وأما نجم الدين فإنه سير عسكرا . فلما اجتمعت العساكر سار نحو حارم ، في كل بطل بسلاحه  
شاكى ، ولشدة المراس غير شاكى ، [ كما ] يقول [ الشاعر ] :

في كل أروع يرتاع المنون له إذا تجرد لانكس (١٢) ولا جهد  
(١٣٨ - ب) يكاد حين يلاقى القرن من حنق قبل السنان إلى حوبائه (١٣) يرد

وكانوا حقا جيش الطواويس (١٤) ، وكل منهم فى بيض (١٥) الحديد وألوان التشاهير يخال  
ويمس ، وأشرفت عليهم الشمس فرقت لها الأحداق ، وتألأت الآفاق ، ونزل عليها وحصرها ،  
وأطار إليها من القسى والمجانيق سهامها وحجرها .

(١) هو نجر الدين قرا أرسلان بن داود بن سقان بن أرتق ، صاحب حصن كينا (٤٣٩ - ٥٦٢) .  
(٢) هو نجم الدين ألي بن قمر تاش بن بلغنازى بن أرتق ، صاحب ماردين (٥٤٧ - ٥٧٥) .  
(٣) : الإضافة من ، الكامل (٨٦/ص/٩) . (٤) بالأصل واقفه . (٥) بالأصل : بدى .  
(والصحيح من ، الروضتين ، ح/١/ص/١٣٣) . (٦) بالأصل : انه (والصحيح من ، الروضتين ، ح/١/ص/١٣٣)  
(٧) بالأصل : والمنقطعين . (٨) بالأصل : لستى . (٩) الإضافة من ، الروضتين ،  
(ح/١/ص/١٣٣) . (١٠) بالأصل : القرآه . (والصحيح من ، الروضتين ، ح/١/ص/١٣٣) .  
(١١) بالأصل : ويدعونى . (١٢) بالأصل : نلس . (١٣) بالأصل جوابية . (١٤) جيش  
الطواويس : فى الكامل (٧٤/ص/٤) - ٧٥ ، حوادث سنة ٨٠ ، أن الحجاج بن يوسف الثقفى أرسل جيشاً  
لقتال رزبل - وفى رواية أخرى لقتال هيمان بن عدى السدوسى - ثم أمد الحجاج الجيش « بالخيال الرائقة والسلاح  
الكامل » فسمى « جيش الطواويس لحسنه » . (١٥) بالأصل : وبيض .

وبلغ الخبر إلى الفرنج من بقي منهم بالساحل لم يسر (١) إلى مصر ، فجاؤا في حدهم وحديدهم ،  
 وعدهم وعديدهم ، وقضهم وقضيتهم ، وملوكهم وفرسانهم ، وأساقفتهم ورهبانهم ، قد حشدوا  
 حتى أرباب الصوامع . ولم يشعروا أنهم رزق الذئب والخوامع ، وأقبلوا (٢) إليه رجالا وعلى كل  
 ضامر (٣) ، في كل قرن مساور وبطل مهاصر ، قد ألّف النزال ، واعتاد اقتناص الأبطال ، فهم  
 لكثرتهم من كل حذب (٤) ينسلون ، فارتاع لكثرتهم المسلمون . وكان مقدم الفرنج البرنس صاحب  
 أنطاكية ، والقمص صاحب طرابلس وأعمالها ، وابن جوسلين — وهو من مشاهير (١٣٩ — أ)  
 الفرنج وأبطالها ، والدوك — وهو رئيس الروم ومقدمها — وجمعوا معهم من الراجل مالا  
 يقع عليه الإحصاء ، قدماء الأرض وحججوا بقسطلهم السماء ، فحرض نور الدين أصحابه ،  
 وأطمع فيهم أحزابه ، وفرق نفائس الأموال ، على شجعان الرجال ، فلما قاربه الفرنج رحل عن  
 حارم إلى أرتاح (٥) ، وهو إلى لقائهم قد ارتاح ، وإنما رحل طمعا أن يتبعوه ، ويتمكن منهم ببعدهم عن  
 بلادهم إذا لقوه ، فساروا حتى نزلوا على « عم (٦) » ، وهو على الحقيقة تصحيف ما لقوه من الغم ،  
 ثم تيقنوا أنهم لا طاقة لهم بقتاله ، ولا قدرة لهم على نزاله ، فعادوا إلى حارم وقد حرمتهم كل خير ،  
 وحلت إليهم كل وهن وضير ، فلما عادوا عن « عم » تبعهم نور الدين في عساكر المسلمين ، وأبطال  
 الموحدين على تعبئة الحرب ، فلما تقاربوا إصطفوا للقتال ، وتهايا والنزال ، وتدانى الخطى ، وكشف  
 الغطاء ، وبدأت الفرنج بالحملة على ميمنة المسلمين وبها عسكر حلب وفخر الدين ، فبددوا نظامهم ،  
 وزلزلوا (١٣٩ — ب) أقدامهم ، وولوهم الأدبار ، وركنوا إلى الفرار [ فتبعهم الفرنج (٧) ] .  
 وكانت تلك الفرقة من الميمنة عن اتفاق ورأى دبروه ، ومكر بالعدو مكروه ، وهو أن يبعدهم عن  
 راجلهم ، فيميل عليهم من يبق من المسلمين ويضعوا فيهم السيوف ، ويرغموا منهم الأنوف ، فإذا  
 عاد فرسانهم من أثر المنهزمين ، لم يلقوا راجلا يلجأون إليه ، ولا وزرا يعتمدون عليه ، ويعود المنهزمون  
 في آثارهم ، يكسعون أديبارهم ، وتأخذهم سيوف الله من بين أيديهم ومن خلفهم ، فيعجل لهم بوارهم  
 وحتفهم . وكان الأمر على مادبر ، والحال على ما قدر ، فإن الفرنج لما تبعوا المنهزمين ، عطف زين الدين  
 في عسكر الموصل على راجلهم فأفناهم قتلا وأسرا ، وعادت (٨) خيالتهم ولم يبعنوا (٩) في الطلب خوفا على  
 راجلهم من العطب ، فصادفوا راجلهم على الصعيد معفرين (١٠) ، وبدماهم مضر جين (١١) ، فسقط في (١٢)

(١) بالأصل : ير . (٢) بالأصل : واقبلوا . (٣) بالأصل : ضام . (٤) بالأصل : حرب .  
 (٥) أرتاح : في ( ياقوت ) : بالفتح ثم السكون وتاء فوقها نقطتان وألف وحاء مهملة . لاسم حصن منبع كان من  
 المواسم ، من أعمال حلب . (٦) عم : في ( ياقوت ) : بكسر أوله وتشديد ثانيه . ولا أراها إلا أجمية لأصل  
 لها في العربية . وهي قرية غناء ذات عيون جارية وأشجار متدانية ، بين حلب وأنطاكية ، وكل من بها اليوم (في زمن  
 ياقوت) نصارى . (٧) الإضافة من ، الكامل ( ٨٦/ص/٩/ح ) .  
 (٨) بالأصل : وعاد . (٩) بالأصل : يبعنوا . (١٠) بالأصل : مرفين .  
 (١١) بالأصل : مصرخين . (١٢) بالأصل : ما في . (وقد أسقط المحقق ، اللفظ : ما ، لأنه زائد) .

أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا ، وخضعت رقابهم وذلوا ، فلما رجعوا عطف حينئذ المنهزمون أعنتهم ، وعاودوا كرتهم بعد فرتهم ، فبقي العدو (١٤٠ - أ) في الوسط وقد أحدق بهم المسلمون من كل جانب ، وحمل الوطيس ، وبأشر الحرب المرءوش والرئيس ، وقاتل الفرنج قتال من يرجو بإقدامه النجاة ، وحاربوا حرب من أيس من الحياة ، واشتد الزحام ، وعظم اللزام ، وبطل العامل (١) وعمل الحسام ، وانقضت العساكر الإسلامية عليهم انقضا الصقور على إناث الطيور ، فزقوهم بددا ، وجعلوهم طرائق قددا ، وألقى الفرنج بأيديهم إلى الأسار ، وعجزوا عن الهزيمة والفرار ، فأكثر المسلمون فيهم القتل ، وأوردوهم (٢) مناهل الفناء والهلاك ، فزادت عدة (٣) القتلى على عشرة ألف وأما الأسرى فلم يحصوا كثرة ، ويكفيك دليلا على كثرتهم ، أن ملوكهم أسروا ، مثل : البرنس يميند صاحب أنطاكية ، والقمص صاحب طرابلس ، والدوك مقدم الروم ، وابن جوسلين ، وسار نور الدين بعد الكسرة إلى حارم فلما كان في الحادي والعشرين من رمضان .

وأشار أصحابه عليه (٤) بالمسير إلى أنطاكية ليملكها لخلوها (٥) من يحميها ويدفع عنها ، (١٤٠ - ب) فلم يفعل ، وقال : أما المدينة فأمرها سهل ، وأما القلعة التي لها فهي منيعة لا تؤخذ إلا بعد طول حصار ، وإذا ضيقنا عليهم أرسلوا إلى صاحب القسطنطينية وسلموها إليه ، وبجأورة يميند أحب إلى من جوار ملك الروم . وبث (٦) سراياه في تلك الأعمال والولايات فنهبوا وسبوا ، وأوغلوا في البلاد حتى بلغوا لاذقية ، وسويدا (٧) وغير ذلك وعاودوا سالمين .

ثم إن نور الدين أطلق يميند صاحب أنطاكية بمال جزيل أخذه منه ، وأسرى كثيرة من المسلمين أطلقهم .

## في ذكر خبر الواقعة (٨) التي (٩) جرت في حرب قلعة حارم (١٠)

قال صاحب التاريخ . وحكى أن السلطان نور الدين الشهيد — رحمه الله — لما كسرت ميسرة عسكره (١١) ، نزل عن فرسه وكشف رأسه وسجد لله عز وجل فسمع يقول : يا إلهي وسيدى ومولاى ،

(١) العامل : عادل الرمح ، ما بل السنان وهو دون النعيب . (٢) بالأصل : وأوردوهم . (٣) بالأصل : فزادة عدده . (٤) بالأصل : إليه . (٥) بالأصل : خلوها . (٦) بالأصل : ووثب . (٧) لسل ابن الأثير يقصد « السويداء » وهى حصن وديناء لأنطاكية ( السلوك ، ج ١ / ص ٥٦٧ / ١ - ١ / ١ ) التى تقع شمال اللاذقية . أما سويدا — أو — السويداء ، لم تكن ، أحدها بلدة قرب حران والآخر ، قرية بخوران من نواحي دمشق . وهما كما ترى ، بعيدان عن مكان المعركة (٨) بالأصل : وقعت (٩) بالأصل : الذى . (١٠) بالأصل : قلعة الروم . وهذا هو من ابن الأثير أو خطأ من الناسخ ، وبثبت هذا الوهم أو الخطأ سياق الخبر نفسه . وقلعة الروم ( كما فى باقوت ) تقع غربى القرات فى شماله بين ألبيرة وسيساط . (١١) يدل هذا الخبر على أن ابن الأثير لم يبطنا تفاصيل حرب حارم كاملة ، لا فى نصنا هذا ولا فى الكلام ، إذ لم يرد فى حرب حارم خبر هزيمة ميسرة جيش نور الدين ، وإنما ورد خبر هزيمة ميمنة الجيش التى كان متفقا عليها ، كما فى النص .

من محمود عبدك ابن زكي بن آقسنقر حتى لا تخذله ، إن تنصره تنصر دينك الذي أظهرته (١) لنبيك الذي أرسلته ، استجب دعائي ، وأحسن منقلي ومثواني (١٤١ - أ) ولا تشمت [ بي ] أعدائي ، ولم يزل متضرعا باكيا (٢) ، ويقلب وجهه على التراب ودموعه تجري على خديه ، إلى أن بلغه الله مراده من خذلانهم ونصره عليهم .

ومن عجائب (٣) الإتفاق ، ما حكاه كمال الدين بن العديم في كتاب « أخبار حلب » ، أن الزكي أحمد ابن مسعود الموصل المسمى أخبرني ، قال : كنت ألم بعلم الدين سليمان بن الجندار ، قال : فاتفق أن خرجت معه إلى حرب حارم في سنة تسع (٤) وخمسين وخمسمائة ، وجلست معه تحت شجرة هناك ، ومجد الدين أبو بكر بن الداية - داية الشهيد رحمه الله - وصلاح الدين يوسف بن أيوب تحت هذه الشجرة نتحدث ، ونور الدين الشهيد يحاصر حارم وهي في أيدي الفرنج ، فقال مجد الدين : أتمنى أن يفتح نور الدين حارم (٥) ويعطيني إياها نيابة . فقال صلاح الدين يوسف : أتمنى على الله تبارك وتعالى أن يفتح نور الدين الشهيد مصر ويعطيني إياها . ثم قال : تمن أنت أيضا بما تريد ، قلت : يا مولاي ، إذا كنت أنت صاحب مصر ومجد الدين (١٤١ - ب) صاحب حارم ، ما أصنع (٦) بينكما . فقالا : لا بد أن تمنى شيئا ، فقلت : إذا كان ولا بد من ذلك ، فأتمنى « عم » ، [ وبينما نحن (٧) في الكلام - والله تعالى قاض (٨) بما أراد في حكمه - فقدر الله عز وجل ، أن نور الدين كسر الإفرنج وفتح حارم ، وأعطاهما مجد الدين بن الداية ، وأعطاني قلعة « عم » ، وقدر الله ، أن أرسل نور الدين الشهيد رحمه الله تعالى ، أسدين شيركوه إلى مصر وفتح مصر على يده ، ثم آل الأمر إلى أن ملكها صلاح الدين يوسف بن أيوب ، على ما نذكر إن شاء الله تعالى الرحمن في وقته ، وتملك مصر ، والشام ، والشرق (٩) والكرك ، واليمن ، وبلاد الشرق وغرض الملوك والسلاطين ، وحاصر القلاع ، وفتح البلاد ، وجند الأجناد ، وهذه الجراكسة التي (١٠) هي اليوم ملوك مصر والشام ومحامي (١١) الحرمين الشريفين ، مالك نسل وذرية الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن السلطان الملك الكامل أبي المعالي (١٢) ناصر الدين محمد بن الملك العادل أبي بكر (١٣) بن أيوب ، أبو الملوك الأيووية .

(١) بالأصل : ظهرته

(٢) بالأصل : بالياً . (٣) بالأصل : العجائب . (٤) بالأصل : بيعة ، وهذا تحريف من الناسخ والنس يؤكد تصحيحنا . (٥) بالأصل : حارم . (٦) بالأصل : لا أصنع . (٧) بالأصل : ونحوها . (٨) بالأصل : قاضي . (٩) لعل صيغة اللفظ : الشوك . لأن في النس أنه ملك « بلاد الشرق » ، أي الجزيرة . (١٠) بالأصل : الذي . (١١) بالأصل : محامين . (١٢) بالأصل : أبو المعالي . (١٣) بالأصل : أبا بكر .

## وفاة جمال الدين الوزير (١٤٢ — أ)

في شعبان من سنة تسع وخمسين وخمسمائة ، توفي الوزير جمال الدين (١) محبوسا . وكان له نحو سنة مذ مرض فمضى لسبيله .

[ وكان ] عظيم القدر والخطر ، كريم الورد والصدر ، عديم النظير (٢) في سعة نفسه . لم يرو في كتب الأولين ، أن أحدا من الوزراء اتسعت نفسه ومروءته ، كما اتسعت له نفس جمال الدين ، فلقد كان عظيم الفتوة ، كامل المروءة ، وسيرد من أخباره ما تعلم [ منها ] صحة قولي .

حكى لي جماعة عن الشيخ أبي القاسم — وهو رجل من الصالحين ، كان يتولى خدمة جمال الدين في محبسه — قال : لم يزل جمال الدين مشغولا بأمور آخرته مدة حبسه ، وكان يقول : كنت أخشى أن أتقل من الدست (٣) إلى القبر . قال : فلما مرض ، قال لي بعض الأيام : يا أبا القاسم ، إذا جاء طائر أبيض إلى الدار فعرفني . قال : فقلت في نفسي ، قد اختلط عقله ، فلما كان الغد ، أكثر السؤال عن ذلك الطائر ، وإذا طائر أبيض لم أر مثله قد سقط . فقلت له : جاء الطائر ، فاستبشر ثم قال : جاء الحق (١٤٢ — ب) وأقبل على الشهادة وذكر الله تعالى ، وتوفي . فلما توفي طار ذلك الطائر ، قال : فعلمت أنه رأى شيئا في معناه . ودفن بالموصل نحو سنة . وكان قد قال للشيخ أبي القاسم : إن بيني وبين أسد الدين شيركوه عهدا ، من مات منا قبل صاحبه حمله الحى إلى المدينة [ النبوية ] على ساكنها السلام ، فدفنه بها في التربة التي عملها ، فإذا أنامت فامض إليه وذكره (٤) . فلما توفي سار الشيخ أبو القاسم إلى أسد الدين في المعنى ، فأعطاه مالا صالحا ليحمله به إلى مكة والمدينة ، وأمر أن يحج معه جماعة من الصوفية ، ومن يقرأ بين يدي تابوته عند النزول والرحيل وقدم مدينة تكون في الطريق ، وينادون في البلاد للصلاة عليه ، ففعلوا ذلك . فكان يصلى عليه في كل مدينة خلق كثير . فلما كان « بالحلّة » ، اجتمع الناس للصلاة عليه ، وإذا شاب قد ارتفع على موضع عال ، ونادى بأعلى صوته ملعلعا يقول :

سرى نعشه فوق الرقاب وطالمنا      سرى جوده فوق الركاب وتأيله (٥)  
يمسر على الوادى فتثنى رماله      عليه وبالنادى (٦) فتبكي (٧) أرامله

(١٤٣ — أ) فلم ير باكبياً أكثر من ذلك اليوم . ثم وصلوا به إلى مكة ، وطافوا به حول

(١) هو محمد بن علي بن منصور الأصفهاني . (٢) بالأصل : النظر . (٣) الدست : الوزارة .

(٤) بالأصل : واذكره . (٥) عن الروضتين ( ح / ١ / ص / ١٣٧ ) وبالأصل : فضائله .

(٦) بالأصل : وينادى (والتصحيح من الروضتين ، ح / ١ / ص / ١٣٧) . (٧) عن الروضتين ( ح / ١ / ص / ١٣٧ )

وبالأصل : فيثني . ( وقد فضل المحقق ما في الروضتين ، فقد نقل أبو شامة الخبر والشعر من ابن الأثير .



الكعبة ، وصلوا عليه بالحرم (١) وحملوه إلى المدينة وصلوا عليه أيضاً . ودفنوه بالرباط الذى أنشأه بها ، بينه وبين قبر النبي ، نحو خمسة عشر ذراعاً .

## فى ذكره شىء من أخباره رحمه الله

كان رحمه الله أسخى الناس وأكثرهم عطاءً وبذلاً للمال ، رحماً بالناس متعظفاً عنهم ، عادلاً فيهم . فمن أعماله الحسنة ، أنه جدد بناء مسجد الخيف بمنى ، وغرم عليه أموالاً جزيلة عظيمة وبني الحجر بجانب الكعبة ، ورأيت اسمه عليه ، ثم غير وبني غيره سنة ست وسبعين وخمسمائة .

وزخرف الكعبة بالذهب والنقرة (٢) ، فكل ما فيها من ذلك ، فهو عمله إلى سنة تسع وستمائة . ولما أراد ذلك ، أرسل إلى الإمام المقتنى لأمر الله هدية جليلة حتى أذن له فيه ، وأرسل إلى أمير مكة ، عيسى بن أبى هاشم ، خلعا سنوية وهدية كثيرة حتى مكنته [ منه ] .

وعمر أيضاً المسجد الذى (١٤٣ — ب) على جبل (٣) عرفات ، وعمل الدرج التى يصعد فيها إليه ، وكان الناس يلقون شدة فى صعودهم .

وعمل بعرفات [ أيضاً ] مصانع للماء ، وأجرى الماء إليها من نهران (٤) فى طرق معمولة تحت الجبل مبنية بالسكس ، فغرم على ذلك مالا كثيراً . وكان يعطى أهل نهران كل سنة مالا [ كثيراً (٥) ] ليتركوا (٦) الماء يجرى إلى المصانع أيام مقام الحاج بعرفات ، فكان الناس يجدون به راحة عظيمة .

ومن أعظم الأعمال التى عملها نفعا ، أنه بنى سوراً على مدينة النبي صلى الله عليه وسلم ، فإنها كانت بغير سور تنهبها الأعراب ، وكان أهلها فى ضنك وضر معهم ، رأيت بالمدينة إنسانا يصلى الجمعة ، فلما فرغ ترحم على جمال الدين ودعاه ، فسألتاه عن سبب ذلك ، فقال : يجب على كل من بالمدينة أن يدعو له ، لأننا كنا فى ضر وضيق ، ونكد عيش مع العرب ، لا يتركون لأحدنا ما يوارى عورته ، ولا ما يشبع جوعته ، فبنى علينا سوراً لإحتمينا به من يريدنا بسوء ، فاستغنيا (٧) فكيف لاندعو (٨) له (١٤٤ — أ) وكان الخطيب بالمدينة يقول فى خطبته : اللهم صن حريم من صان حريم نبيلك بالسور ، محمد بن على بن أبى منصور . فلو لم يكن له إلا هذه المكرمة لكفاه نفراً ، فكيف وقد كانت صدقاته تجوب شرق الأرض وغربها .

(١) بالأصل : الجرم . (٢) النقرة : النضة . (المعجم فى اللغة الفارسية) . (٣) بالأصل : الجبل . (٤) نهران : فى ( باقوت ) : بالفتح ثم السكون وآخره نون . واد بين مكة والطائف . (٥) الإضافة من ، الروضتين (ح/١/ص/١٣٧) . (٦) بالأصل : ليتركوه . (٧) بالأصل : فاستغنيا . (والتصحيح من الروضتين ، ح/١/ص/١٣٧) . (٨) بالأصل : تدعوا .

وسمعت عن متولى ديوان صدقاته التي يخرجها على [باب (١)] داره للفقراء سوى الإدراجات والتعهدات ، قال : كان له كل يوم مائة دينار يتصدق بها على باب داره .

ومن أبنيته (٢) العجيبة التي لم ير الناس مثلها ، الجسر الذي بناه على الدجلة عند جزيرة ابن عمر بالحجر المنحوت والحديد والرصاص والسكس ، إلا أنه لم يفرغ لأنه قبض قبل فراغه . وبنى أيضاً جسراً على نهر الأريار عند الجزيرة أيضاً .

وبنى الربط بالموصل ، وسنجار ، ونصيبين ، وغيرها . وقصده الناس من أقطار الأرض ويكفيه أن الذي احتاج إليه [مثل] ابن الخجندی (٣) رئيس أصحاب الشافعي بأصفهان ، وابن الكافي قاضي [قضاة (٤)] همدان وقصده (٥) ، فأخرج عليهما (٦) مالا جزيلاً ، وكذلك غيرهما (٧) من الصدور ، والعلماء ، ومشايخ الصوفية .

وصارت الموصل في أيامه (١٤٤ - ب) مقصداً وملجأً . وكان أحب الأشياء إليه إخراج المال في الصدقات ، فكان يضيق على نفسه ويبته ليتصدق . حكى لي والدي قال : كنت يوماً عنده وقد أحضر بين يديه قنذراً ليعمل على وبر له ليلبسه بخمسة دنانير ، فقال : هذا كثير ، اشتروا لي قنذرا بدينارين وتصدقوا بثلاثة دنانير . قال : فراجعناه غير مرة فلم يقبل . وحكى لي من أثق إليه من العدول بالموصل : إن الأقوات تعذرت في بعض السنين بها وغلت الأسعار ، وكان بالموصل رجل (٨) من الصالحين ، يقال له الشيخ عمر الملاء ، فأحضره جمال الدين وسلم إليه مالا ، وقال له : تخرج هذا المال على مستحقه ، وكلما فرغ أرسل إلى لأنفذ (٩) غيره فلم تمض إلا أيام يسيرة ، حتى فرغ ذلك المال لكثرة المحتاجين ، فأرسل إليه يعرفه بنفاد ذلك المال ، فأنفذ له شيئاً آخر فقضى ، ثم أرسل يطلب ما يخرج ، فقال جمال الدين للرسول : والله ما عندي شيء ، ولكن خذ هذه المحافر [التي في داري (١٠)] وتصدقوا بئنها [إلى أن يأتيني شيء آخر فإرسله إلى الشيخ عمر ، فبيعت وتصدقوا بئنها (١١)] وعرفوه ذلك ، فلم يكن (١٤٥ - أ) عنده ما يرسله ، فأعطاه ثيابه التي كان يلبسها مع العمامة التي على رأسه وأرسل الجميع ، وقال للرسول : قل للشيخ : لا يمتنع من الطلب فهذه أيام مواساة ، فلما وصات الثياب إلى الشيخ عمر ، بكى وباعها وتصدق بئنها . وحكى لي بعض الصوفية ممن كان يصحب الشيخ عمر النسائي شيخ الشيوخ بالموصل ، قال : أحضرني الشيخ وقال لي : إنطلق إلى مسجد الوزير (١٢) - وهو بظاهر

(١) لإضافة من ، الروضتين (ح/١/ص/١٣٨) . (٢) بالأصل : أبنيه .

(٣) هو صدر الدين أبو بكر بن عبد اللطيف الخجندی توفي سنة ٥٥٣ هـ (شذرات الذهب ، ح/٥/ص/١٦٣) .

(٤) لإضافة من الروضتين (ح/١/ص/١٣٨) . (٥) بالأصل : قصده . (٦) بالأصل : عليهم .

(٧) بالأصل : غيره . (٨) بالأصل : رجلى . (٩) بالأصل : لا ينفذ . (١٠) لإضافة من ،

الروضتين (ح/١/ص/١٣٨) (١١) لإضافة من ، الروضتين (ح/١/ص/١٣٨) .

(١٢) بالأصل : وزير (والتصحيح من الروضتين ، ح/١/ص/١٣٨) .

الموصل - واقعد هناك ، وإذا أتاك شيء فاحفظه إلى أن أحضر عندك ، فعلت ، وإذا قد أقبل جمع كثير من الحمالين يحملون أحمالاً من النصافي والحام ، وإذا قد جاء نائب جمال الدين مع الشيخ ، ومعها قماش كثير وثمانية عشر ألف دينار وعدد كثير (١) من الجمل ، فقال لي : تأخذ هذه الأحمال وتسير إلى الرحبة ، فتوصل هذه الرزمة وهذا الكتاب إلى متوليها فلان ، فإذا أحضر لك فلانا العربي توصل [إليه] هذه الرزمة الأخرى وهذا الكتاب وتسير معه ، فإذا أوصلك إلى فلان العربي توصل إليه هذه الرزمة وهذا (١٤٥ - ب) الكتاب (٢) ، وهكذا إلى المدينة على ساكنها السلام ، توصل إلى وكيلي فلان هذه الأحمال وهذه الكسوات والمال الذي (٣) عليها اسم المدينة ليخرجها بمقتضى ما في هذه الجريدة ، ثم تأخذ الباقي الذي عليه اسم مكة وتسير إليها فيتصدق به وكيلي بها على ما في هذه الجريدة الأخرى .

قال : فسرنا كذلك إلى وادي القرى ، فرأينا به نحو مائة جمل تحمل الطعام إلى المدينة وقد منعهم خوف الطريق ، فلما رأونا ساروا معنا إليها ، فوصلناها والحنطة بها كل صاعين بدينار مصرى - والصاع خمسة عشر رطلاً بالبغدادى - فلما رأوا الطعام والمال ، اشتروا كل سبعة أصوع بدينار ، فضج أهل المدينة بالدعاء له . ثم سرنا إلى مكة ففعلنا ما أمرنا (١٤٦ - أ) وحكى لي والدي ، قال : رأيت جمال الدين بالرقعة ، وقد حضر عنده رجل فقيه قبل أن يصير وزيراً وطلب شيئاً ، وتردد إليه عدة أيام ثم انقطع ، فسأل عنه ، فقيل إنه سافر ، فشق ذلك عليه ، ثم قال : هكذا تتصرف الأحرار عن أبواب السكاب ، وكرر ذلك غير مرة ، ثم سأله عنه فقيل : إنه سار نحو ماردين ، فأرسل إليه خلعة ونفقة إلى ماردين ، ولورمت شرح مفردات أعماله لأطلت وأضجرت وهي ظاهرة لاحتجاج إلى بيان ، فلهذا تركنا أكثرها .

### ذكر فتح قلعة بانياس (٤)

في سنة ستين وخمسة (٥) فتح نور الدين قلعة بانياس من الفرنج ، وكان قد سار إليها بعد عوده من فتح حارم ، فأذن لعسكر الموصل وديار بكر بالعود إلى بلادهم ، وأظهر أنه يريد طبرية ، فجعل من بقي من الفرنج همهم حفظها وتقويتها ، فسار نور الدين مجدداً إلى بانياس لعلمه بقلعة من فيها من الحماة الممانعين (٦) عنها ، ونازلها وضيق عليها وقتلها . وكان في جملة عسكره أخوه نصر الدين أمير أميران (١٤٦ - ب) فأصابه سهم أذهب إحدى عينيه . فلما رآه نور الدين قال له : لو

(١) بالأصل : كثيرة .

(٢) وردت بعض المراحل من « الرحبة » إلى « المدينة » مكررة بالأصل ، وقد اعتمد المحقق في ضبطها على أبي

شامة (الروضتين ، ج ١/ص ١٣٨) ، حيث نقل الخبر من « النص » . (٣) بالأصل : التي .

(٤) بالأصل : بانياس . (٥) في ، السكامل (ج ٩/ص ٨٧) أن فتح بانياس كان في ذي الحجة سنة ٥٥٩ .

(٦) بالأصل : للمانيين .

كشف لك عن الأجر الذي أعد لك لتمتيت ذهاب الأخرى ، وجد في حصارها ، وسمع الفرنج بذلك فجمعوا ، فلم تكامل عدتهم حتى فتحها ، على أن الفرنج كانوا قد ضعفوا بقتل رجالهم بحارم وأسرهم ، فملك القلعة وملاها ذخائر وعدة ورجالا .

وعاد نور الدين إلى دمشق ، وفي يده خاتم بقص ياقوت من أحسن الجواهر ، فسقط من يده في شعراء (١) بانياس - وهي كثيرة الأشجار ملتفة الأغصان - فلما أبعده من المكان الذي ضاع فيه الفص علم به ، فأعاد بعض أصحابه في طلبه ودلهم على مكانه ، وقال : أظن أنه هناك ضاع ، فعادوا إليه فوجدوه ، فقال بعض الشعراء الشاميين ، أظنه ابن منير من أبيات يمدحه ويهنته بهذه (٢) الغزاة وعود الجبل الياقوت . شعر (٣) :

إن تـمـتر الشكاك فيك بأذك المد  
فلعودة الجبل الذي أضلته  
(١٤٧- أ) مسترجعا لك بالسعادة آية (٤)  
لم يعطها إلا سليمان وقد  
زجر جرى لسرير ملكك إنه  
فـلـو البحار السبعة استهوينه  
يهدى مطفي جمرة الدجال  
بالأس بين غياطل وجبال  
ردت مطال الفال غير مطال  
نلت الرباء بموشك الاعجال  
كسريه عن كل حسد عال  
وأمرتهن قذفنه في الحال

ولما فتح الحصن ، كان ولد معين الدين أنز - الذي سلم بانياس إلى الفرنج - قائما على رأسه ، فالتفت إليه وقال له : للناس بهذا الفتح فرحة واحدة ولك فرحتان . فقال : كيف ذلك . قال : لأن اليوم برد الله جلدة والدك من نار جهنم .

### ذكر فتح المنيطرة على يد الشهيد رحمه الله

في سنة إحدى وستين وخمسمائة ، سار نور الدين إلى حصن المنيطرة (٥) - وهو أيضاً للفرنج - ولم يحشد له ولا جمع عساكره ، إنما سار [ إليه ] على غرة (٦) من الفرنج ، وعلم أنه إن جمع العساكر حذروا وجمعوا ، فاتهز الفرصة وسار إلى المنيطرة (١٤٧ - ب) وحصرها ، وجد في قتالها وأخذها عنوة وقهرا ، وقتل من بها وسبي وغنم غنيمة كثيرة لأمن من بها (٧) فأخذتهم خيل الله بغتة وهم لا يشعرون . ولم يقدر الفرنج على أن يجتمعوا للدفعه إلا وقد ملكه . ولو علموا أنه جريدة (٨) لأسرعوا إليه ، إنما لم يظنوا إلا أنه في جمع كثير . فلما ملكه تفرقوا وأيسوا منه .

(١) بالأصل : شعره . (والنصحیح من : الكامل ٣ / ٩ / ٨٧) .  
(٢) بالأصل : يقول شعر ( وقد اسقط الحقق ، اللفظ : يقول ، لأنه زائد ) .  
(٣) المنيطرة : في ( ياقوت ) : حصن بالشام قريب من طرابلس .  
(٤) بالأصل : أنه .  
(٥) بالأصل : غيره .  
(٦) الجريدة : الفرقة من العسكر الحياطة لا رجالة فيها ( محيط المحيط ) .  
(٧) بالأصل : به .  
(٨) الجريدة : الفرقة من العسكر الحياطة لا رجالة فيها ( محيط المحيط ) .

## ذكره عودة أسد الدين شيركوه إلى مصر مرة أخرى

في ربيع الآخر من سنة اثنتين وستين وخمسة ، عاد أسد الدين وسار (١) إلى مصر . وكان بعد عودته من مصر ، لا يزال يحدث نفسه بقصدها ومعاودتها ، حرصا على الدخول إليها ، يتحدث به مع كل من يثق (٢) إليه . وكان مما يهيجه على العود ، زيادة حقه على شاور وما عمل معه . فلما كان هذه السنة تجهز وسار إليها ، وسير معه الملك العادل نور الدين محمود جماعة من الأمراء ، فجد في السير على البر ، وترك بلاد الفرنج عن يمينه ، فوصل إلى الديار المصرية ، فقصده [إطفيح (١٤٨ - أ) ] وعبر النيل (٣) عندها إلى الجانب الغربي ، ونزل بالجيزة مقابل مصر ، وتصرف في البلاد الغربية (٤) ، وأقام بها نيفا وخمسين يوما .

وكان شاور لما بلغه مجيء أسد الدين ، قد راسل الفرنج يستغيث بهم ويستصرخهم ، فأتوه على الصعب والذلول ، فثار يحثهم طمعهم في ملك مصر على الجد والتشمير ، وتارة يحدوهم خوفهم أن يملكها العسكر النورى ، فجدوا على الإسراع في المسير ، فالرجاء يقودهم والخوف يسوقهم ، فلما وصلوا إلى مصر عبروا إلى الجانب الغربي ، وكان أسد الدين والعسكر النورى قد ساروا (٥) إلى الصعيد ، فبلغوا (٦) مسكنا يعرف بالبابين ، وسارت العساكر المصرية والفرنجة وراءه ، فأدركوه به في الخامس والعشرين من جمادى الأولى (٧) ، وكان قد أرسل إليهم جواسيس ، فعادوا وأخبروه بكثرة (٨) عددهم وعددهم وجددهم في طلبه ، فعزم على لقاءهم وقتالهم وأن تحكم السيوف بينه وبينهم ، إلا أنه خاف من أصحابه أن تضعف نفوسهم عن الثبات في (١٤٨ - ب) في هذا المقام الخطر ، الذى عطبهم فيه أقرب من السلامة ، لقلته عددهم وبعدهم عن بلادهم ، فاستشارهم ، فكلهم أشار عليه بعبور النيل إلى الجانب الشرقى والعود إلى الشام ، وقالوا له : إن نحن انهنرنا - وهو الذى لاشك فيه - فإلى أين نلتجىء وبمن نختصم (٩) ، وكل من في هذه الديار من جندى وعامى وفلاح عدو لنا ، ويودون لو شربوا دماءنا ، ويحق لعسكر عدتهم ألفا فارس - قد بعدت ديارهم ونأى ناصرهم - أن ترتاع من [لقاء (١٠)] عشرات ألوف ، مع أن كل أهل البلاد

(١) بالأصل : سار . وقد اختلف المؤرخون في اليوم الذى سار فيه أسد الدين من دمشق إلى مصر . ففي الروضتين ( ١/ص/١٤٢ ) أن مسيره كان في ناسع ربيع الأول ، وفي مرآة الزمان ( ٨/ص/٢٦٨ ) في منتصف ربيع الأول ، وفي ابن شداد ( ٣٠/ص ) في ١٢ ربيع الأول . أما في الكامل ( ٩/ص/٩٥ ) في شهر ربيع الآخر ، دون تحديد اليوم . (٢) بالأصل : يثق . (٣) بالأصل : يبق . (٤) بالأصل : يبق . (٥) بالتصحيح من الروضتين ج/١/ص/١٤٣ ) وإطفيح ، كما في ( ياقوت ) ، بالكسر في أوله والفاء والياء ساكنة وجاء مهمله . بلد بالصعيد الأدنى من أرض مصر على شاطئ النيل في شرقيه . (٦) بالأصل : الغربية . (٧) بالأصل : سار . (٨) بالأصل : يبق . (٩) بالأصل : يبق . (١٠) الإضافة من ، الروضتين ( ١/ص/١٤٣ ) .

عدو لهم . فلما قالوا ذلك، قام إنسان من المهاليك النورية يقال له شرف الدين برغش — وكان من الشجاعة بالمكان المشهور — وقال : من يخاف القتل والجراح فلا يخدم المملوك ، بل يكون فلاحا أو في بيته مع النساء ، والله لئن عدتم إلى الملك العادل من غير غلبة وبلا عذر ثمذرون فيه ليأخذن إقطاعكم ، وليعودن عليكم بجميع ما أخذتموه منه منذ خدمتموه إلى يومنا هذا ، ويقول لكم : أتأخذون ( ١٤٩ — أ ) أموال المسلمين وتفرون (١) عن عدوهم ، وتسلمون مثل الديار المصرية تنصرف فيها الكفار . فقال أسد الدين : هذا رأي وبه أعمل ، ووافقهما صلاح الدين يوسف ابن أيوب ، ثم كثر الموافقون لهم على القتال . فاجتمعت الكلمة على اللقاء ، فأقام بمكانه حتى أدركه المصريون والفرنج وهو على تعبته ، وقد جعل الأثقال في القلب يتكثربها ، ولأنه لم يمكنه أن يتركها بمكان آخر فتنهبها أهل البلاد . ثم إنه جعل صلاح الدين ابن أخيه في القلب ، وقال له ولمن معه : إن الفرنج والمصريين يظنون أنني في القلب ، فهم يجعلون جرتهم بإزائه وحملتهم عليه ، فإذا حملوا عليكم ، فلا تصدقوهم القتال ولا تهلكوا نفوسكم ، واندفعوا بين أيديهم ، فإذا عادوا عنكم فارجعوا في أعقابهم . واختار من شجعان أصحابه جمعا يثق إليهم ويعرف صبرهم وشجاعتهم ، ووقف بهم في الميمنة ، فلما تقابل الطائفتان ، فعل الفرنج ما ذكره أسد الدين وحملوا على القلب ظنا منهم أنه فيه ، فقاتلهم من به قتالا يسيرا ( ١٤٩ — ب ) وانهمزوا بين أيديهم فتبعوهم ، فحمل حينئذ أسد الدين فيمن معه على من تخلف من الذين (٢) حملوا [ على القلب (٣) ] — من المسلمين والفرنج — فهزمهم ووضع السيف فيهم فأثخن فيهم الجراح ، وأكثرت القتل والأسر وانهمز الباقون . فلما عاد الفرنج من أثر المنهزمين الذين كانوا في القلب ، رأوا مكان المعركة من أصحابهم بلقعا ليس بها منهم ديار ، فانهمزوا أيضا . وكان هذا من أعجب ما يورخ ، أن ألقى (٤) فارس تهزم عساكر مصر وفرنج الساحل .

### ذكره ملك أسد الدين ثغر الإسكندرية (٥)

لما انهمز المصريون والفرنج من أسد الدين بالبايين سار إلى ثغر الإسكندرية ، وجبى (٦) ما في طريقه من (٧) القرايا والسواد من الأموال ، ووصل إلى الإسكندرية فتسلمها بغير قتال ، سلمها أهلها إليه . فاستتاب بها صلاح الدين ابن أخيه وعاد إلى الصعيد ، فلكه وجبى أمواله ، وأقام به حتى صار شهر رمضان .

(١) بالأصل : وتفرون . ( والتصحیح من الروضتين ، ح/١/ص/١٤٣ ) (٢) بالأصل : عن الفرنج الذين ... (وقد أسقط المحقق لفظ : الفرنج ، لأنه زائد) . (٣) الإضافة ، من الروضتين ( ح/١/ص/١٤٣ ) . (٤) بالأصل : ألف . ( والتصحیح من النص نفسه ص/١٣٢ ) . (٥) بالأصل : ذكره ملك الشهيد رحمه الله ذكره ملكه ثغره الإسكندرية . ( والتصحیح والترتيب من السكاهل ح/٩/ص/٩٥ ) . (٦) بالأصل : وجبى . (٧) بالأصل : في .

وأما المصريون والفرنجة فإنهم عادوا إلى القاهرة وجمعوا أصحابهم ، وأقاموا عوض من قتل منهم ، واستكثروا وحشدوا وساروا إلى (١٥٠- أ) الإسكندرية - وبها صلاح الدين - في عسكر يمنعونها منهم ، فقد أعانهم أهلها خوفاً من الفرنج . فاشتد الحصار ، وقل الطعام بالبلد ، فصر أهلها على ذلك .

ثم إن أسد الدين سار من الصعيد نحوهم (١) - وكان شاور قد أفسد بعض من معه من التركان - ووصلته رسل المصريين والفرنجة يطلبون الصلح ، وبذلوا له خمسين ألف دينار سوى ما أخذه من البلاد ، فأجابهم إلى (٢) ذلك . وشرط أن الفرنج لا يقيمون بمصر ولا يتسلمون منها قرية واحدة ، وأن الإسكندرية تعاد إلى المصريين ، فأجابوا إلى ذلك واصطلحوا ، وعاد إلى الشام ، فوصل دمشق ثامن عشر ذى القعدة (٣) ، وتسلم المصريون الإسكندرية في النصف من شوال .

وأما الفرنج فإنهم استقر بينهم وبين المصريين ، أن يكون لهم بالقاهرة شحنة ، وتكون أبوابها بيد فرسانهم ، ليمتنع الملك العادل نور الدين من إنفاذ (٤) عسكر إليهم ، ويكون للفرنج من دخل مصر كل سنة مائة ألف دينار . هذا جميعه يجرى بين الفرنج وشاور . وأما العاضد صاحب مصر (١٥٠ - ب) فليس له من الأمر شيء ، ولا يعلم بشيء من ذلك ، قد حكم شاور عليه وحجبه . وعاد الفرنج إلى بلادهم ، وتركوا جماعة من فرسانهم ومشاهير أعيانهم بمصر والقاهرة على القاعدة المذكورة .

ثم إن الكامل شجاع بن شاور راسل الملك العادل نور الدين مع شهاب الدين محمود الخارمي - وهو من أكابر أمراءه ، وخال صلاح الدين يوسف - ينهى محبته وولائه ، ويسأله أن يأمره بإصلاح الحال وجمع السكمة بمصر على طاعته وجمع كلمة الإسلام ، وبذل ما لا يحمله كل سنة ، فأجابته إلى ذلك ، وحمّلوا إلى نور الدين ما لا جزيلاً ، فبقي الأمر على ذلك إلى أن قصد الفرنج مصر لئلا يملكها ، فكان ما نذكره إن شاء الله تعالى .

## عصيان غازي

في هذه السنة عصى الأمير غازي بن حسان المتبجعي [ صاحب منبج ] بها على نور الدين - وكان هو أقطعها إياها - فأرسل إليه نور الدين عسكراً حصره بها وأخذها منه ، وأقطعها أخاه

(٢) بالأصل : على .

(٣) بالأصل : ذى الحجة القعدة . (والتصحيح من ، الروضتين ، ح/١/ص/١٤٣) .

(٤) بالأصل : انقاد .

قطب الدين ينال بن حسان ، وكان عاقلا خيرا حسن السيرة ، فبقى بها إلى أن أخذها صلاح الدين ( ١٥١ - أ ) منه سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة .

## ذكر مفارقة زين الدين الموصل ووفاته وولاية

### نحر الدين عبد المسيح قلعة الموصل

في سنة ثلاث وستين وخمسمائة ، سار زين الدين علي بن بكتكين ، نائب أتابك قطب الدين عن الموصل ، إلى إربل ، وسلم جميع ما كان بيده من البلاد والقلاع إلى أتابك قطب الدين ، فمن ذلك سنجان ، وحران ، وقلعة عقر الحميدية ، وقلاع الهكارية جميعها . وكان نائبه بتكريت الأمير تبر ، فأرسل إليه ليسلمها ، فقال : إن المولى أتابك لا يقيم بتكريت ، ولا بد له من نائب فيها ، وأنا أكون ذلك النائب فليس له مثلي ، فما أمكن محاقفته لأجل مجاورة بغداد . وأما شهرزور فكان بها الأمير بوزان ، فقال مثله أيضا ، فأقرت بيده ، وكان في طاعة أتابك قطب الدين .

وسبب فراق زين الدين ، أنه أصابه عمى وصمم ، وأقام بإربل إلى أن توفي بها من سنته وكان قد استولى عليه الهرم ، وضعفت قوته . وكان خيرا عادلا ، حسن السيرة ، جوادا ( ١٥١ - ب ) محافظا على حسن العهد وأداء الأمانة ، قليل الغدر بل عديمه . وكان إذا وعد بشيء لا بد له من أن يفعله وإن كان فعله خطيرا ، وكان حاله من أعجب الأحوال ، بينما يبدو منه ما يدل على سلامة صدره وغفلته ، حتى يبدو منه ما يدل على إفراط الذكاء وغلبة الدهاء . بلغني أنه أتاه بعض أصحابه بذنب فرس ذكر أنه نفق له ، فأمر له بفرس ، فأخذ ذلك الذنب أيضا غيره من الأجناد وأحضره وذكر أنه نفق له دابة ، فأمر له بفرس ، فتداول ذلك الذنب اثنا عشر رجلا كلهم يأخذ فرسا ، فلما أحضره آخرهم ، قال له : أما تستحيون مني كما أستحي منكم ، قد أحضر هذا الذنب عندي اثنا عشر رجلا وأنا أتغافل لئلا يخجل أحدكم ، أتظنون أنني لا أعرفه ، بلى والله ، إنما أردت أن يصلحكم عطائي بغير من ولا تكدير ، فلم تتركوني ، وأمر له بفرس آخر ، كما قال بعضهم في شأنه :

ليس الغبي بسيد (١) في قومه لكن سيد قومه المتغابي

( ١٥٢ - أ ) وكان يعطى كثيرا ويخلع عظيما ، وكان له البلاد الكثيرة فلم يخلف شيئا ، بل أنفذه (٢) جميعه في العطاء والإنعام على الناس ، فكان يلبس الغليظ ، ويشد على وسطه كل ما يحتاج الجندی إليه من سكين ، ودرفش (٣) ، ومطرقة ، ومسللة ، وخيوط ، ودسترك (٤)

(١) بالأصل : سيد .

(٢) بالأصل : انفذ . (والتصحيح من ، الروضتين - ١/ص/١٥٢) .

(٣) درفش : لفظ فارسي له أكثر من معنى ، منها : مخراز ، وهو المعنى المقصود هنا . (المعجم في اللغة الفارسية) .

(٤) دسترك : لفظ فارسي ، معناه ، منشار صغير . (المعجم في اللغة الفارسية) .



وغير ذلك . وكان من أشجع الناس ، ميمون (١) النقيبة (٢) لم تهزم له راية . وكان يقوم المقام الخطر فيسلم منه بحسن نيته . وكان تركيا أسمر اللون ، خفيف العارضين ، قصيراً جداً . وبنى مدارس وربطها بالموصل وغيرها . بلغني أنه منحه الخيص بيص (٣) ، فلما أراد الإنشاد قال له : أنا لا أدري ما تقول ، لكنني أعلم أنك تريد شيئاً ، وأمر له بخمسمائة دينار [وأعطاه] (٤) فرسا وخلعاً وثياباً ، يكون مجموع ذلك نحو ألف دينار . ومكازمه كثيرة تقتصر على بعضها .

ولما توفي كان الحاكم ياربلى خادمه مجاهد الدين قايماز والمتولى لأمرها . وولى بعد زين الدين ولده الملك المعظم مظفر الدين كوكبوري مدة ، ثم فارقه لخلف كان بينه (١٥٢ - ب) وبين مجاهد الدين ، وجرت أمور يطول ذكرها .

ولما فارق زين الدين الموصل ، إستتاب أتابك قطب الدين بالقلعة بعده مملوكه نخر الدين عبد المسيح ، فسلك غير طريق زين الدين ، فكرهه الناس وذموه ، فلم تطل أيامه . وسيجيء ذكر عزله سنة ست وستين وخمسمائة إن شاء الله تعالى .

## ملك نور الدين

قلعة جعبر من صاحبها وكيف [ملكها]

في أول سنة أربع وستين وخمسمائة ، ملك نور الدين قلعة جعبر وأخذها من صاحبها شهاب الدين مالك بن علي بن مالك (٥) العقيلي ، فكانت بيده ويد آباءه [من] قبله من أيام السلطان ملكشاه ، وقد تقدم ذكر ذلك . وهي من أمنع الحصون وأحسنها ، مطلة على الفرات ، لا يطمع فيها بحصار .

وأما سبب ملكها ، فإن صاحبها نزل منها يتصيد ، فأخذ بنو (٦) كلب أسيراً وحملوه إلى نور الدين في رجب سنة ثلاث وستين وخمسمائة ، فاعتقله بحجاب وأحسن إليه ، ورجعه في الإقطاع والمال ليسلم إليه القلعة فلم يفعل ، فعدل إلى الشدة والعنف وتهده فلم يفعل (١٥٣ - أ) أيضاً ، فسير إليها نور الدين عسكرياً مقدمه الأمير نخر الدين مسعود بن أبي علي بن الزعفراني فحصرها مدة فلم يظفروا منها بشيء ، فأمدهم بعسكر (٧) جرار ، وجعل على الجميع الأمير

(١) بالأصل ميمون . (٢) بالأصل : النقيبة . (٣) بالأصل : الخيص بيص . وهو الشاعر أبو الفوارس سعد بن محمد بن صفي ، توفي سنة ٥٧٤ هـ ، ترجمته في (شذرات الذهب ج٤/ص٢٤٧) ، ابن خلكان . (٤) الإضافة من الروضتين (ج١/ص١٥٢) . (٥) بالأصل : ملك . (٦) بالأصل : بنو . (٧) بالأصل : بعسكراً .

مجد الدين أبابكر المعروف بابن الداية - وهو رضيع نور الدين ، وهو واحد أمرائه - فحصرها أيضاً فلم ير (١) له فيها مطعماً ، فسلك مع صاحبها طريق اللين ، وأشار عليه أن يأخذ (٢) العوض من نور الدين مدينة سروج وأعمالها والملاحة التي بين حلب وباب بزاعة وعشرين ألف دينار معجلة ، وهذا إقطاع عظيم جداً لكنه لا حصن فيه . وتسلم نور الدين القلعة في أول هذه السنة ، ولما أخذها نور الدين سلمها إلى مجد الدين بن الداية . وكان هذا آخر ملك بنى مالك (٣) ولكل أمر أمد ، ولكل ولاية نهاية ، يوتى الملك من يشاء ، وينزعه ممن يشاء ، ويعز من يشاء ويذل من يشاء ، يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب . (١٥٣ - ب) بلغنى أنه قيل لشهاب الدين : أيما أحب إليك وأحسن مقاما ، سروج والشام [ أم ] القلعة . فقال : هذه أكثر مالا ، والعز بالقلعة فارقتاه .

## ذكر مسير أسد الدين شيركوه إلى مصر الثالثة وملكها

وقتل شاور وتملك أسد الدين سلطنة مصر

في ربيع الأول من سنة أربع وستين أيضاً ، سار أسد الدين شيركوه في العساكر النورية إلى ديار مصر وملكها واستولى عليها . وسبب ذلك ما ذكرناه من استيلاء الفرنج على البلاد بمصر ، وأنهم جعلوا لهم شحنة بمصر والقاهرة ، وأبواب البلدين قد سكنها فرسانهم والمفاتيح معهم ، وتحكوا وتحكوا كثيراً ، وحكموا على المسلمين حكماً جائراً (٤) ، فنال المسلمين منهم أذى شديد ، وجور عظيم ، وقهر زائد ، وطمعوا فيهم وأرسلوا حينئذ إلى ملكهم ، وهو « مرسي » ولم يكن ملك الفرنج مذ خرجوا إلى الشام مثله شجاعة ومكراً ودهاء يستدعونه ليملك البلاد ، وأعلموه خلوها من ممانع عنها ، وسهلوا أمرها عليه فلم يجبههم إلى المسير ، واجتمع فرسان الفرنج وذوو الرأي والتقدم (١٥٤ - أ) وأشاروا عليه بالمسير إليها والاستيلاء عليها ، فقال لهم : الرأي عندي أننا لا نقصدها فإنها طعمة لنا ، وأمواها تساق إلينا نتقوى بها على نور الدين ، وإن نحن قصدناها لنملكها ، فإن صاحبها وعساكره وعامة [ أهل (٥) ] بلاده وفلاحها (٦) لا يسلمونها إلينا ويقاتلوننا دونها ، ويحملهم (٧) الخوف منا على تسليمها إلى نور الدين ، وإن أخذها وصار له فيها مثل أسد الدين ، فهو هلاك الفرنج وإجلاؤهم (٨) من أرض الشام فلم يصغوا إلى قوله ، وقالوا : إن مصر لا مانع لها ولا حافظ ، وإلى أن يصل الخبر إلى نور الدين ويجهز العساكر ويسيرهم

(٢) بالأصل : ياخذنا .

(١) بالأصل : فلم يرى .

(٤) بالأصل : حازرا .

(٣) بالأصل : ملك .

(٦) بالأصل : وفلاحوها .

(٥) الإضافة من ، الروضتين ( ١/ص/١٥٤ ) .

(٨) بالأصل : فاجلاؤهم .

(٧) بالأصل : ويحملونها .

إليها ، نكون نحن قد ملكناها وفرغنا من أمرها ، وحينئذ يتمنى نور الدين منا السلامة فلا يقدر عليها . وكانوا قد عرفوا البلاد ، وانكشف لهم أمرها ، فأجابهم إلى ذلك على كره شديد ، وتجهزوا وأظهروا أنهم على قصد الشام وخاصة (١) مدينة حمص ، فلما سمع نور الدين [بذلك] كاتب عساكره وأجناده وأمرهم بالقدوم عليه .

وجد الفرنج ( ١٥٤ - ب ) في السير إلى مصر فقدموها ، ونازلوا مدينة بلبليس وحصروها ، فملكوها قهرا ونهبوها وسبوا أهلها مستهل صفر . وكان جماعة من أعيان المصريين منهم ابن الخياط وابن قرجلة قد كاتبوا الفرنج .

وساروا من بلبليس إلى مصر ، فنزلوا على القاهرة وحصروها عاشر صفر ، يخاف الناس منهم أن يفعلوا بهم مثل فعلهم بأهل بلبليس ، فحملهم الخوف منهم على الامتناع ، فحفظوا البلد وقتلوا دونه وبذلوا جهدهم في حفظه ، فلو أن الفرنج أحسنوا السيرة في بلبليس لملكوا مصر والقاهرة ، لكن الله تعالى حسن لهم ذلك ليقتضى أمرا كان مفعولا . وكان شاور [قد] أمر بإحراق مدينة مصر تاسع صفر قبل نزول الفرنج عليهم بيوم واحد خوفا عليها من الفرنج ، فبقيت النار فيها تحرقها أربعة وخمسين يوماً ، فأرسل الخليفة العاضد لدين الله صاحب ديار مصر إلى الملك العادل نور الدين يستغيث به ، ويعرفه ضعف المسلمين عن الفرنج ، وأرسل في الكتب شعور النساء ، وقال : هذه شعور نسائي ( ١٥٥ - أ ) من قصرى يستغيث بك لتتقذهن من الفرنج ، فقام نور الدين لذلك وقعد ، وشرع في تجهيز العساكر إلى مصر .

وأما الفرنج فإنهم اشتدوا في حصار القاهرة وضيقوا على من فيها ، وشاور هو متولى أمر البلد والعساكر والقتال ، فضايق به الأمر وضعف عن ردهم ، فأخذ إلى إعمال الخيلة ، فأرسل إلى ملك الفرنج يذكر له مودته ومحبة القديمة ، وأن هواه معه خوفاً من نور الدين والعاضد ، وإيما المسلمين (٢) لا يوافقونه على التسليم إليه ، ويشير بالصلح وأخذ مال لئلا يسلم البلاد إلى نور الدين ، فأجابه إلى الصالح على أخذ ألف دينار مصرية ، يعجل البعض ويؤخر البعض ، واستقرت القاعدة على ذلك . ورأى الفرنج أن البلاد قد امتنعت عليهم ، وربما سلمت إلى نور الدين فأجابوا كارهين ، وقالوا : نأخذ المال نتقوى به ، ونستكثر من (٣) الرجال ونعود إلى البلاد بقوة لا نبالي معها بنور الدين ولا غيره ، ﴿ ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين (٤) ﴾ فعجل (١٥٥ - ب) لهم شاور مائة ألف دينار وسألهم الرحيل عن البلد ليجمع لهم المال ، فرحلوا قريباً . وعاود العاضد مرارسة نور الدين وإعلامه مالتى المسلمون من الفرنج ، ويبذل له ثلث بلاد

(٣) بالأصل : ومن .

(٢) بالأصل : المسلمين .

(١) بالأصل : وخلصه

(٤) سورة آل عمران : ٥٤ .

مصر ، وأن يكون أسد الدين شيركوه مقبلاً عنده في عسكر ، وإقطاعهم عليه خارجاً عن الثالث الذى لنور الدين .

وكان نور الدين لما أتاه الرسل أولاً من العاضد ، قد أرسل إلى أسد الدين يستدعيه من حمص — وهى إقطاعه — فلما خرج القاصد من حلب لقي أسد الدين قد وصلها . وكان سبب وصوله أن كتب المصريين أيضاً وصلته فى المعنى ، فسار إلى نور الدين وهو بحلب واجتمع به ساعة وصوله ، فعجب نور الدين من ذلك وتفاءل به وسرد ، وأمره بالتجهز إلى مصر والسرعة فى ذلك ، وأعطاه مائتى ألف دينار سوى الثياب والدواب والآلات والأساحة وغير ذلك ، وحكمه فى العسكر والخزائن ، فاختر من العسكر ألفى فارس ، وأخذ المال ، وجمع من التركان ستة ألف فارس وسار (١٥٦ — أ) هو ونور الدين إلى دمشق ، فوصلها (١) سلخ صفر ، ورحلوا فى جميع العساكر إلى رأس الماء ، وأعطى نور الدين كل فارس من العسكر الذين مع أسد الدين عشرين ديناراً معونة له على طريقه ، غير محسوبة من القرار الذى له ، وأضاف إلى أسد الدين جماعة أخرى من الأمراء والمماليك ، منهم مملوكه عز الدين جرديك (٢) وعز الدين قليج ، وشرف الدين برغش (٣) ، وعين الدولة الباروقى ، وقطب الدين ينال بن حسان المنبجى ، وصلاح الدين يوسف ابن أيوب على كره منه ، ﴿وعسى أن تكروها شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم﴾ (٤) ، أحب نور الدين مسير صلاح الدين وفيه ذهاب بيته ، وكره صلاح الدين المسير وفيه سعادته ومملكه . وسيرد ذكر ذلك إن شاء الله تعالى عند موت شيركوه .

ثم إن أسد الدين شيركوه سار مجدداً من رأس الماء منتصف ربيع الأول ، فلما قارب مصر رحل الفرنج عنها عائدين إلى بلادهم بخفى حنين خائبين بما أملوا ، وسب ملكهم كل من أشار عليه بقصد مصر ، وبلغ خبر عودهم (١٥٦ — ب) نور الدين فسر ذلك وأظهر الاستبشار ، وأمر بضرب البشائر فى سائر بلاده ، وبث رسله إلى الآفاق مبشراً به ، والحق بيده ، فإنه كان فتيحاً جديداً لمصر وحفظاً لسائر بلاد الشام وغيرها .

وأما أسد الدين فإنه وصل إلى القاهرة سابع ربيع الآخر ودخلها ، واجتمع بالعاضد لدين الله ، فخلع (٥) عليه وعاد إلى خيامه ، وأجريت عليه وعلى عساكره الجرايات الكثيرة والإقامات الوافرة ولم يمكن شاور المنع عن ذلك ، لأنه رأى العساكر كثيرة بظاهر البلد ، ورأى هوى العاضد معهم من داخله ، فلم يتجاسر على إظهار ما فى نفسه فبكتمه ، وهو يماطل أسد الدين فى تقرير ما كان بذل

(١) بالأصل : فوصلها .

(٢) بالأصل : جورديك . (والتصحیح من ، الكامل ح/٩/ص/١٠٠) .

(٣) بالأصل : برعس . (٤) سورة البقرة : ٢١٦ . (٥) بالأصل : وخاع .

له من المال والإقطاع للعساكر، وإفراد ثلث البلاد لنور الدين، وهو يركب كل يوم إلى أسد الدين ويسير معه وبعده ويمنيه، ﴿وما يعدهم الشيطان إلا غروراً﴾ (١) ثم إنه عزم على أن يعمل دعوة لأسد الدين ومن معه من الأمراء ويقبض عليهم، فنهاه إبنه الكامل، وقال له: والله لئن عزمت على هذا الأمر لأعرفن (١٥٧ - أ) أسد الدين. فقال [له] أبوه: والله لئن لم أفعل هذا لنتقتل جميعاً. فقال: صدقت، ولئن نقتل ونحن مسلمون والبلاد بيد المسلمين، خير من أن نقتل وقدملكها الفرنج، وليس بينك وبين عود الفرنج إلا أن يسمعوا بالقبض على شيركوه، وخينئذ لو مشى العاضد إلى نور الدين لم يرسل فارساً واحداً ويملكون البلاد ويظهرون الفساد، فترك ما كان عزم عليه. فلما رأى العسكر [النورى] (٢) المطل من شاور، إتفق صلاح الدين بن أيوب وعز الدين جرديك وغيرهما على قتل شاور، وأعلموا أسد الدين بذلك فنهاهم، فقالوا: إننا لئس لنا في البلاد شيء مهمما هذا على حاله، فأنكر ذلك، فاتفق أن بعض الأيام سار أسد الدين إلى زيارة قبر الشافعي رضى الله عنه، وقصد شاور وعسكره على عادته للإجتماع به، فلقى صلاح الدين يوسف، وعز الدين جرديك ومعهما جمع من العساكر، فخدموه وأعلموه أن أسد الدين في الزيارة، فقال: نمضى إليه، فسار وهما معه قليلا، ثم ساوروه (٣) وألقوه عن فرسه فهرب أصحابه فأخذ أسيراً، ولم يمكنهم (١٥٧ - ب) قتله بغير أمر أسد الدين فسجنوه في خيمة وتوكلوا بحفظه، فعلم أسد الدين الحال فعاد مسرعاً ولم يمكنه إلا إتمام (٤) ما عملوه، وأرسل العاضد لدين الله صاحب مصر في الوقت إلى أسد الدين، يطلب منه رأس شاور ويحثه على قتله وتابع الرسل بذلك، فقتل شاور في يومه وهو السابع عشر من ربيع الآخر، وحمل رأسه إلى القصر، ودخل أسد الدين إلى القاهرة، فرأى من كثرة الخلق واجتماعهم ما خافه (٥) على نفسه، فقال لهم: أمير المؤمنين قد أمركم بنهب دار شاور، فقصدوا الناس ينهبونها فتفرقوا عنه، وقصد (٦) أسد الدين قصر العاضد، فخلع عليه خلع الوزارة ولقب الملك المنصور أمير الجيوش، وقصد دار الوزارة — وهي التي كان فيها شاور — فلم ير فيها ما يتعد عليه، واستقر في الأمر وغلب عليه، ولم يبق (٧) له منازع ولا مناوىء، وولى الأعمال من يثق إليه واستبد (٨) بالولاية، وأقطع البلاد العساكر التي قدمت معه إليها.

(٢) الإضافة من، الروضتين (ح/١/ص/١٥٧)

(١) سورة النساء: ١١٩

(٤) بالأصل: تمام. (٥) بالأصل: خاف. (والتصحیح من،

(٣) بالأصل: شاوروه.

الروضتين (ح/١/ص/١٥٧).

(٨) بالأصل: استبد.

(٧) بالأصل: يثق.

(٦) بالأصل: وقصدوا.

## ذكر وفاة أسد الدين شيركوه وملك صلاح الدين

يوسف بن أيوب (١٥٨ - أ)

﴿ حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة ﴾ (١) لما ثبت قدم أسد الدين شيركوه ، وخلا وجهه من يخافه ، وصفت له دنياه ، وارتفع شأنه ، وخافه القاصي والداني لاسيما الفرنج ، أتاه أمر الله الذي لا يحيد عنه ولا مفر منه ولا يحمى عليه ، ملك بكثرة رجال ولا يمنع عنه المعامل والمال ، فمرض وتوفي يوم السبت الثاني والعشرين من جمادى الآخرة سنة أربع وستين وخمسمائة ، فكانت ولايته شهرين وخمسة أيام .

ولما توفي كان معه صلاح الدين يوسف ابن أخيه نجم الدين أيوب بن شاذى ، قد سار معه على كره منه . حكى لى عنه أنه قال : لما وردت الكتب من مصر إلى الملك العادل نور الدين رضى الله عنه مستصرخين ومستنجدين ، أحضرتى وأعلمنى الحال ، وقال : تمضى إلى عمك أسد الدين بخص مع رسولى إليه ، يأمره بالحضور وتحته أنت على الإسراع فيما يحتمل الأمر التأخير . قال : ففعلت ، فلما فارقتا حلب على ميل منها لقيناه قادمًا فى هذا المعنى ، فقال له نور الدين : تجهز (٢) للسير ، فامتنع خوفًا من غدرهم أولاً (١٥٨ - ب) وعدم ما ينفقه فى العساكر ثانياً ، فأعطاه نور الدين الأموال والرجال ، وقال له : إن تأخرت أنت عن المسير إلى مصر ، فالمصلحة تقتضى أن أسير أنا بنفسى إليها ، فإننا إن أهملنا أمرها ملكها الفرنج ولا يبق [لنا] (٣) معهم مقام بالشام [وغيره] (٤) قال : فالتفت إلى عمى أسد الدين ، وقال : تجهز يا يوسف . [قال] (٥) : فكأنما ضرب قلبى بسكين ، فقلت : والله لو أعطيت ملك مصر ما سرت إليها ، فلقنه قاسيت بالإسكندرية من المشاق ما لا أنساها أبداً ، فقال [عمى] (٦) لنور الدين : لا بد من مسيره معى فترسم له ، فأمرنى نور الدين وأنا أستقبله ، فانتضى المجلس . ثم جمع أسد الدين العساكر من التركان وغيرهم ولم يبق غير المسير ، فقال (٧) لى نور الدين : لا بد من مسيرك مع عمك ، فشكوت إليه الضائقة وقلة الدواب وما أحتاج إليه ، فأعطانى ما تجهزت به فكأنما أساق إلى الموت ، وكان نور الدين مهيباً مخوفاً مع لينه ورحمته ، فسرت معه ، فلما استقر أمره وتوفى ، أعطانى الله من ملكها ما لا كنت أتوقعه . هكذا (٨) حكى لى عنه .

وأما كيفية ولايته ، فإن (١٥٩ - أ) جماعة من الأمراء النورية الذين كانوا بمصر ، طلبوا التقدم على العساكر وولاية الوزارة ، منهم : الأمير عين الدولة الياروقى ، وقطب الدين خسرو بن تليل -

(١) سورة الأنعام : ٤٤ .

(٢) بالأصل : ليتجهز . (والتصحیح من ، الروضين / ١/ ص/ ١٥٥) .

(٣) الإضافات من ، الروضين (١/ ص/ ١٥٥) . (٤) بالأصل : وقال .

(٥) بالأصل : هذا .

وهو ابن أخى أبي الهيثماء الهذلي الذي كان صاحب إربل - ومنهم: سيف الدين علي بن أحمد الهكاري - وجده كان صاحب قلاع الهكارية - ، ومنهم : شهاب الدين محمود الحارمي - وهو خال صلاح الدين - ، وكل من هؤلاء يخطبها وقد جمع ليغالب عليها ، فأرسل الخليفة العاضد لدين الله صاحب مصر إلى صلاح الدين وأمره بالحضور في قصره ليخلع عليه خلع الوزارة ويوليه الأمر بعد عمه ، وكان الذي حمل العاضد على ذلك ضعف صلاح الدين ، فإنه ظن أنه إذا ولي صلاح الدين - وليس له عسكر ولا رجال - كان في ولايته مستضعفا يحكم عليه ولا يجسر على المخالفة ، وأنه يضع على العسكر الشامي من يستميلهم إليه ، فإذا صار معه البعض أخرج الباقين (١) وتعود البلاد إليه وعندده من العساكر الشامية من يحميها من الفرنج ونور الدين (٢) (١٥٩ - ب) «أردت عمرا وأراد الله خارجه» فامتنع صلاح الدين وضعفت نفسه عن هذا المقام فألزمه به وأخذ كارها ، «إن الله ليعجب من قوم يقادون إلى الجنة بسلاسل» (٣) ، فلما حضر في القصر خلع عليه خلعة الوزارة، الجبة والعمامة وغيرهما، ولقب الملك الناصر ، وعاد إلى دار أسد الدين فأقام بها ، ولم يلتفت إليه أحد من أولئك الأمراء الذين يريدون الأمر لأنفسهم ولا خدموه . وكان الفقيه ضياء الدين عيسى الهكاري معه ، فسعى مع سيف الدين علي بن أحمد حتى أماله إليه ، وقال له : إن هذا الأمر لا يصل إليك مع وجود عين الدولة والحارمي وابن تليل ، فمال إلى صلاح الدين . ثم قصد شهاب الدين الحارمي ، وقال له : إن هذا صلاح الدين هو ابن أختك ومملكه لك ، وقد استقام الأمر له ، فلا تكن أول من يسعى في إخراجه عنه ولا يصل إليك ، ولم يزل به حتى أحضره أيضا عنده وحلفه له . ثم عدل إلى قطب الدين (٤) ، وقال له : إن صلاح الدين قد أطاعه الناس ، ولم يبق غيرك وغير الياروقي (١٦٠ - أ) وعلى كل حال فيجمع بينك وبين صلاح الدين أن أصله من الأكراد ، فلا تخرج الأمر عنه إلى الأتراك ، ووعدته وزاد في إقطاعه فأطاع صلاح الدين أيضا. وعدل إلى عين الدولة الياروقي - وكان أكبر الجماعة وأكثرهم جمعا (٥) - فلم تنفعه رقاؤه ولا نفذ (٦) فيه سحره ، وقال : أنا لا أخدم يوسف أبدا ، وعاد إلى نور الدين ومعه غيره فأنكر عليهم فراقه ، وقد فات الأمر ليقضى الله أمرا كان مفعولا. وثبت قدم صلاح الدين ، ورسخ مملكته ، وهو نائب عن الملك العادل نور الدين ، والخطبة لنور الدين في البلاد كلها ، ولا يتصرفون إلا عن أمره . وكان نور الدين يكتب صلاح الدين بالأمير الأسفهلار (٧) ، ويكتب

(١) بالأصل : الباقين .

(٢) يختلف ابن أبي طي مع ابن الأثير في سبب تولية الخليفة العاضد ، صلاح الدين بعد وفاة عمه . حيث يقول ابن أبي طي : « وكان صلاح الدين قد وقع من العاضد بموقع ، وأعجبه عقله وسداد رأيه ، وشجاعته وإقدامه على شاور في موكله ، وأنه قتله حين جاءه أمره ولم يتربص ولا توقف ، فسارع إلى تقليده الوزارة » . (الروضتين ح/١/ص/١٧٣)

(٣) بالأصل : بالسلاسل . (والتصحيح من الروضتين ح/١/ص/١٦١) . (٤) افظ : الدين ، من اسم قطب الدين ، ساقط بالأصل .

(٥) بالأصل : جميعا . (٦) بالأصل : فقد . (٧) الأسفهلار : افظ مركب من

مقطعين ، أسفه ، وهو فارسي ومعناه « المقدم » ، سار ، وهو تركي ، ومعناه « العسكر » ، ومعنى اللفظ ، مقدم العسكر . (القلقشندي ، ح/٦/ص/٨٧) .

علامته في الكتب تعظما أن يكتب اسمه ، وكان لا يفرد في كتاب ، بل يكتب الأمير الأسفلسار صلاح الدين وكافة الأمراء بالديار المصرية يفعلون كذا وكذا . واستمال صلاح الدين قلوب الناس وبذل [ لهم ] الأموال بما كان أسد الدين قد جمعه ، وطلب من العاضد شيئاً يخرج به (١٦٠ - ب) فلم يمكنه منعه ، فمال الناس إليه وأحبوه، وقويت نفسه على القيام بهذا الأمر والثبات فيه ، وضعف أمر العاضد ، فكان كالباحث عن حثفه بظلفه . وأرسل صلاح الدين يطلب من نور الدين أن يسير إليه إخوته فلم يجبه إلى ذلك ، وقال : أخاف أن يخالف أحد منهم عليك فتفسد البلاد . ثم إن الفرنج اجتمعوا ليسيروا إلى مصر ، فسير نور الدين العساكر وفيهم إخوة صلاح الدين ، منهم شمس الدولة توران شاه بن أيوب - وهو أكبر من صلاح الدين - فلما أراد أن يسير ، قال له : إن كنت تسير إلى مصر وتنظر إلى أخيك أنه يوسف الذي كان يقوم في خدمتك وأنت قاعد فلاتسر ، فإنك تفسد البلاد وأحضرك حينئذ وأعاقبك بما تستحقه ، وإن كنت تنظر إليه أنه صاحب مصر وقائم [ فيها ] مقامى ، وتخدمه بنفسك كما تخدمنى ، فسر إليه وأشدد أزره وساعده على ما هو بضده . فقال : أفعل معه من الخدمة والطاعة ما يتصل بك [ خبره ] إن شاء الله تعالى . فكان معه كما قال .

## ( ١٦١ - أ ) ذكر حصر الإفرنج مدينة دمياط

في سنة خمس وستين

في سنة خمس وستين وخمسمائة ، في أوائل صفر ، نزل الفرنج على مدينة دمياط من الديار المصرية ، فكان إفرنج الساحل لما ملك أسد الدين مصر قد خافوا وأيقنوا بالهلاك فبكتبوا الفرنج الذين بالأندلس وصقلية وغيرهما يستمدونهم ويعرفونهم ما تجدد من ملك مصر ، وأنهم خائفون على البيت المقدس من المسلمين ، وأرسلوا جماعة من القسوس والرهبان يجرضون الناس على الحركة ، فأمدوهم بالمال والرجال والسلاح ، واتعدوا للنزول على دمياط ظناً منهم أنهم يملكونها ويتخذونها ظهراً يملكون به ديار مصر ﴿ ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً ﴾ (١) . فلما نازلوها حصروها وضيقوا على من بها ، فأرسل إليها صلاح الدين العساكر في النيل (٢) ، وحشر فيها كل من عنده وأمدم بالمال والسلاح والذخائر ، وتابع رسله إلى نور الدين يشكو ما هو فيه من المخاوف ، وأنه إن تخلف عن ( ١٦١ - ب ) دمياط ملكها الإفرنج ، وإن سار إليها ، خلفه المصريون في مخلفيه ومخلفى عسكره بالسوء وخرجوا عن طاعته ، وصاروا (٣) من خلفه والفرنج من أمامه ، فجهز نور الدين إليه العساكر أرسلها ، كما تجهزت طائفة سيرها ، فسارت إليه العساكر يتلو بعضها بعضاً .

(٢) بالأصل : الليل . ( والتصحیح مز ، الروضتين ح / ١ / ص / ١٨٠ )

(١) سورة الأحزاب : ٢٥ .

(٣) بالأصل : وساروا .



ثم سار نور الدين فيمن عنده من العساكر، فدخل بلاد الفرنج فنهبا وأغار عليها [واستباحها] ووصلت الغارات إلى ما لم تكن تبلغه لخلو البلاد من مانع، فلما رأى الفرنج تنابع العساكر إلى مصر، ودخول نور الدين إلى بلادهم ونهبها وإخراؤها، رجعوا خائبين لم يظفروا بشيء، وهذا موضع المثل: ذهبت النعامه تطلب قرنين فعادت بلا أذنين. فوصلوا إلى بلادهم فرأوها خاوية على عروشها، وكان مدة مقامهم على دمياط خمسين يوما، أخرج فيها صلاح الدين أموالا لا تحصى، حكى لى عنه أنه قال: ما رأيت أكرم من العاضد، أرسل إلى مدة مقام الفرنج على دمياط ألف ألف دينار مصرى، سوى الثياب وغيرها.

### (١٦٢ - أ) ذكر حصر نور الدين رحمه الله الكرك

وفي هذه السنة سار نور الدين إلى بلاد الفرنج فحصر حصن الكرك (١) في رجب. وكان سبب حصره، أن نجم الدين أيوب والد صلاح الدين سار عن دمشق إلى مصر، وسير معه نور الدين عسكرياً، واجتمع معهم من التجار ومن كان له مع صلاح الدين أنس ومودة مالا يعد، فخاف نور الدين عليهم، فسار إلى الكرك ونزل عليه وحصره، وسار نجم الدين أيوب ومن معه سالمين، ونصب نور الدين على الكرك المجانيق، فأتاه الخبر أن الفرنج قد جمعوا وساروا إليه، وأن ابن الهنفرى، وفيليب بن الرقيق (٢) - وهما فارسا الفرنج في وقتها - في المقدمة إليه، فرحل نور الدين نحوهما ليلقاهما ومن معهما قبل أن يلحق (٣) بهما باقى الفرنج، فمكنا في مائتى فارس وألف تركبى (٤) ومعهم من الراجل عالم كثير، فلما قاربهما رجعا القهقرى إلى من وراءهم من الفرنج، وقصد نور الدين الشام في وسط بلادهم، ونهب ما كان على طريقه إلى أن وصل الشام، فنزل بعشتر (٥) (١٦٢ - ب) وأقام ينتظر حركة الفرنج ليلقاهم، فلم يبرحوا من مكانهم خوفاً منه. وأقام هو حتى أتاه خبر الزلزلة الحادثة بحلب وأعمالها وسائر بلاد الشام فرحل.

(١) حصن الكرك: في (ياقوت). كرك. بفتح أوله وثانيه وكافه أخرى. كلمة عمية. اسم قلعة حصينة جداً في طرف الشام من نواحي البلقاء في جبالها، بين أيلة وبحر القزم والبيت المقدس. وهى على سن جبل عال، تحيط بها أودية إلا من جهة الرض.

(٢) بالأصل: قريب بن الدقيق (والتصحيح من، الرضتين، ح/١/ص/١٨٣). (٣) بالأصل: يلتحق.

(٤) تركبى: تعريب Turcopole جند في خدمة الفرنج، آباؤهم أتراك (أو عرب) وأمهاتهم يونان. (الاعتبار

تحقيق فيليب حتى، ص/٥١/حاشية/٦٥). (٥) عشراً: في (ياقوت) بفتح أوله وسكون ثانيه وفتح

الناء المثناة من فوق. موضع بحوران من أعمال دمشق.

## ذكر الزلزلة التي جرت بالشام

وما فعله نور الدين

وفي هذه السنة أيضاً في ثاني عشر شوال ، كانت زلزلة عظيمة لم ير الناس مثلها عمت أكثر البلاد من الشام ، ومصر ، وديار الجزيرة ، والموصل ، والعراق وغيرها . إلا أن أشدها وأعظمها كان بالشام ، فخربت بعلبك ، وحص ، وحماة ، وشيزر ، وبعرين (١) ، وحلب وغيرها من البلاد ، وتهدمت أسوارها وقلاعها ، وسقطت الدور على أهلها ، وهلك منهم ما يخرج عن الحد والإحصاء ، فلما أتاه هذا الخبر ، سار إلى بعلبك ليعمر ما تهدم من أسوارها وقلعتها ، وكان لم يبلغه خبر غيرها . فلما وصل أتاه خبر باقى البلاد بخراب أسوارها وخلوها من أهلها ، فرتب بعلبك من يحميها ويعمرها ، وسار إلى حص ففعل مثل ذلك ، ثم إلى حماة (١٦٣ - أ) ثم إلى بارين . وكان شديد الخذر على سائر البلاد من الفرنج لا سيما قلعة بارين ، فإنها مع قربها منهم (٢) لم يبق من سورها شيء ألبته ، فجعل فيها طائفة صالحة من العسكر مع أمير كبير ، ووكل بالعمارة من يحث عليها ليلا ونهارا . ثم أتى مدينة حلب فرأى فيها من آثار الزلزلة ما ليس بغيرها من البلاد ، فإنها كانت قد أتت عليها ، وبلغ الرعب بمن (٢) نجا كل مبلغ ، وكانوا لا يقدرون على أن يأووا إلى بيوتهم السالمة من الخراب خوفاً من الزلزلة ، فإنها عاودتهم غير مرة . وكانوا يخافون يقيمون بظاهر حلب من الفرنج . فلما شاهد ما صنعت الزلزلة بها وبأهلها ، أقام فيها وباشر عمارتها بنفسه ، وكان هو يقف على استعمال الفعلة والبنائين (٤) ، ولم يزل كذلك حتى أحكم أسوار جميع البلاد وجوامعها ، فأخرج من المال ما لا يقدر قدره .

وأما بلاد الفرنج فإنها أيضاً فعلت بها الزلزلة قريباً من هذا ، وهم أيضاً يخافون نور الدين على (١٦٣ - ب) بلادهم ، فاشتغل كل منهما بعمارة بلاده [ من قصد الآخر (٥) ] .

### ذكره غزوة لسرية نورية (٦)

كان شهاب الدين محمود بن إلياس بن إلبغازى بن أرتق صاحب قلعة البيرة ، قد سار في عسكره - وهم مائتا فارس - إلى الخدمة النورية وهو بعشتر ، فلما وصل إلى [ قرية ] اللبوة - وهى من أعمال بعلبك - ركب متصيذاً ، فصادف ثلاثمائة فارس للفرنج قد ساروا للإغارة

(١) بالأصل : معرين .

(٢) بالأصل : منه .

(٤) بالأصل : والبنائين . (٥) الإضافة من ، الروضتين (١/ص/١٨٦) . (٦) بالأصل : كسيرة

النورية . ( والتصحیح من ، الكامل ، ١٠٦/ص/٩٠٠ ) .

على بلاد (١) الإسلام ، وذلك سابع عشر شوال من هذه السنة ، فوقع بعضهم على بعض واقتتلوا ، واشتد (٢) القتال ، وصبر الفریقان لا سيما المسلمون ، فإن ألف فارس منهم لا تصبر لحملة ثلاثمائة فارس من الفرنج ، وكثر القتلى بين الطائفتين ، فانهمز الفرنج وعمهم القتل والأسر ، فلم يفلت منهم إلا من لا يعتد به . قال (٣) تعالى : ﴿ ولو تواعدتم لا خلتكم في الميعاد ولكن ليقضى الله أمراً كان مفعولاً (٤) ﴾ . ثم إن شهاب الدين سار بالأسرى ورءوس القتلى إلى نور الدين ، فركب هو والعساكر إلى لقاءه ، واستعرض الأسرى ورءوس القتلى ، فرأى فيها رأس (١٦٤ - أ) مقدم الاستنار صاحب حصن الأكراد ، وكانت الإفرنج تعظمه لشجاعته ودينه ، ولأنه شجاعاً (٥) في حلوق المسلمين ، وكذلك رأى رأس غيره من مشهورى الفرنج فازداد سروره ، ﴿ وكمن فئمة قليلة غلبت فئمة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين (٦) ﴾ .

## في ذكر وفاة أتابك قطب الدين مودود بن الشهيد زنكى

ابن آقسنقر رضى الله عنه وملك ابنه سيف الدين

في شوال من سنة خمس وستين وخمسمائة ، توفي أتابك قطب الدين مودود ابن أتابك الشهيد زنكى بن آق سنقر رضى الله عنه بالموصل . وكان مرضه حمى حادة . ولما اشتد مرضه أوصى بالملك بعده لولده عماد الدين زنكى - وهو أكبر أولاده [ وأعزهم عليه وأحبهم إليه (٧) ] - ، وكان النائب عن قطب الدين حينئذ والقيم بأمر دولته فخر الدين عبد المسيح ، وكان يكره عماد الدين لأنه كان قد أكثر المقام عن عمه الملك العادل نور الدين وخدمه وتزوج ابنته [ وكان عزيزه وحبيبه (٧) ] ، وكان نور الدين يبغض فخر الدين لظلم كان فيه ويندمه ، ويلوم أخاه قطب الدين على توليته الأمور ، فخاف فخر الدين أن (١٦٤ - ب) يتصرف عماد الدين في أموره عن أمر عمه فيعزله ويبعده ، فانفق هو والحاتون ابنة حسام الدين تمر تاش - زوجة قطب الدين - [ فردوه (٧) ] عن هذا رأى . فلما كان الغد أحضر الأمراء واستحلقتهم لولده سيف الدين غازى وتوفي [ قطب الدين ] وقد جاوز عمره أربعين سنة . وكان تام القامة ، كبير الوجه ، أسمر اللون ، واسع الجبهة ، جهورى الصوت ، وكانت ولايته إحدى وعشرين سنة وخمسة (٨) أشهر ونصفاً (٩) . ولما توفي استقر سيف الدين في الملك ، ورحل عماد الدين إلى عمه نور الدين شاكياً ومستنصراً (١٠) وكان فخر الدين هو الذى يدبر أمور سيف الدين ويحكم في مملكته ، وليس لسيف الدين من الأمر إلا اسمه ، فإنه كان في عشقوان شبابه وغرة حدائته .

(١) بالأصل : البلاد . (٢) بالأصل : أشد . (٣) بالأصل : قوله . (٤) سورة : الأنفال : ٤٢ . (٥) بالأصل : شجى . (٦) سورة البقرة : ٢٤٩ . (٧) الإضافات من الروضتين (ح/١/ص/١٨٦) . (٨) بالأصل : وخس . (٩) بالأصل : ونصف . (١٠) بالأصل : مستنصراً . (والصحيح من الروضتين ح/١/ص/١٨٦) .

## حادثة تحت على العدل

من جملة أعمال جزيرة ابن عمر ، قرية تسمى العقيمة تقابل الجزيرة ، يفصل بينهما دجلة ، ولها بساتين كثيرة ، وبعضها تمسح أرضه ويؤخذ على كل جريب (١) من الأرض التي قد زرعت شيء معلوم ، وبعضها عليه خراج ولا مساحة عليه ، وبعضها (٢) (١٦٥ - أ) مطلق منهما ، فالممسوح منها لا يحصل لأصحابه إلا القدر القريب ، وكان لنا بها عدة بساتين . فحكى لي والذي قال : جاءنا كتاب نجر الدين عبد المسيح إلى الجزيرة - وأنا أتولى حينئذ ديوانها والحكم إلى فيه على ما شوهد - يأمر بأن يجعل بساتين العقيمة كلها مسوحة . قال : فشق ذلك على لأجل أصحابها ، ففيها ناس صالحون ولي بهم أنس ، وهم فقراء . قال : فراجعته ، وقلت له : لا تظن أنني أقول هذا لأجل ملكي ، لا والله ، إنما أريد أن يدوم الناس على الدعاء للمولى قطب الدين وأنا أتمسح ملكي جميعه . قال : فأعاد الجواب يأمر بالمساحة ، ويقول : تمسح أولاً ملكك ليقترى بك غيرك ، ونحن نطلق لك ما يكون عليه . قال : فإظهرنا الأمر ، وشرع النواب يمسحون . وكان بالعقيمة رجلان صالحان وبني وبينهما مودة ، إسم أحدهما يوسف والآخر عبادة ، قال : فحضرا عندي وتضررا من هذه الحال ، وسألاني المسكاتبة في المعنى ، فأظهرت لهما كتاب نجر الدين جواباً عن كتابي ، فشكراني (١٦٥ - ب) ثم قالاً : وأيضاً تعود تراجعته . فعاودت القول ، فأصر على المساحة فعرفتهما الحال . قال : فلما مضى عدة أيام (٣) ، عدت يوماً إلى داري راكباً ، وإذا هما قد صادفاني على الباب ، فقلت في نفسي : عجباً لهذين الشيخين ، قد رأيا مراجعتي وهما يطلبان مني ما لا أقدر عليه . قال : فسلمت عليهما وسلمنا على ، وقلت لهما : والله إنني أستحي منكما كلما جئتما في هذا الأمر ، وقد رأيتما الحال كيف هو . فقالا : صدقت ، ولم نحضر إلا لنعرفك أن حاجتنا قضيت . قال : فظننت أنهما قد أرسلنا إلى الموصل إلى من يشفع لهما ، فدخلت داري وأدخلتهما معي ، وسألتهما عن الحال كيف هو ومن الذي سعى لهما ، فقالا : إن رجلا من الصالحين الأبدال شكونا إليه حالنا فقال : قد قضيت (٤) حاجة أهل العقيمة جميعهم . قال : فوقع عندي من هذا فكر ، تارة أصدقهما لما أعلم من صلاحهما ، وتارة أعجب من سلامة صدرهما ،

(١) الجريب هنا مقياس الأرض ، ومقداره عشر قصبات في عشر قصبات ، على أنه قد يختلف باختلاف المكان والزمان . والجريب في الأصل ، مكبال ، وسعته ما يكفي من الحب لبتنر مساحة معينة . ومن هنا سميت تلك المساحة باسم الجريب . (ابن واصل ح/١/ص/١٨٩ / حاشية/٢) . وفي كتاب « مفاتيح العلوم » للخوارزمي ، أن الجريب أشل في أشل (الأشل ستون ذراعا) ومعناه ستون ذراعا طولاً في مثلها عرضاً ، فيكون تسكبرها ثلاثة آلاف وستمائة ذراع مكسرة . (نقلا عن المجلة التاريخية المصرية ، المجلد السابع ، سنة ١٩٥٨ ، ص/٢٣٧) .

(٢) بالأصل : وبعضهما .

(٣) تكرار بالأصل ، هكذا : عدت أيام .

(٤) بالأصل : قضت .

كيف يعتمدان على هذا القول ويعتقدانه واقعاً لا شك فيه . قال : فلما كان بعد أيام (١٦٦ - أ) وإذا قد وصل قاصد من الموصل بكتاب يأمر فيه بإطلاق مساحة العقيمة ، وإطلاق كل مسجون ، وبالصدقة . فسألنا القاصد عن السبب ، فقال : إن أتابك شديد المرض . قال : فأفكرت في قولهما وتعجبت منه ، ثم توفي بعد يومين من هذا . ورأيت والدى إذا رأى أحد الرجلين يبالغ في إكرامه ويحترمه ويقضى أشغاله ، واتخذهما أصدقاء .

## فصل في ذكر بعض سيرة أتابك قطب الدين

رضى الله عنه

كان رحمه الله ورضى عنه من أحسن الملوك سيرة ، وأعفهم عن أموال رعيته ، محسناً إليهم كثير الإنعام عليهم ، محبوباً إلى صغيرهم وكبيرهم ، عطوفاً على مأمورهم وأميرهم ، حلماً عن المدنيين منهم ، قليل المزاخنة لهم على زللهم ، كريم الأخلاق حسن الصحبة لهم ، فكان القائل أراد به بقوله (١) :

خلق كماء المزن طيب مذاقه	والروضة الغناء طيب نسيم
كالسيف لكن فيه حلم واسع	عمن جنى والسيف غير حلیم
(ب - ١٦٦) كالغيث إلا أن وابل جوده	أبدأ وجود الغيث غير مقيم
كالدهر إلا أنه ذو رحمة	والدهر قاسى القلب غير رحيم

وكان رضى الله عنه سريع الانفعال للخير ، بطيئاً عن الشر . حدثني والدى قال : إستدعاني يوماً وهو بالجزيرة وكنت أتولى أعمالها له ، فلما حضرت عنده قال لى : بلغنى أنك تهمل هذه الجنائيات (٢) ولا تحفظها ، فقلت له : إننى أعجز عن حفظها لأننى أكون فى بيتى والذردار يفعل فى القلعة ما يريد ، ثم التفاوت ليس بعظيم وأخاف من الاستقصاء فيها ، لو دعى على بعض هؤلاء الملوك - وأومات إلى أولاده - لكانت شعرة منه تساوى الدنيا وما فيها ، ولنا مواضع تحتمل العبارة [ لو عمرت (٣) ] يتحصل منها أضعاف هذا (٤) . فقال لى : جزاك الله خيراً ، فلقد نصحت وأديت الأمانة ، وأشرع فى عمارة هذه الأماكن التى تحتمل العبارة . قال : ففعلت وكبرت منزلتى عنده ، ولم يزل يثنى على (٥) .

(١) بالأصل : بقوله يقول . (وقد أسقط المحقق اللفظ : يقول ، لأنه زائد) . (٢) الجنائيات : جمع جنابة ، ومعناها فى الإصطلاح التاريخى ما يفرضه السلطان من الضرائب والفرامات التأديبية على رعيته . (الديوك ، ح/١/ص/٤٨٨/حاشية ١) .  
 (٣) الإضافة من ، الروضتين (ح/١/ص/١٧٨) .  
 (٤) لم يستطع المحقق فهم هذا الخبر بمخذاً فيه .  
 (٥) بالأصل : عنيه . (والنصحیح من ، الروضتين ، ح/١/ص/١٨٧) .  
 هنا فى النص .

قال : وكان (١) السلطان كثير الصبر والاحتمال من أصحابه ، لقد صبر من نوابه زين الدين وجمال الدين (١٦٧ - أ) وغيرهما على ما لم يصبر عليه سواه .

وكان حسن الاتفاق مع أخيه الملك العادل نور الدين ، كثير المساعدة له والإنجاد بنفسه وعسكره وأمواله ، حضر معه المصاف بحارم وفتحها ، وفتح بانياس ، وكان يخطب له في بلاده باختياره من غير خوف .

وكان إحسانه إلى أصحابه متابعا من غير طلب منهم ولا تعريض . حكى لى والدى قال : دخلت إليه مرة ، فسألنى عن ما أتولاه من الأعمال وأحوال الرعية فيها وأنا أخبره . ثم سألتنى (٢) عن القرايا التي خاصه ومن يتولى قسمتها واستخلاص أموالها ، فقلت له : أنا أفعل ذلك بنفسى ، فقال : وما الذى قرر لك عليها فى مقابل تعبك . فقلت : لى من إنعام مولانا مالا حاجة لى إلى تقرير شىء آخر ، ثم المقرر لى من الجامكية والرسوم وإنما هو على أعمال من جملتها هذه القرايا . فقال : لا يجوز تتعب بدون فائدة . ثم أمر لى بعمالة الخصاص جميعها فى بلد الجزيرة ، فدعوت له . ولما خرجت رأيتها كثيرة يحصل منها ما يزيد على سبعمائة دينار (١٦٧ - ب) أميرى ، وليس لى بها من العمل كثير أمر . فقلت فى نفسى : ربما لا يعلم مقدارها ، فإذا علمه يظن أننى اغتنتم غرته ، فأرسلت إليه مع حاجبه أقول له : إن هذه العمالة يتحصل منها فى هذا الرخص كذا وكذا دينار ، وأنا أقنع ببعض ذلك . قال : فلما سمع قولى ضحك ، وقال : هذا كلام رجل عاقل والجميع له . قال : وكان يدخل إلى الخزانة بعض الأوقات ونحن فيها — إذ كنت أتولاهما — فلا يخرج منها منها إلا وقد وهب كلا من الحاضرين منها شيئا صالحا ، وربما أرسل إلى من غاب ، سهمه .

قال : وكان يبغض الظلم وأهله ، ويعاقب من يفعله من أصحابه ، فمن ذلك أن نائبين كانا له بالجزيرة اختصما وترافعا إليه ، فذكر أحدهما عن الآخر أنه قد كان خان السلطان فى ماله ، وأخذ من أموال الرعية أيضا رشما (٣) على مالا يجوز له فعله . قال : فأحضرهما بالموصل وأرسل إليه (٤) وهما فى ديوانه يقول : قد قلت عن فلان كذا وكذا ، فإن صح عليه أنه أخذ من أموال ريعتى ديناراً واحدا صلبته ، فإننى قد وسعت عليه وكثرت إقطاعه (١٦٨ - أ) لئلا يمد عينه إليهم ، وإن لم يصح عليه شىء عاقبتك على كذبك . فلم يصح عليه قول شىء فأعادته إلى شغله ، وقال للآخر : لولا أن لك على حق خدمة لكنت عاقبتك على كذبك ، فغزله .

وكان رضى الله عنه واسع الكرم ، كثير البذل للمال ، يكثّر تعهد أصحابه ونوابه (٥) بالصلوات السنية والعطايا الجزيلة (٦) ، ففرق أموالا لا تحصى ولا تحد ، فمنها : ما كان جمع فى الأيام الشهيديّة

(١) بالأصل : فكان .

(٢) بالأصل : سألتنى .

(٥) بالأصل : ونوابه .

(٤) بالأصل : إليهما .

(٣) بالأصل : رشى .

(٦) بالأصل : والجزيرة .

والأيام السيفية (١) ، وما كان قد ادخره نصير الدين جقر ، وما تحصل له هومن البلاد في أيامه .

أعطى فأكثر واستقل هباته فاستحيت الأنواء وهى هوامل  
فاسم (٢) الغمام لديه وهو كنهور (٣) آل وأسماء البحار جداول  
لم تحفل أرض من نداه (٤) ولا خلا من شكر ما يولى لسان قايـل

وكان رضى الله عنه يقول لمن ينهاه عن كثرة الإنفاق (٥) وإخراج الأموال : متى سمعتم أن ملكا حبسه القاضى ، وإذا لم يظهر إحسانى على من يخدمنى فمن الذى يحسن إليهم ، وبالله أقسم إذا فكرت فى ( ١٦٨ - ب ) الملوك أولاد الشهيد عماد الدين زنكى : سيف الدين ، ونور الدين ، وقطب الدين ، وما جمع الله سبحانه فيهم من مكارم الأخلاق ، ومحاسن الأفعال ، وحسن السيرة ، وعمارة البلاد ، والرفق بالرعية إلى غير ذلك من الأسباب التى يحتاج الملك إليها ، أظن أن القائل أرادهم بقوله : شعر

هينون لينون أيسار بنويسر سواس مكرمة أبناء أيسار  
لا ينطقون على العوراء إن نطقوا ولا يمارون إن ماروا يا كبار  
من يلق منهم يقل (٦) لا قيت سيدهم مثل النجوم التى يسرى بها السار

واذكر قول بعضهم - وقد سئل عن أولاد المهلب بن أبى صفرة (٧) - أيهم أفضل ، فقال : هم كالحلقة المفرغة . وقول فاطمة ابنة الحرث - وقد سئلت عن أولادها السكاملة أيهم خير - فقالت : فلان ، بل فلان ، بل فلان ، ثم قالت : تكلمتهم إن كنت أعلم أيهم (٨) خير . وهكذا كانوا رضى الله عنهم .

## ذكر وفاة المستنجد بالله أمير المؤمنين (١٦٩ - أ) وخلافة

ولده المستضىء بأمر الله . رضى الله عنهم

توفى الإمام المستنجد بالله أمير المؤمنين فى التاسع شهر ربيع الآخر من سنة ست وستين وخمسةائة . واسمه يوسف بن المقتضى لأمر الله . وتما نسيبه عند وفاة المستنجد بالله رضى الله عنه .

(١) المقصود بالأيام الشهيديّة ، أيام عماد الدين زنكى . وأما الأيام السيفية ، فهى أيام سيف الدين غازى ابن عماد الدين زنكى . (٢) بالأصل : فاسم .

(٣) الكنهور من السحاب ، المتراكم النخيل ، وهو أيضا قطع من السحاب أمثال الجبال . ( لسان العرب ) . (٤) بالأصل : نداه .

(٥) بالأصل : الاتفاق . (٦) بالأصل : يقول . (٧) ولى المهلب بن أبى صفرة على

خراسان سنة ٧٨ . وتوفى سنة ٨٢ ، وقد اشتهر أبناؤه فى حياته وبعد مماته ، وأخبارهم فى « السكامل » موزعة على السنين . (٨) بالأصل : أنهم .

وأمه أم ولد اسمها طاووس رومية . ومولده مستهل ربيع الآخر سنة عشر وخمسة . وكانت خلافته إحدى عشرة سنة وستة أيام . وكان أسمرًا ، تام القامة ، طويل اللحية .

وكان سبب موته أنه مرض واشتد مرضه ، وكان قد خافه أستاذ الدار عضد الدين أبو الفرج ابن رئيس الرؤساء وقطب الدين قايماز — وهو من مماليك المقتفي لأمر الله — وهو حينئذ أكبر أمير ببغداد ، وله من الأتباع مثل علاء الدين تنامش (١) ويزدن (٢) وغيرهما ، وكان محسناً إلى الأجناد . فلما اشتد مرض المستنجد بالله اتفقاً ووضعوا الطيب (٣) على أن يصف له ما يؤذيه ، فوصف له دخول الحمام ، فامتنع المستنجد بالله لضعفه ، ثم إنه أدخله (٤) وأغلق عليه الباب إلى أن مات . هكذا سمعته من غير واحد ممن يعلم (١٦٩ - ب) الحال .

وكان وزيره حينئذ شرف الدين أبا جعفر أحمد بن محمد بن سعيد المعروف بابن البلدي — وهو الحاكم في الدولة — وبينه وبين أستاذ الدار عضد الدين وقطب الدين عداوة مستحكمة ، لأن المستنجد بالله كان يأمره فيما يتعلق بهما بأشياء فيفعلها ، فكانا يظنان أنه هو الذي يسعى بهما ، فلما مرض المستنجد بالله وأرجف بموته ، ركب الوزير ومعه الأمراء والأجناد وغيرهم بالعسدة الكاملة فلم يتحقق عنده خبر موته ، وأرسل إليه أستاذ الدار يقول : إن أمير المؤمنين قد خف ما به من المرض وأقبلت [ عليه ] العافية . يخاف الوزير أن يدخل إلى دار الخلافة بالجند فربما جرى عليه عتب وإنكار ، فعاد إلى داره وتفرق الناس عنه . وكان أستاذ الدار وقطب الدين قد استعدا للهرب لما ركب الوزير [ خوفاً منه (٥) ] إن دخل الدار [ أن يأخذهما (٥) ] ، فلما عاد أغلق أستاذ الدار أبوابها وأظهر وفاة المستنجد ، وأحضر هو وقطب الدين ابنه ، أبا محمد الحسن وبايعاه بالخلافة ولقباه (٦) المستضيء بأمر الله ، وشرطاً عليه (١٧٠ - أ) شروطاً ، منها : أن يجعل عضد الدين وزيراً وإبنة كمال الدين أستاذ الدار (٧) ، ويجعل قطب الدين أمير العسكر ، فأجابهم إلى ذلك . وعلم شرف الدين بن البلدي الحال ، فصفق يداً (٨) على يد ، وقرع سنه ندماً على ما فرط في عوده إلى داره ، حيث لا ينفعه الندم ، وأتاه من يستدعيه للجلوس (٩) للعزاء والبيعة للمستضيء ، فضى إلى دار الخلافة ومعه زعيم الدين بن جعفر ، وهو صاحب الخزن ، فلما دخلها صرف إلى موضع من الدار وقتل وقطع قطعاً وألقى في دجلة ، رحمه الله تعالى . وأرسل عضد الدين وقطب الدين إلى داره فحمل جميع ما له فيها من مال وغيره ، فرأيا في ذلك خطوط المستنجد بالله إليه يأمره

(١) بالأصل : شامش ، (والتصحيح من : السكامل ، ح/٩/ص/١٠٨) (٢) بالأصل : يزدان ، (والتصحيح من : السكامل ، ح/٩/ص/١٠٨) . (٣) بالأصل : الطيب . (٤) بالأصل : أدخلها . (٥) الإضافة من : السكامل (ح/٩/ص/١٠٩) . (٦) بالأصل : ولقب . (والتصحيح من : السكامل ، ح/٩/ص/١٠٩) . (٧) بالأصل : أستاذ دار . (والتصحيح من : السكامل ، ح/٩/ص/١٠٩) . (٨) بالأصل : فسفق يد . (٩) بالأصل : للجلوس .



فيها (١) بالقبض عليهما ، وخط الوزير قد راجعه في ذلك وصرفه عنه ، فلما وقفا عليه ، علما برأته مما كانا يظنان فيه ، فندما حيث لم ينفعهما (٢) ندمهما (٣). وأما زعيم الدين جعفر ، فإن عماد الدين بن الوزير عضد الدين شفع فيه ، وهذا عماد الدين كان قد تصوف وترك الأعمال (١٧٠ - ب).

وكان المستنجد بالله من أحسن الخلفاء سيرة مع الرعية ، عادلا فيهم ، كثير الرفق بهم ، وأطلق من المكوش كثيرا ولم يترك بالعراق مكسأ . وكان شديداً على أهل العيث والفساد والسعاية بالناس . بلغني أنه قبض على إنسان كان يسعى بالناس ويكتب فيهم السعيات فأطال حبسه ، فحضر بعض أصحابه وشفع فيه ، وبذل عنه عشرة آلاف دينار ، فقال : أنا أعطيك عشرة آلاف دينار وتحضر لي إنساناً آخر مثله أحبسه لأكف شره عن الناس ولم يطلقه .

## فصل في ذكر ملك نور الدين الموصل

وغيرها من البلاد الجزرية

وتقرير الموصل على سيف الدين غازي

لما بلغ نور الدين وفاه أخيه قطب الدين رضى الله عنهما ، وملك ولده سيف الدين بعده . واستيلاء (٤) نحر الدين عبد المسيح واستبداده (٥) بالأ ، وروحه على سيف الدين غازي ، أنف لذلك وكبر لديه وشق عليه . وكان يبغض نحر الدين لما يبلغه من خشونته على الرعية والمبالغة في إقامة السياسة (٦) ، وكان رحمه (١٧١ - أ) الله لنا رفيقاً عادلاً ، فقال : أنا أولى بتدبير بني أخي وملكهم ، ثم سار من وقته فعبر الفرات عند قلعة جعبر (٧) مستهمل محرم سنة ست وستين وقصد الرقة ، فامتنع النائب بها شيئاً من الامتناع ، ثم سلمها على شيء إقترحه (٨) ، فاستولى نور الدين عليها وقرر أمورها . وسار إلى الخابور فلما جمعه .

ثم ملك نصيبين وأقام بها يجمع العسكر ، فإنه كان قد سار جريدة ، فأتاه بها نور الدين محمد ابن قرا أرسلان صاحب الحصن وديار بكر ، واجتمعت عليه العساكر فكان قد ترك أكثر عسكره بالشام لحفظ ثغوره وأطرافه من الفرنج وغيرهم (٩) .

(١) بالأصل : فيهما . (٢) بالأصل : ينفعه . (٣) بالأصل : ندمها .  
(٤) بالأصل : واستلاء . (٥) بالأصل : واستبدائه . (٦) أى الدقة في تنفيذ القانون .  
(٧) بالأصل : جبر . (والتصحيح من الروضتين ح/١/ص/١٨٧) . (٨) بالأصل : أقرحه .  
(٩) بالأصل : وغيرها .

فلما اجتمعت العساكر سار إلى سنجار فحصرها وأقام عليها ونصب المجانيق ، وكان بها عسكر كثير من الموصل ، فعاتبه عامة الأمراء الذين بالموصل يحثونه على السرعة إليهم ليسلموا البلد إليه وأشاروا بترك سنجار فلم يقبل منهم ، وأقام حتى ملك سنجار وسلمها إلى عماد الدين زنكي ابن أخيه قطب الدين (١) . ثم سار إلى الموصل فأتى مدينة (٢) بلد ، وعبر دجلة في محاضرة ( ١٧١ - ب ) عندها (٣) إلى الجانب الشرقي ، وسار فنزل شرقي الموصل على حصن نينوى ، ودجلة بينه وبين الموصل . ومن العجب أنه يوم نزوله سقط من سور الموصل بدنة كبيرة . وكان نحر الدين قد سير المولى عز الدين مسعود بن أتابك قطب الدين رضى الله عنهما إلى أتابك شمس الدين إيلدكز صاحب بلاد الجبل ، وأذربيجان ، وأران (٤) وغيرها يستنجده ، فأرسل إيلدكز رسولا إلى نور الدين ينهأه عن قصد الموصل ، ويقول [ له ] : إن هذه البلاد للسلطان ولا سبيل لك إليها ، فلم يلتفت نور الدين إلى رسالته -- وكان بسنجار -- فسار إلى الموصل ، وقال للرسول : قل لصاحبك ، أنا أرفق ببنى أخي منك فلم تدخل نفسك بيننا ، وعند الفراغ (٥) من إصلاحهم يكون الحديث معك على باب همدان ، فإنك قد ملكت نصف بلاد الإسلام وأهملت الثغور حتى غلب الكرج عليها ، وقد بليت أنا وحدى بأشجع الناس ، الفرنج ، فأخذت بلادهم وأسرت ملوكهم ، فلا يجوز لى أن أتركك على ما أنت عليه ، فإنه يجب علينا القيام ( ١٧٢ - أ ) بحفظ ما أهملت من بلاد الإسلام وإزالة الظلم عن المسلمين ، فعاد الرسول بهذا الجواب .

وحصر نور الدين الموصل فلم يكن بينهم قتال ، وكان هوى كل من بالموصل من جندى وعامى معه لحسن سيرته وعدله ، وكاتبه الأمراء يعلمونه أنهم [ عزموا ] على الوثوب بفخر الدين وتسليم البلد إليه ، فلما علم نحر الدين ذلك ، راسله في الصلح والدخول في طاعته ، وإبقاء الموصل على سيف الدين ، ويطلب لنفسه الأمان وإقطاعا يكون له ، فأجابه إلى ذلك ، وقال : لا سبيل إلى مقامك (٦) في الموصل بل تكون عندي بالشام ، فإنى لم آت لأخذ البلاد من أولادى ، إنما جئت لأخلص الناس منك ، وأتولى أئامرية أولادى ، فاستقرت القاعدة على ذلك ، وسلمت الموصل إليه ، فدخلها ثالث عشر جمادى الأولى من سنة ست وستين وخمسة ، وسكن القلعة . وأقر سيف الدين غازى

(١) فى الكامل ( ح / ٩ / ص / ١١٠ ) أن كمال الدين الشيرازى ، علق على إبقاء نور الدين ، سيف الدين بالموصل وإقطاعه سنجار لعاد الدين بقوله . « هذا طريق لى أذى يحصل بيت أتابك ، لأن عماد الدين كبير لا يرى طاعة سيف الدين وسيف الدين هو الملك لا يرى الإغضاء لعاد الدين ، فيحصل الخلف ويطمع الأعداء » . يقول ابن الأثير . « فسكن ذلك كذلك على ما ذكره سنة سبعين وخمسة » وقد ذكر ابن الأثير -- فى الكامل ، فى أخبار سنة ٥٧٠ -- إضمار عماد الدين لى جانب صلاح الدين ضد أخيه سيف الدين .

(٢) بلد : فى الاصطخرى ( ص / ٥٢ - ٥٣ ) . مدينة صغيرة على غربى دجلة ، وليس بهاماء جار سوتة دجلة ، وبها شجر وزروع ومباحس كثيرة . وبينها وبين الموصل مرحلة .

(٣) بالأصل . عندها .

(٤) بالأصل : أرابية ( التصحيح من ، الروضتين ، ح / ١ / ص / ١٨٨ ) .

(٥) بالأصل : الإفرانج . (٦) بالأصل : مقاهه .

على الموصل ، وولى بقلعتها خادماً له يقال له سعد الدين كمشتكين وجعله دزداراً فيها ، وقسم جميع ما خلفه أخوه أتابك قطب الدين بين أولاده بمقتضى ( ١٧٢ - ب ) الفريضة .

ولما كان يحاصر الموصل جاءت خلعة الإمام المستضى بأمر الله فلبسها (١) ، فلما دخل الموصل خلعها على سيف الدين .

وأطلق المكوس جميعها من الموصل وسائر ما فتحه من البلاد (٢) ، وأمر ببناء الجامع النورى فبنى ، وأقيمت الصلاة فيه سنة ثمان وستين وخمسة .

وأقام بالموصل نحو عشرين يوماً وسار إلى الشام ، فقبل له : إنك تحب الموصل والمقام (٣) بها ونراك أسرع العود . فقال : قد تغير قلبي فيها ، فإن لم أفرقها ظلمت ، ويمعنى أيضاً أننى [ ههنا (٤) ] لا أكون مرابطاً للعدو وملازماً للجهاد .

ثم أقطع نصيبين والخابور للعساكر ، وأقطع جزيرة ابن عمر لسيف الدين غازى ابن أخيه مع الموصل ، وعاد إلى الشام ومعه نحر الدين عبد المسيح ، فغير اسمه وسماه عبد الله ، وأقطعه إقطاعاً كثيراً .

## ذكر غزوة [ نور الدين ] إلى بلد أنطاكية وطرابلس الشام

فى سنة سبع وستين وخمسة ، خرجت مراكب من مصر إلى الشام ، فأخذ الفرنج الذين فى لادقية مركبين منها مملوعين (٥) ( ١٧٣ - أ ) من الأمتعة والتجار وغدروا بالمسلمين ، وكان نور الدين قد هادنهم فنسكثوا ، فلما سمع نور الدين الخبر إستعظمه ، وراسل الفرنج فى إعادة ما أخذوه فغالطوه ، واحتجوا بأمر منها : أن المركبين كانا قد دخلهما ماء البحر لكسر فيهما ، وكانت العادة بينهم أخذ [ كل ] مركب يدخله الماء ، وكانوا كاذبين ، فلم يقبل مغالطتهم . وكان رضى الله عنه لا يهمل أمراً من أمور رعيته فلم يردوا شيئاً ، فجمع العساكر من الشام والموصل والجزيرة وبث السرايا فى بلادهم ، بعضهم نحو أنطاكية وبعضهم نحو طرابلس (٦) ، وحصر هو حصن عرقة وخرّب ربضه ، وأرسل طائفة من العسكر إلى حصنى صافيتا وعريمة فأخذهما عنوة

(١) فى ، ابن الفرات ( ٧/ص/٥٨ ) ، أنه لما حاصر نور الدين الموصل ، عزم الخليفة المستضى بالله على نصره سيف الدين غازى . فلما علم نور الدين بذلك ، أرسل إليه الهادى الكاتب برسالة يذكر فيها أنه كبير البيت ووارثه ، وأنه لا يقضى إلا مصلحة أبناء أخيه ، ويستأذنه فى دخول الموصل ، عندئذ أذن له الخليفة بدخولها وأرسل له الخلع .

(٢) أنظر منشور نور الدين باطلاق المكوس فى ، الروضتين ( ١/ص/١٦ ) .

(٣) بالأصل : القيام . ( والتصحیح ، من الروضتين ، ١/ص/١٨٨ )

(٤) الإضائة من ، الروضتين ( ١/ص/١٨٨ ) .

(٥) بالأصل : مملين . (٦) بالأصل : طرابلس .

وكذلك غيرهما، ونهب وخرب، وغنم المسلمون الكثير وعادوا إليه وهو بعرة، فسار في العساكر جميعها إلى قريب طرابلس يخرب ويحرق وينهب .

وأما الذين ساروا إلى أنطاكية ، فإنهم فعلوا في ولايتها مثل ما فعل [ نور الدين ] من النهب والتخريب والتخريب بولاية طرابلس ، فراسله الفرنج وبذلوا إعادة ما أخذوه ( ١٧٣ - ب ) من المركبين ، ويجدد (١) معهم الهدنة فأجابهم إلى ذلك . فكانوا في ذلك كما يقال، اليهودى لا يعطى الجزية حتى يلطم ، وكذلك الفرنج ما أعادوا أموال التجار بالتى هى أحسن ، فلما نهبت بلادهم وخربت أعادوها .

### نادرة غريبة فى زماننا هذا (٢)

قد علم الناس قلة الأمانة فى هذه الأعصار بل عدمها ، فلما أخذ الفرنج هذين المركبين ، كان لوالدى فيهما تجارة مع شخصين ، فلما أعادوا إلى الناس أموالهم لم يصل إلى كل إنسان إلا اليسير ، وكان يحمل المتاع إلى نور الدين ويحضر التجار ، فكل من إسمه على ثوب أخذه . وكان فى الناس من يأخذ ما ليس له ، فكان أحد هذين المضاربين فيه أمانة - وكان نصرانياً - فلم يأخذ إلا ما عليه إسمه وعلامته ، فذهب من ماله ومالنا [ شىء (٣) ] كثير بهذا السبب ، وكان الذى حصل له من مالنا أكثر من الذى له ، فلما عاد إلينا سلم الذى لنا (٤) إلى والدى ، فامتنع من أخذه وقال [ له ] : خذ أنت الجميع فإنك أحوج إليه ، وأنا فى غنى عنه ، فلم يفعل ، فقال : خذ ( ١٧٤ - أ ) أنت النصف وأنا النصف ، واجتهد به والدى فلم يفعل . فلما كان بعض الأيام ، وإذا قد جاء ذلك الغلام ومعه عدة من الأثواب السوسى وغيرها ، وقال : هذا من قماشنا قد حضر اليوم . وسبب حضوره أن إنساناً فقاعياً (٥) من أهل تبريز كان معنا فى المركب ، وقد أعادوا عليه ماله ، فرأى هذه الأثواب وإسمى عليها ، فلم يسهل عليه [ أن ] يردّها ، وسأل عنى وقصدنى وهى معه ، وحضر عندى الساعة وسلمها إلى ، وقال : قد تركت طريق تبرأ ذمتى ، وأخذنا نحن ما عليه إسمنا بعد الجهد . وطلب والدى الرجل ، وسأله أن يقيم عندنا ليسلم إليه ما لا يتجر فيه فلم يفعل ، وعاد إلى بلده . وهذان الرجلان نادران فى هذا الزمان .

(٣) الإضافة من ، الروضتين

(٢) بالأصل : هذه .

(١) بالأصل : وتجدد .

(٤) بالأصل : له . (والنصحیح من ، الروضتين ، ١/ص/٢٠٣) .

(٥) (١/ص/٢٠٣) .

(٥) لعلة نسبة الى صانع الفقاع ، والفقاع شراب يتخذ من الشعير .

## ذكر انقراض الدولة العلوية بمصر

### وإقامة الخطبة العباسية بها

في المحرم من سنة سبع وستين وخمسمائة ، قطعت خطبة العاضد لدين الله العلوى صاحب مصر ، وخطب فيها للإمام المستضىء بأمر الله أمير المؤمنين .

وكان السبب في ذلك أن صلاح ( ١٧٤ - ب ) الدين يوسف بن أيوب ، لما ثبت قدمه في مصر ، وزال المخالفون له ، وضعف أمر الخليفة بها ، العاضد ، ولم يبق من العساكر المصرية أحد ، كتب إليه الملك العادل نور الدين محمود ، يأمره بقطع الخطبة العاضدية ، وإقامة الخطبة العباسية ، فاعتذر صلاح الدين بالخوف من وثوب أهل مصر ، وامتناعهم من الإجابة إلى ذلك لميلهم إلى العلويين ، فلم يصغ نور الدين إلى قوله ، وأرسل إليه يلزمه بذلك إلزاماً لا فسحة له فيه ، واتفق أن العاضد مرض - وكان صلاح الدين قد عزم على قطع الخطبة له - فاستشار أمراءه كيف [ يكون (١) ] الإبتداء بالخطبة العباسية ، فمنهم من أقدم على المساعدة وأشار بها ، ومنهم من خاف ذلك ، إلا أنه لم يمكنه إلا امتثال أمر نور الدين . وكان قد دخل إلى مصر إنسان عجمي يعرف بالأمر العالم - وقد رأيناه بالموصل كثيراً - فلما رأى ما هم فيه من الإحجام ، قال : أنا أبتدىء بها ، فلما كان أول جمعة من المحرم صعد ( ١٧٥ - أ ) المنبر قبل الخطيب ودعا للمستضىء بأمر الله ، فلم ينكر أحد (٢) [ ذلك (٣) ] . فلما كان الجمعة الثانية ، أمر صلاح الدين الخطباء بمصر والقاهرة بقطع خطبة العاضد وإقامة الخطبة للمستضىء بأمر الله ، ففعلوا ذلك ، ولم ينتطح فيها عنزان . وكتب بذلك إلى سائر الديار المصرية .

وكان العاضد قد اشتد مرضه ، فلم يعلمه أهله وأصحابه بذلك ، وقالوا : إن سلم فهو يعلم ، وإن توفي فلا ينبغي أن نتغص عليه هذه الأيام التي بقيت من أجله ، فتوفي يوم عاشوراء ، ولم يعلم [ بقطع الخطبة (٤) ] .

ولما توفي جلس صلاح الدين للعزاء ، واستولى على قصره وعلى جميع ما فيه . وكان قد رتب فيه قبل وفاة العاضد ، بهاء الدين قراقوش - وهو خصي - لحفظه (٥) وجعله كأستاذ دار للعاضد ، فحفظ ما فيه حتى تسلمه صلاح الدين ، ونقل أهل العاضد إلى مكان منفرد ووكّل بحفظهم ، وجعل أولاده وعمومته وأبناءهم في إيوان في القصر وجعل عندهم من يحفظهم ، وأخرج من كان بالقصر ( ١٧٥ - ب ) من العبيد والإماء ، فأعقق البعض ووهب البعض وباع البعض ، وأخلى القصر من أهله وسكانه . فسبحان من لا يزول ملكه ولا يغيره ممر الأيام وتعاقب الدهور .

(١) الإضافة من ، الروضتين (ح/١/ص/١٩٤) . (٢) بالأصل : أحدا . (٣) الإضافة من ،  
الروضتين (ح/١/ص/١٩٤) . (٤) الإضافة من ، الكامل (ح/٩/ص/١١١) . (٥) بالأصل : بحفظه .

ولما اشتد مرض العاضد أرسل يستدعى صلاح الدين ، فظن أن ذلك خديعة فلم يمض إليه ، فلما توفي علم صدقه ، فندم (١) على تخلفه عنه .

وكان ابتداء الدولة العلوية بإفريقية والمغرب في ذى الحجة من سنة تسع وتسعين ومائتين . وأول من ظهر منهم ، المهدي أبو محمد عبيد الله (٢) وهو [ الذي ] بنى المهديّة وملك إفريقية جميعها ، وقام بالأمر بها بعده ، ابنه القائم بأمر الله أبو القاسم محمد ، ثم ابنه المنصور بالله أبو الطاهر إسماعيل ابن محمد ، ثم ابنه المعز لدين الله أبو تميم معد — وهو الذي سير العساكر إلى مصر مع مولاه جوهر ، وفتحها وملكها في شعبان من سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة وبني القاهرة — وخرج المعز من إفريقية ، فأقام بمصر وأولاده بعده إلى أن انقرضت دولتهم الآن ، فكانت مدة دولتهم مائتي سنة وستا وستين سنة ، وكان مقامهم بمصر مائتي سنة ( ١٧٦ - أ ) وثمان سنين ، وملك منهم أربعة عشر خليفة ، وهم : المهدي ، والقائم بأمر الله ، والمنصور بالله ، والمعز لدين الله ، ثم ابنه العزيز بالله (٣) ، ثم الحاكم بأمر الله ، ثم الظاهر لإعزاز دين الله ، ثم المستنصر بالله [ ثم المستعلي بالله ، ثم الأمر بأحكام الله (٤) ] ثم الحافظ لدين الله ، ثم الظافر بالله ، ثم الفائز بنصر الله ، ثم العاضد لدين الله وهو آخرهم . ولقد أتينا على ذكر ما أجملناه في المستقصى في التاريخ ، وإنما نذكر ههنا ما تدعو الحاجة إليه .

ولما استولى صلاح الدين على القصر وأمواله وذخائره ، إختار منه ما أراد ووهب أهله وأمرائه (٥) ، وباع منه [ شيئاً ] كثيرآ . وكان فيه من الجواهر والأعلاق النفيسة ما لم يكن عند ملك من الملوك ، قد جمع على طول السنين وعمر الدهور ، فمنه : القضيبي الزمرد طوله نحو قبضة ونصف ، والجبل الياقوت وغيرهما ، ومن الكتب المنتخبة بالخطوط المنسوبة والخطوط الجيدة نحو مائة ألف مجلد .

ولما خطب للمستضيء بأمر الله بمصر ، أرسل نور الدين ( ١٧٦ - ب ) إليه يعرفه ذلك ، فحل عنده أعظم محل ، وسير إليه الخلع الكاملة مع عماد الدين صندل المقتفوي إكراماً له ، لأن عماد الدين كان كبير المحل في الدولة العباسية ثبتها الله تعالى ، وكذلك أيضاً سير خلعاً لصلاح الدين ، إلا أنها أقل من خلع نور الدين ، وسيرت الأعلام السود لتنصب على المنابر ، وكانت هذه أول أهبة عباسية دخلت مصر بعد استيلاء العلويين عليها .

(١) بالأصل : قدم . (٢) بالأصل : عبد الله . (٣) بالأصل : بالله العزيز .

(٤) ما بين الحاصرتين ، بخط بالأصل . (٥) بالأصل : وأمرآيه .

## ذكر الوحشة بين نور الدين

### وصلاح الدين باطنا

وفي سنة سبع وستين أيضاً، جرى ما أوجب نفرة نور الدين من (١) صلاح الدين . وكان الحادث أن نور الدين أرسل إلى صلاح الدين يأمره بجمع العساكر المصرية والمسير بها إلى بلد الفرنج ، والنزول على الكرك ومحاصرتة ، ليجمع هو أيضا عساكره ويسير إليه ، ويحتمعا هناك على حرب الفرنج والإستيلاء على بلادهم ، فبرز صلاح الدين من القاهرة في العشرين من المحرم ، وكتب إلى نور الدين يعرفه أن رحيله لا يتأخر ، وكان ( ١٧٧ - أ ) نور الدين قد جمع عساكره وتجهز ، وأقام ينتظرو ورود الخبر من صلاح الدين برحيله ليرحل هو ، فلما أتاه الخبر بذلك ، رحل عن دمشق عازما على قصد الكرك فوصل إليه ، وأقام ينتظر وصول صلاح الدين إليه ، فأتاه كتابه يعتذر فيه عن الوصول إليه باختلال البلاد ، وأنه يخاف عليها مع البعد عنها فعاد إليها ، فلم يقبل نور الدين عذره .

وكان سبب تقاعده أن أصحابه وخواصه خوفوه من الاجتماع بنور الدين ، فحيث لم يمثل أمر نور الدين شق ذلك عليه وعظم عنده ، وعزم على الدخول إلى مصر وإخراج صلاح الدين عنها ، فبلغ الخبر إلى صلاح الدين ، فجمع أهله وفيهم والده نجم الدين أيوب وخاله شهاب الدين الحارمي ومعهم سائر الأمراء ، وأعلمهم ما بلغه (٢) من عزم نور الدين [ على ] قصده وأخذ مصر منه ، فاستشارهم فلم يجبه (٣) أحد منهم بشيء ، فقام تقى الدين عمر - ابن أخي صلاح الدين - وقال : إذا جاءنا قاتلناه وصددناه عن البلاد ، ووافقته غيره من ( ١٧٧ - ب ) أهله . فشتتهم نجم الدين أيوب وأنكر ذلك واستعظمه - وكان ذا رأى ومكر وعقل - وقال لتقى الدين : أقعد ، وسبه ، وقال لصلاح الدين : أنا أبوك ، وهذا شهاب الدين خالك ، أظن أن في هؤلاء كلهم من يحبك ويريد لك الخير مثلنا ، فقال : لا . فقال : والله لو رأيت أنا وهذا خالك نور الدين لم يمكننا إلا أن نرجل له ونقبل الأرض بين يديه ، ولو أمرنا أن نضرب عنقك بالسيف لفعلنا ، فإذا كنا نحن هكذا ، كيف يكون غيرنا ، فكل من تراه من الأمراء والعساكر ، لو رأى نور الدين وحده ، لم يتجاسر على الثبات على سرجه ولا وسعه إلا النزول وتقبيل (٤) الأرض بين يديه ، وهذه البلاد له وقد أقامك فيها ، وإن أراد عزلك فأى حاجة به إلى المحيىء ، بأمرك بكتاب مع

(١) بالأصل : عن .

(٢) بالأصل : بلغه . (والتصحیح من ، الروضتين ، ح / ١ / ص / ٢٠٤) .

(٣) بالأصل : يقبل . (والتصحیح من ، الروضتين ، ح / ١ / ص / ٢٠٤) .

نجاب حتى تقصد خدمته ويولى بلاده من يريد . وقال للجماعة كلهم : قوموا عنا ، فنحن مما ليك نور الدين وعبيده يفعل بنا ما يريد ، فتفرقوا على هذا ، وكتب أكثرهم إلى نور الدين بالخبر . ولما خلا (١) أيوب (١٧٨ - أ) بابنه صلاح الدين ، قال له : أنت جاهل قليل المعرفة ، تجمع هذا الجمع الكثير وتطلعهم على ما في نفسك ، فإذا سمع نور الدين أنك عازم على منعه عن البلاد ، جعلك أهم الأمور إليه وأولاها بالقصد ، ولو قصدك لم تر معك أحدا من هذا العسكر ، وكانوا أسلموك إليه ، وأما الآن بعد هذا المجلس ، فسيكتبون (٢) إليه ويعرفونه قولي ، وتكتب أنت إليه وترسل في [هذا (٣)] المعنى وتقول : أى حاجة إلى قصدى ، يحيى نجاب يأخذنى بجبل يضعه فى عنقى ، فهو إذا سمع (٤) هذا عدل عن قصدك ، واشتغل بما هو أهم عنده ، والأيام تتدرج والله كل وقت فى شأن . ففعل صلاح الدين ما أشار به والده ، فلما رأى نور الدين الأمر هكذا ، عدل عن قصده ، وكان الأمر كما قال نجم الدين ، توفى نور الدين ولم يقصده ولا أزاله ، وهذا كان من أحسن الآراء وأجودها .

## فى ذكر اتخاذ نور الدين حمام الهوادى

وفى سنة سبع وستين ، أمر الملك العادل نور الدين باتخاذ الحمام الهوادى . وهى المناسيب التى تطير من البلاد البعيدة إلى أوكارها ، واتخذت (١٧٨ - ب) فى سائر بلاده .

وكان سبب ذلك أنه اتسعت بلاده وطالت مملكته ، فكانت من حد النوبة إلى باب همدان ، لا يتخللها سوى بلاد الفرنج . وكان الفرنج لعنهم الله ربما نازلوا بعض الثغور ، فإلى أن يصله الخبر ويسير إليهم [ يكونوا (٥) ] قد بلغوا بعض الغرض ، فحينئذ أمر بذلك ، وكتب به إلى سائر البلاد وأجرى الجرايات [ لها (٥) ] ولربها (٦) ، فوجد بها راحة كثيرة [ فقد ] كانت الأخبار تأتية لوقتها ، فإنه كان له فى كل ثغر رجال مرتبون ومعهم من حمام المدينة التى تجاورهم ، فإذا رأوا أو سمعوا أمراً ، كتبوه لوقت وعلقوه على الطائر وسرحوه ، فيصل إلى المدينة التى هو منها فى ساعته ، فنقل الرقعة منه إلى طائر آخر من البلد الذى يجاورهم فى الجهة التى فيها نور الدين ، وهكذا إلى أن تصل الأخبار إليه ، فأنحفظت (٧) الثغور بذلك . حتى أن طائفة من الإفرنج نازلوا ثغراً له ، فأتاه الخبر ليومه ، فكتب (٨) إلى العساكر المجاورة لذلك الثغر بالإجماع والمسير بسرعة وكبس العدو ، ففعلوا ذلك ، فظفروا والفرنج آمنون (١٧٩ - أ) لبعد نور الدين عنهم ، فرحمه الله ورضى عنه ، ما كان أحسن نظره للرعايا والبلاد .

(١) بالأصل : خلى . (٢) بالأصل : فسيكتبون . (٣) الإضافة من ، الروضتين (٤) بالأصل : ذا اسمع . (٥) الإضافة من ، الروضتين (ح/١/ص/٢٠٤) . (٦) بالأصل : لربها . (٧) بالأصل : فأنحفظت . (٨) بالأصل : وكتب .



## ذكر قصد نور الدين الشهيد بلاد قلعج أرسلان

في سنة ثمان وستين وخمسة ، سار نور الدين نحو ولاية الملك عز الدين قلعج أرسلان بن مسعود بن قلعج أرسلان بن سليمان السلجوقي ، وهي ملطية (١) ، وسيواس (٢) ، وقونية ، وأقصر ، عازما على حربته وأخذ بلاده منه .

وكان سبب ذلك ، أن ذا النون بن دانشمند صاحب ملطية وسيواس وغيرهما من البلاد ، قصد قلعج أرسلان وأخذ بلاده وأخرجه عنها طريدا فريدا ، فسار إلى نور الدين مستجيرا به وملتجئا إلى ظله ، فأكرم نزله وأحسن إليه ، وحمل له ما يليق أن يحمل إلى الملوك ، ووعدته النصرة والسعي في رد ملكه إليه . وكانت عادة نور الدين أنه لا يقصد ولاية أحد من المسلمين إلا ضرورة ، إما ليستعين بها على قتال الفرنج ، أو للخوف عليها منهم ، كما فعل بدمشق ومصر وغيرهما . فلما قصد ذو النون ، راسل قلعج أرسلان وشفع إليه في إعادة ما غلب عليه من بلاده فلم (١٧٩ - ب) يجبه إلى ذلك ، فسار نور الدين نحوه (٣) ، فابتدأ بحصن بهسنا (٤) ومرعش فملكهما (٥) وما بينهما من الحصون ، وسير طائفة من عسكره إلى سيواس فملكوها . وكان قلعج أرسلان لما بلغه قصد نور الدين بلاده ، قد سار من أطرافها التي تلي الشام إلى وسطها ، خوفا وفرقا ، وراسل (٦) نور الدين يستعطفه ويسأله الصلح والصفح عنه ، فتوقف نور الدين عن قصد رجاء أن ينصلح الأمر بغير حرب ، فأتاه عن الإفرنج ما أزعجه (٧) فأجابه إلى الصلح . وكان في جملة رسالة نور الدين إليه : إنني أريد منك أمورا وقواعد ، ومهما تركت منها فلا أترك ثلاثة أشياء : أحدها أنك تجدد إسلامك على يدرسولي حتى يحل لي إقرارك على بلاد الإسلام ، فإنني لا أعتقدك مؤمنا - وكان قلعج أرسلان يتهم باعتقاد مذهب الفلاسفة - والثاني ، إذا طلبت عسكرك (٨) إلى الغزاة تسيره ، فإنك قد ملكت طرفا كبيرا (٩) من بلاد الإسلام وتركت الروم وجهادهم وهداتهم ،

- 
- (١) ملطية : نهر من نهر الجزيرة ممالي الروم . وهي مدينة كبيرة من أكبر الثغور التي دون جبل اللدك ، وتحف بها جبال كثيرة الجوز ، وسائر الثمار مباح لا مالك له . وبين ملطية ومنبج أربعة أيام . وتبدأ بلاد الشام - من حيث المسافة الطولية - بملطية ، وتنتهي برفح . ( الاصطخرى ، ص ٤٣ / ٤٦ / ٤٧ / ٤٨ ) .
- (٢) سيواس : بلد بآسيا الصغرى ، يمر بواديتها نهر قرل لرمك . وهي واقعة على مسافة ستين ميلا من قيسارية ، وعلى مسيرة يومين من توقات . (٣) بالأصل : نحواء . (٤) بالأصل : بهسني . ( والتصحیح من ، ياقوت ) وبهسنا : بنتحين وسكون السين ونون وألف . قلعة حصينة عجيبة بقرب مرعش وسميساط ، ورستاقها هو رستاق كيسوم ، وهو على سن جبل عاك . وهي اليوم ( في زمن ياقوت ) من أعمال حلب .
- (٥) بالأصل : فلكها . (٦) بالأصل : وأرسل . ( والتصحیح من ، الروضتين ، ح / ١ / ص / ٢١٤ ) .
- (٧) في مرآة الزمان ( ح / ٨ / ص / ٢٩٤ ) أن نور الدين علم أن الفرنج قد نزلوا على حمص .
- (٨) بالأصل : عسكرا . ( والتصحیح من ، الروضتين ، ح / ١ / ص / ٢١٤ ) . (٩) بالأصل : كثيرا ( والتصحیح من ، الروضتين ، ح / ١ / ص / ٢١٤ ) .

فإما أن تنجذني بعسكرك (١) لأقاتل بهم الإفرنج (١٨٠ - أ) وإما أن تجاهد من يجاورك من الروم وتبذل الوسع في جهادهم . والثالث أن تزوج ابنتك بسيف الدين غازي ولد أخي ، وذكر أموراً غيرها . فلما سمع قليج أرسلان الرسالة ، قال : ما قصد نور الدين إلا الشناعة على بالزندقة (٢) وقد أجبته (٣) إلى ما طلب ، أنا أجدد إسلامي على يد رسوله . واستقر الصلح ، وعاد نور الدين وترك عسكره في سيواس مع نغر الدين عبدالمسيح في خدمة ذى النون ، فبقى العسكر بها إلى أن مات نور الدين ، فرحل العسكر عنها وعاد قليج أرسلان وملسكها .

## ذكر وفاة السلطان الملك العادل نور الدين

ابن عماد الدين زنكي

توفي الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي بن آقستقر بدمشق ، يوم الأربعاء حادي عشر شوال من سنة تسع وستين وخمسمائة ، بعلبة الخوانيق ، ودفن بقلعة دمشق ، ثم نقل عنها إلى المدرسة التي أنشأها بدمشق عند سوق الخواصين .

وكان قد شرع بتجهيز المسير (٤) إلى مصر لأخذها من صلاح الدين ، فإنه رأى منه فتوراً في غزو الفرنج (١٨٠ - ب) من ناحيته ، فأرسل إلى الموصل وديار الجزيرة وديار بكر يطلب العساكر ليتركها [مع ابن أخيه سيف الدين (٥)] في الشام لمنعه (٦) من الفرنج ، ليسير هو بعساكره إلى مصر . وكان المانع لصلاح الدين من الغزو خوف نور الدين ، فإنه كان يعتقد أن نور الدين متى زال لا يرى إلا الجد في غزوهم بجهد وطاقته ، فلما رأى إخلال صلاح الدين بالغزو وعلم غرضه ، تجهز (٧) للمسير إليه ، فأتاه أمر الله الذي لا يرد .

حكى لي طبيب دمشق يعرف بالرحبي - وهو من حذاق الأطباء - ، قال : استدعاني نور الدين في مرضه الذي توفي فيه مع غيري من الأطباء ، فدخلنا عليه (٨) - وهو في بيت صغير بقلعة دمشق - وقد تمسكت الخوانيق منه وقارب الهلاك فلا يكاد يسمع صوته . فكان يخلو فيه للتعبد في أكثر أوقاته ، فابتدأ (٩) به المرض فيه فلم ينتقل عنه ، فلما دخلنا إليه ورأينا ما به ، قلت له :

(١) بالأصل : بعسكرك ( والنصح من ، الروضتين ، ج١/ص٢١٤ ) .  
(٢) بالأصل : الزندقة .  
(٣) بالأصل : اجته .  
(٤) بالأصل : للمسير .  
(٥) الإضافة من ، الكامل ( ج١/ص١٢٤ ) .  
(٦) بالأصل : تمنعه .  
(٧) بالأصل : فتجهز .  
(٨) بالأصل : إليه .  
(٩) بالأصل : فاشدا ( والنصح من ، الروضتين ، ج١/ص٢٢٨ ) .

[ كان ينبغي أن لا تؤخر إحضارنا إلى أن يشتد بك المرض إلى هذا الحد (١) ] فالآن (٢) ينبغي أن تنتقل عن هذا (١٨١ - أ) الموضوع إلى مكان فسيح فله أثر في هذا المرض ، وشرعنا في علاجه فلم ينجح فيه الدواء وعظم الداء ، ومات عن قريب رضى الله عنه .

وكان أسمر ، طويل القامة ، ليس له لحية إلا في حنكه ، وكان واسع الجبهة ، حسن الصورة ، حلو العينين .

ولما توفي كان قد اتسع ملكه جدا ، فملك الموصل ، وديار الجزيرة ، وأطاعه أصحاب ديار بكر ، وملك الشام ، والديار المصرية . وأمر بمسير جند من مصر إلى اليمن فساروا - ومقدمهم شمس الدولة بن أيوب أخو صلاح الدين - فملكها ، وخطب له بالحرمين مكة والمدينة . وكان مولده تسع عشر شوال من سنة إحدى عشرة وخمسةائة . وطبق ذكره الأرض لحسن سيرته وعمله . وأنا أذكر من حاله ما تعلم [ به ] أن الله تعالى كمله ، وأنه لم يكن مثله إلا الشاذ النادر .

## في ذكر ولاية ابنه الصالح إسماعيل

رضى الله عنه

لما توفي نور الدين ، جلس ابنه الملك الصالح إسماعيل في الملك ولم يبلغ الحلم (٣) ، وحلف له الأمراء والمقدمون (٤) بدمشق وأقام بها ، وأطاعه الناس في سائر بلاد الشام ( ١٨١ - ب ) وصلاح الدين بمصر ، وخطب له بها ، وضرب السكة باسمه فيها . وتولى تربيته الأمير شمس الدين محمد ابن المقدم . وحكى لى البقرة قتيلغ البكالى ، قال : لما توفي نور الدين قال صاحبى كمال الدين [ محمد الشهرزورى ] للأمراء ، ومنهم شمس الدين بن المقدم وحسام الدين الحسين بن عيسى الجراحى وغيرهما من أكابر الأمراء : قد علمتم أن صلاح الدين من ممالك نور الدين ونوابه ، والمصلحة [ أن ] نشاوره فيما نفعله ، ولا نخرجه من بيننا فيخرج عن طاعة الملك الصالح ويجعل ذلك حجة علينا ، وهو أقوى منا لأن له مثل مصر ، وربما أخرجنا وتولى هو خدمة (٥) الملك الصالح ، فلم يوافق أغراضهم هذا القول ، وخافوا أن يدخل صلاح الدين ويخرجهم (٦) . قال : فلم يمرض غير قليل حتى وصلت كتب صلاح الدين إلى الملك الصالح يهنئه بالملك ويعزبه بأبيه ، وأرسل دنانير مصرية

(١) الإضافة من ، الروضتين ، ( ٢٢٨ / ص / ١ / ح ) .

(٢) بالأصل : كان . ( والتصحیح من ، الروضتين ، ( ٢٢٨ / ص / ١ / ح ) .

(٣) كان عمر الصالح إسماعيل ، إحدى عشرة سنة . ( السكامل ، ( ١٢٦ / ص / ٩ / ح ) .

(٤) بالأصل : المتقدمون . (٥) بالأصل : بخدمة . (٦) بالأصل : ويخرجون . ( والتصحیح من

السكامل ، ( ١٢٦ / ص / ٩ / ح ) .

عليه اسمه ، ويعرفه أن الخطبة له والطاعة كما كانت لوالده . فلها سار سيف الدين غازي ابن عمه قطب الدين وملك الديار الجزرية ، ولم يرسل من مع الملك الصالح من الأمراء إلى صلاح الدين (١٨٢- أ) ولا أعلموه الحال ، كتب إلى الملك الصالح يعثبه حيث لم يعلمه قصد سيف الدين بلاده [وأخذها (١)] ليحضر في خدمته ويكفه . وكتب إلى كمال الدين وإلى الأمراء يقول : إن الملك العادل ، لو علم أن فيكم من يقوم مقامى أو يثق إليه مثل ثقته بى ، لسلم إليه مصر التى هى أعظم ممالكه ولاياته ، ولو لم يعجل عليه الموت ، لم يعهد إلى أحد بتربية ولده والقيام بخدمته سواى ، وأراكم قد تفردتم بخدمة مولاي دونى ، وسوف أصل إلى خدمته ، وأجازى إنعام والده بخدمة يظهر أثرها ، وأقابل كلا منكم على سوء صنيعه وإهمال أمر الملك الصالح ومصلحه حتى أخذت بلاده . فقال لهم كمال الدين : هذا الذى كنت حذرتكم [منه] فأقام الملك الصالح بدمشق ومعه جماعة من الأمراء ولم يمكنوه من المسير إلى حلب لثلاثيهم عليه شمس الدين على بن الداية ، فإنه كان أكبر الأمراء النورية ، وإنما تأخر عن خدمة الملك الصالح بعد وفاة نور الدين لمرض لحقه ، وكان هو وإخوته بحلب ، وأمرها (١٨٢- ب) إليهم ، وعساكرها معهم فى حياة نور الدين وبعده ، ولما عجز عن الحركة ، أرسل إلى الملك الصالح يدعوه إلى حلب ليمتع البلاد من سيف الدين ابن عمه ، وأرسل إلى كمال الدين والأمراء يقول لهم : إن سيف الدين قد ملك إلى الفرات ، ولئن لم ترسلوا الملك الصالح إلى حلب ، حتى يجمع (٢) العساكر ويسترد ما أخذه منه ، وإلا عبر سيف الدين إلى حلب ، ولا تقوى على منعه ، فلم يرسلوه ولا يمكنوه من قصد حلب ، فكان من سيف الدين فى ملك البلاد الجزرية ما نذكره إن شاء الله تعالى .

## فى ذكره بعض سيرة الملك العادل نور الدين محمود

رضى الله عنه

قد طالعت تواريخ الملوك المتقدمين قبل الإسلام وفيه إلى يومنا هذا ، فلم أر فيها بعد الخلفاء الراشدين وعمر بن عبد العزيز ، ملكا أحسن سيرة من الملك العادل نور الدين ، ولا أكثر تحريا للعدل والإنصاف منه ، قد قصر ليله ونهاره على عدل ينشره ، وجهاد يتجهز له ، ومظلمة يزيلها ، وعبادة يقوم بها ، وإحسان (١٨٣- أ) يوليه ، وإنعام يسديه . وقد تقدم من أحواله فى ملكته ما يستدل به على ما ذكرنا . ونحن نذكر (٣) ههنا ما تعلم به محله فى أمر دنياه وأخراه ، فلو كان فى أسة لافتخرت به ، فكيف فى بيت واحد .

(٢) بالأصل : يستجمع .

(١) الإضافة من ، السكامل (١٢٦/ص/٩/٢) .

(٣) بالأصل : فذكره .

فأما زهده وعبادته وعلمه ، فإنه كان مع سعة ملكه وكثرة ذخائر بلاده وأموالها ، لا يأكل ولا يلبس ولا يتصرف فيما يخصه ، إلا من ملك كان له قد اشتراه من سهمه من الغنيمة ومن الأموال المرصدة لمصالح المسلمين . أحضر الفقهاء واستفتاهم (١) في أخذ ما يحل له من ذلك ، فأخذ ما أفقوه (٢) بحله ولم يتعده إلى غيره ألبته . ولم يلبس قط ما حرمه الشرع من حرير أو ذهب أو فضة . ومنع من شرب الخمر وبيعها في جميع بلاده ، ومن إدخالها إلى بلد ما ، وكان يحد شاربها الحد الشرعي ، وكل الناس عنده فيه سواء .

حدثني صديق لنا بدمشق كان رضيع الخاتون ابنة معين الدين أنر ، زوجة نور الدين ووزيرها ، قال : كان نور الدين ( ١٨٣ - ب ) إذا جاء إليها يجلس في المكان المختص به ، وتقوم في خدمته لا تتقدم إليه إلا أن يأذن لها في أخذ ثيابه عنه ، ثم تعتزل عنه إلى المكان الذي يختص بها ، وينفرد هو تارة يطالع رقاع أصحاب الأشغال ، أو مطالعة كتاب أتاه ويحبب عنه (٣) . وكان يصلي فيطيل الصلاة ، وله أوراد في النهار ، فإذا جاء الليل وصلى العشاء نام ، ثم يستيقظ نصف الليل ويقوم إلى الوضوء والصلاة والدعاء إلى بكرة ، ثم يظهر للركوب ويشغل بمهام الدولة . قال : وإنها قلت عليها النفقة ، ولم يكفها ما كان قد قرره لها ، فأرسلتني إليه أطلب منه زيادة في وظيفتها (٤) فلما قلت له [ ذلك ] تنكر واحمر وجهه ، ثم قال : من أين أعطيها ، أما يكفها مالها والله لا أخوض نار جهنم في هواها ، إن كانت تظن أن الذي بيدي من الأموال هي لي فبتس (٥) الظن ، إنما هي أموال المسلمين ومرصدة لمصالحهم ، ومعدة لفتق إن كان من عدو الإسلام ، وأنا خازنهم عليها فلا أخونهم فيها (٦) . ثم قال : لي بمدينة حمص ثلاث دكاكين ( ١٨٤ - ) ملكا (٧) قد وهبتها إياها فلنأخذها . قال : وكان يحصل منها قدر قليل .

وكان رحمه الله لا يفعل فعلا إلا بنية حسنة . كان رجل بالجزيرة من الصالحين كثير العبادة والورع ، شديد الإنقطاع عن الناس ، وكان نور الدين يكتبه ويراسله ويرجع إلى قوله ويعتقد فيه [ اعتقادا ] حسنا ، فبلغه أن نور الدين يدمع (٨) اللعب بالكرة ، فكتب إليه يقول له : ما كنت أظن أنك تلهو وتلعب وتعذب الخيل لغير فائدة دينية . فكتب إليه نور الدين بخط يده يقول له : والله ما حملني على اللعب بالكرة ، اللهو والبطر ، إنما نحن في ثغر العدو قريب منا ، وبيننا نحن جلوس إذ يقع الصوت فنركب في الطلب ، ولا يمكننا أيضاً ملازمة الجهاد ليلا

(١) بالأصل : واستفتاهم . (٢) بالأصل : أفقوه . (٣) بالأصل : ويجب عنهما .

(٤) الوظيفة : أي المبلغ المخصص لنفقتها ، كما يفهم من السياق . وفي ( لسان العرب ) : الوظيفة من كل شيء ، ما يقدر

له في كل يوم من رزق أو طعام أو علف أو شراب . وجمعها الوظائف ، والوظف . (٥) بالأصل : فيبتس .

(٦) بالأصل : فيها . (٧) بالأصل : ملك . (٨) بالأصل : يدمع .

ونهارا ، شتاء وصيفا ، إذ لا بد من الراحة للجند ، ومتى تركنا الخيل على مرابطها صارت جماما (١) لا قدرة لها على إدمان السير في الطلب ، ولا معرفة لها أيضاً بسرعة الإنعطاف في الكر والفر في المعركة ، فنحن نركبها ونروضها بهذا اللعب ، فيذهب جمامها وتتعود سرعة الإنعطاف (١٨٤ — ب) والطاعة لراكبها في الحرب ، فهذا والله هو الذي يبعثني على اللعب بالكرة . فانظر إلى هذا الملك المعدوم النظر ، الذي يقل (٢) في أصحاب الروايا المنقطعين إلى العبادة مثله ، فإن من يجيء إلى اللعب ويفعله بنية صالحة ، حتى يصير من أعظم العبادات وأكثر القربات ، يقل في العالم مثله ، وفيه دليل على أنه كان لا يفعل شيئاً إلا بنية صالحة ، وهي أفعال العلماء الصالحين العاملين .

وحكى لي عنه ، إنه حمل إليه من مصر عمامة من القصب الرقيق مذهبة فلم يحضرها عنده ، فوصفت له فلم يلتفت [ إليها ] ، وبينما هم معه في حديثها ، وإذا قد جاءه رجل صوفي فأمر بها له ، فقبل [ له ] : إنها لا تصلح لهذا الرجل ، ولو أعطى غيرها لسكان أنفع له . فقال : أعطوها له ، فإني أرجو أن أعوض عنها في الآخرة ، فسلمت إليه ، فسار بها إلى بغداد فباعها بستائة دينار أميري أو سبعمائة دينار ، أنا أشك [ أنها ] كانت تساوي (٣) أكثر .

وحكى لنا الأمير بهاء الدين علي بن الشكري (١٨٥ — أ) رحمه الله تعالى -- وكان خصيصا لخدمته قد صحبه من الصبا وأنس به وله معه إنبساط -- قال : كنت معه يوماً في الميدان بالرها نسير والشمس في ظهورنا ، فكلما سرنا تقدمنا ظلنا ، فلما عدنا صار ظلنا وراء ظهورنا ، فأجرى فرسه وهو يلتفت وراءه ، فقال لي : أتدرى لأي شيء أجرى فرسي وألتفت ورأى ، قلت : لا . قال : قد شبهت ما نحن فيه بالدنيا ، تهرب من طلبها وتطلب من هرب منها . وكان رحمه الله يصلي كثيراً من الليل ، ويدعو ويستغفر ويقرأ ، ولا يزال كذلك إلى أن يركب .

### جمع الشجاعة والخشوع لربه ما أحسن المحراب في المحراب

وكان عارفاً بالفقه على مذهب الإمام أبي حنيفة ، ليس عنده [ فيه ] تعصب بل الإنصاف سجيته في كل شيء . وسمع الحديث وأسمعه طلباً للأجر . وعلى الحقيقة فهو الذي جدد للملوك إتباع سنة العدل والإنصاف ، وترك المحرمات من المأكل والمشرب والملبس وغير ذلك ، فإنهم كانوا قبله (١٨٥ — ب) كالجاهلية ، همة أحدهم بطنه وفرجه ، لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكراً ، حتى جاء الله بدولته فوقف مع أوامر الشرع ونواهيها ، وألزم بذلك أتباعه وذويه ، فاقتدى به غيره منهم ، واستحيوا أن يظهر عنهم ما كانوا يفعلونه . « ومن سن سنة حسنة كان له أجرها

(١) الجمال ( بالفتح ) الراحة . وجم الفرس ، ترك فلم يركب ؟ فعنا من تعبته وذهب لعاؤه . (لسان العرب) .

(٢) بالأصل : تسوى .

(٣) بالأصل : لعل .

وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة<sup>(١)</sup>، فإن قال قائل : كيف يوصف بالزهد من له الممالك الفسيحة وتجي إليه الأموال الكثيرة ، فليذكر نبي الله سليمان بن داود عليه السلام مع [انساع] ملكه ، وهو سيد الزاهدين في زمانه ، ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم قد حكم على حضرموت ، واليمن ، والحجاز ، وجزيرة العرب جميعها من حدود الشام إلى العراق ، وهو على الحقيقة سيد الزاهدين . وإنما الزهد خلو القلب من حبة الدنيا لا خلو اليد<sup>(٢)</sup> عنها .

## وأما عدله

فإنه كان من أحسن الملوك سيرة ، وأعدلهم حكماً . فن عدله أنه لم يترك (١٨٦ - أ) في بلد من بلاده ضريبة لا مكسا ولا عشرا ، بل أطلقها جميعها في بلاد الشام ، والجزيرة جميعها ، والموصل وأعمالها ، وديار مصر وغيرها بما حكم عليه . وكان المكس في مصر يؤخذ من كل مائة دينار خمسة وأربعون دينارا ، فأطلقها ، وهذا لم يتسع له نفس غيره . وكان يتجرى<sup>(٣)</sup> العدل ، وينصف المظلوم من الظالم كأننا من كان ، القوي والضعيف عنده في الحق سواء ، فكان يسمع شكوى المظلوم ، ويتولى كشف حاله بنفسه ، ولا ينكل ذلك إلى حاجب ولا أمير ، فلا جرم [ أن ] سار ذكره في شرق الأرض وغربها .

## ومن عدله

أنه كان يعظم الشريعة المطهرة ويقف عند أحكامها ، ويقول : نحن شحن لها نمضى أوامرنا . فن أتباعه أحكامها ، أنه كان يوما يلعب بالكرة<sup>(٤)</sup> بدمشق ، فرأى إنسانا [ من أتباعه<sup>(٥)</sup> ] يحدث آخر يومىء بيده إليه ، فأرسل إليه يسأله عن حاله ، فقال : لى مع الملك العادل حكومة<sup>(٦)</sup> ، وهذا غلام القاضى ليحضره [ معنى<sup>(٧)</sup> ] إلى مجلس الحكم يحا كفى على الملك الفلانى ، فعاد إليه ولم (١٨٦ - ب) يتجاسر [ أن ] يعرفه ما قال ذلك الرجل وغالطه ، فلم يقبل منه غير الحق ، نذكر له قوله ، فألقى الجوكان من يده ، وخرج من الميدان وسار إلى القاضى<sup>(٨)</sup> يقول [ له ] : إننى قد جئت محاكما ، فاسلك معى ما تسلكه مع غيرى ، فلما حضر ساوى [ بينه وبين ] خصمه وحاكمه ، فلم يثبت عليه حق وثبت الملك لنور الدين ، فقال نور الدين حينئذ للقاضى ولما حضر : هل ثبت له عندى حق ،

(١) حديث شريف . (٢) بالأصل : لا إليه عنها . ( والتصحیح من الروضتين ، ح / ١ / ص / ٧ ) .

(٣) بالأصل : يجرى . ( والتصحیح من ، الروضتين ؛ ح / ١ / ص / ٧ ) . (٤) بالأصل : الكورة .

(٥) الإضافة من ، الكواكب الدرية ( مخطوط ، ورقة ٤ و ) . (٦) أى خصومة .

(٧) الإضافة من . الكواكب الدرية ( مصور ، لوحة / ١٠ ) . (٨) فى الروضتين ( ح / ١ / ص / ٧ ) ،

أنه كمال الدين بن الشهرزورى .

فقالوا : لا . فقال : إشهدوا أنني قد وهبت له هذا الملك الذي حاكمني عليه ، وقد كنت أعلم أنه لاحق له عندي ، وإنما حضرت معه لئلا يظن أنني ظلمته ، فحيث ظهر أن الحق لي وهبته [ له ] ، وهذا غاية العدل والإنصاف بل غاية الإحسان وهي درجة وراء العدل ، فرحم الله هذه النفس الزكية الطاهرة المنقادة إلى الحق ، الواقعة معه .

قال صاحب التاريخ . ومن عدله قدس الله روحه ونور ضريحه من نور فسيحه ، أنه لم يكن يعاقب العقوبة التي جرت بها عادة الملوك في هذه الأعصار على الظنة والنهمة ، بل يطلب الشهود على المتهم ، فإن قامت عليه البينة الشرعية ، عاقبه العقوبة الشرعية من غير تعد ، فدفع الله بهذا الفعل عن الناس من الشر ما يوجد في غير ولايته مع شدة السياسة والمبالغة في العقوبة والأخذ بالظنة . وأمنت بلاده مع سعتها ، وقل المفسدون ببركة العدل واتباع الشرع المطهر .

وحكى لي من أثق به ، إنه دخل يوما إلى خزانة المال ، فرأى فيها مالا أنكره ، فسأل (١) عنه فقيل : إن القاضي كمال الدين أرسله وهو من جهة كذا ، فقال : إن [ هذا ] المال ليس لنا ولا لبنت المال في هذه الجهة شيء ، وأمر بإعادته إلى كمال الدين ليرده إلى صاحبه ، فأرسله متولى الخزانة إلى كمال الدين فرده إلى الخزانة مرة [ أخرى ] وقال : إذا سأل الملك العادل عنه ، فقولوا له عنى ، إنه له ، فدخل نور الدين إلى الخزانة مرة أخرى فرآه ، فأنكر على النواب ، وقال : ألم أقل لكم يعاد هذا المال على أصحابه ، فذكروا له قول كمال الدين فرده إليه ، وقال للرسول : قل لكالمال الدين أنت تقدر على حمل هذا [ المال ] وأما أنا فرقتي دقيقة ( ١٨٧ — ب ) لا أطيق حمله والمخاصمة عليه بين يدي الله تعالى ، يعاد قولا واحدا فأعاده .

ومن عدله أيضا بعد موته — وهو [ من ] أعجب ما يحكى عنه — ، أن إنسانا كان بدمشق غريبا قد استوطنها وأقام بها لما رأى من عدل نور الدين ، فلما توفي وملكها (٢) صلاح الدين ، كان أجناده وأمرأؤه يفعلون ما يريدون ولا يمتنعهم ، فتعدى بعض الأجناد على هذا الرجل فشكاه ، فلم ينصفه صلاح الدين ، فنزل من القلعة وهو يستغيث ويبكى وقد شق ثوبه ، وهو يقول : يا نور الدين ، لورأيتنا وما نحن فيه من الظلم لرحمتنا ، أين عدلك عنا ، وقصد تربة نور الدين ومعه من الخلق ما لا يحصى ، وكلهم يبكى ويصيح ، فوصل الخبر إلى صلاح الدين ، وقيل له : إحفظ البلد والرعية وإلا أخرج عن يدك ، فأرسل إلى ذلك الرجل — وهو عند تربة نور الدين يبكى والناس معه — فطيب قلبه ، ووهبه [ شيئا ] وأنصفه ، فبكى أشد من الأول ، فقال له صلاح الدين : لم تبكى ، فقال : أبكى على سلطان عدل فيما بعد موته ، فقال صلاح الدين ( ١٨٨ — أ ) : وهذا هو الحق ، وكل ما يرى فيما من عدل فمنه تعلمناه .

(٢) بالأصل : ملكها .

(١) بالأصل : قال .



## فصل في ذكر بنائه دار العدل

رحمه الله وأسكنه فسيح جناته

كان الملك العادل نور الدين رضى الله عنه ، أول من بنى داراً لكشف المظالم وسمها دار العدل . وكان سبب بنائها ، أنه لما طال مقامه بدمشق وأقام بها أمراًؤه وفيهم أسد الدين شيركوه — وهو أكبر أمير معه ، وقد عظم شأنه وعلا مكانه حتى صار كأنه شريك في الملك — واقتنوا الأملاك فأكثروا ، وتعدى كل واحد منهم على من يجاوره في قرية أو غيرها ، فكثرت الشكوى إلى كمال الدين ، فأنصف بعضهم من بعض ، ولم يقدم على الإنصاف من أسد الدين شيركوه ، فأنهى الحال إلى نور الدين ، فأمر حينئذ ببناء دار العدل ، فلما سمع أسد الدين ذلك ، أحضر نوابه جميعهم ، وقال لهم : إعلموا أن نور الدين ما أمر ببناء هذه الدار إلا بسببى وحدى ، وإلا فن هو الذى يتمتع على كمال الدين ، والله لئن حضرت إلى دار العدل بسبب أحدكم لأصلبته (١٨٨ - ب) فامضوا إلى كل من بينكم وبينه منازعة [ في ملك (١) ] فافصلوا الحال معه ، وأرضوه بأى شئ أمكن ، ولو أتى ذلك على جميع ما يبدى ، فقالوا له : إن الناس إذا علموا هذا اشتطوا في الطلب . فقال : خروج أملاكى عن يدى أسهل عندى من أن يرانى نور الدين بعين أنى ظالم ، أو يساوى بينى وبين آحاد (٢) العامة في الحكومة (٣) . فخرج أصحابه من عنده وفعلوا ما أمرهم ، وأرضوا خصماءهم وأشهدوا عليهم ، فلما فرغت دار العدل جلس نور الدين فيها لفصل الحكومات . وكان يجلس فى الأسبوع يومين وعنده القاضى والفقهاء ، فبقى كذلك مدة ، فلم يحضر عنده أحد يشكو من أسد الدين ، فقال لكمال الدين : ما أرى أحداً يشكو من شيركوه . فعرفه الحال ، فسجد فشكر الله تعالى وقال : الحمد لله إذ أصحابنا ينصفون من أنفسهم قبل حضورهم عندنا . فانظر إلى هذه المعدلة ما أحسنها ، وإلى هذه الهية ما أعظمها ، وإلى هذه السياسة ما أشدها . هذا مع أنه كان لا يريق دماً ، ولا يبالغ فى عقوبة ، وإنما كان يفعل (١٨٩ - أ) هذا صدقة فى عدله وحسن نيته .

وأما شجاعته وحسن رأيه فقد كانت النهاية إليه فيها ، فإنه كان أصبر الناس فى الحرب وأحسنهم مكيدة ورأياً ، وأجودهم معرفة بأمور الأجناد وأحوالهم ، وبه كان يضرب المثل فى ذلك . سمعت جمعا كثيراً من الناس لا أحصيهم [ يقولون ] إنهم لم يروا على ظهر الفرس أحسن منه ، كأنه خلق منه لا يتحرك ولا يتزلزل .

وكان من أحسن الناس لعباً بالكرة وأقدرهم عليها ، لم ير جواكته (٤) يعلو على رأسه ، وكان

(١) الإضافة من الروضتين (١/ص ٨) (٢) بالأصل : أجساد . (والتصحيح من الروضتين ،

(٣) الحكومة هنا ، بمعنى القضاء . (٤) بالأصل : جواكته .

ربما ضرب الكرة فتعلو ، فيجرى الفرس ويتناولها بيده من الهواء ويرميها إلى آخر الميدان ، وكانت يده لا ترى والجو كان فيها ، بل تكون في كم قبائه استهانة باللعب .

وكان إذا حضر الحرب ، أخذ قوسين وتركشين (١) وبأشر القتال بنفسه ، وكان يقول : طالما تعرضت للشهادة (٢) فلم أرزقها . سمعه يوماً الإمام قطب الدين النيسابوري - الفقيه الشافعي - وهو يقول ذلك ، فقال له : بالله لا تخاطر بنفسك وبالإسلام والمسلمين ( ١٨٩ - ب ) فإنك عمادهم ، وإن أصبت والعياذ بالله في معركة ، لا يبقى من المسلمين أحد إلا وأخذه السيف ، وأخذت البلاد . فقال له : يا قطب الدين ، ومن محمود حتى يقال له هذا ، قبلي من حفظ البلاد والإسلام ، ذلك الله الذي لا إله إلا هو .

وكان رحمه الله يكثر أعمال الحيل والمكر والخداع مع الفرنج خذلهم الله تعالى ، وأكثر ما ملسكه من بلادهم به . ومن جيد الرأي ما سلكه مع مليح بن ليون ملك الأرمن صاحب الدروب ، فإنه مازال يخدمه ويستميله حتى جعله في خدمته سفراً وحضراً (٣) ، وكان يقاتل به الفرنج . وكان يقول : إنما حملني على استمالته ، أن بلاده حصينة وعرة المسلك ، وقلاعه منيعة ، وليس لنا إليها طريق ، وهو يخرج منها إذا أراد فينال من بلاد الإسلام ، فإذا طلب انحجر فيها فلا يقدر عليه ، فلما رأيت الحال هكذا ، بذلت له شيئاً من الإقطاع على سبيل التآلف حتى أجاب إلى طاعتنا وخدمتنا ، وساعدنا على الفرنج . وحين (٤) توفي نور الدين ( ١٩٠ - أ ) وسلك من بعده غير هذا الطريق ، ملك المتولى للأرمن بعد مليح كثيراً من بلاد المسلمين وحصونهم ، وصار منه ضرر عظيم وخرق واسع لا يمكن رقهه .

ومن أحسن الآراء ما كان يفعله مع أجناده ، فإنه كان إذا توفي أحدهم وخلف ولداً ، أقر إقطاعه (٥) عليه ، فإن كان الولد كبيراً ، استبد بنفسه ، وإن [ كان ] صغيراً رتب معه رجلاً عاقلاً يثق إليه فيتولى أمره إلى أن يكبر ، فكان الأجناد يقولون ، هذه أملاكنا يرثها الولد عن الوالد فنحن نقاتل عنها . وكان ذلك سبباً عظيماً (٦) من الأسباب الموجبة للصبر في المشاهد والحروب . وكان أيضاً يثبت أسماء أجناد كل أمير في ديوانه ، وسلاحهم ودوابهم ، خوفاً من أن حرص بعض الأمراء وشحه يحمله على أن يقتصر على بعض ما هو مقرر عليه من العدد ، ويقول : نحن كل وقت بصدد النفير ، فإذا لم يكن أجناد كافة الأمراء كاملي العدد والعدد ، دخل الوهن على الإسلام . ولقد صدق رضى الله عنه فيما قال ، وأصاب فيما فعل ، فلقد رأينا ما خافه عياناً .

(١) تركش : كلمة فارسية ، معناها : جمعة ، كنانة ( المعجم في اللغة الفارسية ) وهي التي توضع فيها النبال .  
(٢) بالأصل : الشهادة .  
(٣) بالأصل : وحدراً .  
(٤) بالأصل : وحيث .  
(٥) بالأصل : الإقطاع .  
(٦) بالأصل : سبب عظيم .

## (١٩٠ - ب) وأما ما فعله من المصالح

الذى فعله من المصالح في بلاد الإسلام مما يعود إلى حفظها وحفظ المسلمين فكثير عظيم ، ونحن نذكر طرفاً منه . فمن ذلك أنه بنى أسوار مدن الشام جميعها وقلاعها ، فمنها : حاب ، وحمّة ، وحمص ، ودمشق ، وبارين ، وشيزر ، ومنبج وغيرها من القلاع والحصون وحصنها ، وأحكم بناءها ، وأخرج عليها من الأموال ما لا تسمح به النفوس .

وبنى أيضاً المدارس بحلب ، وحمّة ، ودمشق ، وغيرها للشافعية والحنفية .

وبنى الجوامع في جميع البلاد ، فجامعه في الموصل إليه النهاية في الحسن والإتقان . ومن أحسن ما عمل فيه ، أنه فوض أمر عمارته والخروج عليه إلى الشيخ عمر الملا رحمه الله - وهو رجل من الصالحين - ، فقيل له : إن هذا [ الرجل ] لا يصلح لمثل هذا العمل . فقال : إذا وليت العمل بعض أصحابي من الأجناد والكتاب أعلم أنه يظلم في بعض الأوقات ، ولا يفي الجامع بظلم رجل مسلم ، وإذا وليت هذا الشيخ غلب على ظني ( ١٩١ - أ ) أنه لا يظلم ، فإذا ظلم كان الإثم عليه لا عليّ . وهذا هو الفقه في الخلاص من الظلم . وبني أيضاً بمدينة حمّة جامعاً على نهر العاصي من أحسن الجوامع وأزهرها . ووجد في غيرها من عمارة الجوامع ما كان قد تهدم ، إما برزلة أو بغيرها .

وبنى البيمارستانات في البلاد ، ومن أعظمها البيمارستان الذي بناه بدمشق ، فإنه عظيم كثير الخرج . بلغني أنه لم يجعله رقفاً على الفقراء حسب ، بل على كافة المسلمين من غني وفقير . ولقد جرى لي مع طبيبه ما أذكره ، وذلك أنني قدمت من زيارة بيت المقدس - بعد أن فتحه المسلمون - مريضاً ، فسألت عن طبيب فدلوني على مغربي فأتيته ووصفت له مرضي ، فوصف لي وصفة لم يرضني قوله ، فعاودته القول فركني ومضى ، فأنتفت نفسي وضائق الدنيا في عيني ، وعزمت على أن لا أعالج نفسي إلا بما تنهى إليه معرفتي ، واشتد مرضي لما نالني من الغيظ ، فلما كان الغد ، قوى عزمي على قصد ( ب - ١٩١ ) طبيب يعالجني ، فركبت ودخلت البلد وسألت عن طبيب ، فدالت على طبيب هذا البيمارستان ، فأتيته فيه وهو يكتب نسخاً للمرضى الذين به ، فلما رأيته قد قاربته ، أقبل على بوجه منبسط وسألني (١) عن حالتي فوصفتها (٢) له ، فمكتب لي نسخة ، وقال لي : يحمل غلامك ما في هذه النسخة . فقلت : لا حاجة بي إلى ذلك ، فقد أغناني الله عن مزاحمة الفقراء . فقال : يامولاي ، لا أشك أنك في غنى عن هذا ، ولكن لا يأنف أحد من صدقة نور الدين وإنعامه ، والله إن أولاد السلطان صلاح الدين وأهله ليأخذون من الأدوية

(٢) بالأصل : فوصفته ،

(١) بالأصل : وسألني .

من هذا اليمارستان . فقلت : أنا لا أرى ذلك . فقال : إنه وقف على كافة المسلمين غنيهم وفقيرهم (١) ، فوجدت في نفسي بكلامه إنبساط . فحكيت له حكاية ذلك الطبيب ، فقال : يا مولاي ، مغربي وقد أقام بالشام لا يكون إلا هكذا ، وأما أنا فما تراه في من أدب الناس فمن عندكم وبلادكم ، فإني سافرت إلى الموصل والعراق . فشكرته وعدت عنه ، رضى الله عنه .

(١٩٢ — أ) وبني أيضا الخانات في الطرق ، فأمن الناس وحفظت أموالهم ، وباتوا في الشتاء في كن من البرد والمطر .

وبني أيضا الأبراج على الطرق ، وبين بلاد المسلمين والفرنج ، وجعل فيها من يحفظها ومعهم الطيور الهوادي ، فإذا رأوا من العدو أحداً أرسلوا الطيور ، فأخذ (٢) الناس حذرهم واحتاطوا لأنفسهم ، فلا (٣) يبلغ العدو منهم غرضاً . وكان [ هذا ] من ألطف الفكر وأكثرها نفعاً ، رحمه الله تعالى .

وبني أيضا الربط والخانات في جميع البلاد للصوفية ، ووقف عليها الوقوف الكثيرة ، وأدر عليهم الإدرات الصالحة ، وكان يحضر عنده مشايخهم ويقربهم ويدنيهم ويبسطهم ويتواضع لهم ، وإذا أقبل أحدهم إليه يقوم له مذ تقع عينه عليه ، ويعتقه ويجلسه معه على سجاده ويقبل عليه بحديثه . وكذا أيضا كان يفعل بالعلماء من التعظيم والتوقير والإحترام ، ويجمعهم عنده للبحث والنظر ، فقصده من البلاد الشاسعة ، من خراسان وغيرها . وبالجملة فكان أهل الدين (١٩٢ — ب) عنده في أعلى المنازل وأعظمها ، فكان أمراؤه يحسدونهم على ذلك ، وكانوا يقعون فيهم عنده فينهام ، وإذا نقلوا عن إنسان عيباً يقول : ومن المعصوم ، وإنما الكامل من (٤) تعد ذنوبه . بلغني أن بعض الأكبر من الأمراء حسد قطب الدين النيسابوري الفقيه الشافعي — وكان قد استقدمه من خراسان وبالغ في إكرامه والإحسان إليه — فحسده ذلك الأمير فمال منه يوماً عند نور الدين ، فقال له : يا هذا ، إن صح ما تقول فله حسنة تغفر (٥) كل زلة تذكرها ، وهي العلم والدين ، وأما أنت وأصحابك ، ففيمكم أضعاف ما ذكرت ، وليست لكم حسنة تغفرها ، ولو عقلت لشغلك عيبك عن غيرك ، وأنا أحتمل سيئاتكم مع عدم حسناتكم ، أفلا أحتمل سيئة هذا —

(١) يذكر أبو شامة أنه وقف على كتاب وقف اليمارستان فلم يره مشيراً بذلك ، ولأنما هذا كلام شاع على ألسنة العامة لنفع ما قدره الله تعالى من مزاجة الأغنياء للفقراء فيه . ولأنما صرح بأن ما بين وجوده من الأدوية الكبار وغيرها لا يتبع منه من احتاج إليه من الأغنياء والفقراء نفس ذلك بذلك « (الروضتين ، ج ١/ ص ٩) .  
(٢) بالأصل : فأخذوا .  
(٣) بالأصل : فلم .  
(٤) بالأصل : ممن .  
(٥) بالأصل : يشو . (والنصحيج من : الروضتين ، ج ١/ ص ٩) .

إن صحت - مع وجود حسنته (١) ، على أننى والله لا أصدقك فيما تقول ، وإن عدت ذكرته أو غيره بسوء لأوذيتك ، فكف عنه . هذا والله هو الإحسان والفعل الذى [ ينبغى أن (٢) ] يكتب على العيون بماء الذهب .

(١٩٣ - أ) وبني بدمشق أيضا داراً للحديث ، ووقف [ عليها (٣) ] وعلى من بها من المشتغلين بعلم الحديث وقروفا كثيرة ، وهو أول من بنى داراً للحديث فيما علمناه .

وبنى أيضا فى كثير من بلاده مكاتب للآيتام ، وأجرى عليهم وعلى معلمهم الجرايات الوافرة . وبنى أيضا مساجد كثيرة ، ووقف عليها وعلى من يقرأ بها القرآن ، ووقف على الآيتام الذين يقرءون بها القرآن . وهذا فعل لم يسبق إليه . بلغنى من عارف بأعمال الشام ، أن ووقف نور الدين فى وقتنا هذا - وهو سنة ثمان وستمائة (٤) - كل شهر تسعة ألف دينار صورية (٥) ، ليس فيها ملك غير صحيح شرعى ظاهرا وباطنا ، فإنه وقف ما انتقل إليه ووزن (٦) ثمنه أو (٧) ما غلب عليه من بلاد الفرنج وصار سهمه .

## فصل فى ذكر وقاره وهيبته

قدس [ الله ] روحه ونور ضريحه

فإليه النهاية فهما ، فلقد كان كما قيل : شديد فى غير عنف رقيق فى غير ضعف ، واجتمع له ما لم يجتمع لغيره ، فإنه ضبط ناموس الملك حتى مع أجناده وأصحابه (١٩٣ - ب) إلى غاية لا مزيد عليها . [ وكان ] يلزمهم بوظائف الخدمة ، الصغير منهم والكبير . ولم يجلس عنده أمير من غير أن يأمره بالجلوس ، إلا بنجم الدين أيوب والد صلاح الدين يوسف ، وأما من عداه كأسد الدين شيركوه ، ومجد الدين بن الداية وغيرهما ، فإنهم كانوا إذا حضروا عنده يقفون قياما إلى أن يأمرهم بالعود . وكان مع هذه العظمة وهذا الناموس القائم ، إذا دخل عليه الفقيه أو الصوفى أو الفقير يقوم له ويمشى بين يديه (٨) ، ويجلسه إلى جانبه ، ويقبل عليه بجدته كأنه

(١) بالأصل : حسنته . (٢) الإضافة من : الروضتين ، (ح/١/ص/١٠) .  
(٣) الإضافة من : الروضتين ، (ح/١/ص/١٠) . (٤) حدد ابن الأثير بذكره هذا التاريخ ، السنة التى ألت فيها كتابه هذا . (٥) بالأصل : صورته (والتصحيح من : الروضتين ، (ح/١/ص/١٠) .  
(٦) هكذا أيضا فى الروضتين ، (ح/١/ص/١٠) ولعل المراد : وورث ثمنه .  
(٧) بالأصل : من . (والتصحيح من : الروضتين ، (ح/١/ص/١٠) .  
(٨) بالأصل : ويمشى إلى بين يديه . (وقد أستبط ، المحقق اللفظ : لى . لائنه زائد) .

أقرب الناس إليه . وكان إذا أعطى أحدهم شيئاً ، يقول : إن هؤلاء لهم في بيت المال حق ، فإذا قنعوا منا ببعضه فلهم المنة (١) علينا .

وكان مجلسه كما روى في صفة مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مجلس حلم وحياء لا تؤبن فيه الحرم ، وهكذا كان مجلسه ، لا يذكر فيه إلا العلم والدين ، وأحوال الصالحين ، والمشورة في أمر الجهاد وقصد بلاد العدو ، ولا يتعدى هذا . (١٩٤ - أ) بلغني أن الحافظ أبا القاسم ابن عساكر الدمشقي رضي الله عنه (٢) ، حضر مجلس صلاح الدين يوسف لما ملك دمشق فرأى فيه من اللغظ ، وسوء أدب الجلوس فيه ما لاحد عليه ، فشرع يحدث صلاح الدين كما كان يحدث نور الدين ، فلم يتمكن من القول لكثرة اختلاف المتحدثين (٣) وقلة استماعهم ، فقام وبقي مدة لا يحضر المجلس الصلاحي ، وتكرر من صلاح الدين الطلب له فحضر ، فعاتبه صلاح الدين على انقطاعه . فقال : نزهت نفسي عن مجلسك ، فإنني رأيتك كبعوض مجالس السوق ، لا يستمع [فيه] إلى قائل ولا يرد جواب متكلم ، وقد كنا بالأمس نحضر مجلس نور الدين فكنا كما قيل : كأنا [على] ره وسنا الطير ، تعلقونا الهيبة (٤) والوقار ، وإذا تكلم أنصتنا ، وإذا تكلمنا استمع لنا ، فتقدم صلاح الدين إلى أصحابه ، أنه (٥) لا يكون منهم ما جرت به عادتهم إذا حضر الحافظ فهكذا كانت أحواله جميعها - رحمه الله تعالى - مضبوطة محفوظة .

## وأما حفظه أصول الديانات

(١٩٤ - ب) فإنه رحمه الله تعالى كان مراعيها ، لا يهملها ولا يمكن أحدا من الناس من إظهار ما يخالف الحق . ومتى أقدم مقدم على ذلك أدبه بما يناسب بدعته . وكان يباليغ في ذلك ، ويقول : نحن نحفظ الطرق من لص وقاطع طريق ، والأذى الحاصل منهما قريب ، أفلا نحفظ الدين ونمنع عنه ما يناقضه ، وهو الأصل . حكى لي أن إنسانا كان بدمشق يعرف بيوسف بن آدم ، كان يظهر الزهد والنسك - وقد كثر أتباعه - أظهر شيئاً من التشبيه (٦) ، فبلغ خبره نور الدين فأحضره وأركبه حماراً وأمر بصفعه وطيف به في البلد جميعه ، ونودي عليه : هذا جزاء من أظهر في

(١) الأصل : المنية . (٢) هو أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الدمشقي ، صاحب « تاريخ دمشق » توفي سنة ٥٧١ هـ . ( ترجمته في شذرات الذهب ، ج٤/ص٢٣٩ ) . (٣) بالأصل : المتحدثين . (والصحيح من : الروضتين ، ج١/ص١٠) . (٤) بالأصل : للهيبه . (٥) بالأصل : أنهم . (٦) أي أنه من المشبهة . وهي فرقة إسلامية ، تشبه الله بالخلقوات . ( انظر : الملل والنحل للشهرستاني ) .

الدين البديع . ثم نفاه من دمشق فسار عنها وقصد حران ، وأقام بها إلى أن مات . ويسوق الله القصار الأعمار إلى البلاد الوخجة .

## فصل من كلام عماد الدين الكاتب فيه

رحمه الله تعالى

قال العماد محمد بن حامد الكاتب - وقد ذكر نور الدين في بعض ( ١٩٥ - أ ) مصنفاته ( ١ ) - فقال : كان ملك بلاد الشام ومالكها ، والذي بيده ممالكها ، الملك العادل نور الدين أعف الملوك وأتقاهم ، وأتقهم ( ٢ ) رأيا وأتقاهم ، وأعد لهم وأعدتهم ، وأزهدهم وأجهدهم ، وأظهرهم وأظهرهم ، وأقراهم وأقدرهم ، وأصلحهم عملا ، وأنجحهم أملا ، وأرجحهم رأيا ، وأوضحهم آيا ، وأصدقهم قولا ، وأفصدهم طولا ، وكان عصره فاضلا ، ونصره واصلا ، وحكمه عادلا ، وفضله شاملا ، وزمانه طيبا ، وإحسانه صيبا ، والقلوب بمهابته ومحبة متملية ، والنفوس بعاطفته وعارفته متملية ، وأموره مقبلة ، وأوامره ممتثلة ، وجده منزه عن الهزل ، ونوابه في أمن من العزل ، ودولته مأمولة مأمونة ، وروضته مصوبة مصونة ، والرياسة كاملة ، والسياسة شاملة ، والزيادة زائدة ، والسعادة مساعدة ، والعيشة ناضرة ، والشريعة ناصرة ، والإنصاف صاف ، والإسعاف عاف ، وأزر الدين قوى ، وظمأ الإسلام روى ، وزند النجج وورى ، والشرع متبوع ، والحكم ( ١٩٥ - ب ) مسموع ، والعدل مولى والظلم معزول ، والتوحيد منصور والشرك مخذول ، وللتقى شروق ، وما للفسوق سوق ، وهو الذى أعاد رونق الإسلام إلى بلاد الشام ، وقد غلب الكفر ، وبلغ الضر ، فاستفتح معاقبها ، واستخلص عقايلها ، وأشاع بها شعار للشرع فى جميع الحل والعقد ، والإبرام والنقض ، والبسط والقبض ، والوضع والرفع ، وكانت للفرنج فى أيام غيره على بلاد الشام قطائع فقطعها ، وعفى رسومها ومنعها ، ونصره الله عليهم مرارا حتى أسر ملوكهم ، وبدد ساووكهم ، وصان الثغور منهم ، وحماها عنهم ، وأحيا ( ٣ ) معالم العلوم الدوارس ، وبنى اللائمة المدارس ، وأنشأ الخانقاهات للصوفية وكثرها ( ٤ ) فى كل بلد وكثر وقوفها ، وقرر ( ٥ ) مهرورها ، وأدنى للوافدين من جنان جنابه قظوفها ، وأجد الأسوار والخنادق ، وأنمى المرافق ، وحسى الحقائق ، وأمر فى الطرقات ببناء [ الربط ] والخانات ، فضافت ( ٦ ) ضيوف الفضائل ، وفاضت

( ١ ) فى ، الروضتين ( ح / ١ / ص / ١٠ ) أنه كتاب « البرق الشامى » . وقد أورد أبو شامة فى كتابه ، نبر ناقلة ابن الأثير هنا ، من العماد الكاتب .  
( ٢ ) بالأصل : وأتقهم ( والتصحيح من ، الروضتين ، ح / ١ / ص / ١٠ ) .  
( ٣ ) بالأصل : واحى . ( ٤ ) بالأصل : وكبرها . ( والتصحيح من ، الروضتين ، ح / ١ / ص / ١٠ ) .  
( ٥ ) بالأصل : وفر . ( والتصحيح من ، الروضتين ، ح / ١ / ص / ١١ ) .  
( ٦ ) بالأصل : وضافت . ( والتصحيح من ، الروضتين ، ح / ١ / ص / ١١ ) .

فيوض (١٩٦ - أ) الفواضل ، وهو الذي فتح مصر وأعمالها ، وأنشأ (١) دولته ورجالها . ولو ذكرت مقال العلماء فيه لكان مجلدات ، ولكن الاختصار أليق بما نحن فيه والسلام .

## في ذكر استيلاء أتابك سيف الدين غازي على البلاد (٢)

### الجزرية بعد وفاة نور الدين

كان نور الدين قبل أن يمرض ، قد أرسل إلى البلاد الشرقية كالموصل وغيرها يستدعي العساكر منها ، فسار سيف الدين غازي بن أتابك قطب الدين صاحب الموصل في عساكره ، فلما كان ببعض الطريق ، أتاه الخبر بموت عمه الملك العادل نور الدين ، فعاد إلى نصيبين فلما كان بالشحن إلى بلد الحابور فاستولوا عليه ، وسار هو إلى حران فحصرها عدة أيام ، وكان بها مملوك نور الدين في قلعتها اسمه قايماز الحراني ، فامتنع فيها ثم أطاع على أن تكون حران له ، ونزل إلى خدمة سيف الدين فقبض عليه وأخذ حران منه ، وسار إلى الرها فحصرها وملكها ، وأرسل إلى مدينة (١٩٦ - ب) الرقة فملكها ، وكذلك سروج ، واستكمل ملك سائر ديار الجزيرة سوى قلعه جعبر .

وكان بمدينة حلب وقلعتها الأمير شمس الدين علي بن الداية — وهو من أكبر الأمراء النورية — وهو مريض فلم يمكنه منع سيف الدين عن البلاد الجزرية ، فأرسل إلى دمشق يطلب أن يرسل إليه الملك الصالح في العساكر التي معه بها ، ليمنع سيف الدين عن البلاد ، فلم يفعل شمس الدين ابن المقدم — وكان هو المرئي للملك الصالح والقائم بأمره — وخاف أن يرسله فيأخذه أولاد الداية ويسيروا معه إلى دمشق ويزيلوا ابن المقدم عما يتولاه ، فيتمكن (٣) حينئذ سيف الدين من ملكها ، فلما استقام له ملك البلاد الجزرية ، قال له نجر الدين عبد المسيح — وكان قد فارق سيواس بعد وفاة نور الدين ، وقصد سيف الدين ظنا منه أن سيف الدين يرعى له خدمته ، وقيامه في أخذ الملك له من والده قطب الدين على ما ذكرناه أولا ، فلم يجن ثمرة ما غرس ، وكان عنده كبعض (١٩٧ - أ) الأمراء — فقال له : ليس بالشام من يمنعك ، فاعبر الفرات واملك البلاد . فأشار أمير آخر معه — وهو أكبر أمراءه — يقال له عز الدين محمود المعروف بزلف دار : قد ملكت أكثر من والدك ، والمصاحبة أن تعود . فرجع إلى قوله وعاد إلى الموصل ﴿ ليقضى الله أمرا كان مفعولا (٤) ﴾ ، ﴿ وكان ذلك في الكتاب مسطوراً (٥) ﴾ .

وأما أحوال من بالشام . فإن نور الدين كان قد جعل بقلعة الموصل لما ملكها دزدارا لها وهو

(١) بالأصل : بإنشاء .

(٢) بالأصل : بلاد .

(٣) بالأصل : فسكن .

(٤) سورة الأنتال : ٤٢ .

(٥) سورة الإسراء : ٥٨ .



سعد الدين كمشتكين - بعض خدمه الخصيان - فلما سار سيف الدين إلى الشام كان في مقدمته على مرحلة ، فلما أتاه خبر وفاة نور الدين هرب ، وأرسل سيف الدين في أثره فلم يدرك ، فذهب بركة ودوابه وسار إلى حلب ، فتمسك [سعد الدين] بخدمة شمس الدين بن الداية وإخوته ، واستقر بينهم وبينه أن يسير إلى دمشق ويحضر الملك (١) الصالح ، فسار إليها ، فأخرج إليه ابن المقدم عسكرياً فنهوه ، فعاد منهزماً إلى حلب ، فأخلف عليه شمس الدين بن الداية ما أخذ [منه] وجهزه وسيره (١٩٧-ب) إلى دمشق [مرة أخرى] - وعلى نفسها تجنى براقش - فلما وصلها سعد الدين دخلها ، واجتمع بالملك الصالح والأمراء وأعلمهم ما في مسير الملك الصالح إلى حلب من المصالح ، فأجابوا إلى تسييره فسار إليها (٢) ، فلما فوصلها وصعد إلى قلعتها ، قبض سعد الدين على شمس الدين بن الداية وإخوته ، وعلى ابن الخشاب رئيس حلب والذي يقبعه من أحداثها ، ولولا مرض شمس الدين لم يتمكن منه ، ولا جرى من ذلك الخلف والوهن شيء. ﴿ وكان أمر الله قدراً مقدوراً (٣) ﴾ ، واستبد سعد الدين بتدبير أمر الملك الصالح ، فخافه ابن المقدم وغيره من الأمراء الذين بدمشق ، وكاتبوا سيف الدين ليسلوا إليه دمشق فلم يفعل ، وخاف أن تكون مكيدة عليه ليعبر الفرات ويسير إلى دمشق فيمنع عنها ، ويقصده ابن عمه من وراء ظهره ولا يمكنه الثبات [فيها] (٤) ، فراسل الملك الصالح وصالحه على إقرار ما أخذه بيده ، وبقي الملك الصالح بحلب وسعد الدين بين يديه يدبر أمره ، وتمكن منه تمكناً عظيماً يكاد يقارب الحجر عليه .

## (١٩٨-أ) في ذكر وصول صلاح الدين يوسف بن أيوب

إلى دمشق دار العشق وتملكها من يد ابن (٥) مولاه

لما خاف من بدمشق من الأمراء أن يقصدهم سعد الدين والملك الصالح فيعاملهم بما عامل به بنى الداية ، راسلوا سيف الدين ليسلواها إليه فلم يجهم ، فحلمهم الخوف على أن راسلوا صلاح الدين يوسف بن أيوب بمصر ، وكان كبيرهم (٦) في ذلك شمس الدين محمد بن المقدم - ومن أشبه أباه فيما ظلم (٧) - فلما أتته الرسل بذلك لم يتوقف ، وبادر إلى الإجابة وسار إلى الشام ،

(١) بالأصل : للملك . (٢) في السكامل (ح/٩/ص/١٣٠) « ثم إن الأمراء الذين بدمشق نظروا في المصلحة فعملوا أن يسيره (أي مسير الصالح لإسماعيل) إلى حلب أصاح للدولة من مقامه بدمشق ، فأرسلوا إلى ابن الداية يطلبون سعد الدين ليأخذ الملك الصالح ، تجهزه وسيره . » (٣) - سورة الأحزاب : ٢٨ . (٤) الإضافة من ، السكامل (ح/٩/ص/١٣١) .

(٥) بالأصل : من يد أولاد مولاه ، وهذا وهم من ابن الأثير أو تصحيف من الناسخ لأن نور الدين لم يكن له غير ولد واحد وهو الصالح لإسماعيل .

(٦) بالأصل : كرمهم . (والتصحيف من ، الروضتين ، ح/١/ص/٢٣٦) . (٧) يشير ابن الأثير إلى أن والد شمس الدين هو الذي سلم سنجانار نور الدين سنة ٥٤٤ هـ ، فإن بذلك سيده صاحب الموصل . وقد اعتبر ابن الأثير ، شمس الدين خائناً لأنه سلم دمشق لصلاح الدين ، فإن بذلك الصالح لإسماعيل ابن سيده نور الدين .

فلما وصل دمشق ، سلمها إليه من بها من الأمراء ودخلها واستقر بها ، ولم يقطع خطبة الملك الصالح وإنما أظهر : أني إنما جئت لأخدم مولاي وابن مولاي ، واسترد له بلاده التي أخذها ابن عمه . وجرت أمور قد شوهدت فلا حاجة إلى ذكرها ، كما قال بعضهم :

فكان ما كان ، ما قد سمعت به فظن خيراً ولا تسأل عن الخبر

وفي آخر الأمر اصطلح هو وسيف الدين والمملك الصالح كل منهم على ما بيده ( ١٩٨ - ب ) بعد حروب ومحامرات ، قد أتينا على ذكر ذلك في المستقصى في التاريخ .

## ذكره ولاية مجاهد الدين (١) قلعة الموصل ووزارة

جلال الدين أبي الحسن (٢) على

في ربيع الآخر من سنة إحدى وسبعين وخمسة ، استوزر أتابك سيف الدين ، جلال الدين أبا الحسن على بن جمال الدين رحمهما الله تعالى ، ومكنه في ولايته ، وفوض إليه أمور دولته ، فظهرت منه كفاية لم يظنها الناس ، وبدا منه معرفة بقواعد الدول ، وأوضاع الدواوين ، وتقرير الأمور ، وإطلاع على دقائق الحسابات ، وعلم بصناعة الكتابة الحسائية حيرت العقول . ووضع للناس في كتابة الإنشاء وضعا لم يعرفوه . وشرع لهم منها شرعا استحسونه ، وبذل بدلا استعظموه . وكان عمره حين ولى الوزارة خمسا وعشرين سنة ، ثم قبض عليه في شعبان سنة ثلاث وسبعين وخمسة ، وشفع فيه كمال الدين بن نيسان وزير صاحب آمد - وكان قد زوجه ابنته - فأطلق من الحبس وسار إليه ، فبقى بآمد يسيرا مريضاً ، ثم فارقه وتوفى بدنيسر ( ١٩٩ - أ ) سنة أربع وسبعين وخمسة . وحمل إلى الموصل ودفن بها ، ثم حمل منها في موسم الحج إلى المدينة فدفن عند والده . وكان أحسن الناس صورة ومعنى ، رضى الله عنه .

ثم إن سيف الدين استناب دزدار اقلعة الموصل ، الأمير مجاهد الدين قايماز في ذي الحجة سنة إحدى وسبعين وخمسة ، ورد إليه أزمة الأمور في الحل والعقد ، والرفع والخفض . وكان بيده قبل هذه الولاية مدينة إربل وأعمالها ، ومعه فيها ولد صغير لزين الدين على ولقبه أيضاً زين الدين ، وكان البلد لولد زين الدين إسماعيل معنى تحتها ، ولجاهد الدين صورة ومعنى .

وفي سنة اثنتين وسبعين ، شرع مجاهد الدين في عمارة جامعته بظاهر الموصل بباب الجسر ، وهو من أحسن الجوامع . ثم بنى بعد ذلك الرباط والمدرسة والبيمارستان وكلها متجاورة .

(٢) بالأصل : أبا الحسن .

(١) بالأصل : مجاهد بن .

## ذكر عصيان [ ابن ] بوزان وعوده إلى الطاعة

ثم إن الأمير شهاب الدين محمد بن بوزان ( ١٩٩ - ب ) صاحب شهرزور - وهو في طاعة سيف الدين - أظهر التجنى على سيف الدين سنة اثنتين وسبعين وخمسةائة ، وجعل عذره في ترك الحضور في الخدمه بنفسه ، الخوف من مجاهد الدين لعداوة بينهما محكمة القواعد ، وقال : إن مجاهد الدين هو الآن مدبر الدولة (١) والحاكم فيها ، ولا آمنه على نفسه . فأرسل إليه جلال الدين الوزير رسولاً عن نفسه ، وكتب إليه كتاباً ليس مثله في معناه . فلما وصل الرسول والكتاب إلى شهاب الدين بادر إلى الحضور في الخدمة السيفية .

## ذكر القبض على سعد الدين كمشتكين النورى

قد ذكرنا حال سعد الدين كمشتكين وأنه استولى على دولة الملك الصالح إسماعيل بن الملك العادل نور الدين ، وحكم عليها . فلما كان سنة ثلاث وسبعين ، قبض عليه الملك الصالح ، وطلب منه أن يسلم إليه قلعة حارم - وكانت إقطاعه - فلم يفعل ، فأرسل الملك الصالح إلى مستحفظها يأمره بتسليمها ( ٢٠٠ - أ ) إلى نائبه فلم يسلمها ، فسار الملك الصالح إليها من حلب ومعه سعد الدين فحصر القلعة ، وعاقب سعد الدين ليأمر من بها بالتسليم فلم يجب إلى ما طلب منه ، فعلق منكوساً ودخن تحت أنفه فمات ، وعاد الملك الصالح عن حارم ولم يملكها ، ثم إنه أخذها بعد ذلك .

## ذكر الغلاء والوباء

في سنة أربع وسبعين وخمسةائة ، اشتد الغلاء وعم أكثر البلاد : العراق ، الموصل ، وديار الجزيرة ، وديار بكر ، والشام وغير ذلك من البلاد ، ودام إلى أن انقضى أكثر سنة خمس وسبعين وخرج الناس في سائر البلاد يستسقون فلم يسقوا ، ثم إن الله تعالى رحم عباده ولطف بهم وأنزل عليهم الغيث ، وأرخص الأسعار . ومن أعجب (٢) ما رأيت تلك السنة (٣) ، أنني كنت في الجزيرة ، وقد قصدت مدرسة بها أسمع على مدرستها شيئاً من حديث النبي صلى الله عليه وسلم ، فبينما أنا جالس عند فقيه في بيته أنتظر مدرستها ، وإذا قد أقبل إنسان تركاني قد أثر عليه ( ٢٠٠ - ب ) الجوع وكأنه قد أخرج من قبر ، فبسكى وشكى الجوع ، فأرسلت من اشترى له خبزاً فتأخر إحضاره لعدمه ، وهو يبكى ويتمرغ على الأرض ، فتغيمت السماء وجاءت نقط (٤) المطر متفرقة ، وضح

(١) بالأصل : للدولة . (٢) بالأصل : يجب . (٣) يقول ابن الأثير في (الكامل ، ١٤٥/ص/٩) أنه كان في الجزيرة في شهر رمضان سنة ٥٧٥ « والناس في أشد ما كانوا غلاء وقبوطاً من الأقطار » (٤) بالأصل : تنقط .

الناس . ثم جاء الخبز فأكل ذلك التركاني وأخذ الباقي معه ومشى . واشتد المطر ، ودام من تلك الساعة ، فرخصت الأسعار ، ووجدت الأقوات بعد أن كانت معدومة . ثم عقب (١) الغلاء وباء شديد كثير . وكان مرض الناس شديداً واحداً ، وهو سرسام ، فأت فيه من كل بلد أمم لا يحصون كثرة ، ولقى الناس منه ما أعجزهم حمله ، ثم إن الله تعالى رفعه عنهم في سنة ست وسبعين وخمسةائة وقد ضعضع العالم .

## فصل في ذكر وفاة أمير المؤمنين (٢)

### المستضىء بأمر الله الخليفة العباسي

في سنة خمس وسبعين وخمسةائة ، توفى الإمام المستضىء بأمر الله أمير المؤمنين أبو محمد الحسن ابن المستنجد بالله بن المقتدي لأمر الله بن المستظهر بالله ، وقد تقدم باقي نسبه . وأمه أم ولد [ أرمنية تدعى غضة (٣) ] وكانت خلافته [ نحو تسع سنين وسبعة أشهر (٤) ] .

### ذكر شيء من سيرته قدس الله روحه

(٢٠١ - أ) وكان عادلاً حسن السيرة ، كثير البذل للمال ، غير مستقص (٥) في أخذ ما جرت العادة بأخذه . وكان الناس معه في أمن وسكون لم يروا مثله . وكان رحمة الله عليه كريم الأخلاق ، كثير العفو لا يرى المعاقبة بل يعفو ويصفح . وزر له عضد الدين أبو الفرج ابن رئيس الرؤساء (٦) إلى أن قتل أوائل ذي القعدة من سنة ثلاث وسبعين وخمسةائة ، وكان قد سار [ إلى ] الحج - وكنت حينئذ ببغداد عازماً على الحج - فعبى عضد الدين دجلة في شبارة ، فلما ركب دابته والناس معه ما بين راكب وراجل ، فتقدم إليه بعض العامة ليدعوه ، فتنعه أصحابه فزجرهم وأمرهم أن لا يمتنعوا عنه أحد ، فتقدم إليه [ بعض ] الباطنية فقتلوه بالجانب الغربي ، وقتل الباطنية وأحرقوا ، وحمل من موضعه إلى دار له بقطفنا بالجانب الغربي ، فتوفى بها رحمه الله تعالى . وتولى الأمور بعده ظهير الدين بن العطار وحكم في الدولة حكماً نافذاً .

(١) بالأصل : تمقب . (٢) بالأصل : الأمير . (٣) الإضافة من ، الكامل ، (٤) سقط بالأصل . والإضافة من ، الكامل (٥/٩/ص/١٤٨) . (٥) بالأصل : مستقص . واللفظ المثبت هنا بقابل ، اللفظ : مبالغ ، الوارد في ، الكامل (٥/٩/ص/١٤٨) . (٦) هو عضد الدين أبو الفرج محمد بن ديد الله بن هبة الله بن المظفر بن رئيس الرؤساء أبي القاسم بن مسلمة . (الكامل ، ٥/٩/ص/١٤٣)

## ذكر وفاة الملك سيف الدين غازي بن قطب الدين مودود (٢٠١-ب)

ابن عماد الدين زنكي بن آقسنقر

في صفر من سنة ست وسبعين وخمسمائة ، توفي الملك سيف الدين غازي بن قطب الدين مودود بن أتابك الشهيد زنكي رضي الله عنهم . وكان مرضه السل فطال به . ومن العجائب أن الناس لما خرجوا يستسقون بالموصل سنة خمس وسبعين وخمسمائة للغلاء الحادث في البلاد وخرج سيف الدين في موكبه ، فثار الناس وقصدوه مستغيثين به ، وطلبوا منه أن يأمر بالمنع من بيع الخمر فأجابهم إلى ذلك ، فدخلوا البلد وقصدوا مساكن الخمارين ، وخرّبوا أبوابها ودخلوها ونهبوها ، وأراقوا الخمر ، وكسروا الأواني وعملوا ما لا يحل ، فاستغاث أصحاب الدور إلى نواب السلطان ، وخصوا بالشكوى رجلا من الصالحين يقال له أبو الفرج الدقاق ، ولم يكن له في الذي فعله الناس من النهب فعل ، إنما هو أراق الخمر ، ولما رأى فعل العامة نهاهم عنه فلم يسمعوا منه ، فلما شكى [الخمارون (١)] منه ، أحضر بالقلعة وضرب على رأسه فسقطت عمامته ، فلما أطلق (٢٠٢ - أ) لينزل من القلعة ، نزل مكشوف الرأس فأرادوا تغطيته بعمامته فلم يفعل ، وقال : والله لا غطيته حتى ينتقم الله لي من ظلمي ، فلم يمض غير قليل حتى توفي الذردار المباشر لأذاه له ، ثم بعقبه مرض سيف الدين ودام مرضه إلى أن توفي . وكان عمره نحو ثلاثين سنة . وكانت ولايته عشر سنين وشهوراً .

## ذكر صفة سيف الدين وذكر شيء من سيرته

كان رحمه الله عن أحسن الناس صورة ، تام القامة ، مليح الشمائل ، أبيض اللون ، مستدير اللحية ، متوسط البدن بين السمين والدقيق . وكان عاقلاً ، وقوراً ، قليل الالتفات إذا ركب وإذا جلس . عفيفاً ، لم يذكر عنه شيء من الأسباب التي تنافي العفة . وكان غيوراً شديد الغيرة ، لم يترك أحداً من الخدام يدخل دور نسائه إذا كبر ، إنما يدخل عليهن الخدم الصغار . وكان لا يحب سفك الدماء ، ولا أخذ الأموال مع شح فيه .

(١) الإضافة من ، الكامل (ح/٩/ص/١٥٠) .

## في ذكر مملكة المولى السعيد (٢٠٢-ب)

عز الدين بن قطب الدين مودود

لما اشتد المرض بسيف الدين ، أراد أن يعهد بالملك لولده معز الدين سنجر شاه [ وكان عمره حينئذ اثنتي عشرة سنة (١) ] يخاف [ على الدولة (١) ] من ذلك ، لأن صلاح الدين يوسف بن أيوب كان قد تمكن بالشام وقويت شوكته . وامتنع أخوه المولى السعيد عز الدين [ مسعود (١) ] من الإذعان والإجابة إلى ذلك ، فأشار الأمراء الأكابر ومجاهد الدين قايماز ، بأن يجعل الملك بعده في أخيه ، لما هو عليه من كبر السن وأولاً والشجاعة والعقل وقوة النفس وحسن سياسة الملك ، وأن يعطى ابنه بعض البلاد ، ويكون مرجعها إلى المولى عز الدين ليبقى لهما [ ذلك (٢) ] ففعل ذلك ، وحلف الناس لأخيه . فلما توفى سيف الدين ، كان مجاهد الدين هو المدير للدولة والنائب فيها ، والمرجع إلى قوله ورأيه ، فركب إلى الخدمة العزبة وعزاه ، وركبته إلى دار المملكة ومشى في ركابه راجلاً ، فدخلها وجلس للعزاء . وكانت الرعية تخافه قبل أن يملك لإقدامه وجرأته وحدة كانت فيه . وكان لا يلتفت إلى أخيه (٢٠٣ - أ) سيف الدين إذا أراد أمراً ، فلما ولي تغيرت أخلاقه ، فصار رقيقاً بالرعية ، محسناً إليهم ، قريباً منهم . فكان في ذلك كما روى ، أن أبا بكر الصديق رضی الله عنه لما عهد إلى عمر بن الخطاب رضی الله عنه بالخلافة ، خافه الناس لما عرفوا من شدته وفظاظته ، فقال بعض الصحابة لأبي بكر : ما تقول لربك إذا قدمت عليه وقد استخلفت علينا عمر ، فقال : أقول له استخلفت عليهم خيرهم ، فلما توفى أبو بكر وولى عمر ، رأى الناس من رقبته عليهم ، ورفقه بهم ، وشفقته عليهم ما هو مشهور مدون في الكتب .

## ذكر وفاة الملك الصالح اسماعيل بن العادل نور الدين

الشهيد بن عماد الدين زنكي بن آقسنقر الملك شاهی (٣)

في [ رجب (٤) ] من سنة سبع وسبعين وخمسةائة ، توفى الملك الصالح إسماعيل بن الملك العادل نور الدين محمود بن الشهيد عماد الدين زنكي رضی الله عنهم بمدينة حلب ، ولم يبلغ عشرين سنة .

(١) الإضافات من ، الكامل (٩/ص/١٥٠) . (٢) مكان هذا اللفظ ، بالأصل : مجاهد . (والاصحیح من ، الروضتين ، ٢/ص/١٨) وفي الكامل (٩/ص/١٥٠) : « ويكون مرجعها إلى عز الدين عمهما ، والمتولى لأمرهما مجاهد الدين قايماز ، ففعل ذلك » . وأن سيف الدين أعطى جزيرة ابن عمر وقلاعها لولده سنجر شاه ، وقلعة عقر الحميدية لولده الصغير ناصر الدين كسك . (٣) نسبة إلى علاقة قسيم الدولة آقسنقر بالسلطان مالكشاه السجوقي . (أنظر سابق ، ص/٤) (٤) يابض بالأصل ، والإضافة من ، الكامل (٩/ص/١٥٣) .

ولما اشتد مرضه (٢٠٣ - ب) وصف له الأطباء شرب الخمر تداوياً بها ، فقال : لا أفعل حتى أستفتى الفقهاء . وكان عنده علاء الدين الكاشاني الفقيه الحنفي بمنزلة كبيرة ، [ وكان ] يعتقد فيه اعتقاداً حسناً ويكرمه ، فاستفتاه ، فأفتاه بجواز شربها . فقال له : يا علاء الدين ، إن كان الله سبحانه قد قرب أجلي أبو خره شرب الخمر ، قال : لا . قال : والله لا لقيت الله تعالى وقد استعملت ما حرّمه عليّ . فلما أيس من نفسه ، أحضر الأمراء كلهم وسائر الأجناد واستحلقتهم لابن عمه أتابك عز الدين رضی الله عنه ، وأمرهم بتسليم مملكته جميعها إليه . فقال بعضهم : إن ابن عمك عز الدين له الموصل وغيرها من البلاد من همدان إلى الفرات ، فلوأوصيت بحلب لعهاد الدين ابن عمك لكان أحسن ، ثم هو تربية أهلك وزوج أختك [ وهو أيضاً عديم المثل في الشجاعة والعقل والتدبير وشرف الاعراق وطهارة الأخلاق والخلال التي تفرد بها (١) ] فقال : إن هذا لم يغب عني ، ولكن قد علمتم تغلب صلاح الدين على عامة بلاد الشام سوى ما يبدى ، ومتى سلمت حلب إلى عماد الدين يعجز عن حفظها من صلاح الدين [ فإن ملكها صلاح الدين (٢) ] فلا (٢٠٤ - أ) يبقى لأهلنا معه مقام ، وإذا سلمتها إلى عز الدين ، أمكنه أن يحفظها لكثرة عساكره وبلاده وأمواله . فاستحسن الحاضرون قوله وعلومه (٣) صحته (٤) ، وعجبوا من جودة رأيه مع شدة مرضه ، ومن أشبه أباه فما ظلم . فلما توفي ، أرسل دزدار حلب - وهو شاذ بخت - وسائر الأمراء إلى أتابك عز الدين يدعونه إلى حلب ليسلموها إليه ، فورد الخبر ومجاهد الدين قايماز قد سار إلى ماردين لمهم عرض ، فلقى القاصدين عندها فأخبروه الخبر ، فسار إلى الفرات وأرسل إلى أتابك [ عز الدين ] يعرفه الحال ، ويشير بتعجيل الحركة ، وأقام على الفرات ينتظره . فسار أتابك مجداً ، فلما وصل المنزلة التي بها مجاهد الدين أقام معه ، وأرسل إلى حلب يستحضر الأمراء فحضروا كلهم عنده وجددوا اليمين له فسار حينئذ إلى حلب ودخلها (٥) ، وكان يوماً مشهوداً .

ولما عبر الفرات ، كان تقي الدين عمر - ابن أخى صلاح الدين - بمدينة منبج ، فسار عنها هاربا إلى مدينة حماة ، وثار أهل حماة ونادوا بشعار (٢٠٤ - ب) أتابك ، وكان صلاح الدين بمصر ، فأشار عسكر حلب على عز الدين بقصد دمشق ، وأطمعوه فيها وفي غيرها من البلاد الشامية ، وأعلموه محبة أهلها للبيت الأتابكي ، فلم يفعل ، وقال : بيننا يمين فلا نغدر به (٦) ، وأقام بحلب عدة شهور ، ثم سار منها إلى الرقة فأقام بها .

(١) الإضافة من ، الروضتين (ح/٢/ص/٢١) . (٢) الإضافة من ، الروضتين (ح/٢/ص/٢٢)

(٣) بالأصل : وعلومه . (٤) بالأصل : صحيته .

(٥) في ، الكامل (ح/٩/ص/١٥٤) أنه دخلها في العشرين من شعبان من السنة . (٦) أنظر ، الكامل

(ح/٩/ص/١٣٧ حوادث سنة ٥٧١) تحت عنوان : « ذكر حصر صلاح الدين مدينة حلب والصلح عليها » .

وجاءته رسل أخيه عماد الدين يطلب أن يسلم إليه حلب ويأخذ عوضا عنها مدينة سنجار ، فلم يجبه إلى ذلك ، ولج عماد الدين ، وقال : إن سلمتم إلى حلب ، وإلا سلمت أنا سنجار إلى صلاح الدين ، فأشار حينئذ الجماعة (١) بتسليمها إليه ، وكان أكثرهم في ذلك مجاهد الدين قايماز فإنه لج في تسليمها إلى عماد الدين ، فلم يمكن أتابك عز الدين مخالفته لتمكته من الدولة وكثره عساكره وبلاده ، فوافقوه وهو كاره ، وسلم حلب إلى أخيه وتسلم سنجار وعاد إلى الموصل .

وكان صلاح الدين بمصر وقد أيسر من العود إلى الشام ، فلما بلغه أخذ عماد الدين حلب ، برز في يوهه ( ٢٠٥ - أ ) عن القاهرة إلى الشام ، فلما سمع أتابك بوصوله إلى الشام ، جمع عساكره وسار عن الموصل خوفا على حلب من صلاح الدين ، فاتفق أن بعض الأمراء الأكابر مال إلى صلاح الدين وعبر الفرات إليه ، فلما رأى أتابك ذلك ، لم يثق بعده إلى أحد من أمرائه ، إذ كان ذلك الأمير أو ثقتهم (٢) في نفسه ، فعاد إلى الموصل .

وعبر صلاح الدين الفرات وملك البلاد الجزرية ، ونازل الموصل فلم يتمكن من النزول عليها ، فعاد إلى حلب وحصرها ، فسلمها إليه عماد الدين وأخذ سنجار والخابور ونصيبين عوضا عنها . وكان سبب هذا جميعه تسليم حلب إلى عماد الدين ، فإنه كان مضرة محضه .

## فصل في سبب قضية القبض على مجاهد الدين قايماز

وما تبعه من الوهن (٣)

في جمادى الأولى من سنة تسع وسبعين وخمسمائة ، قبض المولى المرحوم أتابك عز الدين رضى الله عنه على مجاهد الدين قايماز رحمه الله تعالى ، وهو ( ٢٠٥ - ب ) حينئذ نائبه في بلاده ، واتباع في ذلك هوى من أراد المصلحة لنفسه ولم ينظر في مضرة (٤) صاحبه . وكان الذى أشار به عز الدين محمود زلف دار وشرف الدين أحمد بن أبى الخير - الذى كان أبوه صاحب بلد الغراف - وهما من أكابر الأمراء - فلما قبضه كان بيده إربل ، وشهرزور ، ودقوقا (٥) ، وجزيرة ابن عمر وكان بها معز الدين [ سنجر شاه ] بن سيف الدين [ غازى بن مودود ] صغيرا ، والحكم فيها إلى مجاهد الدين ، وله أيضا قلعة العقر ، فحين قبض امتنع زين الدين يوسف بن زين الدين على إربل ، وكان فيها لاحكم له مع مجاهد الدين ، وامتنع معز الدين بالجزيرة ، وأرسل الخليفة الناصر لدين الله

(١) الجماعة ، هم أمراء عز الدين مسعود . (٢) بالأصل : انقمهم . (٣) جاء العنوان في «النس» مضطربا ، هكذا : فصل في سبب قضية الذى جرت في ذكر القبض على مجاهدين قايماز وما تبعه من الوهن . (٤) بالأصل : نصرة . (والتصحيح من ، الروضتين / ٢ / ص / ٥٤) . (٥) دقوقا : في ( ياقوت ) : مدينة بين إربل وبغداد .



عسكراً حصر دقوقاً فلكوها ، ولم يحصل للمولى عز الدين من جميع ما كان بيد مجاهد الدين إلا شهر زور ، وصارت هذه البلاد التي كانت بيده أضرباً على الموصل . وبقى مجاهد الدين مقبوضاً نحو عشرة أشهر ، وندم أتاك على قبضه فأخرجه ، وخلع عليه وأعادته إلى ولاية قلعة الموصل ، إلا أن الذي (٢٠٦ - أ) أخذ من البلاد لم يعد إلى طاعته . وقبض أتاك على عز الدين زلف دار وعلى شرف الدين أحمد ابن صاحب الغراف ، عقوبة لهما على ما أشارا به من قبض مجاهد الدين . وعلى الحقيقة فليس على الدول شيء أضرباً من إزالة بيشكار (١) مديرتها وإقامة غيره ، فإن الأول يكون كالطبيب الحاذق العارف بمزاج الإنسان ومرضه وعلاجه وما يوافقه ويؤذيه ، ويكون الثاني - وإن كان كافياً - بمنزلة الطبيب الذي لا يعرف مزاج الإنسان ولا ما يوافقه ويؤذيه ، فيلبي أن يعرف حاله يتفسد أكثر مما ينصلح . قال .

### في ذكر حصر الجزيرة

في شهر ربيع الأول من سنة سبع وثمانين وخمسمائة ، سار المولى السعيد عز الدين - قدس الله روحه - إلى جزيرة ابن عمر ، فحصرها وبها معز الدين سنجر شاه ابن أخيه سيف الدين غازي وهو صاحبها . وكان سبب ذلك أن معز الدين كان سيء السيرة مع المرحوم عز الدين ، خارجاً عن طاعته (٢٠٦ - ب) ، مساعداً للأعداء عليه ، وينقل (٢) عنه إلى الملوك المجاورين لبلادها ما يوحشهم منه ، إلى غير ذلك من الأسباب التي بعضها يخرج الوالد عن محبة ولده ، ولم يزل المرحوم يرفق به ويستميله وينعم عليه ، وهو لا يزداد إلا سوء معاملته وأدب ، فبقى كذلك من أوائل سنة تسع وسبعين إلى الآن ، فلما طال الأمر عليه وأيس من إصلاحه ، سار إليه فحصره بها وضيق عليه ، وعزم على أخذها منه فلما نازله أدركته رقة الوالد فلم يقاومه ، بل نزل عليه من غير قتال إلا شيئاً لا يبالي به المحاصر ، فبقى كذلك إلى رجب ، فلما رأى معز الدين ضعف حاله ونفاد أمواله وتغير رجاله ، خضع وطلب العفو والصفح ، فأجابه إلى ذلك وصالحه على قاعدة استقرت بينهما ، وخرج معز الدين إلى خدمته ، فأحسن إليه وأنعم عليه وأمنه ، وعاتبه على ما كان يبدو منه . فاعتذر بأعذار علم المرحوم أنه غير صادق فيها ، إلا أنه تغمذ إساءته بعفوه ، وزلته بصعجه عنها (٢٠٧ - أ) ، وأقره على بلده وعاد عنه إلى الموصل ، فماد معز الدين إلى حالته الأولى فتجاوز عنه واطرحه ، وقال : ما يمنعني عن أخذ بلده والحجر عليه ، إلا الخوف من ظن الملوك أنني فعلت هذا شرها على ما بيده ، وإلا كنت فعلت معه ما يستحقه (٣) .

(١) البيشكار : كلمة فارسية لها أكثر من معنى ، مثل : معاون ، ناظر ، طالب ، عاقل ، وزير . والمعنى الأخير ، هو المقصود في « النص » . (المعجم في اللغة الفارسية) .  
(٢) بالأصل : ينتقل .  
(٣) ذكر ابن الأثير في ، الكامل ، سبباً آخر لحصار عز الدين مسعود جزيرة ابن عمر ، يختلف عما هو وارد هنا .  
(أنظر ص/٩/ص/٢١١)

## ذكر وفاة المولى السعيد المرحوم عز الدين [مسعود]

رضى الله عنه

توفي صلاح الدين يوسف بن أيوب في السابع والعشرين من صفر من سنة تسع وثمانين وخمسمائة بدمشق ، فلما وصل خيبر وفاته إلى الموصل ، إلى المولى المرحوم عز الدين رضى الله عنه ، جمع من يرجع إلى رأيه واستشارهم في الذى يفعله ، فأشار عليه أخى مجد الدين أبو السعادات (١) رحمة الله عليه ، بالإسراع فى الحركة وقصد البلاد الجزرية فإنها لا مانع لها منه ، فقال مجاهد الدين قايماز: ليس هذا برأى أننا نترك وراءنا مثل عماد الدين صاحب سنجار ، ومعز الدين صاحب الجزيرة ، والملك المعظم مظفر الدين صاحب إربل ونسير ، إنما الرأى أننا نراسلهم ونستميلهم (٢٠٧-ب) ونأخذ رأيهم وننظر ما يقولون . فقال أخى : إن كنتم تفعلون ما يشيرون به عليكم ويروونه فاقعدوا ، فإنهم لا يرون إلا هذا (٢) ، لأنهم لا يؤثرون حركتكم ولا قوتكم ، إنما الرأى أن يبرز هذا السلطان ويكاتبهم ويراسلهم ويستميلهم ، ويبدل لهم العيين على ما بأيديهم ويعلمهم أنه على الحركة ، فليس فيهم من يمكنه يخالف خوفاً أن يقصد ولايته ، لا سيما إذا رأوا جده وخلو البلاد الجزرية من مانع وحام ، فهم لا يشكون أنه يملكها سرباً ، فيحملهم ذلك على موافقته ، ومتى أراد الإنسان [ أن يفعل فعلاً لا تتطرق إليه الاحتمالات بطلت أفعاله ، إنما إذا كانت المصلحة أكثر من المضرة أقدم ، وإن كان العكس أحجم ، فظهرت أمارات الغيظ (٣) على مجاهد الدين ، فسكت أخى لأنه كان هو المخدم للجميع على الحقيقة والحاكم فيهم . واتبع المرحوم عز الدين - قدس الله روحه - قول مجاهد الدين ، وأقام بالموصل عدة شهور يرأس المذكورين ، فلم ( ٢٠٨ - أ ) ينتظم بيده وبين أحد منهم حال غير أخيه عماد الدين صاحب سنجار ، فإنهما اتفقا على قواعد استقرت بينهما ، فإلى أن انفصل الحال ، وصل الملك العادل أبى بكر بن أيوب من الشام إلى حران وأقام هناك ، وجاءته العساكر من دمشق وحلب وحصن وحماة ، وامتنعت البلاد به .

وسار المرحوم عز الدين عن الموصل إلى نصيبين ، وقد ابتدأ به إسهاال بنزيف (٤) ، فوصل إلى نصيبين واجتمع بها هو وعماد الدين ، وسارا فى عساكرهما إلى تل موزن (٥) من شبختان

(١) هو مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الثيبانى . توفي سنة ٦٠٦ . ( ترجمته فى ، شذرات الذهب ، ج/٥/ص/٢٢ ) وترجم ابن الأثير لأخيه ترجمة مختصرة ، فى « الكامل » ( ج/٩/ص/٣٠٢ ) .  
 (٢) بالأصل : هكذا . ( والنصحیح من ، الروضتين ، ج/٢/ص/٢٢٧ ) . (٣) بالأصل : الغليظ .  
 (٤) بالأصل : قريب . ( والنصحیح من ، الروضتين ، ج/٢/ص/٢٢٧ ) . (٥) تل موزن : فى ( ياقوت ) : يفتح الميم وسكون الواو وفتح الزاى وآخره نون . بلد قديم بين رأس عين و - وروج ، وبينه وبين رأس عين نحو عشرة أميال .

يقصدون الرها ، فأرسل الملك العادل حينئذ يطلب الصلح ، وأن تكون البلاد الجزيرية : الرها ، وحران ، والرقّة وما معها بيده على سبيل الإقطاع من المرحوم عز الدين فلم يجبه إلى ذلك ، وقوى المرض به بتل موزن واشتد إلى أن عجز عن الحركة ، فعاد إلى الموصل في طائفة يسيرة من العسكر ومعه مجاهد الدين وأخى مجد الدين ، وترك سائر العساكر مع أخيه عماد الدين ليفصل الحال (٢٠٨ - ب) ويقرر الصلح مع الملك العادل ، فلما وصل دينسر رأى ضعفاً شديداً ، فأحضر أخى وكتب وصيته ، ثم سار إلى الموصل فوصلها مريضاً بالإسهال ، وبقي كذلك إلى أن توفي سابع وعشرين شعبان سنة تسع وثمانين وخمسمائة . ولم أسمع عن أحد من الناس بمثل حاله في مرضه ، فإنه كان لا يزال ذا كراً الله تعالى ، حتى أنه كان إذا تحدث مع إنسان يقطع حديثه مراراً (١) ويقول : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت ، بيده الخير وهو على كل شيء مقدير ، وأشهد [ أن محمداً صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله (٢) ] وأشهد أن الموت حق [ وعذاب القبر حق ، وسؤال منكر ونكير حق ، والصراط حق ، والميزان حق (٣) ] وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من فى القبور . ويقول لمن [ عنده (٤) ] يخاطبه : إشهد لى بهذا عند الله تعالى ، ثم يعود إلى حديثه . وأحضر عنده من يقرأ (٢٠٩ - أ) القرآن ، فلم يزل كذلك إلى أن توفي رضى الله عنه . وأصاب الناس من رعاياه كلهم بموته فجيعة لم يصبرهم مثلها ، وأظهروا من الغم والحزن ما لا كان يظنه أحد . ودفن بالمدرسة التى أنشأها بباطن الموصل مقابل دار المملكة . وكان عمره . . . . (٥) . وكانت مملكته نحو ثلاث عشرة سنة وستة أشهر . وكان أسمر ، مليح الوجه ، حسن اللحية ، خفيف العارضين . وحكى لى والدى ، قال : هو أشبه الناس بجده الشهيد قدس الله روحه . وكان ربعة إذا مشى ، فإذا ركب لم يعله (٦) أحد .

## ذكر شيء من سيرته رحمه الله تعالى

كان رضى الله عنه ابن الجانب ، كريم الأخلاق ، كثير الإحسان إلى الناس ، يتعهدهم (٧) بالنفقات والسؤال عن أحوالهم ، لاسيما من يعلم أن له خدمة متقدمة فى دولتهم ، فإنه كان يعظمه ويحترمه ويعلى محله ، فمن ذلك أنه كان فى دولته الأمير بهاء الدين على بن الشكرى - وكان رجلاً (٢٠٩ - ب) كبيراً له خدمة سالفة - ، فكان يبالغ فى احترامه إلى حد أنه كان إذا لعب معه بالكرة ، يعطيه من دوابه الخاص ما يركبه ويلعب عليه . ومن ذلك أيضاً ، أنه لما عاد من حصار الجزيرة العمرية سنة سبع وثمانين ، فلما وصل إلى الموصل أمر أن لا يدخل أحد إلى البلد ، ونزل

(١) : بالأصل : مرا . (٢) : بياض بالأصل . والإضافة من الروضتين (ح/٢/ص/٢٢٧) .  
 (٣) : بياض بالأصل . والإضافة من الروضتين (ح/٢/ص/٢٢٧) . (٤) : الإضافة من الروضتين (ح/٢/ص/٢٢٧) .  
 (٥) : بياض بالأصل . (٦) : بالأصل : يملكه . (٧) : يتعهدهم .

هو في المغرقة (١) في الكشك الذي بالميدان ، ونزل الناس متفرقين . وكان في جملة الواصلين معه ، أخى مجد الدين رحمهما الله تعالى ، وكان ينزل بالقرب منه ، فنصبت خيمة (٢) أخى بزواية الميدان من داخله ولم يدخل الموصل ، فخرجت أنا إليه أبصره ، فركب المرحوم عز الدين رضى الله عنه فرأى الخيمة ، فاستدعى أخى وقال له : أرى خيمتك ههنا . قال : لأنك رسمت أن لا يدخل أحد . قال : إلا أنت ، فإن والدك أثير الدين له مدة ما رآك ، ولا شك أنه قد اشتاقك ، فتدخل إليه وتسلم عليه وتساله الدعاء ، ولا تجيء إلينا إلى ثلاثة أيام ، فامتنع من ذلك ، وقال : أنا أبصره وأعود إلى الخدمة ، فلم يرخص ( ٢١٠ — أ ) له في ذلك ، وألزمه بقصد والده والإقامة عنده . فانظر إلى هذا الرفق واللطف الذى لا يفعله الإنسان إلا مع أهله لا سيما الملوك .

وكان رحمه الله تعالى حيباً كثير الحياء ، كما قيل ، أشد حياء من العذراء في خدرها ، لم يحدث أحداً قط إلا وهو مطرق . فمن حياته (٣) أنه أمر طائفة من عسكره بالتجهز للغزاة ، وكان فيهم مملوك لم يكن له محل ، إنما هو بمفرده ، فحضر في خدمته ، وقال : لى مهم أريد [ أن ] أقوله ، فأذن له في القول ، فقال : بلغنى إننى فى جملة العسكر المسير إلى الغزاة ، وعجبت من مولانا كيف يسمح بمثلى ويرسلنى ويبعدنى عن خدمته ، ولا شك أن المولى لا يعرف محلى ، وإلا فما كان أمر بذلك . فقال له : صدقت ، مثلك لا ينبغي أن يفارقنا مع علو محللك وارتفاع قدرك . فلما خرج من عنده أظهر الإنكار ، وقال : قد صار مثل هذا المدبر المنحوس يقول لى هذا القول ، ومن هو وما محله وقد سيرنا فى هذه الغزاة ( ٢١٠ — ب ) جماعة من أكابر الأمراء ، أليس له بهم أسوة . فقال له بعض الحاضرين : لم لا أمر المولى بتأديبه وإقامته من خدمته ، وكيف استمع حديثه . فقال : إستجيت منه ، فقالوا : أفلا تؤدبه (٤) وتعرفه ذنبه . فقال : قد أحسن الظن بنفسه فلا نعاقبه عليه .

وكان رحمه الله رفيقاً رقيق القلب ، كثير الرحمة لرعيته . حكى عنه أخى مجد الدين رحمه الله تعالى ، أنه ركب يوماً فقال له ولمن معه : إننى هذه الليلة ما نمت إلى سحر . فقالوا له : وما سبب ذلك ، قال : كنت سمعت أن ابن فلان مريض — وذكر إنساناً بائعاً (٥) بالموصل — فلما كان الليلة سمعت صوت مأم ، فظننت أنه توفى فضايق صدرى — وكان بلغنى أنه ليس لأبويه غيره — فثقت ذلك على ، وقت من الفراش إلى أطراف السطح ، لعلى أعلم من هو الميت ، فطال الأمر إلى ثلث الليل الأخير ، فقلت : لم أعذب نفسى ، فأرسلت خادماً وفتح أبواب الدار وأرسل من الأجناد من يستعلم لنا من الميت ، فعاد وذكر أنه شخص لم أعرفه ، فحينئذ (٢١١ — أ) نمت . فاعجب لهذه الشفقة والرفقة على رجل من الرعية ليست له صحة ولا خدمة .

(١) هكذا بالأصل : ولعلها : الغرقة . (٢) بالأصل : خيمته . (٣) بالأصل : حياؤه . (٤) بالأصل : فلا تؤدونه . (٥) بالأصل : بيما .

قال . وكان رحمة الله عليه ديناً خيراً ، قد ابتنى في داره مسجداً فيخرج إليه في الليل ويصلي فيه أوراداً كانت له ، ولبس فرجية كان قد أخذها من الشيخ عمر النسائي الصوفي ويصلي بها ، وكان قد حج ولبس بمكة حرسها الله خرقة التصوف من الشيخ عمر النسائي المذكور ، وكان من الصالحين .

وكان رضى الله عنه يقوى يد من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر . كان بالموصل رجل من الفقهاء الأختار من باجباري (١) اسمه حرب ، فكان كثيراً ما (٢) يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، فاجتاز يوماً على الجسر فلقي دوابة تحمل الخمر لإنسان هو أقرب الناس إلى المرحوم عز الدين وأخصهم به ، فألقاه الفقير عن الدواب وأراقه بعد أن ضرب ، فبلغ الخبر إليه ، فأحضر الفقير وأمره بإزالة جميع ما يراه من المنكرات وأطلق يده ، وأنكر على ذلك الأمير وأمره (٢١١-ب) بإحضار غلمانته الذين ضربوا الفقير ، فبعد الجهد أن تركهم .

وكان رحمه الله تعالى يأمر بالإنصاف (٣) من أقرب الناس إليه وأعظمهم منزلة عنده ، ويقوى يد صاحب الحق . فمن ذلك أنه كان بالموصل إنسان من أعيان الدولة ، وهو مع ذلك يتولى أمر الخاتون والدة المرحوم رضى الله عنه ، وله بها أعظم جاه وأعلى منزلة ، ولها به أتم عناية وأكثر حماية لتقديم خدمته ، وكان له قرية تجاور قرية لإنسان عجمي مقيم بالموصل ، فأخذ شيئاً من أرض قرية العجمي وطال النزاع بينهما ، ففي بعض السنين جاء إلى الموصل واعظ ، فأحضره المرحوم عز الدين بداره ليعظ عنده ، وأمر أن لا يحجب أحد ، فاجتمع عالم كثير ، فتكلم ذلك الواعظ ، فقام ذلك العجمي وصاح واستغاث وببده رقعة يشكو بها حاله ، فأمره السعيد عز الدين بالجلوس إلى أن يفرغ المجلس ، فلما فرغ جلس ، وأحضر القاضي وأمره بالحكم بمقتضى الشريعة (٢١٢-أ) المطهرة فحكم بينهما ، فظهر الحق للعجمي ، فأمر [ عز الدين ] الحاكم بالإسجال له والإثبات لحقه والإشهاد عليه به ، وأرسل معه أوصل حقه [ إليه ] وأخطط والدته في اتباع الحق .

وكان رضى الله عنه حليماً ، فمن حليته ، أن إنساناً فقيراً من أهل الموصل من أصحاب الزوايا بظاهر البلد ، لما وصل صلاح الدين يوسف ابن أيوب الموصل [ محاصراً لها (٤) ] اجتمع به وأكثر التردد إليه وأخذ صلته ، وقال : ما تحتمل الملوك بغضه إلى أحد . فلما عاد صلاح الدين ، أحضر المرحوم عز الدين هذا الفقير وأنكر عليه ، وأمر بتخريب زاويته ، ثم أحضره بعد أيام واعتذر إليه واستحله ، وأعطاه مائة دينار وأمره بتجديد زاويته ، وقال : إن أردت شيئاً (٥) آخر أنفذه (٦)

(١) نسبة إلى قرية «باجبارة» . وفي (ياقوت) : هي قرية في شرق مدينة الموصل على نحو ميل . وهي كبيرة عامرة فيها سوق . (٢) بالأصل : مما . (٣) بالأصل : بالانصاف . (٤) حاصر صلاح الدين الموصل ثلاث مرات . الأولى في سنة ٥٧٨ هـ ، والثانية والثالثة في سنة ٥٨١ هـ . (٥) بالأصل : شيء . (٦) بالأصل : أنفذ .

لك ، فعمر غير زاويته وأكبر منها وأحسن ، وغرم عليها جملة وافرة ، وكلما فرغ بالنفقة أنفذ له شيئاً آخر إلى أن فرغت ، وكان بعد ذلك يتردد إليه ويزوره ويواصله بالعطاء ، وكان يتردد ( ٢١٢ - ب ) إلى الصالحين ويزورهم ويصلهم .

قال . وهو الذي ابنتى المدرسة الغربية بباب دار المملكة ، وهي مدرسة حسنة ، جعلها للفرقيين الحنفية والشافعية ، وقرر للفقهاء ما ليس بمدرسة أخرى من الفواكه والحلواء ، والدعوات في المواسم والأعياد ، والشيرج للوقود والفحم وغير ذلك ، وقرر في وقفها من الصدقات كل أسبوع وفي الأيام الشريفة والليالي المباركة شيئاً كثيراً .

وهو الذي فتح الباب الغربي في الموصل - وهو بين باب كندة وباب العراق - ولم يكن هناك باب فجاء حسناً ، وانتفع به أهل ذلك الصقع .

## في ذكر ملك ولده السعيد نور الدين بن عز الدين

### ابن قطب الدين مودود بن عماد الدين زنكي

قد ذكرنا عود المرحوم - قدس الله روحه - من تل موزن مريضاً وأنه كتب وصيته بدنيسر . وكان في جملة الوصية أنه أوصى بالملك لولده المولى نور الدين أرسلان شاه ، قدس الله روحه ، وأوصى بغير ذلك . وكان الوصي فيهاد مجاهد ( ٢١٣ - أ ) الدين قايمآز ، رحمه الله تعالى . فلما وصل إلى الموصل وهو مريض ، أرسل إليه أخوه شرف الدين بن قطب الدين مودود يطلب أن يجعل الملك له ، وأرسلت أيضاً والدته الخاتون في المعنى وبالغت ، لأن شرف الدين أيضاً ولدها ، وجعما لهما جمعاً وجندا ، وأظهر شرف الدين أن أحداً لا يقدر يملك الموصل معه ، وحدث نفسه بشيء ظنه حقاً ﴿ يريدون ليظفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون (١) ﴾ وقال شرف الدين : إن ملكني أخي بعده ، وإلا أثرت فتنة في البلد وأخذته قهراً ، فإن عجزت سرت إلى الملك العادل بن أيوب . وأرعد وأبرق . وكان عمر المولى المرحوم نور الدين - قدس الله روحه - حينئذ نحو عشرين سنة ، وهو ينظر إلى عمه ويظنه يفعل ما يريد . وكان الملك العادل سيف الدين بن أيوب حينئذ قد نزل نصيبين ، فلمذا قوى جنان شرف الدين ظناً منه أن أخاه يملكه إذ هو كبير [ البيت (٢) ] ليقوم برد العادل عن نصيبين ، فخاب ظنه ( ٢١٣ - ب ) فقال عز الدين لمجاهد الدين ليحلف الناس لولده نور الدين ، وقال : أخاف أن

(١) سورة الصف : ٨

(٢) الإضافة من ابن واصل (ح/١/ص/٢٣) .

أموت وليس لكم مَلِكٌ مستقل بالملك والعاقل في البلاد ، فيحدث ضرر لا يمكنكم تلافيه ، فلم يقدم  
بجاهد الدين على ذلك خوف الفتنة ، وكان يجب السلامة ، فأرسل إلى شرف الدين يأمره ويشير  
عليه بأن يحلف لولد (١) أخيه ووعده الزيادة [ في الإقطاع ] فلم يجب إلى ذلك وتهدد وقال .  
فتوقف مجاهد الدين في تحليف الناس . ثم إن المرحوم نور الدين ، رضى الله عنه ، أرسل إلى أخي  
بجد الدين - رحمه الله - مع خادم لوالده ، وهو أمين الدين يمن ، يطلب منه أن يشير على مجاهد الدين  
بتحليف الناس له وترك التواني فيه ، ووعده الزيادة والإقطاع وتمليك القرابا ، وأرسل إليه معه  
خاتماً ، فرد الخاتم ، وقال : خاتم المولى إنما يعطى على بلاد ، وأما هذا الأمر اليسير فهو أحقر  
من أن يؤخذ عليه خاتمه - وكان أخي هو الذى يصدر عن رأيه على ما شاهده الناس -  
وأما ما رسمت به فأنا مشدود الوسط فيه ( ٢١٤ - أ ) ، ولا يشكرنى المولى على هذا ، فإننى  
أفعله خدمة لوالدك الذى أنا فى خدمته إذ هو هكذا يريد ، ولو أراد غيره لاتبعته ولم يبد منى  
إلا ما يوافق غرضه والمصلحة له ولدولته ، وأنا أشكر الله تعالى حيث إرادة والدك موافقة  
لإرادتك ، فانا (٢) خدمت خدمة وافقت الغرضين ، وأما ما وعدت به من إنعام وزيادة مرسوم ،  
فليست لى رغبة فى شيء من هذا ، فلى من نعمتكم ما يفضل عنى . ثم ركب من وقته واجتمع  
بمجاهد الدين بالقلعة فرآه مفكراً ، فشكى إليه مجاهد الدين وقال : هذا شرف الدين يريد الفتنة ،  
والمولى عز الدين يريد ولده ، والعاقل بنصيبين ، والفتنة قد رفعت رأسها . فبيناهما فى الحديث ،  
وإذا قد جاء قاصد من المرحوم عز الدين يقول لمجاهد الدين : قد ضجرت مما أقول لك لتحلف  
الناس لولدى وأنت (٣) تهمل الأمر والعدو بالقرب منكم واتم بغير سلطان ، وأنا فما أظن أننى أعيش  
يوماً آخر فما تنتظر . فتضجر مجاهد ( ٢١٤ - ب ) الدين ، وأعاد ما كان يقوله لأخى من الشكوى .  
فقال له أخى : أنت تفعل هذا جميعه بنفسك والدولة (٤) معك ولو شئت لم يكن منه شيء ،  
والرأى أن تأمر بإحضار الأمراء ، وأرباب المناصب ، والمقدمين ، وأعيان البلد وتحلفهم لولده  
كما يريد ، فإذا فعلت هذا ، حينئذ يندم شرف الدين وما عسى أن يفعل ، وإن بدا منه ما يخالف  
هذا ، أخذناه قهراً وولكلنا به ، ومهما الأمر على هذه الحال بغير يمن لنور الدين ، ولا يركب ليراه  
الناس ، ويعلموا أن لهم سلطاناً ، لا نزال مع شرف الدين مصدعين . فأمر مجاهد الدين باستدعاء  
الجماعة الذين ذكرهم أخى فحضروا ، وحلفوا بالنسخ التى كتبها أخى - رحمه الله - لهم ، وحلف  
مشايخ الحال وعرفاء (٥) الأسواق ، فسمع من جمعهم شرف الدين نفاقوا وتفرقوا عنه ، فأرسل إلى  
مجاهد الدين يعاتبه (٦) حيث حلف الناس قبله ، وقال : أردت أن أخدم المولى نور الدين وأتولى

(١) بالأصل : لولده . (٢) بالأصل : فاذا . (٣) بالأصل : وان .

(٤) بالأصل : وبالدولة . (٥) بالأصل : عرف .

(٦) بالأصل : يعاتب .

القيام بأمره (٢١٥ - أ) ثم إن مجاهد الدين ركّب السعيد نور الدين من الغد في موكب والده ، وحمل السنجق على رأسه ، ومشى مجاهد الدين في ركابه راجلا قد حمل الغاشية ، فلم يلبث المرحوم عز الدين بعده غير يومين حتى توفي رضى الله عنه وأرضاه . واستقر السعيد نور الدين - قدس الله روحه - ولم يتغير بالناس حال ، ورعى هذه الخدمة لأخى رحمه الله تعالى فكان عنده واحد دولته ، والمرجع إلى قوله ورأيه ، ولم يزل كذلك إلى أن فرق الموت بينهما رضى الله عنهما .

## ذكره وفاة عماد الدين زنكى بن قطب الدين مودود

في [ المحرم (١) ] من سنة أربع وتسعين وخمسةائة ، توفي الملك العادل عماد الدين زنكى ابن السعيد أتابك قطب الدين مودود بن الشهيد عماد الدين زنكى بن آقسنقر رضى الله عنهم ، صاحب سنجار ونصيبين والخابور وقد تقدم كيف ملكها ، وكان عمره . . . . (٢) . وولى بعده ابنه (٢١٥ - ب) قطب الدين محمد ، وتولى تدبير (٣) دولته مملوك والده ، مجاهد الدين يرناقش ، وكان ديناً خيراً ، إلا أنه كان شديد التعصب (٤) على مذهب الشافعى رضى الله عنه ، يكثر ذم الفقهاء الشافعية ويقع فيهم . فمن تعصبه أنه بنى مدرسة للحنفية (٥) بسنجان ، وشرط أن يكون النظر في وقوفها إلى الحنفيين (٦) من أولاده دون الشافعيين ، وهذا غاية التعصب .

## ذكر ملك السعيد نور الدين مدينة نصيبين

في [ جماد الأولى (٧) ] من سنة أربع وتسعين وخمسةائة ، سار المولى السعيد نور الدين أرسلان شاه إلى مدينة نصيبين - وهى لقطب الدين [ محمد (٨) ] ابن عمه عماد الدين - فملكها . وسبب ذلك أن عمه عماد الدين زنكى ، رحمه الله ، كان له نصيبين ، فتطاول نوابه بها ، واستولوا على عدة قرايا من أعمال بين النهرين من ولاية الموصل ، وهى تجاور (٩) ولاية نصيبين .

فبلغ الخبر إلى مجاهد الدين قايماز ، فلم يعلم مخدومة نور الدين الخبر ، لما يعلم من علو همته (٢١٦ - أ) وإبائه ، تخاف أنه ربما حمله الغيظ على أن يبدو منه ما يوجب اختلافاً بينه وبين عمه ، فأرسل من عنده رسولا إلى عماد الدين فى المعنى وقبح هذا الععل ، وقال: لا شك أن النواب قد

(١) بياض بالأصل . والإضافة من ، الكامل (ح/٩/ص/٢٣٩) . (٢) بياض بالأصل .

(٣) بالأصل : بتدبير . (٤) بالأصل : الغضب . (والتصحیح من ، الكامل ، ح/٩/ص/٢٣٩) .

(٥) بالأصل : للحنفية . (٦) بالأصل : الحنفين . (٧) بياض بالأصل ، والإضافة من ،

الكامل (ح/٩/ص/٢٤٠) . (٨) الإضافة من الكامل (ح/٩/ص/٢٤٠) .

(٩) بالأصل : وهو مجاور . (والتصحیح من ، الكامل (ح/٩/ص/٢٤٠) )



فعلوا هذا بغير أمره . فأعاد الجواب : [إنهم لم يفعلوا] [إلا] ما أمرتهم به ، وهذه القرابا هي من أعمال نصيبين ، ولم يُعدها . فرد مجاهد الدين برسالة (١) ثانية يقول له : ماتساوى (٢) هذه وأضعافها أن تخرج ولذك نور الدين عن يدك ، فإنه إلى الآن ما خالفك في شيء ، وما أعلمته بهذه الحال لعلى أنه لا يصبر عليها ، وليس هو مثل والده [وأخاف (٣)] [إن علم] [أن] [يخرج الأمر عن يدي ولا أقدر أمنعه] . فلم يلتفت عماد الدين [إليه] [فحينئذ أنهى مجاهد الدين الحال إلى السعيد نور الدين ، فغضب لذلك وأنكر] [عليه] حيث لم يعلمه أولا وقال : وهذا هو الذي أطمعه ، ثم أحضر أميراً من مشايخ دولتهم ، يقال له بهاء الدين علي بن الشكري [وهو] من خدم الشهيد رضى الله عنه ، وأرسله إلى عماد الدين يقول : قد بلغت كذا وكذا ، وأن (٢١٦ - ب) مجاهد الدين راسلك مرتين ولم ترد ملكنا إلينا ، فلو أنك أرسلت تطلب جميع الولاية وغيرها لكان أحب الأشياء إلى ، وأما أن (٤) تأخذ منى قرية واحدة مراغمة لى واطراحا لجانبى فلا أصبر على هذا ، فتأمر بإعادتها قولا واحداً .

فضى الرسول فأدى الرسالة وعماد الدين قد مرض ، فاغتاز من ذلك وأمتنع من الإجابة . فقال الرسول من عنده نصحاله ، وأشار عليه بالمصالحة ، لأنه كان عند جميع البيت الشريف الأتابكى مقبولا ، فلم يصغ إلى قوله ، وقال ما جرت العادة أن تقوله المرضى . فعاد الرسول إلى الموصل وأخبر مجاهد الدين جلية الحال ، فأمره أن يكتم ما يغيظ نور الدين ، فلم يفعل وحكى للمرحوم نور الدين جلية الحال ، فغضب وعزم على المسير إلى نصيبين وملكها ، ومجاهد الدين يمنعه . فتوفي عماد الدين والحال على ذلك فجلس للعزاء .

ثم أرسل إلى قطب الدين محمد بن عماد الدين فى المعنى ، فلزم ما كان والده عليه ، فسار حينئذ نور الدين عن الموصل (٢١٧ - أ) إلى نصيبين ، فلما سمع قطب الدين [بذلك] سار عن سنجان فى عساكره فسبقه إليها ونزل بظاهاها ، وعزم على منعه من النزول عليها ومن محاصرتها ، فلما وصل نور الدين ، لم يعبأ بقطب الدين وتقدم إلى البلد ، وكان بينه وبين قطب الدين نهر ، فلما قرب نور الدين [من] [النهر] ، عبر الأمير نحر الدين عبد الله بن عيسى المهرانى النهر (٥) - وهو من أكبر الأمراء النورية - وقاتل من يازائه ، فلم يثبتوا له ، وعبر العسكر النورى وقد تمت الهزيمة على قطب الدين ولم يقاّله غير نحر الدين عبد الله ، واحتسمى هو ونائبه مجاهد الدين يرتقى وغيرهما بقلعة نصيبين ، وأدركهم الليل فخرجوا منها هاربين إلى ديار بكر ، ثم منها إلى حران ،

(١) بالأصل : رسالة . (٢) بالأصل : متساوى . (٣) الإضافة من ، الكامل (ح/٩/ص/٢٤٠) .

(٤) بالأصل : بان . (٥) بالأصل : بالنهر .

وراسلوا الملك العادل أبا بكر بن أيوب صاحب حران وغيرها (١) — وكان بدمشق — وبذلوا له الأموال الكثيرة لينجدهم ويعيد إليهم نصيبين . وأقام أتابك نور الدين بمدينة نصيبين ، ففرض كافة أمرائه وأكثر عساكره فعادوا إلى الموصل وتوفي أكثرهم ، وأقام هو بنصيبين (٢١٧ — ب) وقد تضعع العسكر بعود الأمراء وكثره الأمراض . ووصل الملك العادل إلى الديار الجزرية ، فحينئذ فارق السعيد نور الدين نصيبين وعاد إلى الموصل [ في رمضان (٢) ] لاستيلاء المرض على كافة العسكر وعودهم ، فلما فارقها تسلمها قطب الدين بن عماد الدين .

وتوفي جماعة من الأمراء المواصل ، منهم عز الدين جورديك ، ونور الدين عبد الله بن عيسى ، وشمس الدين عبد الله بن إبراهيم المهرانيان وظهير الدين ( يولق (٣) ) بن بلنكركى الدكرى ، ومجاهد الدين قايماز ، وجمال الدين محاسن وغير من ذكرنا . وأما من هو أقل من هذه الطبقة فلا نطول الكتاب بذكرهم فهم كثير .

ولما عاد المرحوم نور الدين إلى الموصل ، قصد الملك العادل بن أيوب قلعة ماردين فحصرها واستولى على ربضها ، وحصر القلعة وضيق على من بها ولم يبق غير ملكها ، فأنقذها الله تعالى على يد نور الدين على ما نذكره إن شاء الله تعالى .

## ذكر وفاة مجاهد الدين (٤) قايماز

رحمه الله تعالى ( ٢١٨ — أ )

في [ ربيع الأول (٥) ] من سنة خمس وتسعين وخمسمائة ، توفي مجاهد الدين قايماز رحمه الله تعالى بقلعة الموصل ، وهو متولياها والحاكم في الدولة الأتابكية النورية . وكان ابتداء ولايته القلعة في ذى الحجة من سنة إحدى وسبعين وخمسمائة ، ثم قبض عليه سنة تسع وثمانين وخمسمائة ، فأعيد إلى ولايتها بعد الإفراج عنه على ما ذكرناه ، وبقي إلى الآن . وكان أصله من القرادى من أعمال شبختان وأخذ هو منها طفلا . وكان عاقلا ، دينا ، خيرا ، فاضلا ، يعلم الفقه على مذهب أبي حنيفة رضى الله عنه . ويحفظ من الأشعار والحكايات والنوادير والتواريخ شيئا كثيرا ، إلى غير ذلك من المعارف الحسنة . وكان يكثر الصوم ، وكان يصوم رجب وشعبان ورمضان ، وشيئا من شوال ، وعشر ذى الحجة ، وعشر المحرم ، وكل اثنين وخميس ، والأيام البيض من كل شهر إلى غير ذلك . وكان له ورد يصليه كل ليلة ويكثر الصدقة .

(١) بالأصل : وغيرط .  
(٢) بالإضافة من ، الكامل ( ٢٤٠ / ص / ٩ / ح ) .  
(٣) بالإضافة من ،  
(٤) بالأصل : مجاهد بن .  
(٥) بياض بالأصل . والإضافة من ، الكامل ( ٢٤٨ / ص / ٩ / ح ) .

( ٢١٨ - ب ) وبني عدة جوامع منها الذي بظاهر الموصل ، وبني عدة خانقاهات ، منها التي بالموصل ، ومدارس ، وقناطر على الأنهار إلى غير ذلك من المصالح . ومناقبه كثيرة فلا نطول بذكرها لئلا نخرج عن مقصدنا من الاختصار .

## ذكر ما فعله المرحوم نور الدين عفي الله عنه [ بماردين ]

في سنة خمس وتسعين وخمسمائة في رمضان ، سار الملك السعيد نور الدين - قدس الله روحه - إلى ماردين لإزاحة العسكر العادلي عنها وإبقامها على صاحبها حسام الدين [ يولقي أرسلان ابن إيلغازي بن أرتق (١) ] ، وكان سبب ذلك أن الملك العادل حصرها في العام الماضي على ما ذكرناه ، فبقي محاصراً لها أحد عشر شهراً ، فعدمت الأقوات وغيرها بها ، وأصاب أجنادها مرض عم أكثرهم ، فكان أحدهم لا يطيق القيام ، ولم يبق غير الاستيلاء عليها . فبينما الملك العادل يحاصرها ، إذ توفي الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين يوسف بن أيوب صاحب الديار المصرية ، وكان عسكره مع عمه الملك ( ٢١٩ - أ ) العادل على ماردين . فلما توفي ، ملك بعده أخوه الملك الأفضل علي بن صلاح الدين ، وكان بينه وبين عمه نفرة قد ذكرناها في المستقصى .

فلما ملك مصر أرسل إلى العسكر المصري الذي مع عمه يأمرهم بمفارقتة والعود إلى مصر فعادوا ، فقل جمعهم وعسكره . إلا أن أهل ماردين قد ضعف من بها واستكانوا ، ولم ينفعهم قلة العسكر عليهم ، لأن الرجال كان كثيراً ويكفي في حصرهم .

ثم إن الملك الأفضل أرسل إلى السعيد نور الدين يطلب منه الموافقة على الملك العادل فأجاب إلى ذلك ، وخرج الأفضل من مصر عازماً على حصر دمشق واستعادتها من عمه ، لأنه كان أخذها منه ، فلما سمع الملك العادل الخبر ، سار عن ماردين جريداً في نفر يسير إلى دمشق ليحفظها من الأفضل ، وترك ابنه الكامل محمد مع العسكر على ماردين يحاصرونها .

وبرز المرحوم نور الدين عن الموصل وسار إلى ماردين وأخبر شعبان ( ٢١٩ - ب ) ، ووافق قطب الدين ابن عمه عماد الدين صاحب سنجار ونصيبين ، ووافق أيضاً معز الدين ابن عمه سيف الدين - وهو صاحب جزيرة ابن عمر - فساروا ، فلما وصلوا إلى ماردين نزلوا أسفل جبالها ، وشرع نور الدين بجمع الرجال ليزحف إلى ربض ماردين ويقاوم العسكر العادلي (٢) من تحت ويقاوم أهل ماردين من فوق ، لعلمهم بظفرون بهم ويزيلونهم قهراً ومكابرة ، مع تعذر الصعود في الجبل إلى الربض ، وإنما همته كانت عظيمة لا يعتقد أنه يعجزه شيء . فاتفق أن العسكر

(٢) بالأصل : العادل .

(١) الإضافة من ، الكامل (ح/٩/ص/٢٤٢) .

العادلى نزل عن الربض إلى قتال العسكر (١) النورى ، ونزل (٢) الرجالة فى الربض ليمنعوا أهل القلعة من النزول ، فجاء أمر لم يكن فى الحساب ، فالتقوا واقتتلوا .

وكان قطب الدين صاحب سنجار قد واطأ العسكر العادلى على أن ينهزم بين أيديهم ولم يعلم بذلك أحداً ، فقدر الله تعالى ، أنه لما نزل العسكر العادلى واصطفى العساكر ، أجمأت (٢٢٠— أ) قطب الدين الضرورة والزحمة إلى أن وقف فى شعب بجبل ماردین ، ليس إليه طريق للعسكر العادلى ، ولا يرى الحرب بينهم وبين العسكر النورى لينهزم ، وإذا أراد الله أمراً فلا مرد له ، والتقى العسكران واقتتلوا واشتد القتال ، وكان السعيد نور الدين فى القلب وإلى جانبه (٣) أخى مجد الدين على بغلة ، فقال له : فى مثل هذا اليرم تركب بغلة . فقال : الساعة نأخذهم برقابهم إن شاء الله تعالى ، فحمل العسكر العادلى على القلب النورى فترحزوا عن موقفهم قليلاً ، فقال أخى للسعيد نور الدين : تقدم قليلاً ليرك الناس فيتقدموا وتشتد أنفسهم ، فأخذ الرمح وحمل إلى المعركة ولم يشعر أخى به إلا وقد حمل ، قال أخى : ولقد ندمت حيث قلت له ليتقدم حيث لم ينفعنى الندم ، فحين رآه الناس قد حمل ألقوا نفوسهم على [ العساكر ] العادلية فأخذوهم باليد ، وانهزم الباقون مصعبين (٢٢٠ — ب) فى الجبل إلى الربض ، وحمل الأسرى إلى بين يدي نور الدين ، فرأى فيهم أميراً (٤) من أعيان العسكر وهو مكشوف الرأس ، فقام إليه واعتنقه ، وأخذ شيئاً (٥) كان على رأسه فألبسه إياه بيده وأقعده إلى جانبه ، وأحسن إلى المأسورين جميعهم ووعدهم بالإطلاق إذا فرغوا من أمر ماردین .

وأما الملك الكامل والعسكر الذين معه ، فإنهم لما جهنم الليل رحلوا عن ماردین ، فتقطعوا فى ذلك الجبل وساروا نحو (٦) ميافارقين ، وأصبحت الأرض منهم بلقياً لأنيس بها ، وأتى الخبر إلى السعيد نور الدين رضى الله عنه ، فقال له بعض أصحابه : إصعد إلى الربض فليس دون ملك القلعة مانع لضعف من بها فتملكها صفواً عفواً ، ويكون هذا الموضع المثل : رب ساع لقاعد . فقال : حاشا لله أن يتحدث الناس عنى أن ناساً اعتضدوا بى واستنصرونى فأغدر بهم . ثم قال لأخى مجد الدين وهو عنده : ماتقول . فقال : الغادرون كثير (٢٢١ — أ) وقد أودعت الكتب غدراتهم فهى باقية إلى يوم القيامة : وإنما لم يؤرخ عن أحد من الناس أنه قدر على مثل ماردین وتركها وفاء وإنعاماً وإحساناً . قال ، فقال لى : أرسل إلى صاحب ماردین ليرسل نوابه إلى ولايته وقراباه — وكان قد أقطعها للعساكر التى معه وأمر بكف أيديهم عنها وتسليمها إلى صاحبها — قال : فقلت له : إن أصحابنا لم يأخذوا درهما واحداً لتأخر إدراك الغلات ، فلو بقى الإقطاع بأيديهم

(٣) بالأصل : الجانية .

(٢) بالأصل : وترك .

(١) بالأصل : عسكر .

(٦) بالأصل : نحوا .

(٥) بالأصل : شىء .

(٤) بالأصل : أمير .

إلى أن يأخذوا منها (١) ما يتفقون (٢) منه (٣) على بيعكارهم (٤) لكان مصلحة . فقال: لانكدر إنعامنا وإحساننا إليهم ، ونحن نكفي أصحابنا . قال : فأرسلت إلى صاحب ماردين ليتسلم بلاده فتسلمها وأرسل إليها النواب . وهذه سيرة لم يؤرخ عن أحد من الناس مثلها .

وكان في عزمه المسير إلى حران وما والاها من البلاد الجزرية للاستيلاء عليها ، ففرض وعاد إلى الموصل ، ولو سار إليها لملكها ، لأن الملك الكامل وعسكره لما فارقوا ماردين قصدوا ميافاارقين (٢٢١ - ب) لعلمهم أن السعيد نور الدين يقصد البلاد الجزرية ، فأبعدوا عنها خوفاً منه .

## ذكر عوده رضى الله عنه إلى بلاد

### العادل والصلاح بينهما

قد ذكرنا فيما تقدم عود المولى السعيد نور الدين رضى الله عنه عن ماردين مريضاً ، فلما وصل إلى الموصل بقى أياماً ثم عوفى ، فلما قوى ، عاد وجمع عسكره وسار إلى البلاد الجزرية التي بيد العادل في سنة ست وتسعين وخمسمائة ، وعزم على حصرها ، وكان بها حينئذ الملك الفائق ولد الملك العادل ومعه عسكر كثير قد سيرهم والده إليه لحفظ (٥) البلاد من نور الدين ، فلما وصل إلى رأس عين ، جاءته رسل الفائق ورسول من معه من أكابر الأمراء يرغبون في الصلح ويشيرون به ، فاقتضت المصلحة إجابتهم إلى ما طلبوا فصالحهم على ما بأيديهم ، وضمنوا [ له ] أن يحلفوا له الملك العادل وحلفوا له على ذلك ، فأرسل إلى العادل بالذى تقرر ، وسار مع رسوله أمير كبير من عند ولده خلف له (٢٢٢ - أ) واتفقا واستقرت القواعد وأمنت البلاد ، وعاد السعيد نور الدين إلى الموصل [ في ذى القعدة من السنة (٦) ] .

## في ذكر حصر العادل مدينة (٧) سنجار وما فعله المولى نور الدين

### في حفظها وضبطها

في سنة ست وستائة ، سار الملك العادل أبو بكر بن أيوب من الشام إلى سنجار في عساكر الشام ومصر والجزيرة وديار بكر فحصرها وبها صاحبها قطب الدين محمد بن عماد الدين — وهو

(١) بالأصل : منهم . (٢) بالأصل : يتفقون . (٣) بالأصل : به .

(٤) البيكار : لفظ فارسي ، يرسم هكذا : بيكار . وله أكثر من معنى ، منها : الحرب ، وهو المعنى المقصود هنا .

(٥) أنظر ، المعجم في اللغة الفارسية . (٦) بالإضافة من الكامل . (٧) بالأصل : يحفظ .

(٨) بالأصل : الامديته . (٩/ص/٢٥٥) .

ابن عم المرحوم نور الدين قدس الله روحه — فأرسل قطب الدين ولده إلى الخدمة النورية مستنجيراً ومستنصراً ، ثم سار إلى إربل ، إلى الملك المعظم مظفر الدين [كوكبرى (١)] في المعنى ، فأرسل إلى العادل يشفعان في أمر سنجار ويطلبان إبقاءها على صاحبها وترك التعرض إليها ، فاعتذر عن الإجابة ، وذكر لصاحبها ذنوباً تقتضى قصده وحصره ، فجمع السعيد نور الدين عساكره ، ووصل إليه الملك المعظم مظفر الدين في عساكر إربل وشهرزور وأعمالها ، واجتمعا بالموصل بعد طول افتراق ، واتفقا بعد (٢٢٢ — ب) اختلاف ، ووثق (٢) كل واحد منهما بصاحبه وثوقاً لا مزيد عليه ، إلى حد أن مظفر الدين كان يبيت (٣) في قلعة الموصل ونور الدين بظاهرها في المعسكر ، وهذا غاية الائتلاف والاتفاق ، وعزما على المسير إلى سنجار ولقاء العادل ومحاربتة ، وإنما منعهما عن ذلك ، أن أمير المؤمنين الناصر لدين الله أعز الله سلطانه ، أرسل رسولا ، وهو بهاء الدين بن الضحاك أستاذ الدار العزيزة في إصلاح الحال ، وناهيك بهذا شرفا وجمالة وقدراً لنور الدين عند أمير المؤمنين ، إذ ينفذ مثل أستاذ داره العزيزة ليسعى في أغراضه ، فأشار بهاء الدين بترك الحرب ، وقال : أى الطائفتين انهزمت ، كان وهذا عظيم في الإسلام لا يجبر وخرقا لا يرقع . فسمعا وأطاعا ، وسار إلى سنجار واجتمع بالعادل ، وجرت أمور ، وترددت الرسل ، واستقرت القاعدة على الصلح وإبقاء سنجار على قطب الدين فرحل العادل عنها (٤) .

## ٢٢٣ — أ) ذكر وفاة المولى السعيد نور الدين

قدس الله روحه

توفي المولى السعيد نور الدين — قدس الله روحه ونور ضريحه — في (٥) رجب من سنة سبع وستائة . وكان كثير الأمراض منحرف المزاج ، واختلف الأطباء في مرضه الذي توفي به ، فقيل لوث مزاج ، وقيل قرحة وقيل غير ذلك . تنوعت الأسباب والداء واحد .

وكان رضى الله عنه قوى النفس في مرضه ، لم يغفل عن تدبير الملك وسياسته إلى أن فارق الدنيا . ولما اشتد مرضه أخذ في شبارة إلى الحمامة (٦) المعروفة بعين القيارة فلم يجد بها راحة ،

(١) الإضافة من الكامل (ح/٩/ص/٣٠١) . (٢) بالأصل : رونق . (٣) بالأصل : بيت . (٤) ذكر ابن الأثير في الكامل ، (ح/٩/ص/٣٠١) أن سبب حصار الملك العادل سنجار . أن نور الدين اتفق مع العادل على الاستيلاء على بلاد كل من قطب الدين صاحب سنجار ومعز الدين محمود صاحب جزيرة ابن عمر ، على أن تكون بلاد قطب الدين لئادل ، وبلاد معز الدين لنور الدين ، فسار العادل إلى بلاد الجزيرة واستولى على الحابور ، ولما حاصر سنجار ، خاف نور الدين منه فنقض الاتفاق معه ، وانضم إلى قطب الدين لتخليص سنجار منه . ورواية الكامل أوسع مما هي هنا في « النص » . (٥) بالأصل : من . (٦) الحمامة : في (ياقوت) : الحمة . عين حارة بين أسعرت وجزيرة ابن عمر على دجلة . وتقص من النواحي البعيدة ليستنقى بمائها .

فأصعد إلى الموصل فأدركه أجله ليلا قبل الوصول إليها ، وكان معه المولى بدر الدين فتاه ، فكتبتم موته من طيب (١) وملاح وخازم إلى أن وصل إلى البلد ، فأدخله الدار ميتا وتركه بالمكان الذي كان فيه مريضاً ، ووكل ببابه من يمنع من الدخول إليه ، وأمضى في نهاره ذلك ما كان وصاه (٢٢٣ - ب) به في طريقه إلى أن توفي ، فلما فرغ من جميعه ، أظهر موته آخر النهار ودفن أول الليل بالمدرسة التي أنشأها بباطن الموصل ، وقام في حفظ البلد المقام المرضى ، بحيث أن أهل البلد الرجال والنساء باتوا يترددون عامة الليل إلى الدار السلطانية ، فلم يفقد من أحد منهم الحبة الفرد . واشتد الحزن عليه ، ولم ينفعهم اشتراكهم في المصيبة به ، لأنه كان رفيقا بهم ، مشفقاً عليهم ، ناظراً في مصالحتهم . وأكثر الشعراء رثاءه (٢) وتأبينه (٣) .

قال فيهِه البليغ ما قال ذو العى وكل بوصفه منطق  
وكذاك العدو لم يعد أن قال جميلا كما يقول الصديق

ولما توفي كان عمره [ ثمانيا وثلاثين سنة (٤) ] . وكان ملكه سبع عشرة سنة وأحد عشر شهراً ، وكان أسمر ، خفيف اللحية والعارضين بالمرّة ، مليح الوجه ، وقد أسرع إليه الشيب .

### ذكر شىء من سيرته

كان رضى الله عنه بعيد الهمة ، كبير النفس ، كريم الأخلاق (٢٢٤ - أ) حسن الصحبة مع ممالئكه ، يمازحهم وينبسط معهم ، كثير الإحتمال لما يبدو منهم ، فمن ذلك أننى أعلم أنه بقى عدة سنين يشكو من بعض أصحابه ويذمه إلى أن قال : ابتلاه الله تعالى بمخالفتى ، إن أحببت إنسانا أبغضه ، وإن قدمته أخره ، وإن أعطيته حرمة . ومع هذا جميعه ، فكان يحتمله ويحلم عنه ولا يظهر له شيئاً من ذلك .

وكان رضى الله عنه يحلم عن نوابه ويتغافل عنهم مع علمه بحركاتهم وسكناتهم . ولقد قال يوماً لمن يثق إليه : ما أجمل هؤلاء نوابى ، يخدمنى أحدهم وليس له شىء وعليه دين ، فما ينقضى عليه سنة حتى يوفى دينه ويعمر الدور والأمالك ، ويرسل إلى يطلب أن يشتري منى قرابا ، ولو أن لهم عقلا دوخر (٥) الأموال واشتروا بها أملاكا من غيرى ، فإنهم يعلمون أننى أعرف أحوالهم

(١) بالأصل : طيب . (٢) بالأصل : مراره ( بدون تنقيط ، ويمكن قراءة اللفظ : مرابيه ) . واللفظ الذى اختاره المحقق أوفق للعبارة . (٣) اللفظ بدون تنقيط بالأصل . (٤) ما بين الخاصرتين يابض بالأصل . وهو تحديد ترجيحي على ضوء ما هو وارد فى « النسخ » (ص/ ١٨٩) أن نور الدين ولى الموصل وعمره نحو عشرين سنة . (٥) هكذا بالأصل . وأصل اللفظ تجريفا للفظ : ادخروا .

قديمًا وحديثًا . ومع هذه المعرفة فكان يبغي عنهم كأنه لا يعلم بشيء من أمرهم .

وكان - قدس الله روحه - كثير الإحسان إلى رعيته ( ٢٢٤ - ب ) والرفق بهم والقرب منهم ، سريع الإنفعال للخير . حكى لى أخى مجد الدين رحمه الله تعالى - وكان [ على ] غاية الخبر به - قال : ما قلت له فى شيء قط من عدل وبذل مال أو غير ذلك من الصلاح فقال لا . وحكى لى أيضاً عنه قال : كنت معه فى بعض أسفاره ، وكان له سردار الموصل يكون معه مفاتيح داره ، فبلغه أن ولد السردار قد سرق من داره شيئاً ، فأرسل إلى ليلا يأمرنى أن أكتب كتاباً إلى الموصل بقطع يده ، فأعدت الجواب : إننى ما أكتب هذا الكتاب الليلة ، وإذا اجتمعت به غداً أعرفه ما عندى فى هذا ، فأعاد مرة ثانية وثالثة وأنا أمتنع من ذلك ، فاستدعانى ، فحضرت عنده فقال لى : لم لا تكتب الكتاب (١) فقلت له : عادنى معكم أنى لا أكتب إلا ما تجيزه (٢) الشريعة . فقال لى : هذا سارق توجب الشريعة المطهرة قطع يده . فقلت له : لا قطع عليه ، لأنه من غير حرز (٣) لأن المفاتيح بيده ، فعفا عنه .

ومن رفاقه برعيته (٢٢٥-أ) وتعطفه عليهم ، أنه كان له غلام قد خدمه قديمًا فى صباه وأوجب عليه حقاً ، وكان يؤثر أن يقدمه ويهوض إليه أمراً ، فولاه ولاية الموصل ، فسلك مع أهلها سيرة فيها بعض الحشونة ، فكتب إليه بعض أهلها يذكر له شيئاً مما يفعله هذا النائب فعزله ، وبقي مدة معزولاً ، ثم حملة (٤) طول خدمته له على أن ولاه غيرها ثانية (٥) ووصاه بالإحسان والرفق . فغلبت (٦) عليه عادته ، فعزله ثانياً ميلاً فى هوى رعيته واستماله لقلوبهم وحفظاً لهم . ومن ذلك [ أيضاً ] أنه مرض مرضاً شديداً غير مرضه الذى توفى فيه وعظم مرضه ، فكان الناس على طبقاتهم يحضرون كل يوم [ إلى ] باب داره محبة له فبطلت معاشهم ، فكان يتكلف فى بعض الأوقات القعود لهم ، ويأمر بادخالهم جميعهم إليه . ففى بعض الأيام حضر أخى مجد الدين والناس على الباب مجتمعون ، فحين رأوا أخى استعاثوا وقالوا : نريد نبصر صاحبنا . فلما دخل رآه وبه قوة ، فأشار عليه (٢٢٥ - ب) بالقعود لهم والانتقال إلى مكان فسيح لى (٧) يدخل إليه جميع الناس ، ففعل وتكلف الحركة واحتمل المشقة طلباً لرضاهم ، إذ علم أنهم يؤثرون أن يروه .

وأما وقاره وهيبته فى حركاته وسكناته وملبوسه فإنه النهاية ، لم يكن يلبس إلا مالا يعيبه (٨) به أحد ، فلم يكن يلبس الذهب والحرير والألوان التى يستحسنها الشباب ، ولا يترك على دابته حلية من ذهب

(١) بالأصل : كتاباً . (والتصحيح من ، ابن واصل ، ٣/ص/٢٠٥) . (٢) بالأصل : الاخبيره .  
(٣) بالأصل : حزن . (والتصحيح من ، ابن واصل ، ٣/ص/٢٠٥) . (٤) بالأصل : حمل .  
(٥) بالأصل : ثابته . (٦) بالأصل : غلب .  
(٧) بالأصل : لى . (٨) بالأصل : نعيته .



ولا غيرها ، بل ترك ما كان يسلكه غيره من قواعد السلطنة وألقاه تحت قدمه ونزه نفسه عنه أنفة منه .

وأما شجاعته ، فالذى ذكرنا من حاله يدل على غاية الشجاعة وقوة النفس وزيادة الإقدام ، ونحن نذكر ههنا نكتة ، وهى إنه رضى الله عنه [ لما ] عزم على قصد بلاد العادل بما يليه ، وكذلك أيضاً عزم الملك الظاهر بن صلاح الدين يوسف صاحب حلب ، والسلطان غياث الدين وغيرهما ، كل منهم (٢٢٦—أ) يقصد ما يليه منها ، فأقام العادل بحران ليكون فى الوسط ليبادر الى من يسبق إلى التقدم ، فاتفق أن السعيد نور الدين كان منحرف المزاج وزاد به ذلك ، فرأى مصالحة العادل فصالحه ، وكان العادل لا يزال يرأسه سرا يستميله ، فلما تم الصلح بينهما سار العادل عن حران إلى دمشق ، فقبل له لو أقمت حتى ينفصل الحال مع الباقيين لكان جيداً . فقال : ليس فيهم من يفكر فيه ، إنما الذى يخاف ويرجى هو نور الدين ، ومن عداه فليس بشيء ، وسار ولم يقيم . فكان كما قال ، ليس فيهم من يحرك [ ساكناً ] . ومن ذلك [ أيضاً ] ، أن العادل كان له ديار مصر ، والشام ، وديار الجزيرة ، وبلاد أرمينية ، وبعض ديار بكر وباقيها فى طاعته ، ومعه أيضاً صاحب سنجار (١) ، والملك المعظم (٢) صاحب إربل ، ومعز الدين (٣) صاحب جزيرة ابن عمر ، وكان المرحوم نور الدين رضى الله عنه كل قليل قد أنشب الحرب معهم ويقصد بلادهم ، فكان العادل (٢٢٦ - ب) بسببه لا يزال يستميل أصحاب الأطراف المجاورين لبلاده والأمراء الذين فى عسكره بمصر والشام ، ليستعين بهم عليه وخوفاً أن يميلوا إليه ، وبلغنى أن العادل قال - وقد بلغه خبر حركته - : أى رجل هو نور الدين ، أنا خصمه بهذه البلاد جميعها وهذه العساكر الكثيرة ، وكل من يجاوره معى عليه وقد أهدقنا به من جميع جهاته ، ومع هذا فلا يقنع منا بالسلامة ، بل يريد أن يملك بلادنا ، ولولا أن الله تعالى أعاننا [ عليه ] بكثرة أمراضه لعجزنا عنه . وبلغنى أيضاً أنه قال لما توفى السعيد نور الدين - قدس الله روحه - : ذهب من كان يخاف [ منه ] . ومن ذلك أنه ذكر عنده يوماً ملك والده السعيد قلعة حلب ، وأنه سلمها إلى أخيه عماد الدين ، فقال : والله ما أذكر هذه الحال إلا أعجب منها ، والله لو ملكتها (٤) لجالدت صلاح الدين [ عليها ] بالسيف بباب مصر .

(٢٢٧ - أ) وأما علو همته

فمن ذلك ما فعله بهاردين من إنقاذها من العسكر العادلى وإبقائها على صاحبها ، ولو أن ذا القرنين فعل ذلك لكان عظيماً . وما ذكرناه من طلب ملك البلاد والتغلب فمن علو الهمة وكبر النفس .

(١) هو قطب الدين محمد بن عماد الدين زنكى (الثانى) . (٢) هو مظفر الدين كوكبرى بن زين الدين على كوجك . (٣) هو معز الدين محمود بن سنجر شاه بن سيف الدين غازى (الثانى) . (٤) بالأصل : ملكها .

## وأما عقله وحسن آرائه

فإليه النهاية . سمعت أخى مجد الدين رحمه الله غير مرة ، يقول : ليس عندهذا المولى نور الدين مثله ، والله إنه أعلم بالمصلحة من كل من (١) رأيناه ، ولقد رأيت كثيراً من الملوك من أهله وغيرهم ما رأيت فيهم أسرع إدراكاً ولاهدى إلى الصواب منه في سرعة خاطر . ولو رمت ذكر جياذ (٢) آرائه لاحتجت إلى كثير من الأوراق ، لكن المقصود التنبيه من كل خلق على بعضه .

## وأما حسن عهده ومراعاته لحقوق خدمه ومماليكه (٣) في حياته

فأنا أذكر ما رأيت منه . فمن ذلك أن أخى مجد (٢٢٧-ب) الدين - رحمه الله عليه - توفي سلخ ذى الحجة من سنة ست وستائة ، فأرسل المولى المرحوم نور الدين - رضى الله عنه - إلى ذلك اليوم عدة مرار يقول : لا تخرجه إلى الجامع للصلاة عليه حتى أقول لك ، فإننى أريد أصلى عليه - وكان الزمان صيفاً ، وكان رضى الله عنه ذلك اليوم غير طيب النفس وهو موعوك البدن - فلما كان العصر وقت الحر ، أرسل إلىّ يأمرنى بحمله إلى الجامع ، وانحدر هو فسبقنا ، فلما رأى الجنازة ، بلغنى عنه أنه بكى كثيراً وأظهر التأسف ، ولما قصدنا خدمته بعد ذلك أظهر لنا من الهم بسببه شيئاً كثيراً ، وحملنا له ما جرت العادة وفيه سجادة للصلاة ، فرده وسألنى عن شيء كان بلاه (٤) بنفسه ، فأومأت إلى السجادة ، فمديده وأخذها ، [حدث] هذا جميعه وهو شديد الوعك . ولم يزل بعد ذلك يزداد مرضاً إلى أن توفي بعده بسبعة أشهر ، رضى الله عنه .

ومن محاسن أعماله المدرسة التى أنشأها بباطن الموصل (٢٢٨ - أ) مقابل دار المملكة ، وهى من أحسن المدارس ، ووقف عليها الوقوف الكثيرة ، وجعلها وقفاً على ستين فقيهاً من الشافعية ، سوى ما فيها من الصدقات الدارة والتعهدات للصوفية والفقراء (٥) .

## ذكر ملك ولده المولى الملك القاهر أعز الله أنصاره

كان المولى السعيد نور الدين - قدس الله روحه كما نور ضريحه - قد عهد إلى ولده المولى الملك القاهر العالم العادل المؤيد المنصور المظفر (٦) المجاهد المرابط عن الدنيا والدين ، سلطان

(١) بالأصل : ما . (٢) بالأصل : اجاد . (٣) بالأصل : مملكة .  
(٤) بالأصل : بلايه . (٥) أنظر وصف المدرسة فى كتاب « الموصل فى العهد الأتابكى »  
(٦) بالأصل : المظفر . المديوه جى (ص/١٤٢) .

الإسلام والمسلمين ، ناصر أمير المؤمنين ، أبي المظفر مسعود أعز الله سلطانه ، وأعلى شأنه ، ونصر جنده وأعوانه ، وخذل عدو دولته وأهانه .

وهذا دعاء لو سكت كفيته لأنى سألت الله فيك وقد فعل

قبل وفاته بعدة سنين ، لأنه كان يرى الدنيا بعينه ، ويسمع منها بأذنه ، ويستسهل صعاب الأمور منه ، ويستحلى بقربه ، ويستلذ نسيم الهواء به (٢٢٨-ب) ولم يزل فى حجره ، وبين سحره ونجره ، فلما اشتد بالمرحوم المرض ، ورأى أن جوهر حياته قد استحال إلى العرض ، جدد العمود له ، وأمر بأخذ الميثاق على كافة الأولياء من الأجناد والأمراء والأعيان والأماثل والعلماء والأفاضل (١) .

ساد الملوك لسبع عشرة حجة ولداته إذ ذاك فى أشغال  
قعدت بهم همتهم وسمت به همهم الملوك وسورة الأبطال

فلما توفى السعيد رضى الله عنه وأرضاه ، وأكرم نزله ومشواه ، قام مقامه ، وحفظ من الملك نظامه ، وتلافى ذلك الفتق ، ورقع ذلك الخرق ، واقتنى أثر السعيد بأبيه ، فى كل ما يذره ويأتية

زاد على ما شاد آباؤه به وقد شاد الذى أتوه  
أقصر كل الخلق عن شأوه حسرى وطال السكل إذ طاولوه

(٢٢٩-أ) وأضحى الدولة به باسمه ، بعد أن كانت باكية ، وشاكرة ، بعد أن كانت شاكية ، ومستبشرة ، بعد أن كانت باسرة ، وعاودها بهاؤها وروعها ، وفارقها عبوسها وروعها .

ولما فرغ من وظيفة العزاء ، بذل من الأموال والتشريفات ما لم يسبقه من مضى ولا يدركه من هوآت ، عمت الأمير والمأمور ، وشملت (٢) الصغير والكبير ، وأظهر من الجود ما غير على حاتم وكعب ، وحير كل ذى عقل ولب ، وهذا موضع المثل : ليس السرف فى الشرف . وحين استقر فى الدست ظهر عليه من علو الهمة إلى معالى الأمور ، ومحبة العدل فى سياسة الجمهور ، ومن الغرام بمكارم الأخلاق ، من الحلم والسخاء ، والعفو والإباء ، ما لم يجارده فيه أحد إلا وسبقه ثانياً من عنائه ، ولم يبارره ملك إلا وجاء سكيماً فى ميدانه ، واشتهر عنه من العدل ما لو رآه كسرى لعاد خجلاً يتعثر بأذياله ، ولا يستمر (٣) حياءً من وراء حجاله .

(٢٢٩-ب) من كان ذلك أبوه كان لمجده أن يستطيل وأن يشاد بناؤه  
من كان من نجل البدور ونجرها لم يعدها إشراقه وعلاؤه

(١) بعد هذا اللفظ ، يباين بمقدار سطر كامل فى « النص » .  
(٢) بالأصل : وسامت .  
(٣) بالأصل : ولاستر .

ملك إذا افتخرت بآباء العلي أولادها فخرت به آباؤه  
من رام مشبهه سوى أسلافه في المكرمات الغرخاب عناؤه  
ملك الجلال فأشرق لآلاؤه وحي الجميل فأعرق آلاؤه

ولو ربما شرح مفردات محاسن أفعاله وحكم أقواله لطال الكتاب ، ولكننا نقتصر على حادثة واحدة يستدل بها على نظائرها ، وهي ، أنه - خاند الله سلطانه - جلس في دار العدل للإنصاف ، والأخذ للضعفاء من الأقوياء والأشراف ، فحضرت امرأة عمياء ادعت أن بعض الموك من عمومته ضربها (١) ببندقة عند (٢) الجلابين رماها ، كانت سبب عماها ، فأمر بإحضاره إلى الحاكم وهو عنده ، فحضر وساوى خصمه [ وقيل له الدية (٣) ] أو القصاص ، فقام فزعا قد أيس من الحياة ، وهو لا يصدق بالنجاة ، فأرضى خصمه بماله بذله ، وعن القصاص ( ٢٣٠ - أ ) استنزه ، فعادت الإمراة وذكرت أنها قد رضيت وعفت عن حقها ، وهذه حالة لم يسمح بمثلها ، ولم يدون في كتب التواريخ عدلها .

بالت شعري من هذى مكارمه ما تارى ببلوغ النجم ينتظر

أجرى الله على يده الشريفة كل سالحة ، ودفع عن حضرته العلية كل فادحة ، ووقفه للصواب في الأقوال والأفعال ، ولا زال سلطانه قاهرا ، وفلك سعاده دائرا ، ولا برح جد عدوه عاثرا ، وذكره خاملا دائرا (٤) .

لما فرغ المولى السعيد المرحوم نور الدين أسكنه الله جنانه ، وأفاض عليه عفوه ورضوانه ، وملا ضريحه روحه وريحانه ، من تقرير قواعد ولده المولى الملك القاهر عز الله أنصاره ، أراد أن يشد أزره بمن يجعله له وزيرا ، وعلى ما فوض إليه ( ٢٣٠ - ب ) من أعباء المملكة ظهيرا ، ليكون مدبرا لدولته ، وناظرا في مهام مملكته ، وناظرا عنه في ولاية رعيته ، فاعتبر خواصه وأولياءه ، وبالمسكة وأصفياه ، وكفاته وأمرائه ، ليختار منهم من يكون أهلا لهذا الأمر الكبير ، وقيما بهذا الشأن الخطير ، فلم يرفههم أقوم سيرة ، ولا أخلص (٥) سريرة ، ولا أتم وفاء ، ولا أعلى همة وأكثر سخاء ، ولا أغزر حياء ومروءة ، ولا أغنى غناء ولا أعظم فتوة ، ولا أحسن اصطلاحا ، ولا أكثر للحق اتبعا ، ولا أعدل منه أحكاما ، ولا أعلم بما يكسب الدولة انتظاما ، من المولى الأمير الأصفه سلالر الكبير العادل العالم الكامل الأسعد المقبل بدر الدين [ لؤلؤ (٦) ] عضد الإسلام ، وسيد الأمراء ، حسام أمير المؤمنين أسبغ الله ظله ، وأعلى محله ، وقهر عدوه وأذله .

(١) اللفظ بدون تنقيط بالأصل . (٢) بالأصل : عن . (٣) الإضافة من « دى مابن » ( ص / ٣٧٢ ) . (٤) بقى هذا اللفظ بياض بالأصل بمقدار سطر ونصف سطر . (٥) بالأصل : أخلص . (٦) الإضافة من الكامل ( ص / ٣٠٤ ) .

أوحده الله فما مثله لطالب ذاك ولا ناشد  
ليس على الله بمستنكر (١) أن يجمع العالم في واحد

(٢٣١ - أ) فحيث وجد ما كان ينشده ، وظفر بما كان يريد ، ويقصده (٢) ، تقدم إليه بخدمة ولده ، وحكمه في أمواله ورجاله وبلده ، ورأى أنه قد أسند هذا المهم إلى الولي الوافي ، وفوض هذه الزعامة إلى المخلص الكافي ، وقد كان - رضى الله عنه - يتفرس في هذا الأمير ، إستحقاق التقدم والتدبير ، فلم يزل يدرجه بين الطافه وكراماته ، وولاياته وإقطاعاته ، من رتبة إلى أخرى هي أعلى (٣) منها مكانا ، وأرفع شأنًا ، إلى أن ولاه إمارة الجيوش والعساكر ، وسياسة القبائل والعشائر .

ولما استأثر الله تعالى بالمرحوم ، قام في خدمة المولى الملك القاهر مقاما يحمد عليه الداني والقاصي ، والمطيع والعاصي ، والبادي والحاضر ، والمنجد والغاير ، ولقد جاء على حين فقرة من الكرام ، وكثرة من اللثام ، فجدد من أعلام السيادة ما كان دارسا ، وأضحك من ثغور المروة ما كان عابسا ، واختالت الدولة من حسن تدبيره (٢٣١ - ب) اختيال العروس ، ورفلت من صائب آرائه في أحسن لبوس ، وافتخر به دهره على ساير الدهور .

إذا نحن أثبتنا عليك بصالح فأنت كما نثني وفوق الذي نثني  
وإن جرت الألفاظ يوما بمدحة لغيرك (٤) إنسانا فأنت الذي نعي

هذه نبذة يسيرة من محاسنه تليق بهذا المختصر ، وقطرة من بحر مكارمه تناسب هذا المقتصر (٥) ، ولو أوردتها مفصلة لخرجنا عما اعتمدناه ، وتركنا ما قصدناه ، ونحن إن شاء الله تعالى نأتى على كثير من ذلك في المستقصى في التاريخ ، والله الموفق للصواب ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ، والحمد لله وحده ، وصلى [ الله ] على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الأبرار وسلم تسليما كثيرا .

(١) ورد هذا الشطر من البيت بالأصل ، هكذا ، وليس لله بمستنكر .  
(٢) بالأصل : ويقصد .  
(٣) بالأصل : أعلا .  
(٤) بالأصل : لغيرك .  
(٥) بالأصل : المعتصر .



الفهارس

## فهرس الأعلام

- آقسنقر (والد عماد الدين زنكى) : ٣ ٤ ٥ ٦ ١٩ ٢٠ ٢٤ ٢٥ .
- آقسنقر البرسقى : ٢٦ ٣١ ٣٥ ٣٦ ٦٥ .
- آن كومتين : ٦ .
- إبراهيم بن قریش بن بدران : ١٢ .
- أبى بن محمد بن بورى بن طغذكين : ٥٩ ٨٨ ١٠٦ ١٠٧ ١٠٨ .
- ابن الأثير : ١ ١٠ ١٢ ١٦ ١٨ ٢٤ .
- ابن الأنبارى = سديد الدولة بن الأنبارى .
- ابن البلدى = أحمد بن محمد بن سعيد .
- ابن تليل = خسرو بن تليل .
- ابن الجوزى : ١٠ .
- ابن جوسلين : ١٢٤ ١٢٥ .
- ابن الخشاب : ١٧٦ .
- ابن خلیکان : ١٢ .
- ابن الخياط : ١٣٨ .
- ابن سكينه : ٥٠ .
- ابن الصاحب : ٢٩ .
- ابن صدقه : ٥٣ .
- ابن طولون : ١٨ .
- ابن عطير النمرى : ٧ .
- ابن قرجلة : ١٣٨ .
- ابن القلانسی : ١٩ .
- ابن الكافى : ١٢٩ .
- ابن الكرخى : ٥٣ .



ابن منير = أحمد بن منير الطرابلسي .

ابن النديم : ١٣ .

ابن الهنفرى : ١٤٤ .

ابن واصل : ١٢ .

ابن وثاب النيرى : ٧ .

أبو إسحاق السبيعى : ١١ .

أبو بكر الياس البكجى : ٢٦ .

أبو بكر بن أيوب : ١٨٥ ١٨٦ ١٨٩ ١٩٠ ١٩٣ ١٩٤ ١٩٦ ١٩٧ ٢٠٠ .

أبو بكر بن الداية : ٩١ ٩٥ ١٢٦ ١٣٧ ١٧٢ .

أبو بكر الديبسى : ٧٦ ٨٦ ٨٧ ٩٠ ٩٣ ١١٢ ١١٣ .

أبو بكر الصديق : ١٨١ .

أبو بكر الهمداني : ٥٧ .

أبو تمام الطائي : ٤١ ٤٢ ٦٧ .

أبو جعفر = أحمد بن محمد بن سعيد .

أبو جعفر المنصور بن المسترشد بالله : ٥٠ .

أبو الحسن = على بن جمال الدين .

أبو حنيفة : ١١ ١٦٥ ١٩٣ .

أبو سعد : ١١ .

أبو سلامة = مرشد بن على .

أبو العباس = أحمد المستظهر بالله .

أبو العباس = الحسين بن على الطغراني الاصفهاني .

أبو العباس = عبد الله بن محمد السفاح .

أبو عبد الله = الحسين بن جبير .

أبو عبد الله بن على بن مهران : ٧ .

أبو عبد الله = محمد بن نصر بن صغير بن خالد بن القيسراني .

أبو عبد الله = محمد بن المستظهر بالله .

- أبو العساكر = سلطان بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكيناني المنقذى .  
أبو الفتوح الاسفرائيني : ٤٧ .  
أبو الفرج بن رئيس الرؤساء : ١٧٩ ١٥١ .  
أبو الفرج الدقاق : ١٨٠ .  
أبو الفوارس = سعد بن محمد بن صيفي .  
أبو القاسم = عبد الله بن محمد بن القائم بأمر الله .  
أبو القاسم = علي بن الحسين بن محمد بن علي العباسي .  
أبو القاسم الانساباذي : ١٢٧ ٥٤ ٤٥ ٤٣ ٤٢ .  
أبو القاسم الدرگزيني : = أبو القاسم الانساباذي .  
أبو القاسم بن عساكر : ١٧٣ ٨٩ .  
أبو القاسم محمد : ١٥٧ ١٤ ١٣ .  
أبو المرهف = نصر بن علي بن المقلد بن نصر بن منقذ .  
أبو المظفر = مسعود بن نور الدين أرسلان شاه .  
أبو النجيب السهروردي : ٢٢ .  
أبو النجيب الفقيه الصوفي : ٥٣ .  
أبو الهيجاء الكردي الهذباني : ١٤٢ ٣٠ .  
الأتراك : ٩ .  
أحمد بن أبي الخير : ١٨٤ ١٨٣ .  
أحمد بن حامد بن محمد أبو نصر : ٤٢ ٣٠ .  
أحمد بن محمد بن سعيد : ١٥١ .  
أحمد (المستظهر بالله) : ١٥٠ ٥٠ ٢٢ ١٤ ١٣ .  
أحمد بن مسعود الموصل المرقى : ١٢٦ .  
أحمد بن منير الطرابلسي (الشاعر) : ١٣١ ١٠٩ ١٠٤ ١٠١ ١٠٠ .  
أحمد بن نظام الملك : ٢٥ .  
الأخطل : ٧٥ .

- الأراتقة (والأرتقية) : ٣٨ ٣٩ ٩٠ .  
أرتق بن أكسب التركاني : ٥ ٧ .  
أرسلان بيغو بن سلجق : ٩ .  
أرسلان شاه بن عز الدين مسعود : ١ ٢ ٣٧ ٩٥ ١٨٩ ١٩٠ ١٩١ ١٩٢ ١٩٣ ١٩٤ ١٩٥ .  
١٩٦ ١٩٧ ١٩٨ ١٩٩ ٢٠٠ ٢٠١ .

- الأرمن : ١٩ ٣٣ ٨٦ ١٦٩ .  
الأزهرى : ١١ .  
أسامة بن مرشد : ١١١ ١١٢ ١١٦ .  
الإسبتارية : ٢١ .  
إسحاق : ١٤ .  
أسد الدين = شيركوه بن شاذى .  
اسماعيل بن أبى سعيد الصوفى ( صدر الدين شيخ الشيوخ ) : ٢٦ .  
اسماعيل بن محمد ( المنصور بالله أبو طاهر ) : ١٥٧ .  
اسماعيل بن نور الدين محمود : ٧٧ ١٦٢ ١٦٣ ١٧٥ ١٧٦ ١٧٧ ١٧٨ ١٨١ .  
اسماعيل بن ياقوتى : ١٣ .  
أغلبك ( ملوك الدييسى ) : ١١٢ .  
الإفرنج = الفرنج .  
إقبال المسترشدى : ٤٦ ٤٩ ٥٢ .  
الأكراد : ٤٨ ٦٤ .  
الأكراد البشنوية : ٧٣ .  
الأكراد الجلالية : ٥٨ .  
الأكراد الروادية : ١١٩ .  
أكن : ٤٦ .  
آل منقذ : ١١٠ .  
ألب أرسلان بن السلطان محمود السلجوقى : ٤ ٩ ١٠ ٣٥ ٤٨ ٧١ ٧٢ ٨٤ .  
ألجى بن تمر تاش بن إيلغازى بن أرتق : ١٠٦ ١٢٣ .  
الأمير بأحكام الله : ١٥٧ .

- الأمير العالم : ١٥٦ .
- أميرك الجاندار : ٨٤ .
- أمين الدين يمن : ١٩٠ .
- الأمين محمد : ١٤ .
- أنر ( معين الدين ) : ٥٨ ٥٩ ٨٨ ٨٩ ٩٠ ١٣١ .
- الأنساباذى = أبو القاسم الأنساباذى .
- أنو شروان بن خالد : ٤٩ ٣٥ .
- أوحد الزمان الطيب : ٩٢ ٣٠ .
- إياز قفجاق ( الأمير ) : ١٠٦ .
- أيتكين الخادم : ٤٥ .
- إيكلدى بن نغر الدولة إبراهيم ( سعد الدولة أبو منصور ) : ٣٨ .
- إيلدكز ( شمس الدولة ) : ١٠٦ ١٥٣ .
- إيلغازى بن أرتق : ١٨ ٢٦ ٧٤ .
- إيلغازى بن ألي : ٩٤ .
- أيوب ( نجم الدين ) : ٤٤ ٥٩ ١١٩ ١٢٠ ١٢٦ ١٤١ ١٥٨ ١٧٢ .

ب

- الباطنية : ٣١ ٥١ .
- بدر الدين : ١٩٨ .
- البراض بن قيس : ٧٥ .
- بردويل : ١٨ .
- برسق : ١٣ ٤٩ .
- البرسقى = آقسنقر البرسقى .
- برغش : ١٣٣ ١٣٩ .
- البشارى : ١٨ .
- بركياروق بن ملكشاه : ٤ ١٢ ١٣ ١٥ ١٦ ٢١ ٢٢ .

البرنس (صاحب أنطاكية) : ٩٨ ٩٩ ١٢٤ .

بغدوين = بردويل .

البقش : ٥٢ .

البقة قتلغ السكالي : ١٦٢ .

بك أبه المحمودى : ٥٠ .

بللك بن بهرام بن أرتق (الأمير) : ٧٤ .

بليمان : ٨٢ ٨١ .

بنو بويه : ٥١ .

بنو تغلب : ٧٥ .

بنو قشير : ٧٣ .

بنو كلب : ١٣٦ ٤٦ .

بنو مالك : ١٣٧ .

بنو مروان : ٥ .

بهاء الدين = على بن الشكرى .

بهاء الدين = على بن الشهرزورى .

بهاء الدين بن الضحاك : ١٩٧ .

بهروز (مجاهد الدين) : ٤٢ ١١٩ .

البهلوان : ٤ .

بورى بن طغديكين : ٤٦ .

بوازبه : ٥٤ .

بوزان (الأمير) : ٧ ١٢ ١٣ ١٥ ١٠٩ ١٣٥ .

بيمند (ابن البرنس صاحب أنطاكية) : ٩٩ ١٠٩ .

## ت

تاج الدولة = تمش بن ألب أرسلان .

تاج الدين = يحيى بن عبد الله بن القاسم الشهرزورى .

تاج الملوك = بوري بن طغتكين .

تبر (الأمير) : ١٣٥ .

التدروس : ٦ .

الترك : ٥١ .

تركان خاتون : ١١ .

التركان : ١٦ ٢٨ ٨٠ .

تمر تاش بن ايلغازي بن أرتق : ٣٦ ٣٧ ٣٨ ٧٠ ٧٩ ٨٠ ٩٠ ٩١ ٩٤ ١٠٦ ١٤٦ .

توران شاه بن أيوب : ١٤٣ ١٦٢ .

التوقناش الأبري : ١٧ ٢٥ .

## ث

ثقة الدين = حسن البربطي .

## ج

جاولي سقاووا : ٨ ١٦ ١٧ ٣٢ ٣٤ ٣٥ ٦٥ .

جاولي القسيمي : ٤٩ .

الجحاف بن حكيم السليمي : ٧٥ .

الجرا كسة : ١٢٦ .

جرديك (عز الدين) : ١٣٩ ١٤٠ ١٩٣ .

جغري بك داود : ١٠ .

جقر (نصير الدين) : ٣٤ ٣٥ ٤٧ ٦٤ ٦٥ ٧٠ ٧١ ٧٢ ٧٣ ٧٨ ٨١ ٨٢ ٨٤ ١٥٠ .

جكرمش (شمس الدولة) : ١٦ .

- جلال الدين : ١٧٨ .
- جمال الدين = محمد بن علي الأصفهاني (الوزير) .
- جمال الدين الوزير = محمد بن علي الأصفهاني .
- جوسلين : ١٨ ٣٧ ٦٦ ٦٧ ٦٩ ٧٠ ٨٦ ١٠١ ١٠٢ ١٠٤ .
- جيوش بك : ١٩ ٢٠ ٢٢ ٢٣ ٢٤ ٦٥ .

## ح

- الحارمي = محمود الحارمي .
- الحافظ لدين الله : ١٥٧ .
- الحاكم بأمر الله : ١٥٧ .
- الحجاج بن يوسف الثقفي : ١١ ٢٤ .
- حجة الدين = يوسف بن ذي ناس الفندلاوي .
- حسام الدين = تمر تاش بن ايلغازي بن أرتق .
- حسام الدين = الحسين بن عيسى الجراحي .
- حسام الدين = يولق أرسلان بن ايلغازي بن أرتق .
- حسان المنبجي : ٧٤ .
- الحسن بن اسحاق (نظام الملك) : ٤ ٥ ٨ ٩ ١٠ ١١ ٥١ .
- حسن البربطي : ٨٤ .
- حسين أوزبك : ٤٤ ٤٥ .
- الحسين بن جهير : ٥١ .
- الحسين بن علي الطغراني الأصفهاني : ٢٣ .
- الحسين بن عيسى الجراحي : ١٦٢ .
- الحيص بيص = سعد بن محمد بن صيفي .

خ

- . الخاتون : ١٨٣ ١٦٤ ١٤٦
- . خاتون بهشت جهان : ٢٥
- . الخاتون السكمانية : ٩٤ ٩١ ٧١
- . خسرو بن تليل : ١٤٢ ١٤١
- . خوارز مشاه : ٤٥ ٤٤
- . خويلد : ٨

د

- . داود بن السلطان محمود : ٥٤ ٥٢ ٥١ ٤٣ ١٠ ٩
- . داود بن سقمان بن أرتق : ٨١ ٨٠ ٦٤ ٤٧ ٣٩ ٣٨ ٣٧ ٣٦
- . ديدس بن صدقة الأسدي : ٧١ ٤٧ ٤٦ ٤٥ ٤٤ ٣٥ ٢٧ ٢٦ ٢٥ ٢٤ ٢٢
- . الديوية : ٤١
- . دقاق : ١٧
- . دى سلين : ٦٩ ١٤ ٩ ٦

ذ

- . ذبيان : ٧٥
- . ذو النون بن دانشمند : ١٦١ ١٦٠



ر

- . الراءد بالله : ٤٨ ٥٠ ٥١ ٥٢ ٥٣ ٥٤ ٥٥ .
- . الراضى بالله أبو العباس أحمد بن المقتدر بالله : ١٤ .
- . الرجى : ١٦١ .
- . الرشيد : ١٤ ٢٦ .
- . رضوان : ١٥ ١٧ .
- . رينون شايون : ٩٩ .

ز

- . زامباور : ٤ ٩ ١٦ .
- . الزبير بن العوام بن خويلد : ٨ .
- . زعيم الدين بن جعفر : ١٥١ ١٥٢ .
- . زنى بن برسق : ١٩ .
- . زنى الجاندار : ١٠٥ .
- . زنى الشامى = زنى بن قسيم الدولة آقسنقر .

زنى بن قسيم الدولة آقسنقر : ٣ ٥ ٨ ١٥ ١٦ ١٧ ١٩ ٢٠ ٢٣ ٢٤ ٢٥ ٢٦ ٢٨  
٢٩ ٣٠ ٣١ ٣٢ ٣٤ ٣٨ ٣٩ ٤٠ ٤١ ٤٣ ٤٤ ٤٥  
٤٦ ٤٧ ٤٨ ٤٩ ٥١ ٥٣ ٥٤ ٥٥ ٥٦ ٥٧ ٥٨ ٦٢  
٦٣ ٦٤ ٦٥ ٦٦ ٦٨ ٧١ ٧٤ ٧٧ ٧٨ ٨٠ ٨٢ ٨٤  
٨٥ ٨٦ ٨٧ ٩١ ٩٢ ٩٥ ١١٨ ١١٩ ١٤٦ ١٥٠ ١٥٣  
١٨٢ ١٨٣ ١٨٥ ١٨٦ ١٩١ ١٩٢ ٢٠٠ .

زين الدين = على بن بكتكين .

زين الدين = يوسف بن زين الدين على .

س

- . سالم بن مالك العقيلي : ٧٣ ٨ .
- . سبكتكين : ٩ .
- . سبته : ٧٩ .
- . سيد الدولة بن الأنباري : ٤٦ ٤٧ ٥٠ .
- . سعد بن محمد بن صيفي : ٩٣ ١٣٦ .
- . السعيد = أرسلان شاه بن عز الدين مسعود .
- . سقمان بن أرتق : ١٦ .
- . سكان القطبي : ١٨ ٨٠ .
- . السلاجقة (والسلاجقية) : ٥١ ٦١ .
- . سلجوق شاه بن محمد : ٤٢ ٤٤ ٥٢ .
- . سلطان بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ السكناني المنقذي : ٥٥ ١١٠ ١١١ ١١٢ .
- . سليمان بن الجندار : ١٢٦ .
- . سليمان شاه بن السلطان محمد : ١٠٨ ١١٤ ١١٥ .
- . سليمان بن قتلش : ٦ ٧ ٨ .
- . سن بن عطير : ٦٧ .
- . سنجر شاه بن سيف الدين غازي بن قطب الدين مودود : ١٨١ ١٨٣ ١٨٤ ١٨٥ .
- . سنجر بن ملكشاه بن الب أرسلان : ٢١ ٤٤ ٤٥ ٤٦ ٤٩ ٥٤ .
- . سنقرجة : ١٦ .
- . سنقر الأحديلي : ٤٣ ٥٠ .
- . سنقر الخمارتكني : ٤٩ .
- . سيف الدين = علي بن أحمد الهكاري .
- . سيف الدين = غازي بن عماد الدين زنكي بن آقسنقر .
- . سيف الدين = غازي (الثاني) بن قطب الدين مودود بن عماد الدين زنكي .

ش

- . شاذبخت : ١٨٢ .
- . شاذى : ١١٩ .
- . الشاشى ١٤ .
- . شاور السعدى : ١٢٠ ١٢١ ١٣٢ ١٣٤ ١٣٨ ١٣٩ ١٤٠ .
- . شجاع بن شاور : ١٣٤ ١٤٠ .
- . شرف الدولة = مسلم بن قريش بن بدران العقيلي .
- . شرف الدولة = أحمد بن محمد بن سعيد .
- . شرف الدين = أحمد بن أبي الخير .
- . شرف الدين = أنو شروان بن خالد .
- . شرف الدين = برغش .
- . شرف الدين الزينبي : ٥٠ ٥٣ .
- . شرف الدين بن قطب الدين مودود : ٤ ٩ ١٨ ١٩٠ .
- . شمر أبو كرب : ١١ .
- . شمس الدولة = توران شاه بن أيوب .
- . شمس الدين = عبدالله بن ابراهيم .
- . شمس الدين = على بن الداية .
- . شمس الدين = محمد بن المقدم .
- . شمس النهار ( القمر مائة ) : ١٣ .
- . شهاب الدين = مالك بن على بن مالك العقيلي .
- . شهاب الدين = محمد بن بوزان .
- . شهاب الدين = محمود بن الياس بن إيلغازى بن أرتق .
- . شهاب الدين = محمود الحارمى .
- . الشهيد = زنسكى بن قسيم الدولة آقسنقر .
- . شيركوه بن شاذى : ٤٣ ٤٤ ٩١ ٩٥ ١١٩ ١٢٠ ١٢١ ١٢٢ ١٢٦ ١٢٧ ١٣٢ ١٣٣ .
- . ١٣٧ ١٤٠ ١٤١ ١٤٢ ١٦٨ ١٧٢ .

ص

- صاحب أنطاكية : ١٢٤ ١٢٥  
صالح بن مرداس : ١١٠ .  
صلاح الدين = يوسف بن أيوب .

ض

- ضرغام (الوزير الفاطمي) : ١٢٠ .  
ضياء الدين = عيسى الهكاري .  
ضياء الدين بن الكفرتوئي : ٤٨ ١١٨ .

ط

- الطائع لله أبو بكر عبدالله : ١٤ .  
طاهر بن الحسين : ٥٢ .  
طر نطاي : ٥٢ .  
طغتكين (طغتكين) : ١٧ ١٨ ١٩ ٣٨ ٥٨ .  
طغرل بن السلطان محمد : ٢٧ ٢٨ ٤٤ ٤٥ ٤٩ .  
طغرلبك : ١٠ .

ظ

- الظاهر بالله : ١٥٧ .  
الظاهر بن صلاح الدين يوسف : ٢٠٠ .  
الظاهر لاعزاز دين الله : ١٥٧ .

ظهير الدين = يولق بن بلنكري الذكري .  
ظهير الدين بن العطار : ١٧٩ .

## ع

عاتكة بنت يزيد بن معاوية بن أبي سفيان : ٩٤ .

العاضد لدين الله العلوي : ١٢٠ ١٣٤ ١٣٨ ١٣٩ ١٤٠ ١٤٢ ١٤٣ ١٤٤ ١٥٦ ١٥٧ .

عبد الرحمن بن طغايرك : ٤٩ .

عبدالله بن ابراهيم : ١٩٣ .

عبدالله بن الزبير بن العوام بن خويلد : ٨ .

عبدالله بن طاهر بن الحسين : ٥٢ .

عبد الله بن عيسى المهراني : ١٩٢ ١٩٣ .

عبد الله بن محمد السفاح : ١١ .

عبد الله بن محمد بن القائم بأمر الله : ٥ ١٣ ١٤ ٥٠ .

عبد الله بن المكتفي بالله : ١٤ ٥١ .

عبد المسيح ( غفر الدين ) : ١٣٦ ١٤٦ ١٤٧ ١٥٢ ١٥٤ ١٦١ ١٧٥ .

عبد الملك بن مروان : ٩٤ ٩٧ .

عبد الملك ( والد شمس الدين محمد ) : ٩٥ .

عبيد الله المهدي : ١٥٧ .

عثمان بن صلاح الدين يوسف بن أيوب : ١٩٤ .

عز الدولة أبو الحسن علي : ١١١ .

عز الدين = أبو بكر الديبسي .

عز الدين = قلع أرسلان بن مسعود .

عز الدين أتابك = مسعود بن قطب الدين مودود بن عماد الدين زنكي .

عز الملك بن نظام الملك : ١٣ .

العزير بالله : ١٥٧ .

- العزیز المستوفی = أحمد بن حامد بن محمد .  
عضد الدین = أبو الفرج بن رئیس الرؤساء .  
عطاء بن حفاظ السلمي الخادم : ١٠٧ .  
عقیف الخادم : ٢٩ .  
علاء الدین = تنامش .  
علاء الدین الكاشانی : ١٨٢ .  
علم الدین = سليمان بن الجندار .  
علی بن ابی طالب : ٧٦ .  
علی بن أحمد الهكاري : ١٤٢ .  
علی بن بكتكين : ١٥ ٢٧ ٧٢ ٧٣ ٨٢ ٨٥ ٨٧ ٩٣ ٩٤ ٩٧ ١٠٨ ١٠٩ ١١٣  
١١٤ ١١٥ ١١٩ ١٢٣ ١٢٤ ١٣٥ ١٣٦ ١٤٩ ١٧٧ .  
علی بن جمال الدین : ١٧٧ .  
علی بن الحسين بن محمد بن علی العباسی : ٢٦ ٥٥ .  
علی بن الداية : ١٦٣ ١٧٥ ١٧٦ .  
علی بن شرف الدولة العقيلي : ١٦ .  
علی بن الشكري : ١٦٥ ١٨٦ ١٩٢ .  
علی بن صلاح الدین يوسف بن أيوب : ١٩٤ .  
علی بن طراد الزينبي : ٢٥ .  
علی بن القاسم الشهرزوري ( أبو الحسن ) : ٣٤ ٣٥ ٥٧ .  
علی بن محمد الدامغانی : ٢٢ .  
علی بن المعتضد بالله ( الخليفة ) : ١٤ ٥١ .  
عماد الدین بن الوزير عضد الدین : ١٥٢ .  
عماد الدین = زنكي بن قسيم الدولة آقسنقر .  
عماد الدین = صندل المقتفوی .  
العماد الكاتب = محمد بن حامد الكاتب .

- عمر ( تقي الدين ) : ١٥٨ ١٨٢ .
- عمر بن الخطاب = ١٨١ .
- عمر بن عبد العزيز : ٥٨ ٩٤ ١٦٣ .
- عمر الملاء : ١٢٩ ١٧٠ .
- عمر النسائي : ١٢٩ ١٨٨ .
- عميد الدولة بن جبير ٥ ١٤ ٢٦ .
- عنبر بن أبي العسكر الجاواني : ٢٦ ٥١ .
- العوام بن خويلد : ٨ .
- عون الدين بن هبيرة : ١١٣ ١١٤ .
- عيسى بن أبي هاشم : ١٢٨ .
- عيسى الحميدى : ٤٨ .
- عيسى الهكاري : ١٤٢ .
- عين الدولة = الياوروقى .

( غ )

- غازى بن حسان المشيخي : ١٣٤ .
- غازى بن عماد الدين زنسكى بن آقسنقر : ٤ ٦٥ ٧٦ ٨٤ ٨٥ ٨٦ ٨٨ ٨٩ ٩٠ ٩١ ٩٢ .
- ٩٤ ٩٥ ٩٧ .
- غازى بن قطب الدين مودود بن عماد الدين زنسكى : ١١٩ ١٢٠ ١٤٦ ١٥٠ ١٥٣ ١٥٤ .
- ١٦١ ١٦٣ ١٧٥ ١٧٦ ١٧٧ ١٧٨ .
- ١٨٠ ١٨١ ١٨٢ .

الغزالي : ١٤ .

ف

الفائز بنصر الله : ١٥٧

فاطمة ابنة الخريث : ١٥٠

فاطمة بنت عبد الملك بن مروان بن الحكم : ٩٤

نغر الدين = عبد الله بن عيسى المهراني .

نغر الدين = عبد المسيح .

نغر الدين = قرا أرسلان بن داود بن سقمان بن أرتق .

نغر الدين = مسعود بن أبي علي بن الزعفراني .

نغر الملك : ١٠

فرخشاه بن السلطان محمود : ٧٥

الفردوس : ٦ .

الفرنج : ١٢ ١٨ ١٩ ٢٠ ٢٧ ٣٥ ٣٩ ٥٥ ٨٧ ٨٨ ٨٩ ٩١ ٩٢ ٩٦ ٩٧ ٩٨ ٩٩ ١٠٠

١٠١ ١٠٢ ١٠٤ ١٠٦ ١٠٧ ١٠٨ ١٠٩ ١١٠ ١١٢ ١١٦ ١١٧ ١١٨ ١٢١ ١٢٢

١٢٣ ١٢٤ ١٢٥ ١٣٠ ١٣١ ١٣٢ ١٣٣ ١٣٤ ١٣٧ ١٣٩ ١٤٠ ١٤١ ١٤٢ ١٤٣

١٤٤ ١٤٦ ١٥٢ ١٥٣ ١٥٤ ١٥٥ ١٥٨ ١٥٩ ١٦٠ ١٦١ ١٦٩ ١٧١ ١٧٢ .

الفنش : ٩٠ .

فولك : ٣٩ .

فيلاريت : ٦ .

فيليب بن الرفيق : ١٤٤ .

ق

القادر بالله ( الخليفة ) : ١٤ .

قاضي القضاة الزينبي = علي بن الحسين بن محمد بن علي العباسي .

القاهر بالله ( الخليفة ) : ١٤ .



قايماز ( مجاهد الدين ) : ١٣٦ ١٧٧ ١٧٨ ١٨١ ١٨٢ ١٨٣ ١٨٤ ١٨٥ ١٨٦ ١٨٩ ١٩٠

١٩١ ١٩٢ ١٩٣ .

قتلش بن أرسلان بيغو : ٨ ٩ .

قرا أرسلان بن داود بن سقمان بن أرتق : ٩٦ ١٢٣ ١٢٤ .

قراجه تجنه ( الأمير ) : ١٠٦ ١١٩ .

قراجه الساقى : ٤٣ ٤٤ ٤٥ .

قول آخر : ٤٥ ٤٩ .

قسيم الدولة = آقسنقر ( والد عماد الدين زنكى ) .

قطب الدين = خسرو بن تليل .

قطب الدين = مودود بن زنكى بن آقسنقر .

قطب الدين = ينال بن حسان المنبجى .

قطب الدين النيسابورى : ١٦٩ ١٧١ .

قفجاق بن أرسلان تاش التركانى : ٤٣ ٥٧ .

قلج أرسلان بن مسعود : ٨ ٢١ ١٣٩ ١٦٠ ١٦١ ١٨١ ١٨٢ ١٨٣ ١٨٥ ١٨٦ ١٨٨

١٩٠ ١٩١ .

قجاج ( الأمير ) : ٤٤ .

القمامصة : ٤١ .

القمص صاحب طرابلس : ١٢٤ ١٢٥ .

قويدان ( الأمير ) : ١٠٨ .

القيسرانى ( الشاعر ) : ٩٩ ١٠٣ .

ك

الكامل = شجاع بن شاور .

كربوغا : ١٥ ١٦ .

- . الكرج : ١٥٣ .
- . كسرى : ٢٠٢ .
- . كسك ( ناصر الدين ) : ١٨١ .
- . كمال الدين = محمد الشهرزورى .
- . كمال الدين الدرگزىنى = ابو القاسم الانساياذى .
- . كمال الدين بن طلحة : ٥٠ .
- . كمال الدين بن العديم : ١٢٦ .
- . كمال الدين بن عضد الدين : ١٥١ ١٦٣ ١٦٤ .
- . كمال الدين نيسان : ١٧٧ .
- . كشتكين ( سعد الدين ) : ١٥٤ ١٧٦ ١٨٧ .
- . الكند : ٤١ .
- . كند غدى : ٢٨ .
- . كورى ( ناصر الدين ) : ١٦ ٧٧ .
- . كونراد الثالث : ٨٨ .
- . كونستانس : ٩٩ .
- . كوهراين : ١٣ .
- . كيخسرو ( صاحب قونية ) : ٦ .

## ( ل )

لويس السابع : ٨٨ .

## ( م )

المأمون ( الخليفة ) : ١٤  
مالك بن على بن مالك العقيلي : ١٣٦ ١٣٧ .

المتقى بالله أبو إسحاق إبراهيم : ١٤ .

المتوكل على الله ( الخليفة ) : ١٤ .

مجد الدين = أبو بكر بن الداية .

مجير الدين = أبق بن محمد بن بوري بن طغديكين .

محاسن ( جمال الدين ) : ١٩٣ .

محمد ( الملك الكامل الأيوبي ) : ١٩٤ ١٩٥ ١٩٦ .

محمد بن أحمد بن صدقة : ٥١ ٥٢ .

محمد بن بوري بن طغديكين : ٥٨ ٥٩ .

محمد بن بوزان : ١٧٨ .

محمد بن حامد الكاتب : ٤٢ ١٥٤ ١٧٤ .

محمد بن حميد الطائي : ٤١ .

محمد بن سبكتكين : ٩ ٢٨ .

محمد بن شرف الدولة العقيلي : ١٢ .

محمد بن عبد الله بن القاسم الشهرزوري : ٥٤ ٥٨ ٦٤ ١٥٣ ١٦٢ ١٦٧ .

محمد بن علي بن أبي منصور الأصفهاني : ١١ ٧٨ ٨٢ ٨٤ ٨٥ ٨٦ ٩٣ ٩٤ ٩٧ ٩٨ ١١٥ .

١١٨ ١٢٧ ١٢٨ ١٢٩ ١٣٠ ١٤٩ .

محمد بن القائم بأمر الله : ١٤ .

محمد بن قرا أرسلان : ١٥٢ .

محمد بن محمد بن جهير ( فخر الدولة ) : ٥ ١٣ .

محمد بن محمود ( السلطان ) : ١٠٥ ١٠٨ ١١٤ ١١٥ .

محمد بن المستظهر بالله : ٥٣ ٥٤ ١٠٨ ١١٣ ١١٤ ١٢٨ ١٥١ .

محمد بن المقدم : ١٦٢ ١٧٥ ١٧٦ .

محمد بن ملكشاه : ١٢ ٢٠ ٢١ .

محمد بن نصر بن صغير بن خالد القيسراني : ٩٢ .

محمد بن الواثق بن المعتصم : ١٤ .

محمود بن إلياس بن إيلغازي بن أرتق : ١٤٥ ١٤٦ .

محمود الحارمي : ١٣٤ ١٤٢ ١٥٨ .

محمود زلف دار ( عز الدين ) : ١٧٥ : ١٨٣ .

محمود بن عماد الدين زبكي ( نور الدين ) : ٨ ١١ ١٢ ٢٠ ٢١ ٢٢ ٢٣ ٢٤ ٢٧ ٢٨ ٣١

٣٢ ٣٤ ٣٥ ٣٨ ٤٢ ٤٥ ٤٦ ٥١ ٧١ ٧٦

٨٥ ٨٦ ٨٨ ٨٩ ٩٠ ٩١ ٩٢ ٩٥ ٩٧ ٩٨

٩٩ ١٠٠ ١٠١ ١٠٢ ١٠٣ ١٠٤ ١٠٦ ١٠٧

١٠٨ ١٠٩ ١١٠ ١١٢ ١١٦ ١١٧ ١١٨ ١٢١

١٢٢ ١٢٣ ١٢٤ ١٢٥ ١٢٦ ١٣٠ ١٣١ ١٣٢

١٣٣ ١٣٤ ١٣٦ ١٣٧ ١٣٨ ١٣٩ ١٤٠ ١٤١

١٤٢ ١٤٣ ١٤٤ ١٤٦ ١٤٩ ١٥٠ ١٥٢ ١٥٣

١٥٥ ١٥٦ ١٥٧ ١٥٨ ١٥٩ ١٦٠ ١٦١ ١٦٢

١٦٣ ١٦٤ ١٦٦ ١٦٧ ١٦٨ ١٦٩ ١٧٠ ١٧٢

١٧٣ ١٧٤ ١٧٥ ١٧٦ ١٨٩ ١٩٠ ١٩١ ١٩٢

١٩٣ ١٩٤ ١٩٥ ١٩٦ ١٩٧ ٢٠٠ ٢٠١ ٢٠٢

محمود بن سبكتكين : ٩

محمود بن محمد الأرتقي ( ناصر الدين ) : ١٦ .

محمود بن محمد بن ملكشاه : ١٦ ٢٠ ٤٢ .

مرشد بن علي ( الأمير ) : ١١٠ ١١٢ .

مروان بن الحكم : ٩٤ .

مروان بن محمد ( المعروف بمروان الحمار ) : ١٠٣ .

مري : ١٣٧ .

المسترشد بالله : ٢٢ ٢٤ ٢٥ ٢٨ ٣١ ٣٥ ٤٤ ٤٦ ٤٧ ٤٨ ٤٩ ٥٠ ٥١ ٧٨ ٨٠ .

المستضيء بأمر الله : ١٥٠ ١٥١ ١٥٤ ١٥٦ ١٥٧ ١٧٩ .

المستظهر بالله = أحمد المستظهر بالله .

المستعلي بالله : ١٥٧ .

المستكفي بالله = عبد الله بن المكتفي بالله بن المعتضد بالله .

المستنجد بالله = يوسف بن المقتفي لأمر الله .

- المستنصر بالله : ١٥٧ ٥١ .
- مسعر بن المهامل (الأديب) : ٥٨ .
- مسعود بن آقسنقر البرسقي : ٣٥ ٣٤ ٣٢ .
- مسعود بن أبي علي بن الزعفراني : ١٣٦ .
- مسعود بن قطب الدين مودود : ١٨١ ١٥٣ ٧٦ .
- مسعود بن محمد بن ملكشاه : ١٩ ٢٠ ٢٢ ٢٣ ٢٤ ٢٥ ٤٢ ٤٣ ٤٤ ٤٥ ٤٨ ٤٩ ٥١
- ١٠١ ٩٧ ٩٣ ٨٦ ٨١ ٨٠ ٧١ ٦٥ ٦٣ ٦٢ ٥٧ ٥٤ ٥٣
- ١٠٦ ١٠٥ ١٠٢
- مسعود بن نور الدين أرسلان شاه : ٩٥ ٢٠١ ٢٠٢ ٢٠٤ .
- المسلم بن الخضر بن قسيم الحموي : ٥٦ .
- مسلم بن قریش بن بدران العقيلي : ٥ ٦ ٧ ٨ ٧٨ .
- المصريون : ١٣٣ ١٣٤ ١٣٨ ١٤٣ .
- المطيع لله أبو القاسم الفضل : ١٤ .
- مظفر الدين كوكبوري : ١٣٦ ١٨٥ ١٩٧ ٢٠٠ .
- معاوية بن يزيد : ٩٤ .
- المعتز بالله : ١٤ .
- المعتصم بالله : ١٤ ٤٢ ٥١ ٦٧ .
- المعتضد بالله : ١٤ ٥١ .
- المعتمد على الله : ١٤ .
- معز الدولة البويهی : ٥١ .
- معز الدين بن سيف الدين : ١٩٤ ٢٠٠ .
- المعز لدين الله أبو تميم سعد : ١٥٧ .
- المقتدر : ١٤ .
- المقتدى بأمر الله = عبد الله بن محمد بن القائم بأمر الله .
- المقتفي لأمر الله = محمد بن المستظهر بالله .
- المكتفي بالله = علي بن المعتضد بالله .
- الملك الأفضل = علي بن صلاح الدين يوسف بن أيوب .

- ملك الروم : ١٢٥ ٥٦ ٥٥ .
- الملك الصالح = إسماعيل بن نور الدين محمود .
- الملك العادل = محمود بن عماد الدين زنكى .
- الملك العادل = أبو بكر بن أيوب .
- الملك العزيز = عثمان بن صلاح الدين يوسف بن أيوب
- الملك الفائز : ١٩٦ .
- الملك القاهر = مسعود بن نور الدين أرسلان شاه .
- الملك الكامل = محمد (الملك الكامل) .
- الملك المعظم = مظفر الدين كوكبورى .
- الملك الناصر : ١٤٢ .
- الملك المنصور (أمير الجيوش) : ١٤٠ .
- ملكشاه : ٤ ٥ ٧ ٨ ٩ ١٠ ١١ ١٦ ٢٤ ٧٣ ١٠٥ ١٠٨ ١١٤ ١٣٦ ١٨١ .
- المهاليك : ٥١ .
- مليح بن ليون : ١٦٩ .
- المنتصر بالله : ١٤ ٥١ .
- المنصور (الخليفة) : ١٤ ٥٠ ١١٣ .
- المنصور بالله = اسماعيل بن محمد .
- منكب من : ٥٤ .
- المهدي (الخليفة العباسى) : ١٤ ٦٢ .
- المهلب بن أبي صفرة : ١٥٠ .
- مؤيد الدلة = أسامة بن مرشد .
- مؤيد الدين بن الصوفى : ١٠٦ .
- مؤيد الملك بن نظام الملك : ١٠ ٥ .

مودود بن زنگي بن آقسنقر : ١٧ ١٨ ١٩ ٢٠ ٦٥ ٧٦ ٨٢ ٩١ ٩٢ ٩٤ ٩٥ ٩٦ ٩٧  
٩٨ ١٠٨ ١١٢ ١١٣ ١١٤ ١١٥ ١١٩ ١٢٢ ١٢٣ ١٣٥  
١٤٦ ١٤٧ ١٤٨ ١٥٠ ١٥٢ ١٥٤ ١٦٣ ١٧٥ ١٩١ ١٩٢  
١٩٣ ١٩٤ ١٩٥ ١٩٦ ١٩٧ .

موسى التركمانى : ١٦ .

موسى بن المهدي ( الخليفة الهادي ) : ١٤ .

الموفق الناصر لدين الله أبو أحمد بن المتوكل : ١٤ .

المولى السعيد = أرسلان شاه بن عز الدين مسعود .

## ن

الناصر لدين الله : ١٨٣ .

نجم الدين = ألبى بن تمر تاش بن إيلغازى بن أرتق .

النصارى : ٥٥ .

نصر بن على بن المقلد بن نصر بن منقذ الكنانى : ٨ ١١٠ .

نصرة الدين أمير أميران : ٧٦ ١٣٠ .

نظر الخادم : ٢٧ ٤٨ .

نقيب النقباء = على بن طراد الزينبي .

نور الدين = أرسلان شاه بن عز الدين مسعود .

نور الدين = محمود بن عماد الدين زنگي .

## هـ

هارون الرشيد : ٢٦ .

و

الوائق بالله ( الخليفة العباسي ) : ۱۴ .

ی

ياخر ( الامير ) : ۱۰۹ .

اليارق ( الامير ) : ۸۰ .

الياروقی : ۱۳۹ ۱۴۱ ۱۴۲ .

ياغی سیان : ۸ ۱۲ ۱۳ ۱۱۴ .

ياقوتی : ۱۶ .

یحیی بن عبد الله بن قاسم الشهرزوری : ۷۲ .

یرنقش بازدار ( مجاهد الدين ) : ۴۴ ۴۹ ۵۱ ۱۹۱ ۱۹۲ .

یرنقش الزکوی : ۲۷ ۲۸ .

یزدن : ۱۵۱ .

ینال بن حسان المنبجی : ۱۳۵ ۱۳۹ .

یوحنا الثاني کالو جوهازیر : ۵۵ .

یوسف بن آدم : ۱۷۳ .

یوسف بن أيوب ( صلاح الدين ) : ۳۵ ۴۴ ۱۲۶ ۱۳۳ ۱۳۴ ۱۳۹ ۱۴۰ ۱۴۱ ۱۴۲

۱۴۳ ۱۴۴ ۱۵۳ ۱۵۶ ۱۵۷ ۱۵۸ ۱۵۹ ۱۶۱ ۱۶۲

۱۶۳ ۱۶۷ ۱۷۱ ۱۷۲ ۱۷۳ ۱۷۶ ۱۸۱ ۱۸۲ ۱۸۳

. ۱۸۵ ۱۸۸ ۲۰۰ .

یوسف بن ذی ناس الفندلاوی : ۸۹ .

یوسف بن زین الدين : ۱۸۳ .

یوسف جاوش : ۴۳ ۴۴ ۴۵ .

یوسف بن المقتفی لأمر الله : ۱۱۴ ۱۱۵ ۱۵۰ ۱۵۱ .

یولوق أرسلان بن إيلغازی بن أرتق : ۱۹۴ .

یولوق بن بلنکری الذکری : ۱۹۳ .



# فهرس الأماكن والبلدان

١

- آمد : ٧ ١٢ ١٦ ٣٢ ٣٦ ٣٨ ٤٨ ٦٤ ٦٧ ١٧٧
- الأجمة : ١٣ .
- أخلاط : ٧٣ .
- أذربيجان : ١٣ ١٥ ٢١ ٢٣ ٤٣ ٥١ ٥٤ ٧٣ ٨٠ ١١٩ ١٥٣ .
- أران : ١٥٣ .
- إربيل : ٢٠ ٣٠ ٥٨ ١٣٥ ١٣٦ ١٤٢ ١٧٧ ١٨٣ ١٨٥ ١٩٧ ٢٠٠ .
- أرتاح : ١٢٤ .
- الأردن : ١٨ ١٩ .
- أرمينية : ٢١ ٦٦ ٦٧ ٨٠ ٢٠٠ .
- أسبيجاب : ١١ .
- أستوا : ٩ .
- أسعرت : ٦٦ ٨٦ ١٩٧ .
- أسعرد = أسعرت .
- الإسكندرية : ١٣٣ ١٣٤ ١٤١ .
- آسيا الصغرى : ١٦٠ .
- أصفهان = أصفهان .
- أصفهان : ٥ ١١ ٢١ ٤٥ ٥٥ ١٠٦ ١٢٩ .
- أطفیح : ١٣٢ .
- أعزاز : ١٠٣ .
- أفامية : ٨ ١٠٠ .
- أفريقية : ٧٠ ٩٠ .
- أقصرا : ١٠١ ١٦٠ .

- ألبيرة : ٧٠ ٦٧ ٤٥
- ألتوتة : ١١٣
- إنب : ١٠٥ ٩٩
- الأنبار : ٦٤ ٧ ٦
- الأندلس : ١٤٣
- أنطاكيا : ٦ ٧ ٨ ١٢ ١٩ ٣٢ ٤٢ ٦٧ ٩٩ ١٠١ ١٠٣ ١٠٩ ١٢٥ ١٥٤ ١٥٥
- إيطاليا : ٤١
- أيلة : ١٤٤

ب

- باب الأزج : ١٣
- باب زراعة : ١٣٧
- باب البصرة : ١١٣
- باب الجنان : ٣٨ ٣٣
- باب العراق : ١٨٩
- الباب العمادي : ٧٨
- باب كندة : ١٨٩
- باب الميدان : ١١٣
- باب النوبي : ٢٩
- البابين : ١٣٣ ١٣٢
- باجبارة : ١٨٨
- البارة : ١٠٣
- بارين : ١٧٠ ١٤٥ ١١٠ ٦٢
- بالس : ١٠٨ ١٨
- بانياس : ١٤٩ ١٣١ ١٣٠ ١٢٢ ٨٩
- بحر الشام : ٥٨

بحر القلزم : ١٤٤ .

بحيرة طبرية : ١٨ .

بحيرة قدس : ١٧٧ .

بدر : ٦٧ .

برج الرصاص : ١٠٣ .

بزاعة : ٣٨ ٥٥ ٦٢ ٦٣ .

البساتين : ١٣ .

بسرفوث : ١٠٣ .

البصرة : ٢٤ ٢٥ ٢٧ ٢٨ ٢٩ ٣٠ .

البصلية : ١٣ .

البطائح : ٣٠ .

بعرين = بارين .

بعلبك : ٥٨ ٥٩ ٨١ ٩٠ ١٠٧ ١٢٠ ١٤٥ .

بغداد : ٦ ٧ ١١ ١٢ ١٣ ٢١ ٢٢ ٢٤ ٢٥ ٢٦ ٢٧ ٢٨ ٢٩ ٣٠ ٣١ ٣٢ ٣٣ ٣٤ ٤٣

٤٣ ٤٤ ٤٥ ٤٦ ٤٧ ٤٨ ٤٩ ٥٠ ٥١ ٥٢ ٥٣ ٦٢ ٦٣ ٩٢ ١٠٨ ١٠٩

١١٣ ١١٤ ١١٥ ١٣٥ ١٥١ .

البقعاء = بقعاء الموصل .

بقعاء الموصل : ٨٧ ٧ .

البقيعه : ١١٦ .

بلاد الترك : ١١ .

بلاد الجبل : ٤٣ ٤٥ ١٠٥ ١٠٦ ١٠٨ ١١٤ ١١٥ ١٥٢ ١٥٣ .

البلاد الجزرية : ٣٦ ٣٧ .

بلاد الروم : ١٩ ١٠٣ .

بلاد الهياطلة : ١١ .

بلاساغون : ١١ .

بلييس : ١٢١ ١٢٢ ١٣٨ .

بلخ : ٩ .

- . بلد : ١٥٣ .
- . بلد الهكارية : ١٤٢ ١٣٥ ١٠٦ ٦٤ .
- . البلقاء : ١٤٤ .
- . بهسنا : ١٦٠ ١٠٣ .
- . بهمرد : ٤٧ .
- . البوازيج = بوازيج الملك .
- . بوازيج الملك : ٣٥ ٥ .
- . بيت الأحزان : ٤١ .
- . بيت جبريل : ٤١ .
- . بيت المقدس : ١٧ ١٢ ١٨ ٣٩ ٤١ ٦٧ ١٠٣ ١٢١ ١٤٣ ١٤٤ ١٧٠ .
- . بيسان : ١٩ .
- . بين النهرين : ١٩١ .

## ت

- . تبريز : ١٥٥ ٤٣ ١٨ .
- . تركستان : ١١ .
- . تكريت : ١٣٥ ١١٩ ٤٤ ٤٣ ٤٢ ٥ .
- . تل باشر : ١٠٥ ١٠٢ ١٠١ ٨٦ ١٨ ١٧ .
- . تل خالد : ١٠٣ .
- . تل السلطان : ١٥ .
- . تل موزن : ١٨٦ ١٨٥ .
- . تليعفر : ٩٦ .
- . توقات : ١٦٠ .

## ج

- . الجامع العميق : ٧٧ ٣١ .
- . الجامع النورى : ١٥٤ .

جبال أرمينية : ٧٣ .

جبل بنى سليم : ١٠٣ .

جبل جور : ٦٧ .

جبل الطور : ١٨ .

جبل عرفات : ١٢٨ .

جبل لبنان : ٥٥ .

جبل اللكام : ١٦٠ .

جبلة : ٨ .

جبيلا : ٦٦ .

الجزيرة = جزيرة ابن عمر .

جزيرة ابن عمر : ٧ ٢٠ ٢١ ٢٤ ٢٧ ٢٢ ٢٣ ٢٤ ٣٥ ٣٦ ٣٧ ٣٨ ٣٩ ٤٨ ٦٤ ٦٦

١٤٨ ١٤٧ ١٢٩ ١١٨ ١١٥ ١١٢ ٩٥ ٩٣ ٨٧ ٨٢ ٨١ ٧٦ ٧٣

١٩٤ ١٨٥ ١٨٤ ١٨٣ ١٨١ ١٦٦ ١٦٤ ١٦١ ١٦٠ ١٥٤ ١٤٩

٢٠٠ ١٩٧ ١٩٦

جزيرة أقور : ٣٣ ٧ .

جزيرة العرب : ١٦٦ .

جفر الهباءة : ٧٥ .

جملين : ٦٧ .

الجزيرة : ١٣٢ .

## ح

حارم : ٤٢ ٩٨ ٩٩ ١٠٩ ١١٦ ١٢٢ ١٢٣ ١٢٤ ١٢٦ ١٣٠ ١٣١ ١٤٩ ١٧٨

الحامة : ١٩٧ .

حاني : ٦٦ ٦٧ .

الحجاز : ١١ ١٦٦ .

حديثه : ٦٤ .

حديثه الفرات : ٦٤ .

حديثه الموصل : ٦٤ .

حديثه النورة : ٦٤ .

حران : ٧ ١٢ ١٥ ٢٠ ٢٣ ٣٧ ٦٧ ٨١ ١٢٥ ١٣٥ ١٧٤ ١٧٥ ١٨٥ ١٩٢ ١٩٣ ١٩٦ ٢٠٠

الحرمين الشريفين . ١٢٦ .

الحريم الطاهري : ٥٢ .

حصن الأثارب : ٣٩ .

حصن أفامية = أفامية .

حصن الأكراد : ٤١ ١١٦ ١١٨ ١٢٢ ١٤٦ .

حصن إنب = إنب .

حصن باتاسا : ٦٦ .

حصن البارة = البارة .

حصن بارين = بارين .

حصن بسرفوث = بسرفوث .

حصن بهسنا = بهسنا .

حصن حارم = حارم .

الحصن = حصن كيفا .

حصن ذي القرنين : ٦٦ .

حصن الزوق : ٦٦ .

حصن شاروا : ٧٣ .

حصن شيزر = شيزر .

حصن صافينا = صافينا .

حصن عرقة = عرقة .

حصن عريمة = عريمة .

حصن عين تاب = عين تاب .

حصن فطليس : ٦٦ .

حصن فناك : ٧٣ .

حصن كيفا : ١٦ ٣٦ ٤٧ ٦٤ ٧٣ ٨٠ ٨١ ١٢٣ ١٥٢ .

حصن مرعش = مرعش .

حصن المنيطرة = المنيطرة .

حصن نينوى : ١٥٣ .

حصن الهيثم : ٧٣ .

حضر موت : ١٦٦ .

الحكمة : ٥٨ .

حلب : ٤ ٦ ٧ ٨ ١٥ ١٧ ١٨ ٢٠ ٢٢ ٢٣ ٢٧ ٢٨ ٢٩ ٤٠ ٥٥ ٦١ ٦٢ ٦٣ ٧٣ ٨٠

١١٧ ١١٦ ١٠٩ ١٠٣ ١٠٢ ١٠١ ٩٩ ٩٨ ٩٥ ٩١ ٩٠ ٨٨ ٨٦ ٨٥ ٨٤ ٨١

١٨٢ ١٨١ ١٧٨ ١٧٦ ١٧٥ ١٧٠ ١٦٣ ١٦٠ ١٤٥ ١٤٤ ١٤١ ١٣٩ ١٣٧ ١٢٤

. ٢٠٠ ١٨٥ ١٨٣

الخلبة : ١٣ .

الحلة : ٢٢ ٢٤ ٢٦ ٤٦ ١٠٨ ١٢٧ .

حلوان : ١٠٨ .

حماة : ٨ ١٧ ٢٢ ٢٧ ٣٨ ٥٥ ٥٦ ٦١ ٨١ ٨٥ ١٠٠ ١١٠ ١١٢ ١٤٥ ١٧٠ ١٨٢ ١٨٥ .

حصص : ٨ ١٢ ١٥ ١٧ ٢٢ ٦١ ٦٣ ٨١ ٨٩ ٩٠ ٩٦ ٩٧ ٩٨ ١٠٢ ١٠٧ ١٠٨ ١١٧

. ١٢٠ ١٣٨ ١٤١ ١٤٥ ١٦٠ ١٦٤ ١٧٠ ١٨٥

حوران : ١٤٤ .

حيزان : ٦٦ ٨٠ ٨٦ .

خ

الخابور : ٧ ٨ ٢٧ ٨٥ ١٥٢ ١٥٤ ١٧٥ ١٩١ .

خائقين : ٤٥ .

خرابة ابن جرادة : ١٣ .

خراسان : ٥ ٩ ١١ ٢١ ٤٤ ٥٢ ١٥٠ ١٧١ .

خضراء الحجاج : ٢٤ .

خوارزم : ١١ .

خوزستان : ٢١ ٤٣ ٤٩ ٥٤ ١٠٥ .

خونج : ٤٥ .

د

دار الحديث : ١٧٢ .

دار الخلافة : ٢٩ .

دار الرقيق : ٥٢ .

دار السلام = بغداد .

دار السلطنة : ١١ .

دار العدل : ١٦٨ .

دار المملكة : ٧٧ ١٨٩ .

دارا : ٣٢ ٣٨ ٣٩ ٩٠ .

الداروم : ١١ ٢١ .

داى مرك : ٤٩ .

دجلة = نهر دجلة .

دجيل : ٥٢ .

درب القيار : ١٣ .

درب هارون : ٥٤ .

الدروب : ١٩٦ .

الديكرة : ٤٥ .



دقوقا : ١٨٤ ١٨٣ .

دلوك : ١٠١ ١٠٢ ١٠٤ ١٠٥ .

دمشق : ٧ ١٢ ١٥ ١٧ ١٩ ٢٢ ٢٣ ٤٦ ٤٧ ٤٨ ٥٧ ٥٨ ٥٩ ٨١ ٨٨ ٨٩ ٩٠

١٠٦ ١٠٧ ١٠٨ ١١٧ ١١٩ ١٢٠ ١٢٥ ١٣١ ١٣٤ ١٣٩ ١٤٤ ١٥٨ ١٦٠

١٦٣ ١٦٤ ١٦٦ ١٦٧ ١٦٨ ١٧٠ ١٧٢ ١٧٣ ١٧٤ ١٧٥ ١٧٦ ١٧٧ ١٨٥

١٩٣ ١٩٤ ٢٠٠ .

دمياط : ١٤٣ ١٤٤ .

دنيسر : ٧ ٢٢ ٢٣ ٣٩ ٨٧ ١٧٧ ١٨٦ ١٨٩ .

دوين : ١١٩ .

ديار بكر : ٥ ٧ ١٢ ٢١ ٢٢ ٣٦ ٣٩ ٤٧ ٦٦ ٦٧ ٧٣ ٨٠ ٩١ ١٣٠ ١٥٢ ١٦١

١٦٢ ١٧٨ ١٩٢ ١٩٦ ٢٠٠ .

ديار الجزيرة : ٦٧ ١٤٥ ١٦١ ١٦٢ ١٦٣ ١٧٥ ١٧٨ ١٩٣ ٢٠٠ .

ديار ربيعة : ٢١ ٨٥ .

ديار مصر = مصر .

ديار مضر : ٧ ٢٠ ٢١ ٣٣ .

الديلم : ٥١ .

الدينور : ٤٤ .

ديوان الإنشاء : ٤٦ .

ر

رأس عين : ٧ ٣٣ ٣٧ ٦٧ ٨١ ١٨٥ ١٩٦ .

رأس الماء : ١٣٩ .

الراوندان : ١٠٣ .

الرحبة : ١٢ ٣٣ ٣٥ ٤٧ ٩٨ ١١٨ ١٢٠ ١٣٠ .

رجبة مالك بن طوق : ٨٥ .

رفح : ١٦٠ .

رفنية : ٥٧ .

الرقعة : ٧ ١٨ ٢٦ ٣٣ ٦٧ ٨٥ ٩٨ ١٣٠ ١٥٢ ١٧٥ ١٨٢ ١٨٦ .

الرملة : ٤٧ .

الرها : ١٨ ١٧ ١٥٧ ١٩ ٣٣ ٣٧ ٦٥ ٦٦ ٦٧ ٧٠ ٨١ ٨٦ ٧ ٩٨ ١٦٥ ١٧٥ ١٨٦

رويان : ١٥ .

الرى : ١٣ ٤٥ .

## ز

الزعفران : ١١٣ .

الزلاقه : ٣٦ .

زنجان : ٤٣ ٥٠ .

الزوزان : ٢٧ ٧٣ ٩٣ ١١٣ .

## س

ساحل الشام : ١٢ .

السبيح : ١١ .

سروج : ٢٠ ٣٧ ٦٧ ٦٩ ١٣٧ ١٨٥ .

سرجة : ٣٨ ٣٩ .

سعرت = أسعرت .

سلباس : ١٠٦ .

سمران : ١١ .

- سمرقند : ١١ .  
سميساط : ١٦٠ ٦٧ ١٩ .  
سنجار : ١٣٥ ١٢٩ ٩٨ ٩٧ ٩٦ ٩٥ ٨٦ ٨٥ ٨٠ ٧١ ٦٤ ٤٧ ٣٧ ٣٢ ٢٤ ٢٠ ٧ .  
٢٠٠ ١٩٧ ١٩٦ ١٩٤ ١٩٢ ١٩١ ١٨٥ ١٨٣ ١٧٦ ١٥٣ .  
السند : ٦ .  
السندية : ٦ .  
سوق الخواصين : ١٦١ .  
سويدا : ١٢٥ .  
سويده = سويدا .  
سيواس : ١٧٥ ١٦١ ١٦٠ .

ص

- صافيتا : ١٥٤ .  
الصراة : ١١٣ .  
صرخد : ٤٦ .  
صريفين : ٥٤ .  
الصعيد : ١٣٤ ١٣٣ ١٣٢ .  
الصغد : ١١ .  
صفد : ٤١ .  
صفين : ٧٥ .  
صقلية : ١٤٣ ٧٠ .  
صور : ١٨ .  
الصين : ١١ .

ط

- . الطائف : ١٢٨ .
- . طبرية : ١٢ ١٨ ١٩ ٨٠ ١٣٠ .
- . طرابلس : ٥٧ ٩٠ ١١٦ ١٢٤ ١٢٥ ١٣١ ١٥٤ ١٥٥ .
- . طراز : ١١ .
- . طليعة : ٩٠ .
- . طنزة : ٦٦ .

ع

- . عانة : ٦٤ .
- . عباسية الخالص : ٤٣ ٤٤ .
- . العراق : ٦ ٨ ٢١ ٢٥ ٢٧ ٢٨ ٢٩ ٣١ ٤٢ ٤٦ ٤٧ ٤٨ ٥١ ٥٢ ٥٤ ١٠٨ ١١٥ .
- . عرفات : ١١٩ ١٤٥ ١٥٢ ١٦٦ ١٧١ ١٧٨ .
- . عرفات : ١١ ١٢٨ .
- . عرقة : ٥٧ ١٥٤ ١٥٥ .
- . عريش مصر : ٣٢ .
- . عريمة : ٩٠ ١٥٣ .
- . عزاز : ٩٩ ١٠١ .
- . عسقلان : ١٠٦ .
- . العسكر : ٦٢ .
- . عشرا : ١٤٤ ١٤٥ .
- . عقبة أسد أباد : ٢٣ .
- . العقيمة : ١٤٧ ١٤٨ ١٣١ ٧٤١ .
- . عكا : ١٨ ١٩ .

عكة = عكا .

عم : ١٢٦ ١٢٤ .

العمادية : ٦٤ .

عمورية : ٦٧ ٤٢ .

عين تاب : ١٠٢ ١٠١ .

عين القيارة : ١٩٧ .

## ع

الغراف : ١٨٤ ١٨٢ .

غزة : ٤١ .

غزنة : ١٤ ٩ .

العور : ١٨ .

## ف

فارس : ٥٤ ٤٣ ٢١ .

فاميه أفاميه .

الفرات = نهر الفرات .

فرنسا : ٨٨ .

فلسطين : ١٠٦ .

فنك : ٧٩ ٧٨ .

## ق

القاهرة : ١٨٣ ١٥٨ ١٥٦ ١٤٠ ١٣٩ ١٣٨ ١٣٧ ١٢١ .

قبر الشافعي : ١٤٠ .

- القدس = بيت المقدس .
- القرادى : ٦٧ ١٩٣ .
- قرقيسيا : ٣٣ ٢٧ .
- القرية : ١١٣ .
- قزوين : ٥١ .
- القسطنطينية : ١١ ٥٥ ٦٧ .
- قصر التاج : ٥٢ .
- قصر عيسى : ١١٣ .
- قطفتا : ١٧٩ ١١٣ .
- قلاع الأكراد الحميدية : ٤٨ .
- قلاع الهكارية = بلد الهكارية .
- قلعة آشب : ٦٤ .
- قلعة الأثارب : ٦٣ .
- قلعة ألبيرة = ألبيرة .
- قلعة بانياس = بانياس .
- قلعة برقة : ٧٣ .
- قلعة بشير : ٧٣ .
- قلعة بعلبك = بعلبك .
- قلعة جردقيل : ٧٣ .
- قلعة الجزيرة : ٨٤ .
- قلعة جعبر : ٨ ٧٣ ٧٤ ٧٨ ١٣٦ ١٥٢ ١٧٥ .
- قلعة الجلاب : ٦٤ .
- قلعة حارم = حارم .

- قلعة حلب : ٥٦ .
- قلعة داراء : ٩٠ .
- قلعة دمشق : ١٦١ .
- قلعة سرجهان : ٥٠ .
- قلعة الشعباني : ٦٤ .
- قلعة شهر زور : ٥٧ .
- قلعة شوش : ٤٨ .
- قلعة الصور : ٤٨ .
- قلعة عقير الحميدية : ٤٨ ٨٠ ١٣٥ ١٨١ ١٨٣ .
- قلعة العهادية : ٦٤ .
- قلعة فرح : ١١٣ .
- قلعة كواشي : ٧٩ .
- قلعة الهيثم : ٩٦ .
- قورس : ١٠٣ .
- قونية : ٦ ١٠١ ١٦٠ .
- قيسارية : ١٦٠ .

## ك

- كاشغر : ١١ .
- الكرخ : ١١٣ .
- الكرك : ١٢٦ ١٤٤ ١٥٨ .
- كرمان : ١٤ ٢١ ٤٤ .
- الكعبة : ١٢٨ .
- كفر سوت : ١٠٣ .
- كفر طاب : ٨ ٦١ .
- كفر لاثا : ١٠٣ .

- . كنجة : ٤٣ ٤٥
- . السكواشي : ١١٣
- . السكوفة : ١١ ٢٢
- . كيسوم : ١٦٠

## ل

- . اللاذقية : ٨ ١٢٥ ١٥٤
- . اللبوة : ١٤٥

## م

- ماردين : ٥ ٧ ١٦ ١٨ ٣٢ ٣٦ ٣٩ ٦٦ ٦٧ ٧١ ٧٩ ٨٠ ٩٠ ٩١ ١٠٦ ١٢٣ ١٨٢
- . ١٩٤ ١٩٥ ١٩٦ ٢٠٠
- . ما كسين : ٣٧ ٨٥ ٩٥
- . ما وراء النهر : ١١ ١٤
- . المباركة : ٢٦
- . المجدل : ٣٧
- . محلة الطبايين : ٧٧
- . المدائن : ٢٥ ٢٦
- . مدرسة رضى الدين : ٩
- . المدرسة الغربية : ١٨٩
- . المدرسة النظامية : ١٠٨
- . المدينة : ١٢٧ ١٢٨ ١٣٠ ١٦٢ ١٧٧
- . مدينة السلام = بغداد .
- . مراغة : ٥٠



- . المربعة : ١١٣
- . مرج الصفر : ١٩
- . مرعش : ١٠٣ ١٦٠
- . المرقب : ٤١
- . مرو : ١٠
- . المستجدة : ١١٣
- . مسجد الحيف : ١٢٨
- . مسجد سيرين : ١١٦
- . مسجد الوزير : ١٢٩
- . مشهد باب التين : ٢٧
- مصر : ٤٣ ٥١ ١١٩ ١٢٠ ١٢١ ١٢٢ ١٢٤ ١٢٦ ١٣٢ ١٣٤ ١٣٧ ١٣٨ ١٣٩ ١٤٠
- ١٤١ ١٤٢ ١٤٣ ١٤٤ ١٤٥ ١٥٤ ١٥٦ ١٥٨ ١٦٠ ١٦١ ١٦٢ ١٦٣ ١٦٦
- . ١٧٥ ١٧٦ ١٨٣ ١٩٤ ١٩٦ ٢٠٠
- . المعدن : ٦٦ ٨٠ ٨٦
- . المعرة = معرة النعمان
- . معرة النعمان : ٨ ١٧ ٥٥ ٦١ ١١٠
- . المشوق : ٤٣
- . المغرب : ١٥٧
- . المقتدية : ١٣
- . مكاتب الأيتام : ١٧٢
- . مكة : ٧٥ ١٢٧ ١٣٠ ١٦٢ ١٨٨
- . الملاححة : ١٣٧
- . مطية : ١٦٠
- . منارة القرون : ١١
- . منبج : ٦ ٨ ٣٨ ٧٤ ١٣٤ ١٦٠ ١٧٠ ١٨٢
- . منى : ١٢٨
- . المنيطرة : ١٣١
- . المهديّة : ١٥٧

الموزن : ٦٧ .

الموصل : ١ ٥ ٧ ٨ ٩ ١٢ ١٣ ١٥ ١٦ ١٧ ٢٠ ٢١ ٢٢ ٢٣ ٢٧ ٣١ ٣٢ ٣٣ ٣٤  
٣٥ ٣٦ ٣٧ ٣٨ ٣٩ ٤٠ ٤١ ٤٢ ٤٣ ٤٤ ٤٥ ٤٦ ٤٧ ٤٨ ٥١ ٥٣ ٥٤ ٥٥ ٥٦ ٥٧ ٥٨  
٥٩ ٦٠ ٦١ ٦٢ ٦٣ ٦٤ ٦٥ ٦٦ ٦٧ ٦٨ ٦٩ ٧٠ ٧١ ٧٢ ٧٣ ٧٤ ٧٥ ٧٦ ٧٧ ٧٨ ٧٩ ٨٠  
٨١ ٨٢ ٨٣ ٨٤ ٨٥ ٨٦ ٨٧ ٨٨ ٨٩ ٩٠ ٩١ ٩٢ ٩٣ ٩٤ ٩٥ ٩٦ ٩٧ ٩٨ ٩٩ ١٠٠ ١٠١  
١٠٢ ١٠٣ ١٠٤ ١٠٥ ١٠٦ ١٠٧ ١٠٨ ١٠٩ ١١٠ ١١١ ١١٢ ١١٣ ١١٤ ١١٥ ١١٦ ١١٧ ١١٨ ١١٩ ١٢٠ ١٢١  
١٢٢ ١٢٣ ١٢٤ ١٢٥ ١٢٦ ١٢٧ ١٢٨ ١٢٩ ١٣٠ ١٣١ ١٣٢ ١٣٣ ١٣٤ ١٣٥ ١٣٦ ١٣٧ ١٣٨ ١٣٩ ١٤٠ ١٤١  
١٤٢ ١٤٣ ١٤٤ ١٤٥ ١٤٦ ١٤٧ ١٤٨ ١٤٩ ١٥٠ ١٥١ ١٥٢ ١٥٣ ١٥٤ ١٥٥ ١٥٦ ١٥٧ ١٥٨ ١٥٩ ١٦٠ ١٦١  
١٦٢ ١٦٣ ١٦٤ ١٦٥ ١٦٦ ١٦٧ ١٦٨ ١٦٩ ١٧٠ ١٧١ ١٧٢ ١٧٣ ١٧٤ ١٧٥ ١٧٦ ١٧٧ ١٧٨ ١٧٩ ١٨٠ ١٨١  
١٨٢ ١٨٣ ١٨٤ ١٨٥ ١٨٦ ١٨٧ ١٨٨ ١٨٩ ١٩٠ ١٩١ ١٩٢ ١٩٣ ١٩٤ ١٩٥ ١٩٦ ١٩٧ ١٩٨ ١٩٩ ٢٠٠ ٢٠١

مياقارقين : ٧ ١٢ ١٩٥ ١٩٦ .

الميدان الأخضر : ٨٩ .



النجمي : ١١٣ .

نصيبين : ٧ ١٢ ١٥ ٢٠ ٢٤ ٢٢ ٢٣ ٢٤ ٢٦ ٢٧ ٢٩ ٣٧ ٣٩ ٤٦ ٤٧ ٤٨ ٤٩ ٥٠ ٥١ ٥٢ ٥٣ ٥٤ ٥٥ ٥٦ ٥٧ ٥٨ ٥٩ ٦٠ ٦١ ٦٢ ٦٣ ٦٤ ٦٥ ٦٦ ٦٧ ٦٨ ٦٩ ٧٠ ٧١ ٧٢ ٧٣ ٧٤ ٧٥ ٧٦ ٧٧ ٧٨ ٧٩ ٨٠ ٨١ ٨٢ ٨٣ ٨٤ ٨٥ ٨٦ ٨٧ ٨٨ ٨٩ ٩٠ ٩١ ٩٢ ٩٣ ٩٤ ٩٥ ٩٦ ٩٧ ٩٨ ٩٩ ١٠٠ ١٠١ ١٠٢ ١٠٣ ١٠٤ ١٠٥ ١٠٦ ١٠٧ ١٠٨ ١٠٩ ١١٠ ١١١ ١١٢ ١١٣ ١١٤ ١١٥ ١١٦ ١١٧ ١١٨ ١١٩ ١٢٠ ١٢١ ١٢٢ ١٢٣ ١٢٤ ١٢٥ ١٢٦ ١٢٧ ١٢٨ ١٢٩ ١٣٠ ١٣١ ١٣٢ ١٣٣ ١٣٤ ١٣٥ ١٣٦ ١٣٧ ١٣٨ ١٣٩ ١٤٠ ١٤١ ١٤٢ ١٤٣ ١٤٤ ١٤٥ ١٤٦ ١٤٧ ١٤٨ ١٤٩ ١٥٠ ١٥١ ١٥٢ ١٥٣ ١٥٤ ١٥٥ ١٥٦ ١٥٧ ١٥٨ ١٥٩ ١٦٠ ١٦١ ١٦٢ ١٦٣ ١٦٤ ١٦٥ ١٦٦ ١٦٧ ١٦٨ ١٦٩ ١٧٠ ١٧١ ١٧٢ ١٧٣ ١٧٤ ١٧٥ ١٧٦ ١٧٧ ١٧٨ ١٧٩ ١٨٠ ١٨١ ١٨٢ ١٨٣ ١٨٤ ١٨٥ ١٨٦ ١٨٧ ١٨٨ ١٨٩ ١٩٠ ١٩١ ١٩٢ ١٩٣ ١٩٤ ١٩٥ ١٩٦ ١٩٧ ١٩٨ ١٩٩ ٢٠٠ ٢٠١

١٩٤ .

نهر الأردن : ٥٥ .

نهر الجوز : ١٠٣ .

نهر جيحون : ١١ .

نهر الخابور : ٢٣ .

نهر دجلة : ٥ ٩ ٢٤ ٣٠ ٣٢ ٣٦ ٣٧ ٣٨ ٣٩ ٤٠ ٤١ ٤٢ ٤٣ ٤٤ ٤٥ ٤٦ ٤٧ ٤٨ ٤٩ ٥٠ ٥١ ٥٢ ٥٣ ٥٤ ٥٥ ٥٦ ٥٧ ٥٨ ٥٩ ٦٠ ٦١ ٦٢ ٦٣ ٦٤ ٦٥ ٦٦ ٦٧ ٦٨ ٦٩ ٧٠ ٧١ ٧٢ ٧٣ ٧٤ ٧٥ ٧٦ ٧٧ ٧٨ ٧٩ ٨٠ ٨١ ٨٢ ٨٣ ٨٤ ٨٥ ٨٦ ٨٧ ٨٨ ٨٩ ٩٠ ٩١ ٩٢ ٩٣ ٩٤ ٩٥ ٩٦ ٩٧ ٩٨ ٩٩ ١٠٠ ١٠١ ١٠٢ ١٠٣ ١٠٤ ١٠٥ ١٠٦ ١٠٧ ١٠٨ ١٠٩ ١١٠ ١١١ ١١٢ ١١٣ ١١٤ ١١٥ ١١٦ ١١٧ ١١٨ ١١٩ ١٢٠ ١٢١ ١٢٢ ١٢٣ ١٢٤ ١٢٥ ١٢٦ ١٢٧ ١٢٨ ١٢٩ ١٣٠ ١٣١ ١٣٢ ١٣٣ ١٣٤ ١٣٥ ١٣٦ ١٣٧ ١٣٨ ١٣٩ ١٤٠ ١٤١ ١٤٢ ١٤٣ ١٤٤ ١٤٥ ١٤٦ ١٤٧ ١٤٨ ١٤٩ ١٥٠ ١٥١ ١٥٢ ١٥٣ ١٥٤ ١٥٥ ١٥٦ ١٥٧ ١٥٨ ١٥٩ ١٦٠ ١٦١ ١٦٢ ١٦٣ ١٦٤ ١٦٥ ١٦٦ ١٦٧ ١٦٨ ١٦٩ ١٧٠ ١٧١ ١٧٢ ١٧٣ ١٧٤ ١٧٥ ١٧٦ ١٧٧ ١٧٨ ١٧٩ ١٨٠ ١٨١ ١٨٢ ١٨٣ ١٨٤ ١٨٥ ١٨٦ ١٨٧ ١٨٨ ١٨٩ ١٩٠ ١٩١ ١٩٢ ١٩٣ ١٩٤ ١٩٥ ١٩٦ ١٩٧ ١٩٨ ١٩٩ ٢٠٠ ٢٠١

١٧٩ ١٩٧ .

نهر الزاب : ٥ .

نهر سبعين : ١٥ .

نهر سيحون : ١١ .

نهر عيسى : ٦ .

نهر الفرات : ٧ ١٧ ١٨ ٢٣ ٢٧ ٢٨ ٢٣ ٦٤ ٦٧ ٦٩ ٧٠ ٨٥ ٨٦ ١٢٦ ١٥٢  
١٧٥ ١٧٦ ١٨٢ ١٨٣ .

نهر قرل إرمك : ١٦٠ .

نهر القلائين : ١١٣ .

نهر ملك : ٢٤ .

النهر وان : ٥٢ .

نيسابور : ٩ ٦٦ .

نيقيه : ٦ .

النيل : ٢٦ .

نيم أزرای : ٥٨ .

هـ

الهكارية = بلد الهكارية .

همدان : ٤ ١٣ ١٩ ٢١ ٤٢ ٤٤ ٤٥ ٤٩ ٥٤ ٥٨ ١٠٥ ١٠٦ ١٠٨ ١١٤ ١١٥ ١٢٩  
١٥٣ ١٥٩ ١٨٢ .

هيث : ٧ .

و

وادی بطنان : ٣٨ .

وادی الصغد : ١١ .

وادی القرى : ١٣٠ .

واسط : ٢٤ ٢٥ ٢٦ ٢٨ ٢٩ ٣٠ ٥٢ .

ی

یافا : ٤١ .

الین : ١١ ١٢٦ ١٦٢ ١٦٦ .

## فهرس المصطلحات<sup>(١)</sup>

ا

- . أحداث البلد : ١٠٧ .
- . أستاذ الدار : ٥١ .
- . الأطلاب : ٥٩ .

ب

- . البيشكار : ١٨٤ .
- . البيكار : ١٩٦ .
- . البيارستان : ١٧٠ .

ت

- . تركبلى : ١٤٤ .

ج

- . الجامكيات : ٧٨ .
- . الجاندارية : ٨٢ .
- . جريب : ١٤٧ .
- . جريدة : ١٣١ .
- . الجنايات : ١٤٨ .

خ

- . خشكناسكة : ٧٩ .

(١) اكتفينا هنا بذكر الصفحة التي ورد فيها شرح المصطلح .

د

- درفش : ١٣٥
- دركاهة : ٧٨
- دزدار . ٣٥
- الدست : ١٢٧
- دسترك : ١٣٥

ز

- الزبب : ٢٥
- زناطرة : ١٠٧

س

- السلاح دار : ١٠١
- سنجق : ٩٣

ط

- طشت دار : ٧٩

م

- المجانيق : ٥٦
  - المصانع : ١١
-

# فهرس الموضوعات

ص	
٢٦- ٥	المقدمة
٧	المؤلف
٧	إسسه ولقبه
٧	مولده
٧	أسرته
١٠	حياته
١٠	تعليمه
١٠	شيوخه
١٣	وفاته
١٣	مؤلفاته :
١٤	اللباب في تهذيب الأنساب
١٤	أسد الغابة في معرفة الصحابة
١٤	الكامل في التاريخ
١٦	التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية
١٧	ملاحظات على « الباهر »
١٨	مميزات كتاب « الباهر »
١٨	أسلوب ابن الأثير
١٩	مصادره
١٩	المخطوطة (تعريف بها)
٢١	التاريخ الباهر والطبعة الفرنسية

## المخطوطات

نموذج من المخطوطة

- ١ مقدمة المؤلف
- ٤ في ذكر ابتداء حال قسيم الدولة آقسنقر رضى الله عنه
- ٥ ذكر مسير قسيم الدولة مع نخر الدولة بن جهير إلى الموصل بأمر السلطان ملكشاه
- ٦ ذكر ملك قسيم الدولة مدينة حلب وغيرها
- ٨ معرفة حسنة
- ٩ ذكر قتل نظام الملك وزير السلطان ملكشاه رحمه الله
- ١٠ ذكر وفاة السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان رضى الله عنه
- ١٢ ذكر صلح قسيم الدولة آقسنقر وتاج الدولة تمش بن ألب أرسلان وما شهده من الحروب معه
- ١٣ ذكر وفاة أمير المؤمنين المقتدى بأمر الله وولاية ابنه المستظهر بالله
- ١٤ ذكر نسب المستظهر بالله
- ١٥ ذكر قتل قسيم الدولة آقسنقر رضى الله عنه .
- ١٥ ذكر حال عماد الدين زنكى بعد قتل والده رضى الله عنهما .
- ٢٠ ذكر وفاة السلطان غياث الدين محمد بن ملكشاه وجلس ولده مغيث الدين محمود فى السلطنة .
- ٢٢ ذكر وفاة أمير المؤمنين المستظهر بالله وخلافة المسترشد بالله .
- ٢٢ ذكر الحرب بين السلطان محمود وأخيه الملك مسعود وما أثر عن عماد الدين فيها .
- ٢٤ ذكر ولاية البرسقى الموصل .
- ٢٤ ذكر إقطاع عماد الدين زنكى مدينة واسط .
- ٢٥ ذكر هزيمة ديبس وعسكر بغداد وما ظهر لعماد الدين زنكى من الشجاعة .
- ٢٧ ذكر مفارقة الشهيد عماد الدين البرسقى واتصاله بالسلطان محمود .
- ٢٨ ذكر إقطاعه البصرة من السلطان .
- ٢٨ ذكر ولايته شخنكية بغداد .

- ٣١ ذكر قتل البرسقى وشيء من سيرته رحمه الله تعالى .
- ٣٢ ذكر ولاية ابنه عز الدين مسعود ووفاته .
- ٣٢ ذكر ولاية المولى الشهيد عماد الدين زنكى الموصل وسائر بلاد الجزيرة .
- ٣٦ ذكر ملكة جزيرة ابن عمر .
- ٣٦ ذكر ملكة البلاد الجزرية بقوة واقتدار .
- ٣٧ ذكر ملكة مدينة حلب وحماة .
- ٣٨ ذكر الحرب بين الشهيد أتابك وبين الملوك الأرتقية ، وملك مدينة سرجة ودارا وما إليهما .
- ٣٩ ذكر فتح حصن الأثارب من الفرنج .
- ٤٢ ذكر وفاة السلطان الملك مغيث الدين محمود بن محمد بن ملكشاه .
- ٤٣ ذكر ملك السلطان الملك العادل مسعود والحروب الحادثة إلى أن ملك .
- ٤٤ ذكر الحروب بين السلطان سنجر والسلطان مسعود .
- ٤٥ ذكر وصول الشهيد إلى بغداد وهزيمته .
- ٤٦ ذكر السبب في مصير ديبس عند الشهيد رضى الله عنه .
- ٤٧ ذكر حصر المسترشد بالله أمير المؤمنين الموصل .
- ٤٨ ذكر ملك الشهيد قلاع الأكراد الحميدية .
- ٤٨ في ذكر قتل أمير المؤمنين الخليفة المسترشد بالله وخلافة الراشد .
- ٥٠ ذكر عمر المسترشد بالله وشيء من سيرته رحمه الله تعالى .
- ٥١ ذكر مسير الراشد بالله أمير المؤمنين إلى الموصل مع أتابك الشهيد .
- ذكر خلع الراشد بالله أمير المؤمنين وخلافة المقتدى لأمر الله أمير المؤمنين رضى الله عنهما أجمعين .
- ٥٣
- ٥٥ ذكر خروج ملك الروم إلى الشام وما فعله الشهيد .
- ٥٧ ذكر ملك الشهيد قلعة شهرزور .
- ٥٨ ذكر حصار دمشق وبعليبك .
- ٥٩ ذكر فتح حصن بارين وهزيمة الفرنج .
- ٦٢ ذكر حصار الروم والإفرنج مدينة حلب .
- ٦٤ ذكر ملك الشعبانى وبناء العمادية ببلد الهسكارية .



- ٦٥ ذكر الوحشة بين السلطان مسعود وأتابك الشهيد، رضى الله عنهما .
- ٦٦ ذكر ملكه عدة بلاد وحصون من ديار بكر .
- ٦٦ فى ذكر فتح الشهيد مدينة الرها .
- ٧٠ ذكر محاصرة الشهيد قلعة البيرة
- ٧١ ذكر قتل نصير الدين جقر على يد الملك ألب أرسلان .
- ٧٢ ذكر ولاية زين الدين على قلعة الموصل .
- ٧٣ حصر حصن فنك .
- ٧٣ ذكر حصار قلعة جعبر .
- ٧٤ ذكر قتل الشهيد زنى رضى الله عنه .
- ٧٦ ذكر بعض سيرة الملك الشهيد رضى الله عنه .
- ٧٨ ومن ذلك حسن رأيه رحمه الله .
- ٨٠ ومن ذلك شجاعته وهيبته الهیوبة .
- ٨١ وأما صدقاته رضى الله عنه .
- ٨٢ وأما قوة عزمه ، وقلة تلونه ، وعلو همته .
- ٨٤ وأما غیرته .
- ٨٤ ذكر ملك سيف الدين غازى بن زنى ، وما فعله جمال الدين الوزير إلى أن ملك .
- ٨٦ ذكر عصيان أهل الرها واستيلاء المسلمين عليها ثانياً .
- ٨٧ نادرة عجيبة .
- ٨٧ ذكر اجتماع سيف الدين ونور الدين ابني زنى .
- ٨٨ ذكر نزول الفرنج على دمشق وحصرها ، وما فعله سيف الدين حتى رحلوا عنها .
- ٩٠ ذكر فتح نور الدين حصن العزيمة .
- ٩٠ ذكر ملك سيف الدين قلعة داراء .
- ٩١ ذكر حصار قلعة ماردين الشهباء .
- ٩١ ذكر غزو الفرنج ببصرى وما جرى لهم فيها .
- ٩٢ ذكر وفاة سيف الدين غازى بن أتابك عماد الدين زنى .
- ٩٢ فى ذكر بعض سيرته وأخلاقه رحمه الله .

- ٩٤ في ذكر ملك أخيه قطب الدين .
- ٩٤ في ذكر فاطمة ابنة عبد الملك ( معرفة حسنة تذكر ) .
- ٩٥ ذكر ملك نور الدين محمود ابن الشهيد مدينة سنجار وما كان بينه وبين أخيه قطب الدين .
- ٩٧ ذكر قضية قلعة سنجار .
- ٩٨ ذكر قتل البرنس صاحب أنطاكية .
- ١٠٠ ذكر ملك حصن أفامية .
- ١٠١ ذكر الحرب بين نور الدين وجوسلين ، وانهزام نور الدين رضى الله عنه .
- ١٠٢ في ذكر أسر جوسلين وملك بلاده .
- ١٠٤ ذكر المصاف بين نور الدين والافرنج بدلوک .
- ١٠٥ ذكر وفاة السلطان مسعود بن محمد بن السلطان ملكشاه السلجوقي بهمدان .
- ١٠٦ في ذكر ملك نور الدين دمشق .
- ١٠٨ ذكر القبض على سليمان شاه وحمله إلى الموصل .
- ١٠٩ في ذكر حصر نور الدين قلعة حارم .
- ١١٠ في ذكر الزلزلة التي جرت في الشام ونواحيها .
- ١١٠ ذكر ملك نور الدين المرحوم حصن شيرز .
- ١١٢ ذكر وفاة عز الدين الديبسي وحصر الجزيرة .
- ١١٣ ذكر حصار الملك محمد وزين الدين دار السلام بغداد .
- ١١٤ ذكر وفاة المقتنى لأمر الله وخلافة ابنه المستنجد بالله .
- ١١٤ في ذكره مسير سليمان شاه إلى همدان .
- ١١٦ في حصر نور الدين قلعة حارم .
- ١١٦ في ذكر انهزام نور الدين بحصن الأكراد وما جرى له
- ١١٨ في ذكر القبض على جمال الدين الوزير ابن علي الأصفهاني
- ١١٩ ذكر مسير شيركوه وعساكر نور الدين إلى ديار مصر
- ١٢٢ في ذكر فتح حصن حارم من الإفرنج
- ١٢٥ في ذكر خبر الواقعة التي جرت في حرب قلعة حارم
- ١٢٧ وفاة جمال الدين الوزير

- ١٢٨ في ذكره شيء من أخباره رحمه الله
- ١٣٠ ذكر فتح قلعة بانياس
- ١٣١ ذكر فتح المنيطرة على يد الشهيد رحمه الله .
- ١٣٢ ذكره عودة أسد الدين شيركوه إلى مصر مرة أخرى .
- ١٣٣ ذكره ملك أسد الدين نغر الاسكندرية .
- ١٣٤ عصيان غازي .
- ذكر مفارقة زين الدين الموصل ووفاته ، وولاية نغر الدين عبد المسيح قلعة الموصل .
- ١٣٥
- ١٣٦ ملك نور الدين قلعة جعبر من صاحبها وكيف ملكها
- ذكر مسير أسد الدين شيركوه إلى مصر ثالثة وملكها ، وقتل شاور وتملك أسد الدين سلطنة مصر .
- ١٣٧
- ١٤١ ذكر وفاة أسد الدين شيركوه وملك صلاح الدين يوسف بن أيوب .
- ١٤٣ ذكر حصر الافرنج مدينة دمياط في سنة خمس وستين [ وخمسمائة ] .
- ١٤٤ ذكر حصر نور الدين رحمه الله الكرك .
- ١٤٥ ذكر الزلزلة التي جرت بالشام وما فعله نور الدين .
- ١٤٥ ذكره غزوة لسرية نورية .
- في ذكر وفاة أتابك قطب الدين مودود بن الشهيد زنكي بن آقسنقر رضي الله عنه ، وملك ابنه سيف الدين .
- ١٤٦
- ١٤٧ حادثة تحت على العدل .
- ١٤٨ فصل في ذكر بعض سيرة أتابك قطب الدين رضي الله عنه .
- ذكر وفاة المستنجد بالله أمير المؤمنين وخلافة ولده المستضيء بأمر الله رضي الله عنهم .
- ١٥٠
- فصل في ذكر ملك نور الدين الموصل وغيرها من البلاد الجزرية ، وتقرير الموصل على سيف الدين غازي .
- ١٥٢
- ١٥٤ ذكر غزوة نور الدين إلى بلد أنطاكية وطرابلس الشام
- ١٥٥ نادرة غريبة في زماننا هذا

- ١٥٦ ذكر انقراض الدولة العلوية بمصر وإقامة الخطبة العباسية بها .
- ١٥٨ ذكر الوحشة بين نور الدين وصلاح الدين باطنا .
- ١٥٩ في ذكر إتخاذ نور الدين حمام الهوادى .
- ١٦٠ ذكر قصد نور الدين الشهيد بلاد قلاب أرسلان .
- ١٦١ ذكر وفاة السلطان الملك العادل نور الدين بن عماد الدين زنكى .
- ١٦٢ في ذكر ولاية ابنه الصالح إسماعيل رضى الله عنه
- ١٦٣ في ذكره بعض سيرة الملك العادل نور الدين محمود رضى الله عنه
- ١٦٦ وأما عدله
- ١٦٦ ومن عدله
- ١٦٨ فصل في ذكر بناءه دار العدل رحمه الله وأسكنه فسيح جناته
- ١٧٠ وأما ما فعله من المصالح
- ١٧٢ فصل في ذكر وقاره وهيبته قدس الله روحه ونور ضريحه
- ١٧٣ وأما حفظه أصول الديانات
- ١٧٤ فصل من كلام عماد الدين الكاتب فيه رحمه الله تعالى .
- ١٧٥ في ذكر استيلاء أتاك سيف الدين غازى على البلاد الجزرية بعد وفاة نور الدين .
- في ذكر وصول صلاح الدين يوسف بن أيوب إلى دمشق دار العشق وتملكها من يد ابن مولاه .
- ١٧٦
- ١٧٧ ذكره ولاية مجاهد الدين قلعة الموصل ووزارة جلال الدين أبو الحسن على .
- ١٧٨ ذكر عصيان ابن بوازن وعوده إلى الطاعة .
- ١٧٨ ذكر القبض على سعد الدين كمشتكين النورى .
- ١٧٨ ذكر الغلاء والوباء .
- ١٧٩ فصل في ذكر وفاة أمير المؤمنين المستضىء بأمر الله الخليفة العباسى
- ١٧٩ ذكر شىء من سيرته قدس الله روحه .
- ذكر وفاة الملك سيف الدين غازى بن قطب الدين مودود بن عماد الدين
- زنكى بن آقسنقر .
- ١٨٠
- ١٨١ في ذكر مملكة المولى السعيد عز الدين بن قطب الدين مودود .

ذكر وفاة الملك الصالح اسماعيل بن العادل نور الدين الشهيد بن

١٨١

عماد الدين زنكي بن آقسنقر الملك شاهی .

١٨٣

فصل في سبب قضية القبض على مجاهد الدين قايماز وما تبعه من الوهن

١٨٤

في ذكر حصر الجزيرة .

١٨٥

ذكر وفاة المولى السيد المرحوم عز الدين مسعود رضى الله عنه .

١٨٦

ذكر شىء من سيرته رحمه الله تعالى .

في ذكر ملك ولده السعيد نور الدين بن عز الدين بن قطب الدين مودود

١٨٩

ابن عماد الدين زنكى .

١٩١

ذكر وفاة عماد الدين زنكى بن قطب الدين مودود .

١٩١

ذكر ملك السعيد نور الدين مدينة نصيبين .

١٩٣

ذكر وفاة مجاهد الدين قايماز ، رحمه الله تعالى .

١٩٤

ذكر ما فعله المرحوم نور الدين ، عفى الله عنه ، بماردين .

١٩٦

ذكر عوده ، رضى الله عنه ، إلى بلاد العادل والصلح بينهما .

١٩٦

في ذكر حصر العادل مدينة سنجار وما فعله المولى نور الدين في حفظها وضبطها

١٩٧

ذكر وفاة المولى السعيد نور الدين قدس الله روحه .

١٩٨

ذكر شىء من سيرته .

٢٠٠

وأما علو همته .

٢٠١

وأما عقله وحسن آرائه .

٢٠١

ذكر ملك ولده المولى القاهر أعز الله أنصاره .

## المراجع

- ن أبي طى : يحيى بن حميدة بن ظافر بن على الغسانى الحلبى .  
النصوص المنقولة من بعض كتبه فى « الروضتين فى أخبار الدولتين النورية والصلاحية » ،  
لأبى شامة .
- ن الأثير : على بن أبى الكرم محمد بن محمد بن عبد الكرم بن الواحد الجزرى .  
الكامل فى التاريخ . ( مطبعة الإستقامة بالقاهرة ) .
- ن الجوزى : عبد الرحمن بن على بن محمد ، أبو الفرج .  
المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم . ( طبعة الهند : ١٣٥٩ هـ ) .  
خلكان : أحمد بن محمد بن أبى بكر .
- وفيات الأعيان وأبناء الزمان . ( طبعة بولاق : ١٢٩٩ هـ ) .  
شداد : يوسف بن رافع بن تميم الاسدى .
- سيرة صلاح الدين الأيوبى ، المسماة ، بالنوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية . ( مطبعة  
الآداب والمؤيد بمصر سنة ١٣١٧ هـ ) .
- طباطبا : محمد بن على المعروف بابن الطقطقى .  
الفخرى فى الآداب السلطانية والدول الإسلامية . ( نشر محمود توفيق الكتبى : ١٣٤٠ هـ ) .  
عبد ربه : أحمد بن محمد بن عبد ربه الاندلسى .
- العقد الفريد . ( لجنة التأليف والترجمة والنشر : ١٩٤٨ ) .  
لعديم : عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبى جرادة العقيلى .  
يبدى الحلب فى تاريخ حلب . ( تحقيق سامى الدهان ) .  
بن العماد الحنبلى : أبو الفلاح عبد الحى بن العماد الحنبلى .  
نترات الذهب فى أخبار من ذهب . ( نشر مكتبة القدسى بالقاهرة : ١٣٥٠ هـ ) .  
نمرات : محمد بن عبد الرحيم أحمد بن على بن .
- اريخ الدول والملوك . ( مصور : دار الكتب ، رقم : ٣١٩٧ تاريخ ) .  
غنى شعبة : بدر الدين محمد بن أبى بكر .

- السكواكب الدررية في السيرة النورية . ( مصور : دار الكتب ، رقم : ١٢٢٧ تاريخ ) .
- مخطوط : دار الكتب ، رقم : ٢٠١١ تاريخ ) .
- ابن القلانسي : حمزة بن أبي يعلى الاسدي .
- ذيل تاريخ دمشق . ( تحقيق امدروز : بيروت ١٩٠٨ ) .
- ابن كثير : أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي .
- البداية والنهاية في التاريخ . ( مطبعة السعادة بالقاهرة ) .
- ابن واصل : محمد بن سالم .
- مفرح الكروب في أخبار بني أيوب . ( تحقيق الدكتور جمال الدين الشيال : ١٩٥٣ ) .
- ابن الوردي : عمر بن الوردي .
- تتمة المختصر في أخبار البشر . ( المطبعة الوهية بالقاهرة : ١٢٨٥ هـ ) .
- أبو شامة : عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي .
- الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية . ( مطبعة وادي النيل بمصر : ١٢٨٧ هـ ) ؛
- طبعة سنة ١٩٥٦ ، تحقيق الدكتور محمد حلمي محمد أحمد ) .
- أبو نحاسن : يوسف بن تغرى بردى الأتابكي .
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة . ( مطبعة دار الكتب المصرية : ١٩٣٥ ) .
- الاصطخرى : إبراهيم بن محمد الفارسي الاصطخرى ، المعروف بالسكرخي .
- المسالك والممالك . ( تحقيق الدكتور محمد جابر عبد العال الحيني : ١٩٦١ ) .
- باركر : أرنت باركر .
- الحروب الصليبية . ( ترجمة الدكتور السيد الباز العريني . نشر مكتبة النهضة المصرية : ١٩٦٠ ) .
- البديسي : شرف خان البديسي .
- شرفنامه . ( ترجمة محمد علي عوف ) .
- البيهيقي : إبراهيم بن محمد .
- المحاسن والمساويء . ( مطبعة السعادة : ١٩٠٦ ) .
- الجمعية المصرية للدراسات التاريخية :
- المجلة التاريخية المصرية . ( المجلد السابع : سنة ١٩٥٨ ) .
- حبشي : حسن حبشي ( الدكتور ) .

نور الدين والصلبيون . ( نشر دار الفكر العربي ) .

دى سلين :

تاريخ الدولة الأتابكية ملوك الموصل . ( مجموعة مؤرخى الحروب الصليبية الشرقيين : باريس ) .  
زامباور : ادوردفون زامباور .

معجم الأنساب والأسرات الحاكمة فى التاريخ الإسلام . ( أخرجہ الدكتور زكى محمد حسن  
وآخرون . مطبعة جامعة فؤاد الأول : ١٩٥١ ) .

الطبرى : محمد بن جرير .

تاريخ الأمم والملوك . ( نشر مصطفى محمد ) .

العهد الكاتب : محمد بن محمد بن حامد الأصفهاني .

١ - تاريخ دولة آل سلجوق . ( اختصار الشيخ الفتح بن على بن محمد البندارى الأصفهاني .  
مطبعة الموسوعات بمصر : ١٩٠٠ ) .

٢ - جريدة القصر وجريدة العصر . ( تحقيق شكرى فيصل : دمشق ١٩٥٩ ) .

٣ - النصوص المنقولة من بعض كتبه فى « الروضتين فى أخبار الدولتين النورية والصلاحية »  
لأبى شامة .

الفارقي : أحمد بن يوسف بن على بن الأزرق الفارقي .

تاريخ الفارقي . ( تحقيق الدكتور بدوى عبد اللطيف عوض . القاهرة : ١٩٥٩ ) .

القلقشندي : أبو العباس أحمد القلقشندي .

صبح الأعشى فى صناعة الإنشا . ( المطبعة الأميرية ١٩١٣ - ١٩١٥ بالقاهرة ) .

المقرئى : تقى الدين أحمد بن على .

السلوك المعروفة دول الملوك . ( تحقيق الدكتور مصطفى زيادة . مطبعة دار الكتب المصرية : ١٩٣٤ )

هنداوى : الدكتور محمد موسى .

المعجم فى اللغة الفارسية . ( نشر : مكتبة مطبعة مصر ) .

ياقوت بن عبد الله الحموى الرومى .

معجم البلدان . ( نشر الخانجى . مطبعة السعادة : ١٩٩٦ ) .

يوسف بن قزاوغلى التركى ، المعروف بسبسط ابن الجوزى .

مرآة الزمان فى تاريخ الاعيان . ( طبعة الهند : ١٩٥١ ) .



## تصويبات

ص	س	الخطأ	الصواب
٨ (م)	٦	سلطنة	سلطنة
٨ (م)	١٠	موود	مودود
١٠ (م)	٨	الثلاث	الثلاثة
١٠ (م)	حاشية (٣)	/ ج	٩/ج
١١ (م)	٢٥	( )	(٥)
١١ (م)	حاشية (٣)	٢٠١	٢٥١
١٣ (م)	حاشية (٢)	ابن العماء	ابن العماد
١٤ (م)	١٢	٥١٠	٥٦٣
٢	١٠	الكوراث	الكوارث
١٧	١٠	أدحرها	ادخرها
١٨	حاشية (٨)	السلطان محمد	السلطان محمود
٢٥	١٢	يلس	ديلس
٣٠	١٩	يتعرض	يتعرض
٤٥	٤	فامشهورا	مشهورا
٤٥	٥	رس	فارس
٤٧	٢	الى بر ويحيتها	الى البرية وشحتها
٥١	(٢) حاشية	(تضاف إليها: أما الخليفة المستنصر بالله العباسي فإنه ولي الخلافة سنة ٦٢٣).	
٥٧	١٣	وازاد	وازداد
٦١	٧	يستجدونهم	يستجدونهم
٦٨	حاشية (٣)	والجنائب	والنجائب
٧٤	١	المنى	المنبجى
٨٥	٥	ءنا	عونا
٩٩	٦	يمند	ييمند

ص	س	الخطأ	الصواب
١٠١	٨	تنامها	تذفأها
١١٦	حاشية (٧)	حجن	حصن
١١٩	٨	زين	زين الدين
١٤١	٥	عليه ، ملك	عليه ملك
١٤٨	حاشية (٤)	بجمل من	من بجمل
١٥٤	حاشية (١)	المستضىء بالله	المستضىء بأمر الله
١٨٩	١٤	فيهاد	فيها
١٩١	٢١	الععل	الفعل
١٩٥	٢٠	الموضع	موضع
١٩٧	١٢	وهذا	وهنا
٢٠٤	حاشية (١)	بمسكر	بمنتكر

( ملحوظة ) : ذكرنا في صفحة ١٤ من المقدمة ، أن لابن الاثير كتاب « تحفة العجائب وطرفة الغرائب » ، واعتمدنا في هذا على حاجي خليفة في كتابه كشف الظنون وعلى فهرس دار الكتب - المخطوط لا يعمل اسم المؤلف - ولما كنا يسبيل اصدار كتاب عن ابن الاثير ومؤلفاته ، فقد رجعنا الى كتاب تحفة العجائب لدراسته والتعريف به تعريفًا واسعًا ، وعند قراءة الكتاب تبين لنا أنه منسوب خطأ لابن الاثير ، في الوحة ٥ ، ينقل المؤلف عن كتاب « كنز الدرر وجامع الغرر » لأبي بكر بن عبد الله ابن أبيك الدوادارى صاحب مرشد ، من رجال القرن الثامن ، وفي الوحة ٦٥ ، ينقل المؤلف عن ابن الاثير خبرًا يستعمله بقوله : ومن غريب ما ذكر ابن الاثير في تاريخه . وقد اكتشفنا خطأ نسبة الكتاب الى ابن الاثير أثناء طبع « التاريخ الباهر » وبعد

